

الفصل السادس والخمسون بعد المئة

أولية الشعر الجاهلي

لا نملك نصوصاً جاهلية مدونة عن مبدأ الشعر عند العرب، وعن كيفية ظهوره وتطوره الى بلوغه المرحلة التي وصلها عند ظهور الاسلام . ولم يعثر العلماء على شعر مدون بقلم جاهلي ، ليكون لنا نبراساً يعيننا في تكوين صورة عن ذلك الشعر وعن هيكله ومادته التي تكون منها . وكل ما نعرفه عن هذا الشعر مستمد من موارد اسلامية، أخذت علمها به من أفواه الرواة ، فلما جاء التدوين دون ما وعته الذاكرة مما أخذته عن المتقدمين بالرواية ، فتثبت واستقر ، بعد أن كان المروي عرضة للتغيير والتحريف كلما تنقل من لسان الى لسان ، ومن وقت الى وقت . وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع قدم الشعر العربي وتأريخه ، فقال: « وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق اليه، امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له الى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فائتي عام^١ . وذهب (عمر بن شبة) الى أن « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ، وادعت القبائل كل قبيلة لشاعرها أنه الأول.. فادعت اليمانية لامرئ القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلل ، وبكر لعمر بن قتيبة والمرقس الأكبر ، وإياد لأبي دؤاد ... وزعم بعضهم أن

١ الحيوان (٧٤/١) .

الأفوه الأودي أقدم من هؤلاء ، وانه أول من قصد القصيد ، قال : وهؤلاء النفر المدعى لهم التقدم في الشعر متقاربون ، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها ^١ . وذهب (الأصمعي) الى ان بين أول شاعر معروف ، قال كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر ، وهو (مهلهل) ، وبين الاسلام أربعمائة سنة . « وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » ^٢ .

وقال (الأصمعي) في رواية تنسب اليه ، « ان أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة ، رجل من بني كنانة ، والأضبط بن قريع . قال : وكان بين هؤلاء وبين الاسلام أربعمائة سنة ، وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » ^٣ . « وزعم أبو عمرو بن العلاء : ان الشعر فتح بامرؤ القيس وختم بلذي الرمة » ^٤ .

وذكر انه « لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات التي يقولها الرجل في حاجته ، وانما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد عبد المطلب ، أو هاشم ابن عبد مناف » ^٥ .

وذكر (المرزباني) ، أن (بكر بن وائل) ، تزعم أن (عمر الضائع) أول من قال الشعر وقصد القصيد ، وكان امرؤ القيس بن حجر استصحبه لما شخص الى قيصر يستمده على بني أسد ، فأت في سفره ذلك فسمته بكر عمرأ الضائع ^٦ . فعمرأ الضائع ، هو أول من قال الشعر وقصد القصيد على رأي بكر بن وائل على رواية (المرزباني) .

وقد أورد (ابن اسحاق) شعراً نسبته الى (عمرو بن الحارث بن مضاخر) الجرهمي ، زعم أنه قاله لما خرج بقومه من مكة الى اليمن ، أوله :

وقائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر

- ١ المزهري (٤٧٧/٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣) ، المرزباني ، الموشح (٧٤) .
- ٢ المزهري (٤٧٧/٢) .
- ٣ المزهري (٤٧٧/٢) .
- ٤ البيان والتبيين (١١٥) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .
- ٥ المزهري (٤٧٧/٢) .
- ٦ معجم (٤) .

الى آخر القصيدة التي يتوجع فيها لمفارقتها مع قومه مكة ، ونسب له أبياتاً أخرى هي :

يا أيها الناس سيروا ان قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حشوا المطايا وأرخوا من أزمتها قبل المات وقضوا ما تقضونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنّا تكونونا

وقد ذكر (ابن هشام) ان « هذا ما صح له منها » ، وان بعض أهل العلم بالشعر يقول إن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب^١ .

ودون (السهيلي) صاحب (الروض الأنف) شعراً أخذه من كتاب (أبي بحر سفيان بن العاصي) زعم أنه وجد في بئر باليامة ، وهي بئر طسم وجديس ، في قرية يقال لها (معنق) بينها وبين الحجر ميل^٢ ، وكان مكتوباً على ثلاثة أحجار ، كتبها قوم من بقايا عاد ، غزاهم تبع ، كتب على الحجر الأول :

يا أيها الملك الذي	بالمك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا	وعلا شؤون الناس شأنه
أقصر عليك مراقباً	فالدهر مخسول أمانه
كم من أشم معصب	بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمأ	ن وكان ذا خفض جنانه
تجري الجداول حوله	للجنـد مترعة جفانه
وقد فاجأته منية	لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده	عنه وناح به قيانه
والدهر من يعلق به	يطحنه مفرشاً جرائه
والناس شتى في الهوى	كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة	والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى	ولقسد يشرفه بيانه

١ ابن هشام ، سيرة (٨٢/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) .

٢ الروض الانف (٨٢/١ وما بعدها) .

وكتب على الحجر الثاني :

كل عيش تعلمه	ليس للدهر خله
يوم يؤس ونعمى	واجتماع وقله
حبنا العيش والتكا	ثر جهل وضله
بينما المرء ناعم	في قصور مظله
في ظلال ونعمة	ساحباً ذيل حله
لا يرى الشمس ملغضا	رة إذ زال زله
لم يقلها وبدلت	عزة المرء ذله
آفة العيش والنعم	سيم كرور الأهله
وصل يوم بليلة	واعترض بعله
والمنايا جوائم	كالقصور المدله
بالذي تكره النف	وس عليها مطله

ووجد في الحجر الثالث مكتوباً :

يا أيها الناس سيروا ان قصركم
حشوا المطي وأرخوا من أزمتها
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا
دهر فأنتم كما كنا تكونونا^١

وقد أضاف (الأزرقى) زيادات على هذه الأبيات الأخيرة .

والأبيات التي زعم أنها وجدت مدونة على الحجر الثالث ، هي نفس الأبيات التي نسبها (ابن اسحاق) الى (عمرو بن الحارث بن مضاض) الجرهمي كما رأيت . ويظهر أن واضع هذه الأبيات قد استعان بالأبيات التي وجدت في سيرة (ابن هشام) ، أو أنه أخذها من سيرة (ابن اسحاق) . ويلاحظ أنها في الحث على الزهد والترغيب في الآخرة . ولو لم يكن هذا الشعر من النوع المصنوع ، لكان من أقدم ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ولا شك .

و ه العلماء من العرب الذين قالوا بمدة مائة وخمسين سنة تقريباً للشعر الجاهلي ،

١ الروض الانف (٨٢/١ وما بعدها) .

لم يبعدوا عن الصواب إذا فرضنا أنهم إنما أرادوا بذلك ما وصل إلينا من الأشعار القديمة^١ ، بمعنى أن أقدم ما وصل إلينا علمنا من ذلك الشعر بصورة لا يرتاب بصحتها ، لا يمكن أن يرتقي عهده أكثر من قرن أو قرن ونصف عن الهجرة على أكثر تقدير ، وأن أقدم اسم شاعر جاهلي وصل إلينا سمعنا لا يرتقي عهده عن هذا التقدير . أما إذا كان قصدهم أن نظم القصيد كان قد بدأ في هذا الوقت ، وأن الشعر بالمعنى الاصطلاحي المفهوم منه لم يظهر عند العرب ، إلا قبل قرن أو قرنين عن الإسلام ، فذلك خطئ في الرأي ، وفساد في الحكم . فالشعر أقدم من هذا العهد بكثير ، وقد أشار المؤرخ (سوزيموس) « Zosimus » إلى وجود الشعر عند العرب ، وهو من رجال القرن الخامس للميلاد ، إلى تغني العرب بأشعارهم ، وترنيمهم في غزواتهم بهباً^٢ ، وفي إشارته إلى الشعر عند العرب دلالة على قدم وجوده عندهم ، واشتهاره شهرة بلغت مسامع الأعاجم ، فذكره في تأريخه . وفي سيرة القديس (نيلوس) « Nilus » المتوفى حوالى السنة (٤٣٠) بعد الميلاد ، أن أعراب طور سيناء كانوا يغنون أغاني وهم يستقون من البئر . وهي أشعار ترنم بإيقاع ، تشبه أناشيد العبرانيين عند استقائهم الماء من الآبار . « حيثئذ ترنم إسرائيل بهذا النشيد : اصعدي أيتها البئر أجيبيوا لها ، بئر حفرها رؤساء ، حفرها شرفاء الشعب بصولجان بعصيتهم »^٣ ، والأشعار المروية في كتب التواريخ والأدب عن حفر آبار مكة وغيرها من هذا القبيل ، فقد روي أن (عبد المطلب) لما حفر بئر (زمزم) ، قالت (خالدة بنت هاشم) :

نحن وهبنا لعسدي سجله في تربة ذات عذاة سهله
تروي الحجيج زحلة فزعله

وأن (عبد شمس) قال :

حفرت خمتاً وحفرت رما حتى أرى المجد لنا قد تما

١ كارلو فالينو ، تأريخ الاداب العربية (ص ٦٨ وما بعدها) ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ م ، دار المعارف بمصر) .

٢ Die Araber, II, S. 330.

٣ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ١٧ .

وان (سبيعة) بنت (عبد شمس) قالت في الطوى :
إن الطوى إذا شربتم ماءها صوب الغمام عنوبة وصفاء

وان (الحويرث بن أسد) ، قال في (شفية) :
ماء شفية كماء المزن وليس ماؤها بطرق أجن

وان (أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار) قالت في حفر بئر (أم أحراد) :
نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبئر النذر والجناد
فأجابتها (صفية بنت عبد المطلب) :

نحن حفرنا بئر تروي الحجيج الأكبر
من مقبل ومدبر وأم أحراد بشر
فيها الجراد والنذر وقنر لا يذكر

ولما حفر بنو جمح (السنبلة) ، وهي بئر (خلف بن وهب) الجمحي ،
قال قائلهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبلة صوب سحاب ذو الجلال أنزله
وحفر بنو سهم الغمر ، وهي بئر الجاصي بن وائل ، قال ابن الرعي أو غيره :
نحن حفرنا الغمر للحجيج تشج ماء أيمبا شجيج

وحفرت بنو عدي (الحفير) فقال شاعرهم :
نحن حفرنا بئرنا الحفيرا بحراً يجيش ماؤه غزيراً
وورد أن (قصياً) لما احتفر (العجول) ، قال شاعرهم :

نروي على العجول ثم نطلق إن قصياً قد وفى وقد صدق

١ البلاذري ، فتوح البلدان (٦٠ وما بعدها) ، (ذكر حقائق مكة) ، الروض الانف
(١٠١/١ وما بعدها) ، ويرد الشعر بروايات مختلفة بعض الاختلاف .

وان قصياً لما احتفر (سجلة) ، قال :

أنا قصيٌ وحفرت سجلة تروي الحبيج زغلة فزغلة

وقيل بل حفرها (هاشم) ، ووهبها (أسد بن هاشم) لعدي بن نوفل ،
فقال : خلدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدي سجلة تروي الحبيج زغلة فزغلة

ونجد في كتب السير شعراً قيل في حفر بشر زمزم^١ ، وفي آبار أخرى ، مما
يدل على ان العرب كانوا قبل هذا العهد ، اذا حفروا بئراً ، قالوا شعراً فيها ،
وهو شعر يمكن أن نسميه شعر الآبار ، وهو يعود ولا شك الى عرف قديم ،
قد يتقدم على الميلاد بكثير ، وهو يجب أن يكون من أقدم ما قيل من الشعر ،
لما للبشر من أهمية في حياة العرب .

ولم يقتصر التغني بالشعر على حفر الآبار وحدها ، وإنما تغني به عند بنائهم
بناء أو حفرهم خندقاً ، أو اقامتهم سوراً ، أو قيامهم بزرع أو حصاد ، وفي
أعمال أخرى يناط القيام بها الى جماعة في الغالب ، وكذلك في الغارات وفي الحروب .
ولما شرع المسلمون يبنون مسجد الرسول بالمدينة ، قال قائل منهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منّا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنون ، يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم فارحم الأنصار والمهاجرة

وقال (ابن هشام) : هذا كلام وليس يرجز^٢ ، وسبب ذلك كون قائله
هو الرسول .

وقيل إنه قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

١ ابن هشام ، سيرة (٩٧/١) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٩٧/١) .
٢ ابن هشام ، سيرة (١٢/٢) ، (حاشية على الروض) .

وجمل يقول :

هذا الجمال لا حال خيبر هذا أبرّ ، ربنا ، وأطهر^١

ويروي أهل الأخبار أن (المهلهل) ، كان يتغنى في شعره حين قال :

طفلة ما ابنة المحلل بيضا^٢ ، لعوب^٣ لذينة في العناق^٤

وروا أن من الشعراء الجاهليين من كان يتغنى بشعره ، وإن حسّان بن ثابت أشار الى التغني بالشعر بقوله :

تَغَنَّ بالشعر إما كنتَ قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار^٥

وقد قصد بذلك ، ترنيم الشعر وإنشاده على نغم مؤثر ، وهو الغناء . وما زال الشعراء ، يترنمون بشعرهم ، وينشدونه بأسلوب خاص يميزه عن أسلوب إلقاء النثر .

ونجد في أخبار غزوة أحد ، أن هنداً بنت عتبة ، زوجة أبي سفيان، ونسوة من قريش كنّ يضررن على الدفوف ويتغنين بالشعر ، حيث يقولون :

نحن بنات طارق^٦ إن تُقبِلوا نعانق
ونبسط السمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وتقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتار^٧

ولا بد وأن تكون في الأهازيج وفي أشعار الحج ، أنغام يرنم على وقعها الشعر،

-
- ١ ابن سعد طبقات (٢٤٠/١) ، (صادر) .
 - ٢ الأغاني (٥١/٥) .
 - ٣ العمدة (٢٤١/٢) .
 - ٤ الطبري (٥١٠/٢ ، ٥١٢) .

الذي هو شعر الغناء . فإننا نجد في التتف الباقية من الجمل التي كان يقولها الحجاج أثناء حجهم ، آثار شعر قد كان مقروناً بالغناء .

ونظراً لوجود تماس مباشر بين هذا الشعر وبين الحياة العامة، فإن في استطاعتنا القول ، انه قد يكون من أقدم أنواع الشعر عند العرب ، وهو شعر لم ينبع من ألسنة الشعراء المحترفين ، وإنما خرج على كل لسان ، وساهم فيه كل شخص : رجل أو امرأة ، مثقف أو جاهل ، حكيم أو سوقي . وهو بعد نابع من صميم الحياة ، ومن باطن القلب ، للترفيه عن النفس ، ولتخفيف التعب ، ولا زال الناس يتغنون عند وقوع مثل هذه الأمور لهم ، وهو غناء لم يحظ ويا للأسف بالرعاية والعناية ، لذلك لا نجد له ذكراً في الكتب إلا بالمناسبات .

ويرى العلماء المشتغلون بموضوع الشعر من الغربيين ، ان بين الشعر والسحر صلة كبيرة ، بل رأى بعض منهم ان الغرض الذي قصد اليه من الشعر في الأصل هو السحر ، ودليل ذلك ان الغناء عند الشعوب البدائية ، ليس متسقاً مع نغم العمل وإيقاع اليد العاملة ، فنجد الغناء عند البناء أو الجر أو الحفر ، أو الزرع لا يتسق مع نوع حركة العمل ، وإنما كان يسلي العمال ويسعفهم بقوى سحرية ، وهو الغرض من جميع فن القول عند البدائيين، أي تشجيع العمل بطريق سحري^١.

وقد ذهب (بروكلن) و (كولدترير) الى ان هذا الأثر السحري لا يظهر في الشعر العربي القديم إلا في شعر الهجاء ، « فن قبل أن ينحدر الهجاء الى شعر السخرية والاستهزاء ، كان في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري . ومن ثم كان الشاعر ، اذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن ، يلبس زياً خاصاً شبيهاً بزى الكاهن . ومن هنا أيضاً تسميته بالشاعر ، أي العالم ، لا بمعنى انه كان عالماً بمخفاص فن أو صناعة معينة ، بل بمعنى انه كان شاعراً بقوة شعره السحرية ، كما ان قصيدته كانت هي القالب المادي لذلك الشعر »^٢ .

وكانت غاية الأغاني القصيرة ، التي يرددها البدائي في المواقف الكبرى للحياة

١ بروكلن (٤٥/١) ،
K. Th. Preuss, Die Geistige Kultur der Naturvölker, Leipzig — Berlin,
1914, S. 85.

٢ بروكلن (٤٦/١) ، I. Goldziher, Abhand. Zur Arab. Philologie, I, I

الانسانية ، أن تحدث آثاراً سحرية ، وكذلك كانت غاية الرثاء الأصلية أيضاً هي السحر ، « فقد كان الغرض من المراثية أن تطفئ غضب المقتول وتنهاه أن يرجع الى الحياة ، فيلحق الأضرار بالأحياء الباقين ، ولكن هذا المعنى تلاشى تقريباً في الجزيرة العربية أمام الشعور الانساني بالحزن الممض . على ان إظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة كما كان لاثقاً بنسائها ، وخاصة بالأخوات ، ومن ثم بقي تعهد الرثاء الفني من مقاصدهن حتى عصر التسجيل التاريخي »^١ .

وقد لعبت الأغاني دوراً كبيراً في الصيد والحرب ، فقد رافقتها منذ أوائل انشغال الإنسان بهما . ولم يكن الصيد متعة وتسليه ورياضة عند العرب حسب ، بل كان لسدّ حاجة والتغلب على شغف العيش أيضاً ، ونجد في الشعر الجاهلي شعراً جعل الصيد ، نوعاً من الرياضة والتسليه ، وإظهار الرجولة في التغلب على الوحش الكاسر ، والحيوان المتوحش ، وأكثر أصحابه من المترفين والمتمكنين ، من أصحاب الخيل السريعة، مثل الملوك وسادات القبائل ، والشعراء الذين يرافقونهم في رحلات صيدهم ، أو يقومون هم أنفسهم برياضة الصيد .

ويلعب الغزو دوراً خطيراً في حياة الجاهليين ، فقد كان الغزو في الواقع نوعاً من أنواع الكفاح في سبيل الحياة، عليه معاشهم ، وبواسطته يحافظون على حياتهم وأموالهم ، وقد أنتج ضرباً من ضروب الشجاعة والمغامرة ، يتجلى في الشعر الحامسي ، الذي يقال قبل القتال وفي أثناء احتدامه . ونكاد لا نقرأ خبر يوم من أيام العرب أو غزو ، أو قتال إلا ونجد للشعر فيه دوراً ومكاناً في هذه الأحداث. يستوي في ذلك شعر الجاهلية والشعر الذي قيل في الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام .

ونجد للنسب ، والغزل مكانة في الشعر الجاهلي ، وقد نجد فيه وصفاً للجمال الحسي لأعضاء الجسد . وقد آخذ العلماء امرأ القيس والأعشى على مجاهرتهما بالفحش وبالنزاع في شعرهما . والمجاهرة بالاتصال الجنسي بصورة عارية مكشوفة من الأمور التي لا ترد بكثرة في الشعر الجاهلي^٢ .

ولا بد وأن يكون الشعر قد مر في مراحل ، لعل أقدمها مرحلة السجع ،

١ بروكلمن (٤٧/١ وما بعدها) .

٢ بروكلمن (٤٩/١ وما بعدها) .

أي النثر المففى المجرى من الوزن ، الذى تخصص فى الكهان عند ظهور الاسلام . وهو والد (الرجز) ، أبسط أبواب الشعر ، ومن الرجز نشأ بناء ببحر العروض ، التى يظهر أثر الموسيقى على صياغتها على رأى بعض المستشرقين^١ ، وهو أثر يدل على ما كان للفناء من صلة بالشعر . ولعل هذه الصلة هى التى حملت العلماء على القول بأن ببحر الشعر نشأت فى الأصل من سبر الإبل ، من ترنيم الشاعر شعره على إيقاع سبر الإبل . غير ان البحث عن هذا الموضوع وعن موضوع كيفية نشوء ببحر العروض وصلتها بعضها ببعض لا تزال من الدراسات العريضة المشكلة الشائكة التى لا يمكن الاتفاق عليها ، لعدم وجود أسس ثابتة يرتكز عليها الجدل القائم بين الباحثين فى كيفية تطور الشعر الجاهلي^٢ . أما ان هذه البحور ، قد نشأت من سبر الإبل^٣ ، فكلام لا يقوم على علم ، وهو من باب حدس الحداس ، فلدى الشعوب الأخرى شعر ، له ترانيم وبحور ، ومع ذلك ، فإنها لم تكن تركب الإبل ، ولا تعرف إيقاع أرجلها عند المشي .

وقد قام المستشرقون بدراسة البحور التى نظم الشعراء الجاهليون بها شعرهم ، فوجدوا أن البحر الطويل يأتي فى المرتبة الأولى من البحور ، يليه الكامل ، فالوافر ، فالبيسط . أما المقارب فيوجد عند امرئ القيس ، كما يوجد عنده المنسرح قليلاً . واستعمل (طرفة) الرمل فى قصيدة يبلغ طولها (٧٤) بيتاً ، ترتيبها الخامس فى ديوانه^٤ ، كما استعمل السريع فى قصيدتين^٥ ، واستعمل كل من امرئ القيس وطرفة المديد فى قصيدة واحدة^٦ ، وأما الخفيف ، فقد وجد فى شعر المرقشيين ، وعبيد بن الأبرص ، وعامر بن الطفيل ، والأعشى ، ولا يوجد المزج إلا فى قطعتين منحولتين ، واحدة لطرفة ، وأخرى لامرئ القيس^٧ .

وقد ذهب (غرونيوم) الى أننا نجد تفتناً فى شعر شعراء العراق وفى شعر من احتك بالخير من شعراء أكثر مما نجده فى شعر أى مكان آخر . وذكر أن شعر

١ بروكلمن (٥١/١) وما بعدها .

٢ بروكلمن (٥١/١) وما بعدها .

٣ G. Jacob, Studien in Arabische Dichtem, II, S. 106.

٤ بروكلمن (٥٣/١) .

٥ رقم ٢ و ٣ من الديوان .

٦ بروكلمن (٥٣/١) .

٧ بروكلمن (٥٣/١) .

(أبي دؤاد) الإيادي قد جاء على اثني عشر بحراً ، ثم يرى أن المدرسة العراقية قد أكثرت من بحر الرمل ، ولا يستعمل هذا البحر في الشعر القديم إلا أبو دؤاد في ثلاث قصائد ، وطرفة في ثلاث قصائد ، وعدي في سبع قصائد ، والمثقب في قصيدة واحدة ، والأعشى في قصيدتين . واستعمله امرؤ القيس في قصيدة واحدة ، ورأى في ذلك دلالة على تأثير امرئ القيس بأبي دؤاد ، وتأيداً للرواية التي ترى أنه كان راوية لأبي دؤاد^١ .

ويجيء امرؤ القيس وعدي والأعشى بعد أبي دؤاد في تنويع البحور التي نظموا بها ، فقد نظم كل واحد منهم في عشرة أوزان . وتدل الدراسات التي قام بها (فرايتاك) على قلة ورود النظم في بحري الرمل والخفيف بالنسبة إلى البحور الأخرى^٢ . ويظن أن الشعر الوارد في كتاب : (البخلاء) للجاحظ ، وهو :

واعلمن علماً يقيناً انه ليس يرجى لك من ليس معك

المنسوب لعبيد بن الأبرص^٣ ، هو من الموضوعات .

ويرى (غرونباوم) أن من خصائص المدرسة العراقية نزوعها إلى بحر الخفيف ، وعند أبي دؤاد الإيادي خمس عشرة قصيدة بهذا الوزن ، وعند عدي سبع ، وعند الأعشى خمس ، « ولم يستعمل هذا البحر عند سائر الشعراء المعاصرين إلا على نحو عارض »^٤ . فورد عند عمرو بن قتيبة ، وعند المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، وعامر بن الطفيل ، والحارث بن حلزة الشكري^٥ .

ويظهر مما أورده المفسرون وأهل السير من قول (الوليد بن المغيرة) في الرسول وفي القرآن : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشجر كله : رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر »^٦ ، « فجعل الرجز والمزج من أوزان

١ غرونباوم (٢٦٥ وما بعدها) .

٢ E. Bräunlich, in Der Islam, XXIV, 1937, S. 248. f., Freitag, Darstellung der Arabischen Verskunst, S. 15, J. Jacob, Altarabisches Beduinenleben, S. 190. f., (1897).

٣ الجاحظ ، البخلاء (١٩٠) ، (طه الحاجري) ، غرونباوم (٨٦) .

٤ غرونباوم (٢٦٦) .

٥ غرونباوم (٢٧٩) ، بروكلين (٥٣/١) .

٦ ابن هشام ، سيرة (١٧٣/١) ، (حاشية على الروض الانف) .

الشعر ، وقرن بها أسماء غير محددة ، ويبدو أن تحديد هذه المعاني كلها عند العرب كان مختلفاً عن اصطلاحات العروضيين ، وإلا فإن القبض في العروض من عيوب الزحاف ، وهو حذف الحرف الخامس الساكن ^١ . وورد في رواية عن (أبي ذر) : « لقد وضعت قوله على اقراء الشعر ، فلا يلتئم على لسان » ، وقد اختلفوا في المراد من الإقراء ^٢ ، وفي هذين الخبرين وأمثالهما دلالة على أنه قد كان لأهل الجاهلية قواعد ثابتة بالنسبة للشعر ، وأن الشعر كان يعتمد عندهم عليها . وأن علماء العروض : (الخليل بن أحمد) و (الأخفش) لم يتمكنوا من ضبط كل محور الشعر التي كانت عند الجاهليين ، بدليل أننا نجد أحياناً خارجة عن العروض الذي وضعه ، ويظهر أن هذا الخروج يمثل مرحلة من مراحل الشعر ، لم تقف على كنهها بعد ^٣ . وقد وجد (العيني) أن في الأصمعية المرققة ب (٧٢) تشعيثاً ، قال عنه (غرونيوم) : « ومثل هذا لا يعد خطأ ، بل هو مظهر من مظاهر التطور الفني في هذا الوزن ، مظهراً استنكر أو نسي مع الزمن ، حين وضع علم العروض ، بعد حوالي قرنين من وفاة أبي ذؤاد ^٤ . وقد ذهب (غرونيوم) الى أن (الخليل) ، أقر « ستة عشر وزناً » ، واطرح بعض الأوزان الهزيلة التي كان القدماء قد استنبطوها ^٥ ، والواقع أننا لا نستطيع الزعم ، بأن الخليل قد أحاط علماً بكل أنواع العروض العربي الجاهلي .

ومن يفحص الشعر الجاهلي ، يجد ان في بعضه اضطراباً وخروجاً وشدوذاً على قواعد (العروض) ، وقد وجد هذا الشذوذ في شعر شعراء يعدون من الفحول ، مثل (امرئ القيس) ، في القصيدة التي مطلعها :

عيناك دمعها سيجال^١ كأن شأنيها أوشال^٢

ومثل عبيد بن الأبرص في قوله :

أقفر من أهله ملحوب^٣ فالقطيبيات فالذنوب

-
- ١ اللسان (٨٠/٩) ، بروكلمن (٥٣/١) .
 - ٢ النهاية ، لابن الاثير (٢٣٨/٣) ، بروكلمن (٥٣/١) .
 - ٣ بروكلمن (٥٤/١) .
 - ٤ غرونيوم (٢٦٨) .
 - ٥ غرونيوم (١٣٥) .

فقلما يخلو بيت من هذه القصيدة من حذف في بعض التفاعيل ، أو زيادة ، كما في الشطر الأول من هذا المطلع .

ومثل ما نسب الى المرقش الأكبر ، وعدي بن زيد العبادي ، وغيرهم ، من خروج على الوزن في بعض الشطور ، وإخلال في الوزن ، حتى زعم بعض العلماء ، ان في نونية (سلمى بن ربيعة) خروجاً عن العروض : عروض الخليل^١ . وقد أشرت في مكان آخر الى وقوع الإقواء والإكفاء والزحاف في شعر بعض الشعراء ، مثل امرئ القيس ، والناطقة ، وبشر بن أبي خازم ، وهي أمور تلفت النظر ، لا ندري أكانت قد وقعت من الشعراء حقاً ، أم من الرواية والرواة ، أم انها لم تكن عيباً بالنسبة لعروض الجاهليين ، وانما عدت من العيوب بالنسبة الى العروض الذي ضبط في الاسلام ، أو انه وقع بسبب تعديل أو تبديل أدخله العلماء على الأصل ، ليلائم قواعد العربية ، فوقع من ثم ما قيل له عيباً . واني لا أستبعد وقوع السهو في نظم الشعر من شاعر منها كان فحلاً ، فقد روي ان بعض الفحول من شعراء العصر الأموي كالكميت والفرزدق والأخطل ، قد وقعوا في أخطاء ، وان رواهم كانوا يجرون تنقيحاً وتغييراً على أشعارهم ، ليقوّموا بذلك ما انحرف في شعرهم وما فيه من السناد^٢ ، ولكن وقوع ما نشير اليه يدل على ان ما نعدّ اليوم عيباً أو خروجاً على القواعد والعروض ، لم يكن ينظر اليه هذه النظرة عند الجاهليين وفي صدر الاسلام ، وإلا دل ذلك على جهل أولئك الشعراء بقواعد اللغة وعلم الشعر ، وحاشا وقوع ذلك منهم ، وشعرهم نفسه كان في جملة المواد الأساسية التي استعان بها علماء القواعد والعروض في بناء النحو والعروض .

وقد قصر علماء الشعر فحولة الشعر في الجاهلية على الشعراء المعروفين بالنظم بالبحور المشهورة ، فيما عدا الرجز ، أماقالة الرجز ، فهم طبقة خاصة ، عرفت عندهم بالرجّاز . ويظهر من القول المنسوب الى (الوليد بن المغيرة) : « لقد عرفنا الشعر كله : رجزه ، وهزجه ، وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه »^٣ ، أن الشعر في نظر أهل مكة : رجز ، أو هزج ، أو قريض ، أو مقبوض ، أو مبسوط ، وأن من يقول الرجز ، فهو راجز ورجّاز ، ولم يكن الرجز كما

- ١ العصر الجاهلي ، شوقي ضيف (١٨٤ وما بعدها) .
- ٢ الاغانى (٢٥٦/٤) .
- ٣ ابن هشام (١٧٣/١) ، (حاشية على الروض) .

يقول علماء الشعر طويل النفس ، وإنما كان أبياتاً ، وقد بقي هذا حاله حتى أيام الأمويين ، فطول ولقي عناية خاصة عند كثير من الشعراء ، فأخذوا يذهبون به مذهب القصيد ، فقصدوه ، بأن جعلوه قصائد ، وعمدوا الى تخفيف ما تركه بساطة العروض وسهولته في النفس من ملل ، بأن لجأوا الى استعمال العبارات البعيدة المأخذ ، والألفاظ الغريبة ، والاختراعات اللطيفة ، حتى تمكنوا من إدخاله الى قصور الخلفاء الأمويين ، ومن نيل الجوائز والألطف منهم^١ .

ويعود الفضل في رفع مستوى الرجز في الإسلام ، الى رجلين من (بني عجل) ، هما : (الأغلب بن عمرو) العجلي ، (٢١٠ هـ) ، و (أبو النجم الفضل بن قدامة) العجلي ، والى رجال من (تميم) ، على رأسهم : (العجاج) (٩٧ هـ) وابنه (رؤبة) المتوفى سنة (١٤٥ هـ) وقيل (١٤٧ هـ) ، و (عقبة) ابن (رؤبة) هذا ، و (أبو المرقال الزفیان) ، و (دكين بن رجاء) الفقيمي ، و (محمد ابن ذؤيب) الفقيمي العماني^٢ .

ولا نملك شعراً يمكن أن يقال عنه انه أقدم ما وصل إلينا من مراحل الشعر الجاهلي . حتى هذا الرجز ، الذي ينظر اليه المستشرقون على انه أول مرحلة من مراحل الشعر الجاهلي ، لبساطته ولسهولته ، ولكونه وسطاً بين السجع والشعر ، لا نملك نماذج منه ، يمكن أن نطمئن الى انها كانت من الشعر القديم ، الذي يصلح للاستشهاد به على انه من قديم الشعر ، إذ لم يحفل علماء الشعر بالرجز لاعتبارهم اياه دون الشعر ، فلم يدونوا منه شيئاً يذكر ، ولذلك نجد نسبته بالنسبة الى كمية الشعر الآخر (التقليدي) نسبة ضئيلة جداً ، وهذا ما جعل علمنا بالرجز الجاهلي قليلاً جداً .

ولسهولة الرجز ، وإقبالته على الخروج على كل لسان ، أرى انه كان أكثر نظماً من الشعر المألوف ، ودليل ذلك اننا لو درسنا أخبار الأيام وأخبار الغزو والمعارك نجد للرجز فيها مكانة كبيرة ، فالمحارب الذي يقارع خصمه ويتجالد معه يرتجز رجزاً في الغالب لسهولته على اللسان ولمناسبته لمقارعة السيوف ، وللوقت القصير الذي يكون عنده ليقضي فيه المحارب على من يحاربه ، ثم ان في استطاعة

١ بروكلمن (٢٢٥/١) .

٢ بروكلمن (٢٢٨/١) وما بعدها .

غير الشعراء الارتجاز ، وليس في استطاعتهم نظم الشعر ، لذلك كان الرجز أكثر كمية من الشعر ، ولكن كثرته هذه وسهولته ، قصرنا في عمره ، وربما صارتا من العوامل التي جعلت الناس لا تقدم على حفظه .

ولما كان الشعر تعبيراً عن عواطف جياشة وعن حس مرهف ، وعن نفس حساسة تريد التعبير عن نفسها بأي أسلوب كان ، فإن في استطاعتنا القول انه لازم البشرية منذ عرفت نفسها ، وأخذت تعبر عن احساسها بأية طريقة كانت : بطريقة بدائية أو بطريقة متطورة . فبدأ الشعر كما بدأ الانسان نفسه ، بداية بسيطة ساذجة بدائية ، ثم تطور بتطور مدارك الانسان ، وتعددت طرقه وبجوره ، بتطور العقل والمدارك ، وبارتفاع مستوى الحياة ، فكان لذة يلتذ بها المسافر ، وهو يقطع الطرق الصعبة ، والصحارى الموحشة ، يعبر عنها بغناء ذي نغم ، وبألفاظ تناسب ذلك الغناء ، كما كان يعبر عنها في التشوق والتجيب الى الآلهة والقوى الطبيعية التي كان يرى انها تؤثر في حياته ، وفي مناسبات التقرب الى الملوك والحكام ؛ لينال منهم لقمة عيش ، وشيئاً من مال ، كما عبر عنها في الأفراح وفي الأتراح . وفي الفخر والمدح والذم ، وهو الهجاء ، وفي الظروف التي تؤثر عليه ، فتجعله يفرح من رؤيتها وبرتاح ، مثل المناظر الطبيعية الجميلة ، والأصوات الجميلة وجمال الانسان .

والشعر الجاهلي الصحيح ، هو حاصل تطور طويل مستمر ، لا يمكن تحديد أوله ، إذ بدأ الشعر مذ بدأ الإنسان يشعر بالفرح وبالسرور والتعبير عن عواطفه . وقد فقد القديم منه بسبب عدم تدوينه في حينه ، وبسبب صعوبة بقاءه في الذاكرة الى أمد طويل ، ولم يصل منه إلينا إلا هذا القليل الذي قيل في عهد لا يرتقي كثيراً عن الإسلام ، وهذا القليل الباقي ، هو الصفحات القليلة الأخيرة من كتاب لا نستطيع أبداً تقدير حجمه ، هو كتاب الشعر الجاهلي ، الذي ختم بتغلب الإسلام على الشرك ، وبموت الجاهلية وظهور دين الله .

أما قول القائلين إنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد في عهد مهلهل ، أو هاشم ، أو عبد المطلب ، فرأي لا يقوم على دليل ، وليس له سناد تأريخي ، وإنما هو مجرد رواية رواها رواة الشعر في الإسلام . إذ لا يعقل أن تكون قريحة الجاهليين الذين عاشوا قبل

الإسلام بقرنين أو بقرن ونصف قرن ، قريحة محبوسة محصورة ، حددت بحدود لم تتعدا ولم تتخطها ، فإذا هاجت وماجت بالأحاسيس والشعور المرفف ، صاغت حسها هذا بيت أو بيتين أو ثلاثة ، ثم توقفت عند هذا الحد لا تتجاوزه أبداً . وإذا كان الشعر طبع في الإنسان كما يقولون ونقول ، وهو نوع من أنواع التعبير عن الخاطر ، وجب تصور أن صياغته في قوالب من أبيات شعر ، إنما تكون صياغة منسجمة مع طول وعرض الخاطر صغيراً ، ضيقاً ، صيغ بيت أو بأبيات ، وإذا كان طويلاً مبعوثاً عن حس ملتهب جياش ، صيغ بأبيات تزيد عن تلك يتناسب عددها مع حجم ذلك الخاطر . فمن هنا لا نستطيع أن نقول إن شعر قدماء الجاهليين كان أبياتاً لا تزيد على ثلاثة ، وإنهم لم يكونوا يملكون القدرة على نظم ما يزيد على ذلك ، إلى أن جاء (عدي بن ربيعة) التغلبي ، الملقب بالمهلhel ، فوسع الشعر وزاد الأبيات وقصد القصائد . فقول مثل هذا وإن قال به علماء هم أعلم منا بفنون الشعر وبدرابه ، قول لا يمكن الأخذ به لما ذكرته . أقلم يكن للذين سبقوا المهلهل من العرب لسان مثل لسانه وحس مثل حسه ؟ إذا كان لهم مثل ما كان له ، فيفترض أن يكون تعبيرهم عن عواطفهم ، مثل تعبيره عنها سواء بسواء ، قد يكون قليلاً وقد يكون كثيراً من غير تغيير أو تحديد ولا تقنين ، لأن التحديد يتوقف على طول وقصر الحس الذي يستولي على الشاعر فيصوغه شعراً .

أما إذا قصدوا من قولهم المذكور معنى أن المهلهل كان أول شاعر وصل شعره لنا أبياتاً زاد عددها على عدد ما وصل إلينا من شعر أي شاعر تقدم عليه ، وأنه أول من رويت له كلمة بلغت ثلاثين بيتاً^١ ، فذلك أمر آخر لا صلة له بدعواهم أن الشعر كان قبل المهلهل رجزاً وقطعاً ، فقصده مهلهل ، ثم امرؤ القيس من بعده . وظل الرجز على قصره بمقدار ما تمتع الدلاء ، أو يتنفس المنشد في الحداء حتى كان الأغلب العجلي ، وهو على عهد النبي ، فطوله شيئاً يسيراً وجعله كالقصيد^٢ .

وهذا معناه عندي أن شعر (المهلهل) ، هو أول شعر طويل وصل إلى علماء الأخبار من شعر قدماء الشعراء الجاهليين ، وأما شعر من سبقه ، فقد فقد وضاع معظمه ،

١ الرافعي (١٤/٣) ، المزهر (٤٧٧/٢) .

٢ الرافعي (١٥/٣) .

obeikandi.com

وموجدوه ، أما (اليمن) ، فإنهم قد ساهموا فيه أيضاً ، حسب زعم أهل الأخبار والأنساب ، لكنهم لم يبلغوا فيه مبلغ ربيعة ومضر .

ويزعم أهل الأخبار ، ان من شعراء ربيعة : (المهلهل) ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيثة ، والحارث بن حلزة ، والتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس . وان من شعراء (قيس) النابغتان ، وزهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، وليد ، والحطيئة ، والشماخ ، وأخوه مزرد . وان من شعراء (تميم) (أوس بن حجر) شاعر مضر في الجاهلية ، ولم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ (النابغة) ، و (زهير) فأخلاه ، وبقي شاعر (تميم) في الجاهلية غير مدافع .

ولا يمثل هذا التنقل المزعوم ترتيباً زمنياً ، بمعنى ان الشعر بدأ بريئة أولاً ، ثم انتقل منها الى قيس ، ثم انتقل بعدها الى تميم ، إذ يتعارض ذلك مع ما يرويه أهل الأخبار وعلماء الشعر من تعاصر أكثر الشعراء ، ومن نبوغ معظمهم في وقت واحد ، وانما هو قول من أقوال أهل الأخبار المألوفة ، أصله رأي رجل واحد ، حمل عنه بالنص بذكر اسمه أحياناً ، وبدون ذكره أحياناً أخرى ، فلما تواتر في الكتب ، صار في حكم الإجماع ، يقال دون نقد ولا مناقشة الى هذا اليوم .

وما ذكرته عن تنقل الشعر يمثل رأي الرواة العدنانيين ، أما الليانية ، فترى « مقدمة الشعر للين : في الجاهلية بامرئ القيس ، وفي الإسلام بحسان بن ثابت » . وقال آخرون : بل رجع الشعر الى ربيعة فختم بها كما بدى بها ^١ . وهو رأي يتعلق بالنسبة الى النسب الأكبر للقبائل ، وترى في الرأيين أثر العصبية للعدنانية أو لليانية ، فقد صعب على القحطانية المناهضة للعدنانية ، الاعتراف بالتفوق عليها حتى في الشعر ، فزعمت أن الشعر بدأ بها ، وأنه كان من مكارمها القديمة ، وكل مكرومة إنما بدأت بقحطان ، وما عدنان إلا مستعربة أخذت عربيتها من (يعرب بن قحطان) ، وهي دون القحطانية في كل شيء .

وحكم مثل هذا لا يمكن إصداره بالطبع إلا بسند علمي ، وليس في يد أحد حتى يومنا هذا سند جاهلي ، يؤيد رأي هذا أو ذاك ، وقد لا يأتي يوم يمكن

١ ابن سلام ، طبقات (١٣) ، العمدة (٨٦ / ١) ، المزهري (٤٧٦ / ٢) .

٢ العمدة (٨٩ / ١) .

اعطاء رأي علمي فيه . أما ما ذكرته ، فهو نقل لآراء أهل الأخبار ، ورأينا في آرائهم في هذه الأمور معروف ، فنحن لا نأخذ آراءهم مأخذ الجد ، ولا نثق بها ، وكلها في نظرنا حاصل عصبية ، وقد لعبت العاطفة القبلية دوراً خطيراً في ظهورها ، ونحن لا نستطيع تقديم ربيعة على مضر في الشعر ، ولا تقديم مضر على ربيعة فيه ، لعدم وجود دليل لدينا نتخذة سنداً ومستمسكاً في أيدينا لإثبات أي رأي من هذين الرأيين . أما أن يكون قد بدأ باليمن ، فالمسند ، يعارضه ويناقضه ، إلا إذا اعتبرنا اليمن ، القبائل الساكنة في الشمال ، أي خارج العربية الجنوبية ، والتي يرجع النسابون نسبها عادة الى اليمن ، وهي قبائل كانت تتكلم بلهجات عربية شمالية ، فذلك أمر آخر ، وأمرها عندنا حيثنذ مثل أمر ربيعة ومضر ، لا نستطيع تقديمها على ربيعة ولا على مضر ، ولا نستطيع تقديم ربيعة أو مضر ، للسبب المتقدم ، وهو عدم وجود أدلة لدينا تعيننا في الحكم بتقديم فريق على فريق ، واعطائه الأولوية في قول الشعر .

والشعر في نظرنا موهبة انسانية عامة ، لم تخصص بقوم دون قوم ، ولا بأمة دون أمة ، وهي على هذه السجية بين العرب ، لم تخصص بريئة ، حتى نقول ان الشعر بدأ أول ما بدأ بها ، ولا بمضر حتى نقول انه ظهر أول ما ظهر عندها ولا باليمن ، حتى نقول انه بدأ بها وختم بها . وانما هو نتاج قرائح كل موهوب وذو حس شاعري من كل القبائل والعشائر . والشعر كما قلت مراراً شعور وتعبير عن عواطف تخالج النفس ، فكل انسان يكون عنده حس مرهف ، واستعداد طبيعي ، وذوق موسيقي ، يمكن أن يكون شاعراً من أي حي كان ، ولهذا كان الشعراء من قبائل مختلفة ، وإذا تقدمت قبيلة على أخرى في كثرة عدد شعرائهم ، فليس مرد ذلك ان تلك القبيلة كانت ذات حس مرهف ، واستعداد فطري لقول الشعر ، وان بقية القبائل كانت قبائل غيبة بليدة الحس والعواطف ، فلم ينبغ بينها مثل ذلك العدد من الشعراء ، فقد تكون هنالك أسباب أخرى نجعلها في هذا اليوم . جعلتنا نتصور انها كانت متخلفة في الشعر ، كأن تكون منازل تلك القبائل بعيدة منزلة ، لم يتصل بها أحد من جماع الشعر ورواته . وهم بين كوفي وبصري ، فلم يصل شعرها اليهم ، فانقطع نتيجة لذلك عننا ، أو ان تلك القبائل كانت قبائل صغيرة ، لم يكن لها شأن يذكر ، فانحصر شعرها في حدودها ولم يخرج عنها ، فدخل ذكره ، ولم يتشر خبره بين القبائل الأخرى ، فلما ظهر

الاسلام ، كان قد خفى ومات .

ودليلنا اننا إذا دققنا في هذا الشعر الجاهلي الواصل إلينا في الكتب، نجد انه شعر قبائل كبيرة ، لعبت في الغالب دوراً خطيراً في مجتمع ذلك اليوم ، مثل : كندة وبكر ، وأسد ، وتميم ، وتغلب ، ثم هو شعر شعراء كان لهم اتصال وثيق بالعراق في الدرجة الأولى ، أي بملوك الحيرة ، الذين كان نفوذهم يشمل أرضين واسعة ، مثل البحرين ونجد واليامة في بعض الأحيان ، فكان لقبائل هذه الأرضين اتصال بحكام الحيرة ، ولها مواقف معهم : حسنة أحياناً وسيئة أحياناً أخرى ، وفي مثل هذه المواقف ، يكون للشعراء دور خطير فيها ، فهم بين مادح ، أو ذام قادح ، أو رسول قوم جاء إلى الملوك في وفادة لفك أسير ، أو لإصلاح ذات بين ، أو جاء لنيل عطاء ، ونحن لا نكاد نجد شاعراً من الفحول أو من الشعراء المشهورين ، إلا وله صلة بملك أو أكثر من هؤلاء الملوك ، حتى لا يكاد يفلت منهم شاعر . أما ملوك الغساسنة ، فلهم بعد أولئك الملوك صلة بالشعراء ، بل هم دونهم اتصالاً بالشعراء ومرجع ذلك في نظري أن حكم الغساسنة لم يتجاوز بادية الشام وحدود مملكة البيزنطيين ، فلم يكن لهم لذلك اتصال بقبائل البادية البعيدة عن منطقة نفوذهم ، ولا بقبائل الحجاز ونجد واليامة والبحرين ، فتقلص مجال اتصالهم بالشعراء ، ولم يصل إليهم إلا الشعراء من أصحاب الحاجات ، الذين كانوا يطوفون البلاد ، ويقصدون الموسرين الكرماء أينما كانوا لنيل صلاتهم ثمناً لمدهم لهم ، وإلا الشعراء الذين غضب ملوك الحيرة عليهم ، أو لم ينالوا منهم تحقيق مطمع وحل مشكل ، أو فك أسير ، فجاءوا لذلك إلى الغساسنة خصومهم نكاية بهم ، وإلا بالشعراء الذين أغار قومهم على أرض الغساسنة ، فوقع نفر منهم في أسرهم ، فأرسلهم أهلهم وسطاء ورسلاً عنهم ، للتوسل إليهم بفك أسراهم . ونحن لو ثبتنا أسماء مواطن شعراء الجاهلية على صورة جزيرة العرب نرى أنها كانت في الحجاز ونجد واليامة ، والبحرين والعراق . أما بلاد الشام فقد كانت فقيرة جداً بهم ، بل لا نكاد نجد فيها شاعراً لامع الاسم ، ترك أثراً في الشعر . وبلغت هذا الجذب في الشعر النظر إليه حقاً ، فقد عاشت ببلاد الشام قبائل كبيرة كان لها شأن كبير في تلك البلاد قبل الإسلام وفي الإسلام ، مثل غسان، وهراء، وكلب ، وقضاعة ، وتنوخ ، وتغلب ، وقبائل أخرى لعبت دوراً خطيراً في الحروب مع عرب الحيرة ، وفي مساعدة الروم ، كما لعبت دوراً خطيراً في

الفتوحات الإسلامية، فقد ساعدت الروم أولاً ، ثم انضمت الى المسلمين في قتالهم مع البيزنطيين ، وقبائل هذا شأنها لا يعقل الا يكون لها شعر وألاً يتبع من بينها شعراء لكثرة عددها ولمنافستها لعرب العراق ، ولكون لسانها هذا اللسان العربي الشمالي . فهل كان عند تلك القبائل شعراء ، لم يصل اسمهم الى علماء الشعر ، فلم يذكروهم لجهلهم بهم في عداد شعراء الجاهلية ؟ فصرنا لذلك لا نعرف من أمرهم شيئاً ! أو أنها كانت مجدية حقاً لأنها كانت بمنأى عن الشعر والشعراء ، لتحضرها وتأثرها بالنصرانية وبثقافة بني إرم ، فلم توائم تربتها الشعر ، لذلك أجدبت فيه ، ولم ينبت فيها شاعر لامع الاسم !

يقول علماء اللغة : « والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإين هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة ، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ؛ فإنه لم يؤخذ من نخم ، ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقيط ، ولا من قضاعة وغسان ، وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من تغلب^١ . فالقبائل المذكورة ، وإن كانت من القبائل العربية الكبيرة المرموقة ، إلا أن إقامتها ببلاد الشام إقامة طويلة ومجاورتها أهل الشام ، وتأثرها بلسانهم ، واعتناقها النصرانية ، وأخذها ديانتها بالسريانية التي سماها أهل الأخبار خطأ العبرانية ، وتحضرها وقرارها والتهائها بالزرع والرعي ، صيرت كل هذه الأمور وأمثالها لسانها عربياً مشوباً برطانة ، ولهذا عرفت بـ « العرب المستعربة » وبـ « مستعربة الشام » ، عند المسلمين ، حتى صارت تلك الرطانة سبباً لإعراض علماء اللغة عن الاحتجاج بلغتها في شواهد القرآن والشعر على نحو ما رأيت .

وقد يكون لتلك القبائل شعر، غير ان علماء اللغة قاطعوه للسبب المذكور ، ولكني لا أستطيع الجزم بذلك ، لعدم ورود إشارة الى هذه الناحية في كتب أولئك

١ المزهر (٢١١/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٥٤/١) .

العلماء ولا في كتب أهل الأخبار . ثم اني لاحظت ان أخبار فتوح الشام لا تذكر شيئاً من شعر القبائل المستعربة التي حاربت مع الروم المسلمين ، أو التي حاربت مع المسلمين الروم ، وحيث اننا نعرف ان من عادة العرب الاستعانة بالشعر والرجز أثناء غزوها وقتالها ، لذلك تلفت هذه الملاحظة الأنظار ، وتحمل المرء على البحث في سبب وجود هذا الفقر في شعر القتال في فتوح الشام ، بينما نجد شعراً غزيراً وافرأ أنتجته قرائح المتقاتلين في حروب العراق نظمه المحاربون المسلمون ، ومحاربو القبائل العراقية الوثنية والمنتصرة التي حاربت مع الفرس ، أو التي حاربت مع المسلمين أو تلك التي انضمت الى المسلمين فيما بعد .

وسبب هذا الفقر في نظري ، ان قبائل بلاد الشام ، كانت قد تأثرت بلغة وثقافة أهل الشام ، وبالنصرانية المتأثرة بالسريانية وبالرومية وقد غلبت عليها نزعة الاستقرار ، فاستقرت في حواضر حضرية كبيرة مثل دمشق وحمص وحلب ، وقنسرين^١ ، وغيرها ، وهي حواضر معظم سكانها من السوريين والروم ، لا من العرب ، وكانت نصرانية ، صلواتها بالسريانية ، وثقافتها سريانية يونانية فتأثرت بثقافة من عاشت بينهم ، وانصرفت الى الزراعة ورعي الماشية ، وشابت لهجتها رطانة إرمية ، ولم تحفل بالشعر احتفال بقية العرب به . لذلك لم يظهر من بينها شاعر فحل .

أما عرب العراق ، فقد كانوا عرباً وأعراباً ، عربهم في قرى عربية ،حكامها من العرب ورجال دينها نصارى ، ولكنهم نصارى عرب أو مستعربة ، علموا العربية في كنائسهم ، ونشروا الخط العربي في خارج العراق ، وتفقهوا في علوم العربية ، وفي جملة هذه العربية الشعر . وأما أعرابهم ، فقد كان قوم منهم نصارى والباقيون على الشرك وعلى سمة الأعراب منذ وجدوا من الميل الى الاستقلال وعدم الخضوع لحكم أحد ، ومن الاعتزاز بالنفس والتعبير عن الأحاسيس المرفهة بقول الشعر ، وأما حكامهم ، وهم ملوك الحيرة ، فكانوا على سنة كبار سادات القبائل من استقبال الشعراء والإستماع الى إنشادهم ، وتلبية طلباتهم ، وكان من صالحهم اصطناع الشعراء لامتناد ملكهم الى نجد واليامة أحياناً والى البحرين وهي من أهم مواطن الشعر في الجاهلية ، والشعراء أبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقد

١ فتوح البلدان (١٥٠) .

كان ملوك الحيرة شعراء ، ينظمون الشعر، ولهم اطلاع ووقوف على شعر الشعراء، وكان من اتصل بهم من سادة الحيرة شعراء كذلك ، لهم شعر مدون في كتب الأدب ، وفيه ما قالوه في فتوح المسلمين للعراق ، فن هنا ظهر الشعر في العراق، على حين خمل في بلاد الشام .

ولم تكن القبائل سواء في الشعر وفي عدد شعرائها ، وهذا شيء طبيعي ، لا يختلف فيه اثنان . وقد لاحظ ذلك علماء الشعر ، فأشاروا الى أسماء قبائل أنجبت في الشعر وأخصبت في الشعراء ، وكان (الجاحظ) الكاتب الذكي ممن لاحظ ذلك ، فقال : « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرأكلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي إخوتهم عجل قصيد ورجز ، وشعراء رجازون . وليس ذلك لمكان الخصب وأنهم أهل مدر ، وأكالو تمر ، لأن الأوس والخزرج كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبد القيس النازلة قرى البحرين ، فقد تعرف ان طعامهم أطيب من طعام أهل البصرة .

وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وإن كان شعرهم أقل ، فإن ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب ، وليس ذلك من قبل رداء الغداء ، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وإنما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والاعراق مكانها .

وبنو الحارث بن كعب قبيل شريف ، يجرون مجاري ملوك اليمن ، ومجاري سادات أعراب أهل نجد ، ولم يكن لهم في الجاهلية كبير حظ في الشعر . ولهم في الاسلام شعراء مغلغولون .

وبنو بدر كانوا مفحمين ، وكان ما أطلق الله به ألسنة العرب خيراً لهم من تصبير الشعر في أنفسهم .

وقد يحظى بالشعر ناس ويخرج آخرون ، وإن كانوا مثلهم أو فوقهم . ولم تمدح قبيلة في الجاهلية ، من قريش ، كما مدحت مخزوم ، ولم يتهاى من الشاهد والمثل لما دح في أحد من العرب ، ما تهيا لبني بدر .

وقد كان في ولد زرارة لصلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط وحاجب وغيرها

من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا لحصن ، ولا عيينة بن حصن ، ولا لحمل بن بدر شعر مذكوراً .

وقال (يونس بن حبيب) الضبيّ ، « ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس ، وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو »^١ . وذكر (الجاحظ) أن (عبد القيس) بعد محاربة (إباد) تفرقوا فرقتين ، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت إلى البحرين وشق البحرين ، وهم من أشعر قبيلة في العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي عدن الفصاحة^٢ . ولا ين سلام رأي في هذا الموضوع إذ يقول : « وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء . والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم فائز ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان »^٣ .

وجاء أن أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات ، وهن ثلاث ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، فأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة ، ثم بجيلة السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد ، أزدد شنوءة ، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزدد . وذكر أن قبيلة (هذيل) هي في طليعة القبائل عدداً في الشعراء ، فقد روى العلماء لأربعين شاعراً منهم في الجاهلية والإسلام ، وهو عدد قياسي بالنسبة إلى عدد الشعراء الذين أنجبتهم القبائل الأخرى^٤ ، وقيل عنها إنها أعرفت في الشعر^٥ . وروي أن سائلاً سأل (حسان بن ثابت) : « من أشعر العرب ؟ فقال : أراحلاً أم حياً ؟ قيل : بل حياً ؛ قال : أشعر الناس حياً هذيل »^٦ . وكان (الشافعي) يحفظ

١ الحيوان (٣٨١/٤) وما بعدها .

٢ الرافعي (٢٠/٣) .

٣ الرافعي (١٩/٣) .

٤ ابن سلام (٢١٧) .

٥ الرافعي (١٨/٣) ، المزهري (٤٨٣/٢) .

٦ الرافعي (١٩/٣) .

٧ تاج العروس (١٦٦/٨) ، (هذل) .

٨ المزهري (٤٨٣/٢) .

عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها^١ . وقد عدت (هذيل) أشعر القبائل في رأي بعض العلماء^٢ .

وذكر الأخباريون ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت له الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها^٣ . وقالوا : إن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية ، فاضطرها ذلك أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الاسلام^٤ . وروي عن (معاوية) انه كان يقول : فضل المرتضىون الشعراء في الجاهلية والاسلام . وكان يقول : أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وأشعر أهل الاسلام ابنه كعب ، و (معن بن أوس) . و (معن) شاعر مجيد من مخضرمي الجاهلية والاسلام^٥ .

فبعض العرب مخصبين في الشعر ، وبعضهم أقل خصباً ، وقد رجح (الجاحظ) سبب ذلك الى الموهبة والطبع ، فكما ان النبوغ يتفاوت بين انسان وانسان ، كذلك يتفاوت الشعر بين قبيلة وقبيلة ، ورجح (ابن سلام) ذلك الى عامل البداوة ، والحضارة ، فالأعراب متشاجرون مكثرون من الغارات يغزو بعضهم بعضاً ، والشعر يكثر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، أما الحضرة ، فإنهم لا يميلون الى الحروب والمعارك ، ولذلك يقل شعرهم على رأيه . ولهذا السبب قل شعر قريش ، لأنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا . فالحرب تهيج العواطف ، وتحمل الناس على التحمس لها والدفاع عن أنفسهم وتكديس كل القوى للتغلب على العدو ، والشعر من أهم وسائل تسخير نار الحرب .

وقد أشار أهل الأخبار الى بيوت ذكروا أنها اشتهرت بقول الشعر ، وبظهور المعرقلين فيها . وضربوا أمثلة عليها ببيت (أبي سلمى) . فقد كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير بن أبي سلمى ، وله خؤولة في الشعر : خاله بشامة بن الغدير ، وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائها .

-
- ١ المزهري (١٦٠/١) .
 - ٢ بلوغ الأرب (١٤٠/٣) .
 - ٣ الاغانى (٣٥/١) .
 - ٤ طبقات الشعراء (١٠) .
 - ٥ الاصابة (٤٧٥/٣) ، (رقم ٨٤٥٢) .

وضربوا المثل ببيت (حسان بن ثابت) ، فقد كان أبوه وجدته وأبو جده شعراء ، وابنه عبد الرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر .

ومن البيوتات التي عرفت بالشعر : بيت (نهشل بن حرتي بن ضمرة بن جابر بن قطن) ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً ، وكذلك بيت (النعمان بن بشر) ، وكانت أمه (عمرة بنت رواحة) شاعرة ، ونخاله (عبدالله ابن رواحة) أحد شعراء الرسول^١ .

ومن بيوتات الشعر المعروفة في الجاهلية والإسلام ، (آل الحارثي) ، منهم (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص) الحارثي . وكان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيّد قومه من (بني الحارث بن كعب) ، وهو الذي كان قائدهم يوم (الكلاب) الثاني فأسرته (تميم) وقتلته . ومنهم (اللجلاج) الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه (مسهر) فارس شاعر ، وهو الذي طعن (عامر بن الطفيل) في عينه يوم (قيفّ الرياح) . ومنهم ممن أدرك الإسلام (جعفر بن عتبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث) وكان شاعراً صعلوكاً ، أخذ في دم فحبس في المدينة ثم قتل صبراً^٢ .

وقد تعرض (جرجي زيدان) لموضوع تنقل الشعر في الأقاليم ، فقال : « وإذا أحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسين من نجد ، والخميس الثالث من الحجاز ، والرابع من اليمن والباقي من العراق ، وفئة قليلة من البحرين واليامة وثمالة^٣ ، وذلك على اعتبار ان القبائل : (كندة) ، و (أسد) ، و (مزينة) ، و (عيس) ، و (سلم) ، و (عامر) ، و (طيء) ، و (جشم) ، و (ضبيعة) ، و (سعد) ، و (ضبة) ، و (جعدة) ، و (باهلة) ، و (تميم) ، و (عكل) ، و (بكر) ، و (مرة) ، و (نبهان) ، من قبائل نجد ، وان (ذبيان) ، و (هذيل) ، و (الأوس) ، و (الأزد) من الحجاز ، وان (يشكر) ، و (تغلب) ، و (العباد) ، و (تميم) ، و (بكر) ، و (إياد) ،

١ العمدة (٣٠٦/٢) .

٢ الخزائن (٢٠٢/٢) وما بعدها .

٣ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٤/١) .

من العراق ، وان (بكرأ) ، و (ضبعأ) ، من البحرين ، وان (بني ثعلبة) من اليمامة ، وان (فهمأ) ، و (مزينة) من تهامة^١ . وهو تقييم لا يمكن الأخذ به في هذا اليوم ، وفيه أخطاء ، وقد بني على روايات لأهل الأخبار ، تعارضها روايات أخرى لهم ، لم يقابلها أو يطابق بعضها ببعض ، فوقع لذلك في أوهام .

ونلاحظ أنه سار على رواية أهل الأخبار في تنقل الشعر في القبائل ، فجعل (ربيعة) أول من نبغ في الشعر ، ثم حوله إلى قيس فتميم . ثم ظهر الشعر بعد ذلك على رأيه في بطون مدركة من مضر ، وهي : هذيل ، وقريش ، وأسد ، وكنانة ، والدثيل وغيرهم . وكلهم من أهل البادية ، أما أهل المدن ، فقلما نبغ بينهم شاعر فحل ، وأشعرهم (حسان بن ثابت)^٢ .

ومن أهم قبائل ربيعة وبطونها : بكر ، وتغلب ، وعبد القيس ، والنمر بن قاسط ، ويشكر ، وعجل ، و (جشم) ، وحنيفة ، وقيس بن ثعلبة ، وضبيعة ، وشيبان ، وذهل ، وسدوس . ومن أشهر شعراء هذه المجموعة المرقشان الأكبر والأصغر ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قيثة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، خال طرفة ، والأعشى ، والمسيب بن علس وآخرون . وقد جعل (زيدان) عددهم (٢١) شاعرأ^٣ .

وقد نزل بنو قيس بن ثعلبة وبنو حنيفة اليمامة . ومن بطون قيس بن ثعلبة : سعد بن ضبيعة ، رهط الأعشى ، ومن ديارهم (منفوحة) . وكانوا بين الحياة الحضرية والحياة الأعرابية ، يرعون الإبل والغنم ، إلا أنهم أصحاب نخيل . أما حنيفة ، فكانت تزرع وترعى ، وقرينتهم الكبرى (حجر) ، وكانوا يزرون الجبوب ، ويمونون الأعراب ومكة بها . وكانت النصرانية قد وجدت سبيلها بينهم ، وقد افتخر (الأعشى) بقومه على (إياد) ، لأنهم أصحاب مال ، أما (إياد) ، فأصحاب زرع ينتظرون حصاد جبههم ، وذلك في هجائه لهم بقوله :

١ راجع (الصفحة ٨٠ فما بعدها إلى انتهاء ٨٤) من الجزء الأول .
٢ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٤/١ وما بعدها) .
٣ العملة (٨٦/١ وما بعدها) ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٤/١ وما بعدها) ، (تنقل الشعر في القبائل) .

لسنا كمن جعلت إياد^١ دارها تكررت تنظر حبّتها أن يُحصدا
جعل الإله طعامنا في مالنا رزقاً تضمّنه لنا أن يتفدا
مثلّ المضاب جزارة لسوفنا فإذا تُراع فإنها لن تطردا
ضمنت لنا أعجازهن قلدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجر^١

وقيس قبيلة كبيرة من بطونها : عبس ، وذبيان ، وغطفان ، وعدوان ،
وهوازن ، وسلم ، وثقيف ، وعامر بن صعصعة ، ونمير ، وجعدة ، وقشير ،
وعقيل . وكانت هذه القبائل في نجد وأعالي الحجاز ، وقد نبغ فيها جماعة من
فحول الشعراء ، منهم النابختان ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ابنه ،
ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ ، وأخوه (مزرد) ، وخدّاش بن زهير ، وعنترة
العبسي وغيرهم . وعندهم أن أشهر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى
أسمائهم من غطفان^٢ . وقد جعل (زيدان) عدد شعراء قيس (٣٠) شاعراً .
وقال : « إذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر إلى القبائل ، كانت قيس أكثرها
شعراء ، تليها اليمن فربيعة ، فضر فقريش فقضاة فلياد »^٣ .

وأما (تميم) ، فقبائل كثيرة من مضر ، أشهرها : مازن ، ومالك ،
وسعد ، ودارم ، وبهذلة ، ويربوع ، وكعب ، وبجاشع ، وزرارة . وكانت
منازلها في القديم تهامة ، ثم نزلت إلى مواضع أخرى من جزيرة العرب ، فسكن
بعض منها في الهامة ، وبعض في العربية الشرقية ، وقسم بنجد ، ونزح قوم منهم
إلى العراق ، وأقاموا في البادية . وقد لعبت تميم شأن القبائل الكبيرة دوراً خطيراً
في أحداث الجاهلية القريبة من الإسلام . ومن شعرائها : أوس بن حجر^٤ .
وجعل (زيدان) عدد شعرائها (١٢) شاعراً^٥ . ولكنك لو سجلت أسماء الشعراء
الذين وردت أسماؤهم في كتب الأدب والتاريخ ، لوجدت أن عدد شعراء تميم

-
- ١ ديوان الاعنسى ، العصيدة رقم ٣٤ ، العصر الجاهلي (٣٣٤) .
 - ٢ الاغانى (٩٢/٢) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) ، العمدة (٨٨/١) .
 - ٣ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .
 - ٤ العمدة (٨٨/١) .
 - ٥ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

يزيد على العدد المذكور بكثير . فتميم من القبائل المخصصة بالنثر والنظم . ولكلامها رأي ومقام عند علماء اللغة .

ومن مضر أيضاً : هذيل ، وأسد ، وكنانة ، وقريش ، والدئل . وهذيل من القبائل الساكنة في هضاب وجبال غير بعيدة عن مكة ، وقد عدّ لسانها من الألسنة العربية الجيدة ، واشتهرت بكثرة شعرها وبجودته ، وقد جمع في دواوين ، وعني العلماء بجمعها وبشرحه ، وبقيت منه بقية طيبة^١ .

وأما القبائل التي يرجع النسابون نسبها الى اليمن ، فهي : كندة ، وطيء ، والأشعر ، وجذام ، والأزد ، ولخم ، ومذحج ، وخزاعة ، وهمدان ، وغسان والأوس والخزرج^٢ . ولبعض منها شعر وشعراء وردت أسماءهم في ثنابا هذا الكتاب .

أما ميزات لغاتهم وخصائص نحوهم وصرفهم ، فلا نعرف عنها غير قليل . لعدم تطرق علماء اللغة الى هذه المميزات ، خلا ما ذكروه من أمور اختلفت فيها (طيء) عن غيرها في مثل (ذي) الطائية ، وغير ما ذكروه من تفردهم في تفسير معاني بعض الألفاظ ، مثل (التخوف) بمعنى التنقص في لغة أزد شنوءة^٣ .

ولدراسة شعر هذه القبائل ، دراسة لغوية مقارنة ، أهمية كبيرة بالنسبة للباحث في لغة العرب ، إذ يستطيع بها من الوقوف على مزاياها ومفارقاتها بالنسبة الى العربية المعهودة ، ومن الوقوف على الروابط اللغوية التي تجمع بين هذه اللغات التي يرجع أهل الأنساب والأخبار أصل المتكلمين بها الى اليمن .

وأما مجموعة قضاة ، فجهينة ، وضجعم ، وتنوخ ، وكلب^٤ . وهي مجموعة لم تنجب عدداً كبيراً من الشعراء ، ولم يحفل علماء اللغة بلغتها ، إذ لا نجد للهجتها ذكراً خطيراً في كتب اللغة ، فلم يثيروا اليها في جملة القبائل التي ركنوا الى الأخذ بلسانها للاستشهاد به في شواهد اللغة والنحو والصرف . ويظهر ان احتكاكها

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٢/١ وما بعدها ، ١٠٤) .
 - ٢ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٦/١) .
 - ٣ تفسير الطبري (٧٧/١٤) ، (بولاق) .
 - ٤ تاريخ آداب اللغة العربية (٧٦/١) .

بالنبط والآراميين وأمثالهم ، قد عرض لسانها الى الأخذ من ألسنتهم والى التأثير بهم ، حتى بان ذلك عليه ، وهذا ما حمل علماء اللغة على عدم الاستشهاد به في جملة الشواهد . وأنا لا أستبعد احتمال وجود خصائص به ، ميّزته عن العربية القرآنية ، بدليل ان أعراب الصفا (الصفاة) ، وهم من أعراب بلاد الشام ، كانوا يتكلمون ويكتبون بعربية مباينة لعربيتنا ، وقد تكلمت عن عربيتهم في الجزء السابع من كتابي القديم : تأريخ العرب قبل الاسلام ، وأرض الصفا هي من مواطن تلك المجموعة .

وذهب (جرجي زيدان) ، كما سبق أن قلت ، الى أن قيساً أكثر القبائل عدداً في شعرائها ، تليها اليمن ، فريضة ، فضر ، فقريش ، فإياد . وقدر عدد شعراء الجاهلية الذين وصلتنا أخبارهم بـ (١٢٥) شاعراً ، وزعمهم على هذا النحو : ثلاثين شاعراً في قيس ، وثلاثة وعشرين شاعراً في اليمن ، وواحداً وعشرين شاعراً في ربيعة ، وستة عشر شاعراً في مضر ، واثني عشر شاعراً في تميم ، وعشرة شعراء في قريش ، وأربعة شعراء في قضاة ، وشاعرين في إياد ، وشاعر واحد من أصل غير عربي ، أي مولى^١ .

وقد سمي (أبو الفرج) لمضر سبعة وستين شاعراً ، ولليمن أربعين ، ولربيعة ثلاثة عشر : وسمي شعراء آخرين ، منهم من يتصل بجديس ، ومنهم من يتصل بجرهم^٢ .

نرى مما تقدم أن الشعراء كانوا من مضر ، ومن ربيعة ، وهما من عدنان ، كما كانوا في القبائل القحطانية . ويذكر أهل الأخبار أن حظ القبائل المضرية من الشعر ، كان أحسن حالاً من حظ ربيعة وقحطان ، وأن حظ قبائل كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاث كان متفاوتاً ، فبينها المكثّر ، وبينها المقل . ولا نستطيع لإرجاع سبب تفوق القبائل المضرية على قبائل ربيعة أو قحطان الى اللغة ، لأننا لا نملك حتى الآن صورة واضحة علمية عن أصل اللغة العربية التي نظم بها الشعر والتي نزل بها القرآن ، حتى نستطيع البت بموجبها في موضوع هذا التفوق . وإذا جارينا أهل الأنساب في تقسيمهم العرب الى عدنانيين وقحطانيين ، جاز لنا حينئذ

١ تأريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

٢ طه حسين ، في الادب الجاهلي (٢٥٦) .

القول ، بأن شعر القبائل القحطانية قد قلّ عن شعر عدنان من مضر وربيعة ، بسبب استعراب هذه القبائل ، أي أخذها لغة العدنانيين لغة لها ، وتركها لغتها الأصلية لغة أهل اليمن ، بسبب اتصالها بالقبائل العدنانية ، فن ثم قلّ شعرها بسبب هذا الاستعراب . ولكن ماذا يكون جوابنا عن تخلف ربيعة في الشعر عن مضر ، وربيعة أخت مضر ، في عرف النسابين ، ولغتها مثل لغة مضر ؟

والذي أراه ، ان البت في مثل هذه المشكلات ، هو أمر لا يمكن أن يكون علمياً في الوقت الحاضر ، فقد رأيت ان الأنساب حاصل تكتلات سياسية ، وتجمعات قبلية ، وانها لم تكن حاصل نسب بالمعنى المفهوم من لفظة (نسب) ، بمعنى الانحدار من صلب والدين ، ورأيت ان العرب كانوا يتكلمون قبل الاسلام بلهجات متباينة ، حصرناها في مجموعات استنبطناها من الكتابات الجاهلية ، ولكننا لا نستطيع أن نقول انها تشمل كل لهجات العرب ، فقد عثر حديثاً على كتابات جديدة لم تدرس بعد دراسة علمية كافية حتى نقول رأينا فيها ، وقد يعثر في المستقبل على كتابات أخرى ، قد تزيد في عدد ما نعرفه من المجموعات اللغوية العربية الجاهلية . وفي ظروف كهذه يكون من الصعب علينا الموافقة على ما يذهب اليه أهل الأخبار وما يذهب اليه التابعون لهم من المحدثين من تنقل الشعر في القبائل ومن توزع الشعراء بين مضر وربيعة وقحطان . والرأي عندي ان من الواجب علينا في الوقت الحاضر لزوم اجراء مسح علمي دقيق لللهجات العرب في جزيرة العرب ، بالبحث في كل مكان عن الكتابات الجاهلية وعن كتابات صدر الاسلام ، وبدراسة كل ما كتبه علماء اللغة عن اللغات العربية في الكتب المعروفة وفي الكتب التي قد تكون مؤلفة بلهجات أهل العربية الجنوبية أو غيرها في الاسلام ، وبدراسة اللهجات الباقية ، ولا سيما اللهجات المنعزلة المتميزة بـمميزات خاصة ، واستنباط مزاياها وعلاقتها باللهجات القديمة ، ثم غربلة كل هذه الدراسات لاستخلاص المجاميع اللغوية منها ، وتحديد المواضع التي كانت تتكلم بهذه المجموعات ، وبذلك نستطيع تكوين رأي عن لغة الشعر ، وعن القبائل التي كانت تتكلم بها ، وصارت لهجتها لهجة الشعر عند ظهور الاسلام .

وأغلب شعراء الجاهلية من أهل الوبر ، أما شعراء أهل المدر فأقل منهم عدداً . ولم يظهر بين شعراء أهل المدر شاعر رفعه علماء الشعر وعشاق الشعر الجاهلي الى

مرتبة الشعراء الفحول من رجال الطبقة الأولى^١ من طبقات الشعراء الجاهليين . وهم يقدمون شعراء البادية على شعراء الأرياف ، ولا سيما شعراء الريف المتصل بالنبط والأعاجم . وهذه النظرة التي تحمل طابع الغمز في صحة ألسنة عرب الأرياف ، تحفظ أكثر علماء العربية في موضوع جواز الاستشهاد بشعر شعراء الحيرة مثلاً ، لاتصال أهلها بالنبط واختلاطهم بالأعاجم .

١ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٧٥/١) .

الفصل السابع والخمسون بعد المئة

أوائل الشعراء

يقول علماء الشعر : « لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة »^١ . ثم تزايد عدد الأبيات وتنوعت طرق الشعراء في نظم الشعر ، بتقدم الزمان ، وبازدياد الخبرة والمران ، وبتقدم الفكر ، فظهرت القصائد المقصدة الطويلة ، التي توتجت بالمعلقات . « قال الأصمعي : أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة ، رجل من بني كنانة ، والأضبط بن قريع » . فهؤلاء هم أوائل الشعراء الجاهليين في نظر (الأصمعي) ، ممن نظم كلمة بلغ عدد أبياتها ثلاثين بيتاً فما بعدها . « وقال ابن خالويه في كتاب ليس : أول من قال الشعر ابن خدام »^٢ .

وذكر بعض العلماء ان القصائد انما قصدت ، والشعر انما طول في عهد (عبد المطلب) أو (هاشم بن عبد مناف) ، وذلك يدل على إسقاط عاد وثمود وحبر وتبع^٣ . ولم يذكروا اسم أول من قصد القصائد وطول الشعر ، ولكن رأى معظم علماء الشعر ان « المهلهل ، هو أول من قصد القصائد وأول من قال كلمة تبلغ

-
- ١ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (دار الثقافة) ، المزهر (٤٧٤/٢) ، (أولية الشعر) .
 - ٢ المزهر (٤٧٧/٢) .
 - ٣ المزهر (٤٧٤/٢) .

ثلاثين بيتاً من الشعر . وزعم بعضهم ان الأفوه الأودي ، أقدم من المهلهل ، وهو أول من قصد القصيد^١ . واذا ذهبنا مذهب من يقول إن القصائد انما ظهرت في أيام (عبد المطلب) أو (هاشم) ، فيكون ذلك قبل الهجرة بمائة سنة على الأكثر^٢ .

وزعمت بكر بن وائل ان أول من قال الشعر وقصد القصيد ، هو (عمرو بن قتيبة) ، وكان في عصر (مهلهل بن ربيعة) ، وعمر حتى جاوز التسعين . وكان (امرؤ القيس) ، قد استصحبه لما شخص الى قيصر ، فأت في سفره ذلك^٣ . وذكر (ابن قتيبة) ان من قديم الشعر قول (دويد بن نهد القضاعي) :

اليوم بيني لدويد بيته لو كان للدهر يليّ أبليته
أو كان قرني واحداً كفيتته يارب نهب صالح حويته
وربّ عبل خشن لويته

وذكر من بعده اسم : (أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان) ، ثم الحارث ابن كعب^٤ .

ولم يكن المذكورون أول من قصد القصيد ، وتفنن في أبواب الشعر ، وإنما هم أقدم من وصل اسمه الى مسامع علماء الشعر ، فصاروا من ثم أقدم شعراء الجاهلية . وقد نسب الى (زهير بن أبي سلمى) قوله :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

وإذا صح ان هذا البيت هو من شعره حقاً ، دلّ على اعتقاد الشاعر ومن كان في أيامه بقدم الشعر ، وبتقدمه وبتطوره ، وبتفنن الشعراء الذين عاشوا قبله ، في طرق الشعر وذهابهم فيه كل مذهب ، حتى صار من جاء بعدهم من الشعراء عالة عليهم فلا يقول إلا معاراً ، أو معاداً من الشعر مكروراً . والى هذا المعنى ذهب (عنتره) في قوله :

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| ١ | المزهر (٤٧٧/٢) |
| ٢ | الرافعي (١٤/٣) |
| ٣ | المرزباني ، معجم (٣ وما بعدها) |
| ٤ | الشعر والشعراء (٤٨/١ وما بعدها) |

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

فقد سبق الشعراء (عنترة) في قول الشعر ، وفي الإبداع والتفنن به ، حتى لم يتركوا له شيئاً جديداً ليقوله .

ونجد الشاعر (ليبدأ) ، يشير في شعره الى الشعراء الذين تقدموا عليه ، ويقول عنهم انهم سلكوا طريق مرقش ومهلل ، حيث يقول :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا طريق مرقش ومهلل^١

ولقد تعرض (الفرزدق) في قصيد له الى من تقدم عليه من الشعراء ، فقال :

وہب القصائد لي النواہج إذ مضوا وأبو یزید وذو القروح وجرول
والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني قیس وهن قتلتنه ومهلل الشعراء ذاك الأول
والأعشیان كلاهما ومرقش وأخو قضاعة قول يتمثل
وأخو بني أسد عید إذ مضى وأبو دؤاد قوله يتنخل
وابنا أبي سلمی زهير وابنه وابن القریعة حين جد القول
والجعفري وكان بشر قبله لي من قصائده الكتاب المجمل
ولقد ورث لآل أوس منطقاً كالسم خالط جانبيه الخنظل
والحارثي أخو الحماس ورثته صدعاً كما صدع الصفاة المول^٢

فهؤلاء هم من أقدم الشعراء العرب الذين وصل خبرهم الينا على وفق هذه الأخبار والروايات . وهم ونفر آخر من أمثالهم قد عاشوا في أيام لا نستطيع أن نبتعد بها عن الاسلام بأكثر من قرن أو قرن ونصف قرن. وقد عسر على الذاكرة حفظ شيء عن أخبارهم وأيامهم ، فلم تذكر عنهم غير أسمائهم وغير شيء يسير جداً عنهم ، وخلا أبيات ، لا ندري أي من نظمهم حقاً ، أم هي من نظم

١ البيان والتبيين (١٨٣/٢) .

٢ ديوان الفرزدق (٧٢٠) ، نقائض (٢٠٠) .

من تحدث عنهم ١ وعلى موجب روايات أهل الأخبار تكون تلك الأبيات أقدم ما عندنا من شعر عربي .

وقد ولع بعض المحدثين على وضع سنين لتثبيت سنين مواليد ووفيات الشعراء ، واكتفى بعضهم بوضع سنين لوفياتهم ، وفعلهم هذا لا يستند الى أساس علمي ، لأننا لا نملك أدلة مقبولة صحيحة ، نخولنا حتى وضع مثل هذه الأرقام ، ثم إن في الكثير من هذا المروي عن حياة الشعراء ما هو غير صحيح ، ولهذا فليس من المعقول أبداً ، وضع سنين لتحديد مواليد ووفيات أولئك الشعراء ، والشيء الوحيد الذي نستطيع فعله هذا اليوم هو أن نشير الى زمان من عاصروهم من الملوك كملوك الحيرة والغساسنة ، فنحن على شيء من العلم بأوقات حكمهم ، وأن نربط بين أيامهم وبين الحوادث الجسام التي أدركوها أو ساهموا فيها .

ونحن لا نستطيع ترتيب الشعراء ترتيباً زمنياً يستند على سنوات الوفيات ، فنقدم شاعراً على شاعر آخر استناداً الى سنة الوفاة ، لأننا لا نملك نقوصاً فيها سني الوفاة . ثم إن حياة أقدم شاعر جاهلي لا يمكن أن تتجاوز المائة والخمسين سنة عن الاسلام على أكثر تقدير ، وإن أكثرهم قد كانوا متعاصرين ، وإن بين حياة الشاعر القديم منهم ، وبين الشاعر المتأخر ، فترات غير طويلة ، تتناول على العشرة سنين أو العشرين ، وهي أزمان لا تعد شيئاً بالنسبة الى تأريخ هذا الشعر القصير الأجل .

ويجب ألا نتخذنا بعض العبارات التي نقرأها في كتب الأدب مثل قولهم : « وهو شاعر جاهلي قديم » ، أو « هو شاعر قديم » ، أو « هما قديمان »^١ ، أو « وهو جاهلي قديم »^٢ ، وأمثال ذلك من تعابير تشير الى قدم الشاعر أو الشعراء ، فنأخذها على الصحة ، ونقول بقدم الشاعر ، أو الشعارين ، أو الشعراء ، فإن أكثر من ذكر أهل الأخبار أنهم من الشعراء القدماء ، هم من الذين كانوا في أيام حكم الملك (عمرو بن هند) ، وقد كان حكم هذا الملك فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩) للميلاد . وإذا ما تذكرنا أن ميلاد الرسول كان في سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، عرفنا إذن أي قدم هو هذا القدم الذي توهموه .

١ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٩٢/١ ، ٢٩٤) .

خذ ما قاله (ابن قتيبة) مثلاً عن (زهير بن جناب) سيد (كلب) وهو في نظره من الشعراء المعمرين ، تراه يقول : « وهو جاهلي قديم . ولما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج زهير فلقني ملكهم ، فأكرمه ووجهه الى ناحية العراق يدعوهم الى الدخول في طاعته ... »^١ . ولو جاريناه وأخذنا بصحة الخبر المزعوم ، نكون قد جعلناه حياً في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، فقدوم الحبشة تريد هدم البيت ، كان في عام الفيل ، أي سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، أي العام الذي ولد فيه الرسول ، فهل يعد (زهير بن جناب) اذن (جاهلي قديم) ؟ وقد أدرك على حد قول (ابن قتيبة) ميلاد الرسول ؟ ثم خذ ما قاله عن (ابني خذاق) ، تراه يقول : « وهما قديمان ، كانا في زمن عمرو بن هند »^٢ ، ثم خذ ما قاله عن (سلامة بن جندل) ، إذ قال عنه : « جاهلي قديم » ، وجعل أيامه في عهد (عمرو بن هند)^٣ ، وقد عرفنا أيام حكم (عمرو بن هند) .

ثم خذ ما قاله عن (عبيد بن الأبرص) ، تراه يقول : « وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين ، وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس »^٤ ، أو خذ ما ذكره عن (عمرو بن قبيصة) ، حيث يقول : « وهو قديم جاهلي ، كان مع حجر أبي امرئ القيس »^٥ : بل خذ ما ذكره عن (امرئ القيس ابن حارثة بن الحزام بن معاوية) المعروف بـ (ابن حمام) أو (ابن حزام) ، أو (ابن خدام) ، الذي يقول عنه الشعراء انه أول من بكى الديار عند العرب ، وانه عاش قبل امرئ القيس^٦ ، ترى أهل الأخبار يذكرون انه كان معاصراً للشاعر (المهلهل)^٧ ، خال (امرئ القيس) الكندي . واذا علمنا ان حكم ملوك كندة للحيرة ، كان ما بين السنة (٥٢٥) والسنة (٥٢٨) للميلاد ، وان وفاة (الحارث) والد (حجر) والد (امرئ القيس) الشاعر الكندي ، أي

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٩٤/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٩٢/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٨٧/١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٩٢/١) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٦٨/١) وما بعدها .
 - ٧ الخزائن (٢٣٥/٢) ، (بولاق) .

جد الشاعر ، قد كانت في سنة (٥٢٨) للميلاد ، وان قتل (حجر) قد وقع بعده ، استطعنا الحكم بأن أولئك الشعراء المذكورين قد عاشوا في النصف الأول من القرن السادس للميلاد ، وان حياة أقدم واحد منهم ، لا يمكن أن تتجاوز قرناً واحداً قبل الاسلام ، مهما بالغنا في التقدير .

وأما ما زعمه أهل الأخبار عن بعض أولئك الشعراء ، من أنهم كانوا من المعمرين ، وان منهم من عمّر أكثر من ثلثائة سنة ، وان المعمر في نظرهم لا يعدّ معمرّاً إلا اذا زاد عمره على المائة والعشرين عاماً ، فأترك أمر تصديقه الى القارئ ، إن شاء أخذ به ، متمنياً له أيضاً عمر المعمرين وزيادة ، وإن شاء رفضه ، أما أنا ، فلست من حزب الذين يعتقدون برأي أهل الأخبار في العمر وفي المعمرين ، ولا أريد أبداً أن أكون من أولئك المعمرين .

وقد قسم (محمد بن سلام) الجمحي المتوفى سنة (٢٣٢) الشعراء الى طبقات ، ضمت كل طبقة جماعة من الشعراء ، رأى أن بينها تشابهاً وتقارباً فجمعهم لذلك في طبقة واحدة ، أما (ابن قتيبة) فقد بدأ بأوائل الشعراء ، وهم : (دويد بن نهد) القضاعي ، ثم (أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان) ، ثم (الحارث ابن كعب) ، وقد تحدث عنهم حديثاً قصيراً جداً ، ثم تكلم عن بقية الشعراء ، وعلى رأسهم (امرؤ القيس) فزهير بن أبي سلمى ، ولم يسر في كتابه على طريقة (ابن سلام) في عرضه الشعراء على طبقات ، كما لم يسر على الترتيب الأبجدي لأسماء الشعراء أو على شهرتهم أو كنانهم ، كما سار غيره في مؤلفاتهم عن الشعراء .

وقد سار (جرجي زيدان) على مبدأ تقسيم الشعراء على وفق الأغراض التي نظموا شعرهم بها والتي غلبت طبائعهم عليها . فجعلهم : أصحاب المعلقات ، وعددهم (١٠) ، والشعراء الأمراء ، وجمعهم في (١٤) رجلاً ، والشعراء الفرسان ، ومجموعهم (٢٨) ، والشعراء الحكماء ، وحاصلهم (٤) ، والشعراء العشاق وعددهم (٨) ، والشعراء الصعاليك وهم (٧) ، والمغنون ، وهم (١) ، والنساء الشواعر ، وعددهن (٤) ، والهجاءون ، وعددهم (٤) ، والوصافون للخيل ، وعددهم (٤) ، والموالي ، وعددهم (١) ، وسائر الشعراء ومجموعهم (٢٦) ، ومجموع الجميع (١٢١) شاعراً^١ .

١ تاريخ آداب اللغة العربية (١٠٢/١) .

وقسم (كارلو نالينو) الشعراء الجاهليين الى أربعة أصناف : الصنف الأول ما نسجه أهل البادية أو من تقرب منهم سواء كانوا وثنيين أم يهود من شعر ، الثاني : أشعار الوثنيين الذين قصدوا ملوك الحيرة وبني غسان وجالسوهم ، الثالث : أشعار النصاري بالحيرة أو في مملكة بني غسان ، الرابع : أشعار أهل الحضرة الوثنيين في مدن الحجاز^١ . وقد أدخل في الصنف الأول : تأبط شرأ والشنفرى وأمثالهم ، لأنهم رجال بادية عوائدهم أقرب للهمجية المحضة منها لأحوال أهل بلد ذات نظام اجتماعي ، فسُموا (أولئك الرجال) الصعاليك^٢ ، وأدخل في هذا الصنف أيضاً أصحاب المملكات ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد ، والأفوه الأودي، ودريد ابن الصمة^٣ . وأدخل في الصنف الثاني (زهير بن جناب) الكلبي ، وطرفة بن العبد ، وهو من أصحاب المملكات ، وأوس بن حجر ، وبقية من كان لهم اتصال بملوك الحيرة والفساسنة^٤ ، وأدخل في الصنف الثالث : أبو دؤاد الإباضي ، وعدي بن زيد العبادي ، وأدخل في الصنف الرابع قيس بن الخطيم ، وأمّية بن أبي الصلت^٥ .

واقدم من ذكرهم علماء الشعر من شعراء أهل الجاهلية : دويد بن نهد القضاعي ، وأعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، والحرث بن كعب^٦ ، والعنبر ابن عمرو بن تميم ، والمستوغر بن ربيعة بن كعب بن نهد ، وزهير بن جناب الكلبي ، وجذعة الأبرش ، ولجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وابن حذام^٧ ، والأفوه الأودي ، وذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، وضمرة ، رجل من كنانة ، والأضبط بن قريع . وقيل : « أول من قال الشعر ابن حذام »^٨ .

ولهؤلاء البيت والبيتان والأبيات ، ولم ترد لهم قصائد ، لأن أول من قصد القصائد ، ووضع القصيد هو المهلهل ، على ما يزعمه أهل الأخبار .

-
- ١ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٧١) .
 - ٢ المصدر نفسه (ص ٧٢) .
 - ٣ كذلك (ص ٧٤ وما بعدها) .
 - ٤ كذلك (ص ٨١) .
 - ٥ كذلك (ص ٩٢ وما بعدها) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٤٨/١) وما بعدها .
 - ٧ المزهر (٤٧٥/٢) وما بعدها .
 - ٨ المزهر (٤٧٧/٢) .

وقد قدم (ابن قتيبة) (دويد بن نهد) القضاعي على سائر الشعراء ،
وقال : « لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث
الحاجة . فن قديم الشعر قول دويد بن نهد القضاعي :

اليوم بيني لدويد بينته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب عبل خشن لويته ^١

وقال بعد ذلك : « وقال الآخر :

ألقى عليّ الدهر رجلاً ويداً والدهر ما أصلح يوماً أفسداً
يصلحه اليوم ويفسده غداً ^٢

وهو رجز نسبة (ابن سلام) وغيره لدويد نفسه ^٣ .

وزعم أهل الأخبار انه لما حضرته الوفاة ، جمع آله ، وقال يوصيهم :
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبدة ، ولا تقبلوهم عبدة ، قصروا الأعنة
وطولوا الأسنة ، واطعنوا شزراً ، واضربوا هرباً .. » الى آخر وصيته ، ثم قال :

اليوم بيني لدويد بينته يا رب نهب صالح حويته
ورب قرن بطل أرديته ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته ^٤

١ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات الشعراء (٢٧) ،
السجستاني ، المعمرن (١٩) ، ابن سلام ، طبقات (١١) ، (طبعة ليدن) ، المزهر
(٤٧٥/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (حاشية رقم ٣) ، وورد :
يفسد ما أصلحه اليوم غداً

أمالي المرتضى (٢٣٧/١) .

٣ الشعر والشعراء (٤٨/١) ، (حاشية رقم ٣) .

٤ أمالي المرتضى (٢٣٧/١) ، وروى على هذه الصورة :

اليوم بيني لدويد بينته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته
تاج العروس (٣٤٧/٢) ، (داد) ، المزهر (٤٧٥/٢) .

وهو كلام يشعرك أنه نص لوصية الشاعر، ضبط ضبطاً ، يشعرك أن ضابطه كان حاضراً إذ ذاك ، وأنه سجله سجل المسجل للصوت ، حتى وصل الينا أصيلاً كاملاً لا تغير فيه ولا تحوير . أما رأيي فيه ، فهو أنه من هذه النصوص الكثيرة التي وضعها أهل الأخبار على ألسنة المتقدمين عليهم ، والتي لا يمكن أن يركن إليها ، ولا أن يؤخذ بها ، ومن في استطاعته اثبات أنه نص أصيل ، وليس لديه دليل قطعي يثبت تلك الإصالة .

ومن قدماء الشعراء : (أعصر بن سعد بن قيس عيلان) ، وهو (منبه بن سعد) أبو باهلة وغني والطفافة . وهو القائل :

قالت عميرة ما لرأسك بعد ما فقد الزمان أتى بلون منكراً
أعبر إن أباك شيب رأسه كر الغداة واختلاف الأعصر^١

وذكر (ابن قتيبة) بعد (أعصر) اسم (الحارث بن كعب) وقال عنه :
« وكان قديماً » ، وروى له هذه الأبيات :

أكلت شبابي فأفنيته وأفنيت بعد شهور شهوراً
ثلاثة أهلين صاحبتهُم فبانوا وأصبحت شيخاً كبيراً
قليل الطعام عسير القياس م قد ترك القيد خطوي قصيراً
أبيت أراعي نجوم السماء أقلب أمري، بطونا ظهوراً^٢

والحارث بن كعب ، هو (الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد ابن مالك بن أدد) الملاحجي ، وهو من المعمرين ، وقد نسبوا له وصية زعموا أنه لما حضرته الوفاة ، جمع ولده ، فخطبهم يوصيهم ، وكان مما جاء فيها أنه على دين (شعيب) النبي ، « وما عليه أحد من العرب غيري ، وغير (أسد بن

١ المزهري (٢/ ٤٧٥) ، الشعر والشعراء (١/ ٤٨ وما بعدها) ، (الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات (٢٨) .

قالت عميرة ما لرأسك بعدما نفذ الشباب أتى بلون منكراً
أعبر إن أباك شيب رأسه مر الليالي واختلاف الأعصر
الشعر والشعراء (١/ ٤٩) .

٢ الشعر والشعراء (١/ ٤٩) .

خزيمة) و (تميم بن مرة) ، ثم أوصاهم بوصيته ، على الطريقة المألوفة التي نراها في الوصايا التي تنسب في العادة الى المعمرين ، ثم ختمها بإنشاده الأبيات المذكورة^١ .

(والمستوغر بن ربيعة بن كعب بن نهد) ، من قدماء المعمرين ، بقي بقاءً طويلاً حتى قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين مثينا
مائة أنت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا^٢

وذكر (ابن دريد) ان (المستوغر) عاش ثلثماية وعشرين سنة ، ولقب (المستوغر) لقوله :

يش الماء في الرّبلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير^٣

وذكر انه أدرك الاسلام ، أو كاد يدرك أوله . ونسبوا له قوله :

إذا ما المرء صمّ فلم يكلّم وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشيّ بني بنيه كفعل الهرّ يحترش العظايا
يلاعبهم وودّوا لو سقوه من الديقان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرباً ولا يشفى من المرض الشفايا^٤

وزعم « ان المستوغر مرّ مرة بعكاظ يقود ابن ابنه خرفاً ، فقال له رجل :

١ أمالي المرتضى (٢٣٢/١) .

٢ ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مثينا
مائة حدثها بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتني يوم يمر وليلة تحدونا
الشعر والشعراء (٣٠٠/١) .

المزهر (٤٧٥/٢) ، (وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن حر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر) ، أمالي المرتضى ، (٢٣٤/١) ، المعمر (٧) ، الرزباني ، معجم (٣١٣) .

٣ الاشتقاق (١٥٤/١) ، الشعر والشعراء (٣٠٠/١) .

٤ أمالي المرتضى (٢٣٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (٣٠) .

يا عبدالله أحسن اليه، فطالما أحسن اليك ! قال : أو تدري من هو ؟ قال : نعم هو أبوك أو جلدك ، قال : هو والله ابن ابني ! قال الرجل : لم أرَ كالיום في الكذب ولا مستوغر بن ربيعة !! قال : فأنا المستوغر بن ربيعة . « قال أبو عمرو بن العلاء : عاش المستوغر ثلاث مائة سنة وعشرين سنة »^١ .

وقد ذكره (ابن حجر) في الصحابة ، وقال عنه : « المستوغر، بعين مهملة ثم زاي ، ابن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم السعدي، أبو يهيس، واسمه عمرو ، والمستوغر لقب » . وكان من فرسان العرب في الجاهلية ، وقال (المرزباني) انه عاش في أيام معاوية ، ويقال مات في صدر الاسلام^٢ . والأغلب ان وفاته كانت قبل الاسلام ، وانه لا يمكن لذلك عدّه في الصحابة .

والأفوه الأودي ، هو (صلاة بن عمرو بن مالك) من (ملحج) ، وملحج من اليمن ، فهو من البانين ، وكان من سادات قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصعدون عن رأيه ، والعرب تعدّه من حكائها ، بما اشتمل عليه شعره من الحكمة^٣ . وقد اشتهر بقصيدته :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم	وان بني قومهم ما أفسدوا
لا يرشّدون ولن يرعوا المرشدهم	فالجهل منهم معاً والغنيّ ميعاد
أضحوا كقيل بن عمرو في عشيرته	إذ أهلك بالذي سدّى لها عاد
أو بعده كقدار حين تابعه	على الغواية أقوامٌ فقد بادوا
والبيت لا يُبنى إلاّ له عمدٌ	ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ
فلن تجمع أوتادُ وأعمدة	وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
ولن تجمع أقوام ذوو حسب	اصطاد أمرهم بالرشد مصطادُ
لا يصلح الناسُ فوضى لا سراة لهم	ولا سراة إذا جهّاهم سادوا
تبقي الأمور بأهل الرأي ما صلحت	فلن تولت فبالأشرار تنقاد

١ الشعر والشعراء (٣٠١/١) ، الاصابة (٤٦٨/٣) ، (رقم ٨٤٠٧) .

٢ الاصابة (٤٦٨/٣) ، (٨٤٠٧) .

٣ الشعر والشعراء (١٤٩/١) ، الاغانى (٤١/١١) ، العيني (٤٢١/١) ، تاج العروس (٤٠٥/٩) ، (فوه) ، معاهد التنصيص (١٥٩/٢) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .

إذا تولى سراة القوم أمرهم فما على ذلك أمرُ القوم فازدادوا
 امارة الغي أن يلقى الجميع للذي الإبرام للأمر والأذئاب أكساد
 حان الرحيل إلى قومٍ وان بعدوا فيهم صلاح لمرتاد وارشاد
 فسوف أجعل بعد الأرض دونكم وإن دنت رحم منكم وميلاد
 إن النجاء إذا ما كنت ذا نقر من أجة الغي إبعاد فابعد
 فالخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلما زاد

وقد رويت بعض الآيات بصور مختلفة . فلابن دريد ، قراءة ، ولأبي بكر
 ابن الأنباري قراءة . وقد نص (القالي) على القرائتين^١ ومن أبياتها :

كيف الرشاد إذا ما كنت في نقرٍ لهم عن الرشد أغلال وأقياد
 أعطوا غواتهم جهلاً مقادتهم فكلهم في حبال الغي منقاد^٢

وله قصيدة تعد من جيد شعره ، أولها :

إن ترى رأسي فيه نزعٌ وشواي خلة فيها دوار
 إنما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
 ولياليه إلال للقوى ومدى قد تجتليها وشيفار
 وصروف الدهر في أطباقه خلفه فيها ارتفاع وانحدار
 بينما الناس على عليائها إذ هووا في هوة منها فغاروا^٣
 حتم الدهر علينا أنه ظلف ما نال منا وجبار

وهو القائل :

والمرء ما يصلح له ليلة بالسعد تُفسدُه ليالي النحوس
 والخير لا يأتي ابتغاء به والشر لا يقنيه ضرح الشموس^٤

-
- ١ الامالي (٢٢٤/٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (٥/١) ، الشعر والشعراء (١٤٩/١) .
 - ٢ بلوغ الأرب (١٠٦/٣) .
 - ٣ بلوغ الأرب (١٠٥/٣ وما بعدها) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٤٩/١) .

وله ديوان مطبوع^١ .

وذكر ان النبي نهى عن إنشاد قصيدة الأفوه :

إن ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار

وذلك لورود ذم فيها لبني هاجر مثل قوله :

يا بني هاجر ، ساءت خطة أن تروموا النصف منا ونجار
ان يجل شهري منكم جولة فعليه الكر فيكم والفوار
نحن أود ، ولأود سنة شرف^٢ ليس لنا عنها قصار
سنة أورثناها مدحج^٣ قبل أن ينسب للناس نزار^٤

وهي قصيدة عمانية ، فيها تعصب ليمن ، وتهجم على (نزار) أبناء هاجر ،
أي العدنانيين ، ولهذا ذكر الرواة ان النبي نهى عن روايتها ، وهي من موضوعات
الصراع القحطاني التزاري المعروف ، أرادت التزارية طمسها ، فروت ان النبي
نهى عن روايتها ، والنهي والقصيدة - في نظري - من المصنوعات التي ظهرت
بعد وفاة النبي ، وأسلوب نظم القصيدة يتجسس على أصالتها ، يتحدث انه من
النظم الاسلامي .

وأورد (المعري) له هذا البيت :

كشهاب القذف يرميكم به فارس^٥ ، في كفته للحرب نار

وهو بيت من (رائيته) التي يعدونها من أجود الشعر العربي^٦ .

وهي قصيدة يقول عنها (الجاحظ) : « وما وجدنا أحداً من الرواة يشك
في أن القصيدة مصنوعة »^٧ .. ونظراً لإشارة (الجاحظ) إليها ، فإن صنعها يجب

-
- ١ طبعه عبد العزيز الميمني في الطرائف الادبية ، (القاهرة ١٩٣٧ م) ، بروكلمن ،
تأريخ الادب العربي (١١٧/١) .
 - ٢ راجع ديوانه ، (القاهرة ١٩٣٧ م) .
 - ٣ رسالة الغفران (٢٩٧) ، (رقم الحاشية ٥) .
 - ٤ الحيوان (٢٨٠/٦) ، النوادر (١٦٩/١) ، معاهد التنصيص (٩٥/٤) .

أن يكون قبل أيامه، في الإسلام على أثر ظهور العصبية التزارية في أيام الأمويين ،
فوضعها أحدهم على لسان الأفوه في التعريض بالتزاريين .

ونسب (الجاحظ) له قوله :

أضحت قُرَيْنةٌ قد تغير بشرها وتجهّمت بتحية القوم العدا
ألوت ياصبعها وقالت إنما يكفيك مما لا ترى ما قد ترى^١

كما نسب له قوله :

تهنا لثعلبة بن قيس جفنة يأوي اليها في الشتاء الجوع
ومذانب لا تستعار وخيمة سوداء عيب نسيجها لا يرفع
وكانما فيها المذانب حلقة وذم الدلاء على دلوج تترع^٢

وقد نسبت إليه أبيات ورد فيها ذكر (التباينة والمثامنة وأولاد نوح : سام
وحام ويافث) ، هي :

فلو دام الخلود إذن جدودي وأسلمني بنو قحطان داموا
ودام لهم تبابعهم ملوكاً ولم تمت الماثمة الكرام
وعاش الملك ذو الأذعار عمرو وعمره حوله اللجبُ اللهام
ونخلد ذو المنار وما تردى أبوه الرائش الملك الهام
ملوك أدت الدنيا اليها أتاوتها ودان لها الأنام
ولما يعصها سام وحام ويافث حيث ما حلت ولام^٣

ونسبت إليه أبيات في مدح (ملحق) ، وفي الاشادة بكرمها ، أولها :

نعظم النار إذ النار التي شبتها عنس خبت أو صعصة^٤

والشعر المتقدم من الشعر المصنوع ولا شك، وضعه قوم من المتعصبين للقحطانية
على التزاريين ، أي العدنانيين .

-
- ١ البيان والتبيين (١٩٧/١ وما بعدها) .
 - ٢ البخل (٢٢٣ وما بعدها) .
 - ٣ تاريخ ملوك العرب الاولى (٢٨ وما بعدها) .
 - ٤ المصدر نفسه (ص ١٣٧) .

ومن الشعراء القدماء : (زهير بن جناب) الكلبي ، سيد بني كلب وقائدهم ، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقية في غزواته^١ . ذكر انه لما قدمت الحبشة تريد هدم البيت خرج (زهير) فلقى ملكهم ، فأكرمه ووجهه الى ناحية العراق يدعوهم الى الدخول في طاعته ، فلما صار في أرض (بكر بن وائل) لقيه رجل منهم فطعنه ، لكنه نجا وفر هارباً ، وعمر طويلاً . وقد مات منتحراً . شرب الخمر صرفاً حتى قتله . وفي الشعر المنسوب اليه ما يشك بصحة نسبته اليه . وقد ذكر انه كان في أيام (داود بن هبالة) ، الذي كان أول ملك للعرب في بلاد الشام ، فغلبه ملك الروم على ملكه ، فصالحه داود على أن يقره في منازلهم ويدعه فيكون تحت يده ، ففعل . فكان يغير بمن معه ، ثم تنصر وكره الدماء وبني ديراً ، سمي (دير اللثق) ، وأنزله الرهبان . ثم ان ملك الروم طلب منه أن يغزو بمن معه من العرب ، ففعل وكان معه في جيشه زهير بن جناب . فقتل زهير بن جناب (هذاج بن مالك) سيد عبد القيس ، فتواعد رجلان من قضاعة على قتل (داود) ، وكان اذا سار ليلاً ، سار وأمامه شمعة ، فقتلاه^٢ .

« قال أبو حاتم : عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوف مائتي وقعة ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه ، ويقال : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه ، كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم الى الملوك ، وطبيبهم - والطب في ذلك الزمان شرف - وحازي قومه - والحزاة الكهان - وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم » .

ونسبوا له وصية ، ذكروا أنه أوصى بها بنيه حين حضرته الوفاة ، وذلك على طريقتهم عند تحذيرهم عن المعمرين .

وقد أورد أهل الأخبار له شعراً ، في العمر وفي النساء وفي مخاطبة أولاده^١ . وقد نسبوا له هذا الشعر :

١ الاغاني (٩٣/٢١ وما بعدها) ، ابن سلام ، طبقات (٣٠) ، جمهرة ابن حزم (٤٢٦) ، المؤتلف (١٣٠) ، المحبر (٢٥٠) ، المعرون (٢٤) ، الشعر والشعراء (٢٩٤/١) وما بعدها ، كارلو نالينو ، تاريخ الادب العربية (٨٢) ، المزهر (٤٧٥/٢) وما بعدها .

٢ أسماء المغتالين (١٢٧) .

٣ أمالي المرتضى (٢٣٨/١) وما بعدها .

لقد عُمرتُ حتى لا أبالي أحتمي في صباحي أو مساءي
وحتى لمن أنت مائتان عاماً عليه أن يملّ من الثواء
شهدتُ الموقدين على خزازي وبالسلان جمعاً ذا زُهاء
ونادمتُ الملوك من آل عمرو وبعدهم بني ماء السماء^١

ومن جيد شعره قوله :

ارفع ضعيفك لا يحركك ضعفه يوماً فتدركه عواقبُ ما جنى
يجزيك أو يثني عليك ، وإن من أثني عليك بما فعلتَ كمن جزي

وهو شعر نسبه (ابن قتيبة) اليه ، غير أن من العلماء من نسبه لورقة بن نوفل ، ومنهم من نسبه لغريص اليهودي ، وقيل لابنه (سعية) ، ومنهم من نسبه لشعراء آخرين^٢ .

أما المهلهل ، فهو امرؤ القيس بن ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم ، وانما سمي مهلهلاً لبيت قاله لزهير بن جناد الكلبي :

لما توعر في الكراع هجينهم هلهلتُ أثار جابراً أو صنبلاً

وقيل إن اسمه كان عدياً، وقد ذكره (امرؤ القيس) في شعره^٣ . ولقب مهلهلاً لطيب شعره ورقته ، أو لأنه أول من أرق المراثي ، أو لأنه أول من قصّد القصائد ، وقال الغزل ، فقليل : هلهل الشعر أي أرقه^٤ . وفيه يقول الفرزدق :

١ المعمرن (٢٦ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٢٩٦/١) ، (حاشية رقم ٧) .

٣ رفعت رأسها الي وقالت يا عدياً لقد وقتك الاواقي
ضربت صدرها الي وقالت يا عدي لقد وقتك الاواقي
« وقال الصاغاني في التكملة : وليس البيت لمهلهل وانما هو لأخيه عدي ، ويروى البيت : ضربت صدرها ، (السيوطي شرح شواهد المغني ٦٥٦) ، (حاشية ٤) ، الخزانة (٣٠٠/١) ، (بولاق) ، الاغانى (١٣٩/٤) .

ضربت صدرها الي وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٦/٢ وما بعدها) .

ومهلل الشعراء ذاك الأول^١

وزعم انه كان به خنث^٢ . وهو أخو (كليب واثيل) الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب . وهو جدّ (عمرو بن كلثوم) ، أبو أمه (ليلي) ، وخال امرئ القيس الشاعر^٣ .

وقد تطرق (المعري) في (رسالة الغفران) الى سبب اشتهار (المهلهل) بهذا النعت ، فجعل أحد الأشخاص يسأله : « أخبرني لم سميت مهلهلاً ؟ » فقد قيل ، : إنك سميت بذلك ، لأنك أول من هلل الشعر ، أي رققه .

فيقول : إن الكذب لكثير . وإنما كان لي أخ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبي ، فتنبه أخني في زرافة من قومه ، فقال في ذلك :

لما توكل في الكراع هجينهم هللت أثار مالكا أو صنبلا
وكانه باز عكته كبرة يهدي بشكته الرعيل الأول^٤ ،

وقد أورد (المعري) له بيتاً ، هو أول بيت من قصيدة تنسب اليه ، هو .

أليتنا بلذي حُسم انيرى إذا أنت انقضيت فلا تحوري^٥
فإن يك بالذنائب طال ليل فقد أبكى من الليل القصير

وأورد له بيتاً آخر هو :

أرعدوا ساعة الهياج وأبرق لنا كما توعد الفحول الفحولا

وذكر أن (الأصمعي) كان ينكره ويقول : إنه مولد . وكان أبو زيد

١ ديوان الفرزدق (٧٢) ، الشعر والشعراء (٢٥٦) ، (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، ديوان الفرزدق (١٥٩ / ٢) .

٢ الشعر والشعراء (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٦٤ / ٢) ، (هارون) .

٣ الشعر والشعراء (٢١٥ / ١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٦٤ / ٢) ، (هارون) ، ابن سلام ، طبقات (٣٣ وما بعدها) ، الاغاني (١٤٠ / ٤) ، المرزباني ، معجم (٢٤٨) ، اللآلئ (١١١) ، الاغاني (٣٤ / ٥) ، (دار الكتب) ، الاصمعيات (١٧٤) .

٤ رسالة الغفران (٣٥٤) .

٥ رسالة الغفران (٣٥٣) .

يستشهد به ويثبته^١ .

« وزعم الرواة ان الشعر كله انما كان رجزاً وقطعاً ، وانه انما قصّد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصّده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة . ذكر ذلك الجمحي وغيره^٢ ، وقيل انه كان أول شاعر بلغت قصائده ثلاثون بيتاً من الشعر ، فاحتذى من جاء بعده حذوه . وان أول قصيدة قالها كانت في قتل أخيه كليب^٣ . وانه كان أول من كذب في شعره ، بقوله :

فلولا الريحُ أسمعَ منُبحجرٍ صليلَ البيضِ تقررُ بالذكور

ويذكرون ان هذا البيت هو من أول كذب العرب ، وكانت العرب قبل ذلك لا تكذب في أشعارها ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة اليامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة منته ونفاذ فطنته الى معنى آخر مستظرف في بابه^٤ . وقد اتهمه البعض بأنه كان يتكثر ويدعي قوله بأكثر من فعله^٥ .

وزعم انه أحد البغاة ، لقوله :

قل لبني حصنٍ يردّونه أو يصبروا للصيلم الخنْفَقِيْق
من شاء دلى النفسَ في هوة ضنكٍ ، ولكن من له بالمضيّق^٦

أمرهم ان يردّوا كليلاً وقد قتل ، وأعلمهم انه لا يرضى بشيء غير ذلك .

-
- ١ رسالة الغفران (٣٥٤) .
 - ٢ العمدة (١٨٩/١) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٣ زبدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٦٧/١) ،
ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرر بالذكور
الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، (الثقافة) ، البيان والتبيين (١٢٤/١) ، الحيوان (٤١٨/٦) ، العمدة (٥٠/٢) ، الاغانى (١٤٦/٤) ، المرزباني ، معجم (٣٣١) ، نقد الشعر ، لقدامة (٨٤) ، الموشح (٧٤) .
 - ٤ زهر الاداب (٢٣٤/١) ، الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، الاغانى (١٥٢/١٤) ، خزانة الادب (٣٠٢/١) وما بعدها .
 - ٥ السيوطي ، شرح (٦٥٧/٢) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٢١٦/١) ، (الثقافة) .

وهو أحد أصحاب المتقيات السبع ، المدونة في كتاب : (جمهرة أشعار العرب) .

وقد ذكره (ليبد) في شعره ، فجعله و (مرقشاً) من الشعراء الذين مهدوا السبيل لمن جاء بعدهم في نظم الشعر ، فالشاعرون الناطقون الذين جاؤا بعدهما إنما سلكوا دروبهما في نظم الشعر :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقش ومهلل^١

وكان مهلل القائم بالحرب ورئيس تغلب ، فلما كان يوم قضية ، وهو آخر أيامهم ، وكان على تغلب ، أسر (الحارث بن عباد) مهللاً وهو لا يعرفه ، فقال له الحارث : تدلني على عدي بن ربيعة المهلل وأنت آمن ؟ فقال له (المهلل) : ان دلتك على عدي فأنا آمن ولي دمي ؟ قال : الحارث : نعم ، قال : فأنا عدي ! فجز ناصيته وخلّاه ، وقال : لم أعرف . وفي ذلك يقول الحارث بن عباد :

لهف نفسي على عدي^٢ ولم أعرف عدياً إذ أمكتني اليدان
طُلَّ من طُلَّ في الحروب ولم يطل قتيلاً أباته ابن أبان^٣

ثم خرج (مهلل) فلاحق باليمن ، فتزل في (جنب)^٤ ، فخطب إليه رجل منهم ابنته ، فقال : إني طريد غريب فيكم ، ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه ، فأكرهه حتى زوّجها ، وكان المهر أداماً ، فقال :

أنكحها فقدّهما الراقم في جنب ، وكان الحياء من آدم
لو بأبانين جاء يخطبها رُمِّل ما أنف خاطب بدم

ثم انحدر ، فلقبه (عوف بن مالك بن ضبيعة) ، وهو أبو أسماء صاحبة

١ ديوان ليبد (٢٧٦) ، (٣٩) ، البيان والتبيين (١٨٣ / ٢) .

٢ الشعر والشعراء (٢١٦ / ١) وما بعدها .

٣ حي من اليمن .

المرقش الأكبر ، فأسره فأت في أساره^١ . وللأخباريين قصص عن كيفية موته^٢.

ونسبوا له قصيدة رثى بها أخاه كليباً ، بقوله :

أبليتنا بندي حُسْمُ أنبري إذا أنت انقضيتِ فلا نحوري

وفيهما :

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلاً من كليب إذا رجف العضاه من الدبور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت نجاة الخدور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلاً من كليب إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلاً من كليب غداة ثلاثل الأمر الكبير
على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما خام جار المستجير^٣

وأورد المرتضى (مرثية) لليلي الأخيلية رثت فيها : ثوبة بن الحمير ، لها أسلوب خاص في الرثاء ، حيث ترد جملة : (لنعم الفتى) و (نعم الفتى) في أوائل أربعة أبيات من القصيدة ، تلتها « لعمرى لأنت المرء أبكي لفقده » أربع مرات مكونة الأنصاف الأولى من الأبيات ، ثم « أبى لك ذم الناس يا ثوب كلما » مرتين ، ثم : « فلا يبعدنك الله يا ثوب انما » ، ثم « ولا يبعدنك الله يا ثوب انها » مرة ، ثم : « ولا يبعدنك الله يا ثوب والتقت » . فخرجت من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني^٤ .

وروى قصيدة أخرى لابنة عم للنعمان بن بشير رثت فيها زوجها ، أنصاف أبياتها الأولى : « وحدثني أصحابه ان مالكا » ، أما القافية فهي على اللام^٥ .

- ١ الشعر والشعراء (٢١٦/١ وما بعدها) ، الخزاعة (١٧٣/٢) .
- ٢ أسماء المفتالين (٢٠٨) .
- ٣ أمالي المرتضى (١٢٣/١ وما بعدها) .
- ٤ أمالي المرتضى (١٢٤/١ وما بعدها) .
- ٥ أمالي المرتضى (١٢٦/١) .

ومن معاصري (مهلهل) الشاعر (امرؤ القيس بن حاتم بن عبيدة بن هبل) ابن أخي (زهير بن جناب بن هبل) ، وزعم بعضهم أنه الذي غنى (امرؤ القيس) بقوله : نبكي الديار كما بكى ابن خدام . وكان مهلهل تبعه (يوم الكلاب) فقاته ابن حاتم بعد أن تناوله (مهلهل) بالرمح . وكان (ابن حاتم) أغار على (بني تغلب) مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلاً . وفيها يقول مهلهل :

لما توعر في الكلاب هجينهم هلهلتُ آثار جابراً أو صنبلاً

و (امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمام بن معاوية) ، أو (امرؤ القيس بن حارثة بن خذام بن معاوية) على رواية أخرى ، أو (ابن خذام) ، أو (ابن خذام) ، هو شاعر سبق (امرؤ القيس) الكندي في البكاء على الديار وتذكر الأطلال ، استتجوا ذلك من شعر ينسب لامرئ القيس ، هو :

يا صاحبي قفا النواعج ساعة نبكي الديار كما بكى ابن حاتم

أو (ابن خذام) في رواية (أبي عبيدة) .

ومن بيت آخر هو :

عوجا على الطلل المحيل، لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام^١

وابن (خذام) ، و (ابن حاتم) ، و (ابن حزام) و (ابن خذام) ، اسم الشاعر ، وهو اسم واحد، تحرف بالرواية وبالنسخ ، فصار على هذه الصور .

ومن شعراء ربيعة (سعد بن مالك) ، الذي يقول :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراجوا^٢

١ الخزانة (٢٣٥/٢) ، (بولاق) .

٢ الشعر والشعراء (٦٨/١ وما بعدها) ، المزهري (٢٣٨/٢) ، عوجا على الطلل المحيل ، لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام الأمدى ، المؤتلف (١٠٩) ، ديوان امرئ القيس (١١٤) ، المزهري (٤٧٧/٢) ، بروكلمن (٦٠/١) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٧/٢) .

قال هذا البيت في قصيدة يعرض فيها بـ (الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) من حكام (ربيعة) وفرسانها المعدودين ، وكان اعتزل حرب (بني وائل) وتنحى بأهله وولده وولد اخوته وأقاربه ، وحل وتر قوسه ، ونزع سنان رمحه ، ولم يساهم في الحرب التي هاجت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وهي حرب البسوس :

وسعد ، هو (سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل) . وكان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية . وكان شاعراً ، وله أشعار جياذ في كتاب بني قيس بن ثعلبة^١ . وفي رواية تنسب الى (دغفل) النسابة انه كان جد (طرفة بن العبد)^٢ . وطرفة ، هو : (عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة)^٣ ، واذا أخذنا بهذا النسب نرى ان (سعد بن مالك) ، هو جد (العبد) والد (طرفة) . واذا أخذنا برواية من جعل نسب الشاعر (عمرو بن قيثة) على هذه الصورة : (عمرو بن قيثة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة) ، فيجب عدّه ابناً من أبناء (سعد بن مالك) ، أما اذا اعتبرنا نسبه على هذه الصورة : (عمرو بن قيثة بن ذريح بن سعد بن مالك) ، فنكون بذلك قد جعلناه حفيداً له ، ويكون (ذريحاً) ابناً من أبناء هذا الشاعر^٤ .

ويظهر من نسب المرقش الأكبر ، وهو (ربيعة بن سعد بن مالك) ، ويقال : « بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة »^٥ ، أنه كان ابناً ، لسعد بن مالك ، الشاعر الذي نتحدث عنه ، وإذا ذهبنا مذهب من يقول ان المرقش الأصغر كان أخاً للمرقش الأكبر ، فيكون بذلك ابناً من أبناء (سعد ابن مالك) ، وأما إذا أخذنا برواية من يذكر أنه كان ابن أخي المرقش الأكبر ، وانه (عمرو بن حرملة) ، أو (ربيعة بن سفيان) فيكون ابن ابن (سعد بن

١ الخزانة (٢٢٣/١) وما بعدها .

٢ ذيل الامالي (ص ٢٦) .

٣ شرح القصائد العشر (ص ٩) ، (اخراج محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٤ راجع نسبه في الخزانة (٢٥٠/٢) وفي المراجع الاخرى التي ذكرتها في أثناء حديثي عنه .

٥ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، (دار الثقافة) .

مالك) ، أي حفيده ، ويكون المرقش الأكبر عمه إذن ، ويكون بيت (سعد
ابن مالك) من البيوت التي عرفت بالشعر .

وروي أن الشاعر (خرز بن لوزان) السدوسي ، كان قبل امرئ القيس .
وقد نسب بعض أهل الأخبار له قوله :

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

ونسب هذا الشعر لغيره من الشعراء^١ .

ونسب له قوله :

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي
لا تذكرني مهري وما أطعمته فيكون لونك مثل لون الأجر

وكانت له فرس اسمها ابن النعامة ، ورد ذكرها في هذا الشعر^٢ .

ويجب أن نضيف إلى الشعراء المتقدمين شاعراً يظهر من روايات أهل الأخبار،
أنه لم يكن من فحول الشعراء ، ولا من أوساطهم وإنما كان «شويعرأ» ، ولذلك
عرف بـ (الشويعر) . ويذكر أهل الأخبار أنه كان أحد من سمي (محمداً)
في الجاهلية ، وهم سبعة ، واسمه الكامل : (محمد بن حران بن أبي حران) .
وهو قديم^٣ . كان (امرؤ القيس) أرسل إليه في فرس يبتاعها منه ، فأبى
فقال فيه :

أبلغا عني الشويعر اني عمد عين قللتن حربما

وحربم ، هو جد الشويعر^٤ . فقال الشويعر مخاطباً امرأ القيس :

أتني أمور فكذبتهما وقد نيت لي عاماً فعاما
بأن امرئ القيس أمسى كشييا على آله ما ينوق الطعاما

-
- ١ ونسب لعبدالله بن الزبيري الخزاعة (٢/٢٣١ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٨٣/٩) ، (نعم) .
 - ٣ المؤلف (١٤١ وما بعدها) ، (٢٠٨) ، (فراج) .
 - ٤ البيان (١٠/٢) ، الأمدى ، المؤلف (١٤١) .

لعمري أليك الذي لا يهان · لقد كان عرضك مني حراما
وقالوا : هجوت ، ولم أهجه · وهل يجدن حاج فيك مراما

وذكر الشاعر (ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم) ، بعد مهلهل في تقصيد
القصاصد ، وهو (عمرو بن تميم) ، وهو من تميم ، قيل انه كان شاعراً قديماً ،
وهو الذي يقول :

يا كعب إن أباك منحلق إن لم تكن بك مرة كعب

وهي أبيات قديمة يقول فيها :

جانبك من يجني عليك وقد تعدي الصحاح مبارك الجرب^٢

والأضبط بن قريع ، هو (الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن
زيد مائة بن تميم) ، فهو من (بني تميم) . وقد عدّ في المعمرين^٣ . وقد
أورد (الجاحظ) له شعراً منه :

لكلّ همّ من الهموم سعة · والمسيّ والصبح لا فلاح معه
فصلّ حبال البعيد إن وصل الـ · حبل وأقصّ القريب إن قطعه
وخذ من الدهر ما أتاك به · من قرّ عيناً بعيشه نفعه
لا تحقرن الفقير علّك أن · تركع يوماً والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله · ويأكل المال غير من جمعه^٤

وقد روي الشعر على هذا النحو :

يا قوم من عاذري من الخدعه · والمسي والصبح لا فلاح معه
فصلّ حبال البعيد إن وصل الحبل ، وأقصّ القريب إن قطعه

-
- ١ · تاج العروس (٣٠١/٣) ، (شعر) ·
 - ٢ · الاشتقاق (١٢٤) ، المزهرة (٤٧٧/٢) ·
 - ٣ · السجستاني ، (٨) ، البيان والتبيين (٣٤١/٣) ، الأغاني (١٥٤/١٦) وما
بعدها ، الأماشي (١٠٧/١) ، الخزائن (٥٨٩/٤) ، المثل السائر (٢٦/١) ،
مجالس ثعلب (٤٨٠) ·
 - ٤ · البيان والتبيين (٣٤١/٣) ·

واقنع من العيش ما أتاكَ به من قرّ عيناً بعيشه فقعه
قد يجمعُ المالَ غيرَ آكله ويأكلُ المالَ غيرَ من جمعه
لا تهينَ الفقيرَ علّك أن تخشعَ يوماً والدهر قد رفعه^١

وقد أورد هذا الشعر القالي في أماليه عن (ابن دريد) عن (ابن الأنباري)
عن ثعلب . وقد قال ثعلب : انه قيل قبل الاسلام بدهر طويل . ورواه أيضاً
(ابن الأعرابي) ، والجاحظ ، وصاحب الحماسة البصرية ، والشريف في حماسه ،
وابن قتيبة في كتاب الشعراء وصاحب الأغاني وغيرهم ، بتقديم بعضها على بعض
وطرح أبيات منها^٢ .

وقال (السيوطي) : « عزاه ابن الأعرابي في نواتره للأضبط بن قريع من
أبيات هي :

لكلّ ضيق من الأمور سعة - والمسي والصبح لا بقاء معه
لا تهين الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
وصل حبال البعيد إن وصل الـ . حبل واقص القريب ان قطعه
واقبل من الدهر ما أتاكَ به من قرّ عيناً بعيشه فقعه
قد يجمع المالَ غيرَ آكله ويأكلُ المالَ غيرَ من جمعه
ما بال من غيّه مُصيّك لا تملك شيئاً من أمره قدعه
حتى إذا انجلت عمايته أقبل يلحي وغيّه فجعه
أذودُ عن نفسه ويخدعني يا قوم من عاذري من الخدعه

قيل إن هذه الأبيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل . وقال في الحماسة البصرية
هي للأضبط بن قريع السعدي من شعراء الدولة الأموية^٣ :

وزعم ان هذا الشعر قيل قبل الاسلام بخمسمائة عام . « فقد نقل الشيخ خالد
في التصريح ان هذا الشعر قيل قبل الاسلام بخمسمائة عام . وكان سبب هذا الشعر

١ الشعر والشعراء (٢٩٨/١ وما بعدها) : الاغاني (١٥٩/١٦) ، اللآلئ (٣٢٦) ،
السمط (٣٢٦) ، بلوغ الارب (١١٨/٣) .

٢ الخزائن (٥٨٩/٤) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٥٣) ، (شواهد عل) : .

على ما في الأغاني عن أبي محم : ان أم الأضيظ كانت عجيبة (عجيبة) بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته : الطموح بنت دارم ، فحارب بنو الطموح قوماً من بني سعد، فجعل الأضيظ يدس اليهم الخيل والسلاح ولا يصرح بنصرهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه . وكان يشير عليهم بالرأي ، فلماذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأروه مع ذلك أنهم على رأيه فقال في ذلك هذه الأبيات . وهو الأضيظ بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقريع ، بضم القاف وفتح الراء ، هو أبو جعفر ، الملقب بأنف الناقة ، وهو جاهلي قديم ^١ .

وكان من فرسان العرب ، وكان أغار على بني الحارث بن كعب ، فقتل منهم وأسر وجدع وخصى ، ثم بنى أطماً ، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء ، فهي اليوم قصبتها ^٢ . وهو شاعر قديم ، يزعم بنو تميم انه أول من رأس فيهم ^٣ .

وروي أنه هو صاحب المثل : « بكل واد بنو سعد » . وهو شبيه بالمثل : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميداني (٨٤/١ ، ٩٤) ، وكان الأضيظ قد تأثر من قومه بني سعد ، فتحول عنهم الى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : « بكل واد بنو سعد » ^٤ ، أو أنه قال : « أينما أوجه ألقى سعداً » .

والمعمر في نظر العرب ، هو من عاش فوق المائة . « ولا تعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً » ^٥ . والعادة عندهم ، أنهم إذا وصلوا الى نهاية حياة المعمر ، ينصبون له مجلس توديع ، يجمعون فيه ولده وآله وأقاربه وسادات قبيلته أحياناً ، ليوصيهم بما حصل عليه من حكم الأيام وتجاربها ، ثم قد يحنمونها بشعر . وهي متشابهة في المعاني ، لأنها في موضوع نصيح وحكم ،

-
- ١ الخزائن (٥٩٠/٤) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٩٨/١) .
 - ٣ تاج العروس (١٧٥/٥) ، (ضبط) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢٩٤/٣) ، الحيوان (٣٥٨/١) ، (١٠٤/٣) ، (٣٩٤/٤) ، البخل (١٨٩) ، الشعر والشعراء (٢٩٨/١) ، أمثال الضبي (٦) ، الأغاني (١٥٤/١٦) ، شرح شواهد ، للسيوطي (١٥٥/١) ، الخزائن (٥٨٨/٤) ، المحبر (١٨٢) .
 - ٥ أمالي المرتضى (٢٣٦/١) .

أما أسلوبها فهو السجع ، الأسلوب المتبع عند الكهان والخطباء ، وهو وسط بين الكلام المرسل وبين الشعر .

و « أوس بن حجر بن معبد بن حزن بن خلف بن نمير بن أسيد بن عمرو » التميمي من شعراء تميم كذلك ، وقد جعله بعضهم من الطبقة الثالثة وقرنه بالخطيئة ونابعة بني جعدة . ذكر أنه كان شاعر بني تميم في الجاهلية غير مدافع ، وكان فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ رأسه . وله ديوان مشروح^١ . وورد عن (أبي عمرو بن العلاء) قوله : « كان أوس فعل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه^٢ . وقال عنه أبو ذؤيب : « وكان أوس عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحمر والسهل ولا سيما للقوس ، وسبق الى دقيق المعاني والى أمثال كثيرة^٣ . وكان شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع^٤ . وكان غزلاً مغرمًا بالنساء^٥ ، وكان قد بلغ الغاية في الصيد والقنص ، يقضي الليل مع الوحش ليصطاد شيئاً منها ، وفي ذلك يقول :

قصي^{*} مبيت الليل للصيد مطعم لأسهمه غاري وباري وراصف^١

ويظهر من الشعر المنسوب اليه ، أنه كان على اتصال بالحضر وبالنصارى ، وقد جاء في شعره بمعان وبتعابير وألفاظ لم يستعملها غيره من الشعراء الجاهليين . فقد ذكر (المهر) والديك والخنزير في شعره ، مثل قوله :

كأن هراً جنيباً عند غرفتها والتف ديك^{*} برجليها وخنزير

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١١٣/١ وما بعدها ، ٣٩٩) ، الموشح (٦٣) ، رسالة الغفران (٢٧٤) .
- ٢ الشعر والشعراء (١٣١/١) ، الاغانى (٥/١٠ وما بعدها) ، الخزائن (٢٣٥/٢) الموشح (٦٣) ، (كان أوس شاعر مضر ، حتى أسقطه النابغة وزهير) ، الشعر والشعراء (١٣٤/١) .
- ٣ الشعر والشعراء (١٣١/١) .
- ٤ الشعر والشعراء (١٣٤/١) .
- ٥ الخزائن (٢٣٤/٢ وما بعدها) ، (يولاق) .
- ٦ ديوان أوس (ص ٧١) ، رسائل الجاحظ (٧٢/١ وما بعدها ، ٧٦) ، (مناقب الترك) .

وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية في بيت واحد ، فقال :

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الصافص بالنمى سفسير

وله أشعار جيدة . « قال الأصمعي : ولم أسمع قط ابتداء مرثية بأحسن من ابتداء مرثيته :

أيتها النفس اجعلي جزءاً إن الذي تحذرين قد وقعا^١

وله شعر في مدح (أبي دليجة) ، وهو (فضالة بن كلدة) . وكان قد جبر كسراً ألم به لما صرعه ناقته ، فأواه وداواه حتى برأ ، فتذكر مته عليه^٢. ومن شعره في مدح (فضالة بن كلدة) :

أريب أديب أخو مازق نقاباً يخبر بالغائب^٣

ولأوس شعر في (حليلة بنت فضالة بن كلدة) التي مرضته وعاونته مع والدها حتى شفي وبرأ . وهو من باب الشكر والحمد^٤.

وورد البيت على هذه الصورة :

نجيح ، مليح ، أخو ماقط نقاب يحدث بالغائب^٥

ولما توفي (فضالة) رثاه (أوس بن حجر) في قصيدة جعلها (أبو الفرج الأصبهاني) : « من فاضل مرثيه اياه ونادرها » . ومما جاء فيها :

الألمي الذي يظن لك الظن من كأن قد رأى وقد سمعا^٦

-
- ١ الشعر والشعراء (١٣٥/١) ، رسالة الغفران (٣٣٩) .
 - ٢ الخزائن (٢٣٦/٢) ، (يولاق) .
 - ٣ ديوان أوس (١٢) ، رسائل الجاحظ (٣٠٢/١) ، (رسائل في نفي التشبيه) ، الحيوان (٦٠/٣) .
 - ٤ الحيوان (٧١/٣) ، الاغاني (٧/١٠) ، البيان والتبيين (٣٢٠/٣) ، ديوان أوس (٢٧) .
 - ٥ تهذيب الالفاظ (١٦٤) .
 - ٦ ديوان أوس بن حجر (٥٣) ، البيان والتبيين (٦٨/٤) ، الحيوان (٥٩/٣) ، الاغاني (٨/١٠) ، رسائل الجاحظ (٣٠٢/١) ، (رسائل في نفي التشبيه) ، رسالة الغفران (٤٥٢) .

وهذا البيت من نفس القصيدة التي قال (الأصمعي) عنها : « لم أسمع قط ابتداء مرثية أحسن من ابتداء مرثيته :

أيتها النفس اجعلي جزءاً إن الذي تحذرين قد وقعا^١

ومن شعر أوس بن حجر ، قوله :

فانقض كالدرى يتبعه نفعٌ يثور نخاله طنباً
ينفخى وأحياناً يلوح كما رفع المشير بكفه لها

وقد علق الجاحظ عليه بقوله : « وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر ، وشريح بن أوس^٢ . وشريح بن أوس ، هو ابن هذا الشاعر ، وقد ذكر الجاحظ له بيتاً يهجو فيه أبا المهوش الأسدي ، وهو من الشعراء المخضرمين^٣ ، وهذا البيت هو :

وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك أير الكلب شيطه الجمر^٤

وقد ذكر (المعري) قصيدة حائية ، ذكر أنها تروى لعبيد مرة ، ولأوس أخرى. وتختلف في رواية المعري في الترتيب عما جاء في الديوان . وما جاء فيها :

قاتلها الله ، تلحاني وقد علمت اني لنفسي لإفسادي وإصلاحني
أن أشرب الخمر أو أرزأ لها ثمناً فلا محالة يوماً اني صاح
ولا محالة من قبر بمحنة أو في ملبع كظهر الترس وضاح^٥

وجاء فيها ذكر (يهودي) ، إذ يقول :

قد نمت عني ، وبات البرق يسهرني كما استضاء يهودي^٦ بمصباح

١ الشعر والشعراء (١٣٥/١) .

٢ الجاحظ ، الحيوان (٢٧٤/٦ ، ٢٧٩) .

٣ الجاحظ ، الحيوان (٢٧٩/٦) ، يروكلمن (١١٢/١) .

٤ الحيوان (٢٦٨/١) ، وورد (ونخله بدلا من وبره) ، (٣١٩/١) .

٥ رسالة الغفران (٢٧٤ وما بعدها) ، ديوان عبيد (٧٥) ، الامالي (١٧٧/١) .

٦ رسالة الغفران (٢٧٦) .

وقد خلط الرواة بين شعر (أوس) و (عبيد بن الأبرص) ، ولكنهم نبهوا على ذلك وأشاروا إليه^١ .

وأوس بن حجر من معاصري الملك (عمرو بن هند) ، وهو تميمي ، قتل أبوه يوم (الحجار) المصادف لسنة (٥٥٤ م) ، وكان مولده بالبحرين ، وقد طاف بشعره نجداً والعراق ، فمدح ملوك الحيرة ونادهم ، ونال شعره شهرة في الصيد والسلاح^٢ ، وله وصف للصحرى والسهول المقفرة ، ولتأنيب المياه المتدفقة من الكهوف التي يكثر حولها ريش النعام^٣ ، ولمسالك البادية^٤ ، والتجاذب والروابي والجبال^٥ ، والرياض^٦ ، كما اشتهر بوصفه للحمير : قال « ابن الأعرابي : لم يصف أحد قط الخيل ، إلا احتاج الى أبي ذؤاد : ولا وصف الحمير إلا احتاج الى أوس بن حجر ، ولا وصف أحد نعاماً إلا احتاج الى علقمة بن عبدة »^٧ . ولأوس شعر وصف فيه ثوراً وحشياً بقوله :

فانصاع كالدرّي يتبعه نقع يثور ، تخاله طنباً^٨

ومن أمثاله السائرة قوله :

فلانكما يا ابني جناب وجدتما كمن دبّ يستخفي وفي الخلق جليجل

وقوله :

ولست بخابئ لفسد طعاماً حذار غد لكل غد طعام^٩

وقد أشار (أوس بن حجر) في شعره الى (المنخل) اليشكري ، الذي اتهم بالمتجرّدة ، فزعم أن النعمان قتله أو حبسه ، ثم غمض خبره ، فلم يعرف

-
- ١ رسالة الغفران (٢٧٤ وما بعدها) ، ابن سلام (٧٦ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلن (١١٢/١) .
 - ٣ غرونبوم (١٧٩ وما بعدها) .
 - ٤ غرونبوم (١٦٢ ، ١٨٣) .
 - ٥ غرونبوم (١٦٣ ، ١٨٤) .
 - ٦ غرونبوم (١٦٦ ، ١٨٦) .
 - ٧ الاغانى (٩٦/١٥) ، غرونبوم (٢٧٧) .
 - ٨ رسالة الغفران (٢٩٨) .
 - ٩ بلوغ الارب (١٠٤/٣) .

أمره ، وضرب المثل به ، فقليل : « حتى يؤوب المنخل » . يقال إن أوساً قال :

فجئت يبيعي مولياً لا أزيده عليه بها ، حتى يؤوب المنخل^١

وإذا صح أن هذا الشعر ، هو من شعر (أوس) حقاً ، وأن (المنخل) هو (المنخل) اليشكري الشاعر لا غيره ، فيجب أن يكون أوس قد عاش بعده ، وأن يكون من المتأخرين عنه .

وإذا كان أوس بن حجر من شعراء مضر ، ومن الوصافين ، فقد كان : (علقمة بن عبده) المشهور بالفحل من شعراء مضر كذلك ، وهو مثل (أوس) من تميم ، وقد اشتهر بوصف النعام . وكان ينادم (الحارث) الأصغر الغساني ، والنعمان أبا قابوس اللخمي ، وكان له أخ اسمه (شأس) ، أسره (الحارث بن أبي شمر) الغساني المذكور مع سبعين رجلاً من تميم ، فأتاه علقمة ومدحه بقصيدة أولها :

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب
إلى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي لكلكلها والقُصُريين وجيب

فلما بلغ هذا البيت :

وفي كل حي قد خبطتُ بنعمة فحق لشأسٍ من نذاك ذَنُوب

فقال الحارث : نعم وأذنية . وفك أسره ومن أسر معه من (بني تميم) . ويقال إن شأساً هو ابن أخي علقمة^٢ .

قيل انه إنما لقب بـ (الفحل) ، لأنه احتكم مع امرئ القيس ، إلى امرأته (أم جندب) لتحكم بينهما في أيهما أشعر ، فقالت: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد ، وقافية واحدة ، فلما قالوا وانتهيا ، حكمت لعلقمة بأنه أشعر من زوجها (امرئ القيس) فغضب عليها وطلقها ، فخلف عليها علقمة ،

١ رسالة الغفران (٣٤٠) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ١٤٧ وما بعدها) ، رسالة الغفران (٣٢٧) .

قسمي بذلك : (الفحل)^١ . وهي اسطورة . وقيل انه لقب بالفحل تمييزاً له عن (علقمة بن سهل) من رھطه ، وكان يعرف بالخصي ، ففرقوا بينهما بهذا الاسم . و (علقمة) الخصي ممن أدرك الإسلام . وكان يكنى (أبا الوضاح) ، وقد أسلم ، وكان شاعراً . وهو القائل :

يقول رجال من صديق وصاحب أراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا
فلا يعلم البانون بيتاً يكنهم ولا يعلم الميراث مني المواليا
وخفت عيون الباكيات واقبلوا الى بالهم قد بنت عنه بماليا
حراساً على ما كنت أجمع قبلهم هنيئاً لهم جمعي وما كنت آليا^٢

ومن شعره في النساء :

فإن تسألوني بالنساء فلأنني بصير بأدواء النساء طيب^٣
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب^٤

ومما ينسب اليه قوله :

وكل حصن وإن دامت سلامته على دعائمه لا بد مهلوم
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم
ومعظم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجه والمحروم محروم
وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشر مرجوم^٥

وقد اشتهر (علقمة) بثلاث قصائد قال فيهن (ابن سلام) : « ولا بن عبدة
ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر »^٥ ، منها قصيدته الميمية التي مطلعها :
هل ما علمت وما استودعت مكتوم^٦

-
- ١ الشعر والنسراء (١٤٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (١١٦) ، الاغانى (١٧٢/٢١) ،
الخزانة (٥٦٥/١) .
 - ٢ الخزانة (٥٦٥/١) .
 - ٣ رسالة الغفران (٣٢٨) ، الشعر والنسراء (١٤٦/١) .
 - ٤ بلوغ الارب (١١٣/٣) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٣١) .
 - ٦ رسالة الغفران (١٤٢) .

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

ويلم أيام الشباب معيشة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى

وقد نسب به بعضهم لابنه : خالد بن علقمة بن عبدة ، ونسبه غيرهم لشعراء آخرين^١ .

وقد ذكر (ابن حجر) في كتابه (الإصابة) اسم رجل دعاه (علي بن علقمة بن عبدة) التميمي ، قال عنه انه ولد (علقمة) الشاعر المشهور الذي يعرف بعلقمة الفحل . وكان من شعراء الجاهلية من أقران امرئ القيس ، ولعل هذا ولد اسمه (عبد الرحمن) ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، فيلزم من ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم ، لأن عبد الرحمن لم يدرك النبي ، وعبد الرحمن هو القائل :

وشامت بي لا يخفي عداوته إذا حماني ساقته المقادير
فلا يغرنك جرّ الثوب معتجراً لاني امرؤ لي عند الجدّ تشمير^٢

وعدّ (العنبر بن عمرو بن تميم) من قدماء الشعراء . وجعل (ابن سلام) قوله :

قد رايتني من دلو ي اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها
أن لا تجيء ملأى بجىء قرابها

من قديم الشعر الصحيح^٣ .

وكان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم ، ممن قالوا الشعر^٤ ، وكذلك (حجر ابن معاوية) آكل المرار^٥ . وقد أورد (الجاحظ) بيتين من الشعر لسعد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ثم قال : « وهذا من قديم الشعر » ، وذكر

-
- ١ الخزائن (١ / ٥٦٣) .
 - ٢ الإصابة (٣ / ١١١) ، (رقم ٦٤٦٠) ، الخزائن (١ / ٥٦٦) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (١١) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (١١) .
 - ٥ البيان والتبيين (٣ / ٣٢٨) .

في موضع آخر انه « من قديم الشعر وصحيحه »^١ .

ومن شعراء تميم : (عبد القيس بن خفاف) (عبد قيس)^٢ البرجمي التميمي
وكان معاصراً لحاتم الطائي ، فأتاه ذات يوم في دماء حملها عن قومه وعجز عنها ،
فأعطاه حاتم مرباعاً له من غارة على بني تميم^٣ .

ويقال انه قال شعراً على لسان النابغة في هجاء النعمان بن المنذر أبي قابوس
ملك الحيرة ، ليؤكد به الى النابغة ، حسداً له ، وقد فعل فعله في هذا الدس
شاعر آخر هو (مرة بن ربيعة) السعدي^٤ .

وينسب له قوله :

قاله فاتقه وأوف بنسره وإذا حلفت ممارياً فتحلل
واعلم بأن الضيف مكرم أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل
والضيف اكرمه فلن ميته حق ولا تك لعنة للتلز
وصل المواصل ما صفالك وده واحرز حبال الخائن المتبدل
واترك محل السوء لا تحلل به وإذ نبا بك منزل فتحول
دار الهوان لمن رآها داره أفرأحل عنها كمن لم يرحل؟
وإذا هممت بأمر شر فأتشد وإذا هممت بأمر خير فاعجل
وإذا أتتك من العدو قوارص فاقصر هناك ولا تقل لم أفعل^٥

ومن شعراء تميم : (عوف بن عطية بن الخرع) التميمي . وكان سيد
قومه يوم (رحرحان) . ذكر (البغدادي) أنه كان له ديوان صغير موجود
عنده^٦ .

١ البيان والتبيين (٣ / ٢٠٠ ، ٣٤١) .

٢ بروكلمن (١١٦ / ١) .

٣ الشعر والشعراء (١ / ٩٩ وما بعدها) ، (النابغة الذبياني) ، الاغاني (٧ / ١٤٥) ،
المفضلية رقم ١١٦ ورقم ١١٧ ، الحيوان (٤ / ٣٧٩) ، المرزباني ، معجم (٣٢٥) ،
الحماسة (١ / ١١٣) ، نوادر أبي زيد (١١٣ وما بعدها ، ١٢٦) ، الاغاني
(١٥٨ / ٩) ، (ساسي) .

٤ بلوغ الارب (٣ / ١٢٥) .

٥ الخزائن (٣ / ٨٣) ، المرزباني (٢٢٦) ، بروكلمن (١ / ١١٨) .

و (سلامة بن جندل) من شعراء تميم ، ويظهر من قصيدة رثا بها (النعمان أبي قابوس) انه عاش بعده . قال عنه (ابن قتيبة) : هو شاعر جاهلي قديم من فرسان تميم المعدودين . وأخوه (أحر بن جندل) من الشعراء والفرسان . وكان (عمرو بن كلثوم) أغار على حي من بني سعد بن زيد مناة ، فأصاب منهم ، وكان فيمن أصاب (أحر بن جندل)^١ . ويدل شعره في رثاء (النعمان) انه مات في عهد قريب من الاسلام . وله ديوان صغير مطبوع ، أكثره في الحماسة والفخر ، مع شيء جميل من الوصف والتشبيه^٢ .

ومن قوله في الشيب :

ولتى الشبابُ وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقب^٣

ومن شعره قوله :

ليس بأسفى ولا اقنى ولا سفلى يعطى دواء قفى السكن مربوب^٤

وكان أحد من يصف الخيل ، فيحسن ، وأجود شعره قصيدته التي أولها :

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب ولى ذلك شأو غير مطلوب^٥

وقد زعم (آلورد) أنه أسلم ، « لأنه ذكر اسم الله : الرحمن : وهذا بعيد الاحتمال . كما ظنه لويس شيخو من أنه كان نصرانياً »^٦ . وقد طبع (شيخو) ديوانه في بيروت سنة (١٩١٠) .

و (طريف بن تميم) العنبري ، من الشعراء الفرسان ، وكانت الفرسان لا تشهد عكاظ إلا مبرقة مخافة الثورة ، وكان طريف لا يتبرقع كما يتبرقعون ،

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٢/١ وما بعدها) ، الاصمعيات رقم ٤٢ ، الخزائن (٨٦/٢) ، بروكلمن (١١٩/١) ، الامالي للقالبي (١٠/١) .
 - ٢ كارلو نالينو (٨٠) ، طبعة « كليمان هوار » في المجلة الاسيوية ، وطبعة « لويس شيخو » في « بيروت » سنة ١٩٢١ م .
 - ٣ الامالي للقالبي (١٨٥/١) .
 - ٤ ذيل الامالي (٢٠٩) ، ابن سلام ، طبقات (١٣١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٩٢/١ وما بعدها) ، الخزائن (٨٦/٢) .
 - ٦ بروكلمن (١١٩/١) .

وكان قد أغار في (بني العنبر) (عائذة) حلفاء لبني (أبي ربيعة بن ذهل) ،
فرماه (حمصيصه بن شراحيل) الشيباني ، فقتله . وهو القاتل :

أو كلما وردت عكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليّ عريفهم يتوسم^١

مفتخراً بشجاعته على أعدائه وعلى الذين كانوا يتعقبون خطاه لقتله ، أخذاً
بالتأثر منه .

و (الأسود بن يعفر بن عبد القيس بن نهشل) النهشلي ، من الشعراء المتقدمين
في الجاهلية . وهو تميمي دارمي ، وقد عدت قصيدته التي أولها :
نام الخلي وما أحس رقادي والهـم محتضر لديّ وسادي .

من أجود الشعر ومن مختار أشعار العرب . وقد عدّه (ابن سلام) في الطبقة
الثانية من طبقات الشعراء^٢ . وقد عرف بـ (ذي الآثار) ، لما كان يتركه
هجاؤه من أثر في المهجوين^٣ . وقد وردت في قصيدته المذكورة شواهد نحوية
وردت في كتب الشواهد، وتعدّ القصيدة من مختار أشعار العرب وحكمها المأثورة .
وكان ينادم (النعمان بن المنذر) ، وابنه الجراح وأخوه حطائط شاعران^٤ ،
وكان يكنى بابنه ، فعرف بـ (أبي الجراح)^٥ .

ومن شعره قوله :

ومن الحوادث لا أبالك انني ضُربَتُ عليّ الأرضُ بالأسداد
لا أهتدي فيها للمدفع تلعة بين العذيب وبين أرض مرادٍ

وفيها يقول :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إباد

-
- ١ أسماء المقتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢١٨ وما بعدها) ، تاج العروس (١٧٨/٦) ، (طرف) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٧٦٨) ، الاغانى (١٢٩/١١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٥٥٣/٢) ، المعارف (٦٤٦ وما بعدها) .
 - ٣ الفضليات (رقم ٥٥ ، و ١٢٥) ، الاغانى (١٤/١٣ وما بعدها) ، (دار الكتب) .
 - ٤ الخزنة (١٩٥/١) ، (بولاق) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٧٦/١) .

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقمة يسيل عليهم ماء القرات يجيء من أطواد
أرض نخيرها لطيب مقلها كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
فلذا النعيم وكلّ ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونقاد^١

وهو جيد العبارة ، ليس بالمكثّر ، يتزع في شعره إلى الحكمة . يكثر التنقل في العرب ، يجاورهم فيدم ويحمد^٢ .

ومن شعر (حطائط) قوله :

أرني جواداً مات هزلاً لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
ذريني أكن للمال ربّاً ولا يكن لي المال ربّاً تحمدي غبه غدا
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية ففي المال عرضي قبل أن يتبددا^٣

والشاعر (عمرو بن قبيّة بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) ، وقيل : (عمرو بن قبيّة بن ذريح بن سعد بن مالك) ، ويكنى (أبا كعب) ، هو من (بني سعد بن مالك) ، رهط (طرفة بن العبد) وهو من (بني قيس ابن ثعلبة) . وكان في عصر (مهلهل بن ربيعة) . وقد نعت بأنه قديم جاهلي . وتزعم (بكر) ، انه أول من قال الشعر وقصّد القصيد ، وذكر انه كان أول من بكى على شبابه . وكان مع (حجر) أبي (امرئ القيس) ، فلما خرج (امرؤ القيس) إلى بلاد الروم يستمد قيصر على بني أسد ، استصحبه ، فات في سفره ذلك ، فسمته (بكر) (عمرأ الضائع) . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

- ١ المحاسن والاضداد (٨٨) ، الشعر والشعراء (١٧٦/١) وما بعدها ، طبقات ابن سلام (١٢٣) ، ويوجد اختلاف في رواية بعض الفاظ هذا الشعر .
- ٢ البخلاء (٦٦ ، ٣٣٩) ، الاغانى (١٣٤/١١) ، الأمدي ، المؤلف (١٦) وما بعدها .
- ٣ الخزّانة (١٩٥/١) وما بعدها .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعلنا^١

وهو ابن أخي المرقش الأكبر ، وخال المرقش الأصغر ، وجد طرفة لأمه .
وذكر أنه عمّر حتى جاوز التسعين ، وقال :

كأنني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار الجام^٢

وذكر (الجاحظ) أنه هو القائل :

شرّكم حاضر وخيركم د رّ خروس من الأرانب بكر^٣

وذكر قبله أبياتاً هي :

ليس طعمي طعم الأنامل إذ قلّص درّ اللقاح في الصبر
ورأيت الإماء كالجئن الباء لي عكوفاً على قرارة قدر
ورأيت الدخان كالودع الأه جن ينباع من وراء الستر^٤

وذكر (ابن قتيبة) ، أن (عمرو بن قتيبة) ، كان من خدم (حجر)
والد (امرئ القيس) ، وأنه بكى لما سار معه الى بلاد الروم ، وقال له :
« غرت بنا » . ولا يعقل أن يكون (عمرو) من خدم (حجر) ، فهو
وإن نشأ يتيماً في كفالة عمه (مرثد بن سعد) ، كما تذكر بعض الروايات^٥ ،

١ المرزباني ، معجم الشعراء (٣ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٦٠) ، (عبد الستار
أحمد فراج) ، الشعر والشعراء (٢٩٢/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٥٨/١٦ وما
بعدها) ، طبقات الشعراء (٥٩) ، المؤلف (٨٦٨) ، الجرجاني (١٢٩) ، البيان
والتبيين (١٨/٢) ، المعمرن للسجستاني (٨٩) ، الخزائنة (٢٤٩/٢ وما
بعدها) ، البيان والتبيين (٢٤١/٣) .

٢ المرزباني ، معجم (٣) ، الشعر والشعراء (٢٩٣/١) ، المرزباني ، معجم (ص
٢٠٠) ، (القدسي ١٣٥٤ هـ) ، بروكلمن (١١٧/١) ، أمالي المرتضى (٤٥/١) .

٣ البخلاء (٢١٤) ، (الحاجري) .

٤ الحيوان (٧٣/٥) ، (عبد السلام هارون) ،

بسر يطعم الارامل إذ قلّص در اللقاح في الصبر

رسائل الجاحظ (٣٥٧/٢) ، (كتاب البقال) .

٥ الشعر والشعراء (٦٠/١) ، (الثقافة) .

٦ الاغانى (١٥٨/١٦) ، البخلاء (٤١٢) ، (الحاجري) .

إلا أن أسرته لم تكن من طبقة وضيعة ، حتى يصبر (عمرو) من خلم (حجر).
بل روي أنه كان عاملاً لحجر^١ .

وورد انه في شعراء ربيعة الذين ابتدأ الشعر بهم قبل أن يتحول في قيس ،
كالمرقشين وطرفة بن العبد والحارث بن حازة^٢ . و (عمرو) هو القائل يكي
شبابه :

لا تغبط المرء أن يقال له أمسى فلان لعمره حكماً
إن يُمَسَّ في خفض عيشه فلقد أنخى على الوجه طول ما سلما
قد كنتُ في مِيعَةٍ أُسرَ بها أَمْنَعُ ضِيمي وأهبط العصا
يا لَهْفَ نفسي على الشباب ولم أفقد به إذ فقدته أمّا^٣

وأورد الجاحظ من شعره قوله :

وأهون كف لا تضيرك ضيرةً يدٌ بين أيدٍ في إزاء طعام
يدٌ من قريبٍ أو غريبٍ بقفرةٍ أتتكَ بها غبراء ذاتُ قِتامٍ^٤

وقد استشهد بيت من شعر نسب إليه ، هو :

ولما رأت سائيداً ما استعبرت لله در اليوم من لامها

والشعر هو :

قد سألتني بنت عمرو عن الأرض التي تنكر أعلامها
لما رأت سائيداً ما استعبرت لله در اليوم من لامها
تذكرت أرضاً بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها^٥

وأما قصة رحيله مع (امرئ القيس) الى قيصر ، ووفاته ، وهو في سفره

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .
 - ٢ طبقات الشعراء ، لابن سلام (٣٤) ، (دار المعارف) ، (١٩٥٢) ، البخلاء (٤١٢) ،
(الحاجري) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (٤) ، (فراج) .
 - ٤ البيان والتبيين (٢٤١/٣) .
 - ٥ الخزائن (٢٤٧/٢ وما بعدها) .

معه ، فجزء من أسطورة سفر (امرئ القيس) الى الروم^١ .
 وكان (عبيد بن الأبرص) شاعر (بني أسد) من المعاصرين لامرئ القيس ،
 وله شعر يخاطبه فيه ، لما أظهره من تهديد ووعد لبني أسد ، ويرد فيه عليه^٢ .
 وقد انجبت (بنو أسد) جملة شعراء . وذكر أنه كان لدة^٣ لـ (عبد المطلب)
 جد النبي ، وأنه مات قبل (عبد المطلب) بعشرين سنة . قتله (المنذر)
 أبو (النعمان بن المنذر)^٤ . وإذا أخذنا بهذه الرواية واعتبرناها صحيحة ، ورجعنا
 الى تاريخ وفاة (عبد المطلب) التي كانت بعد الفيل بثاني سنين^٥ ، وإذا جارينا
 المستشرقين واعتبرنا أن عام الفيل ، يقابل السنة (٥٧٠) للميلاد ، تكون وفاة
 (عبد المطلب) في حوالى السنة (٥٧٨) للميلاد ، فيكون قتل (عبيد بن الأبرص)
 في حوالى السنة (٥٥٨) للميلاد على هذا التقدير . ولكن الذي نعرفه من روايات
 أهل الأخبار أن (عبيد) هذا قد قتله (المنذر بن امرئ القيس) المعروف بالمنذر
 ابن ماء السماء ، الذي تولى الملك في حوالى السنة (٥٠٨) للميلاد وقتل سنة (٥٥٤)
 للميلاد^٦ . فيجب أن يكون مقتل (عبيد) قبل السنة (٥٥٤) للميلاد لا بعدها ،
 على حسب تقدير الرواية السابقة .

وهو (عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم) من (بني ثعلبة بن دودان)
 من (بني أسد) . قال عنه (ابن قتبية) : « وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً
 من المعمرين ، وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس . وهو القاتل لامرئ القيس :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحينا
 أزعمت أنك قد قتلت مراتنا كذباً ومينا^٧

ويجب أن يكون مقتل (حجر) بعد السنة (٥٢٨) للميلاد . وهي السنة التي
 توفي فيها (الحارث) والد (حجر) على غالب الروايات^٨ . ولا نعرف متى

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٧/١) .

٢ الخزانة (٢٢٢/١) وما بعدها ، (بولاق) .

٣ الروض الانف (٥/١) .

٤ تاريخ الطبري (٢٧٧/٢) ، (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه) .

٥ الجزء الثالث (ص ٢١٩) من هذا الكتاب .

٦ الشعر والشعراء (١٨٧/١) ، الخزانة (٣٢٢/١) .

٧ الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٣٤٢ وما بعدها) .

قتل (حجر) على وجه صحيح ، غير أننا نستطيع أن نقول إن حكمه لم يدم طويلاً على (بني أسد) الذين انتهزوا فرصة وفاة (الحارث) وعودة الحكم إلى ملوك الحيرة ، أيام (المنذر بن ماء السماء) الذي أخذ يتعقب آل الحارث ، ليقتلهم ، فناروا على (حجر) وقتلوه .

وذكر أن (المنذر بن ماء السماء) هو الذي قتل عبيداً ، قتله يوم يؤسه . وكان يقتل فيه أول من يطلع عليه . فلما رآه المنذر ، قال له : هلاً كان هذا لعيرك يا عبيد ! أنشدني ، فربما أعجبني شعرك ! فقال له عبيد : حال الجريض دون القريض . قال : أنشدني : أقفر من أهله ملحوب ، فأنشده عبيد :

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فسأله أي قتلة يختار ؟ قال عبيد : أسقني من الراح حتى أتمل ، ثم افصدني الأكحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغرين . والغريان طربالان كان يلطخهما بدماء القتلى يوم يؤسه . وكان بناهما على نديعين له ، وهما : خالد بن فضلة الفقيسي ، وعمر بن مسعود^١ .

وذكر الرواة أن الملك قال لعبيد : أي قتلة يختار ؟ أنشأ يقول :

وخيرني ذو البؤس في يوم يؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها للذي خيرة أنق
سحائب ربح لم توكل ببلدة فتركها إلا كما ليلة طلق^٢

وقد ذكر (ابن قتيبة) أن « قصيدته التي يقول فيها: أقفر من أهله ملحوب ، وهي إحدى السبع » ، هي من أجود شعره^٣ .

-
- ١ الشعر والشعراء (١ / ١٨٨) ، وقد أخطأ « ابن قتيبة » إذ جعل قاتله « النعمان بن المنذر » ، وقد ذهب إلى هذا المذهب أيضاً في كتاب شمس العلوم (الجزء الأول ، القسم الثاني ص ٣٢٠) .
 - ٢ الخزائن (١ / ٣٢٤) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١ / ١٨٨) .

ومن أمثاله السائرة قوله :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا ينجيب
وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

وقوله :

الخبر يبقى وإن طال الزمانُ به والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله :

الخبر لا يأتي على عجلٍ وانشرّ يسبق سيله مطره^١

ويعد (عبيد) في جملة المعمرين ، فقد جعل (ابن قتيبة) عمره أكثر من ثلثائة سنة^٢ ، وجعل (السجستاني) عمره مائتي سنة وعشرين ، ويقال بل ثلثائة سنة^٣ . ولتأييد رأيهم في أنه عاش هذا العمر حقاً ، أوجدوا شعراً زعموا أنه قاله ، هو :

ولتأتين^٤ بعدي قرون جمّة ترعى محارم أيكّة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجري انحسار سعودا
حتى يقال لمن تعرق دهره يا ذا الزمانة هل رأيت عبيدا
مائتي زمان كامل وبضعسة عشرين عشت معمرأ محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئاً وبناء شداد وكان أيسدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بأن أرى داوودا
ما تبتغي من بعد هذا عيشة إلا الخلود ولن تنال خلودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما إلا الإله ووجهه المعبودا

وهو شعر يجعل عمر (عبيد) أكثر من ألف عام ، لا مائتي سنة وعشرين

١ بلوغ الارب (١٠٧/٣) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، الخزانة (٣٢٣/١) .

٣ الخزانة (٣٢٣/١) .

٤ الخزانة (٣٢٣/١) .

ويجعله فيمن ولد قبل الميلاد بزمان . وقد شاء صانعه أن يجعل شاعره من المؤمنين بالله الموحدين ، على نحو ما ترى في البيت الأخير من الشعر المزعوم :

ويجب أن نضيف الى الشعراء المذكورين الشاعر المعروف بـ (مرة بن الرواحي الأسدي) ، أحد بني (حيي بن مالك) . وهو شاعر قديم يقول أهل الأخبار انه كان في عصر (امرئ القيس) ، وان (امرئ القيس) كان يعلم قيامه أشعار (ابن الرواحي)^١ .

وهو القائل :

أشأقتك من فكيتك ادلاجُ وبُتَّ الحبل وانقطع الخلاجُ

من قصيدة طويلة . وقوله :

إن الخليط أجدوا البين وادّجوا وهم كذاك في آثارهم لحج^٢

و (المنقذ بن الطمّاح) الأسدي ، شاعر جاهلي من الفرسان المبدعين . وقد أغار على إبل المنذر بن ماء السماء^٣ . وقد عرف بـ (الجميح) ، وينسب اليه قوله :

يأبى الذكاء ويأبى أن شيخكم لن يعطي الآن من ضربٍ وتأديب^٤

و (عبد يغوث بن صلاة) ، وقيل ابن الحارث بن وقاص بن صلاة بن المعقل) واسمه (ربيعة بن كعب) من شعراء الجاهلية فارس ، سيد قومه من (بني الحارث بن كعب) من اليمن . وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بني تميم وفي ذلك اليوم أسر فقتل . وله قصيدة قالها وهو في أسره أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فالكما في اللوم خير ولا ليا

-
- ١ المرزباني ، معجم الشعراء (ص ٣٨٢) .
 - ٢ المرزباني ، معجم الشعراء (٢٩٤) ، (عبد الستار فراج) .
 - ٣ معجم الشعراء (٣٢٩) ، الاصمعيات (٨٠) ، المفضليات (١٠٩) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٦٨/١) .
 - ٤ المفضليات رقم ٤ من القصيدة ٤ ، بروكلمن (٧٨/١) .

ذكر ان الذي أسره غلام أهوج من (بني عمرو بن عبد شمس) ، فانطلق به اهله ، فقالت له أم الغلام : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم ! فضحكك وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ، والى هذا أشار بقوله :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً^١

وذكر أنه خاطب الشيخة بقوله : أيتها الحرة ، هل لك الى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطي ابنك مائة من الإبل وينطلق بي الى الأهم ، فلاني أخاف أن تتزعني سعد والرباب منه ، فضمن لها مائة من الإبل ، وأرسل الى (بني الحارث) فوجهوا بها اليه فقبضها العبشمي ، وانطلق به الى الأهم ، فقال عبد يغوث :

أأهم يا خير البرية والداً ورهطاً إذا ما الناس عدوا المساعيا

فشت سعد والرباب الى الأهم فيه ، فقالت الرباب : قتل فارسنا ، وهو النعمان بن جساس ، ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه اليهم ، فأخذته (عصمة بن أبير) التيمي ، فانطلق به الى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم ، اقتلوني قتلة كريمة . فقال عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقوني الخمر ودعوني أنوح على نفسي ، فجاءه عصمة بالشراب ، فسقاه ، ثم قطع عرقه الأكحل ، وتركه يتزف ، ومضى وجعل معه رجلين ، فقالا لعبد يغوث : جمعت أهل اليمن ، ثم جئت لتصلحنا ، كيف رأيت صنع الله بك فقال هذه القصيدة :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما يا فما لكما في اللوم خير ولا ليا^٢

ومما جاء في هذه القصيدة قوله :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا عن لساني

وقد ذهب العلماء مذهبين في تفسيره ، منهم من قال : انه أراد افعلوا بي

١ السيوطي ، شرح شواهد (٦٧٦/٢) ، الخزانة (٣١٦/١) ، (بلاق) ، الاغانى (٧٣/١٥) ، زيدان تاريخ آداب اللغة العربية (١٣٦/١ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٣١٤/١) .

خيراً لينطلق لساني بشكركم ، وانكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود لا أقدر على مدحكم ، لأن اللسان لا يشد بنسعة ، ومنهم من قال : أنهم شدّوه بنسعة حقيقة ، بأنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم وكانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : اطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي ، فقالوا : انك شاعر ، ونحذر أن تهجوننا ، فعاهدتهم على أن لا يهجوهم ، فأطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب ، ويسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق ، وربما شدّوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث ^١ .

وكان (عبد يغوث) شاعراً من شعراء الجاهلية ، من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والإسلام ، منهم : اللجلاج الحارثي ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه : مسهر ، فارس شاعر ، وهو الذي طعن (عامر بن الطفيل) في عينه يوم (فيف الريح) ، ومنهم من أدرك الإسلام : (جعفر بن علي بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث) ، وكان شاعراً صعلوكاً ، أخذ في دم فحسب بالمدينة ، ثم قتل صبراً ^٢ .

قال الجاحظ في البيان والتبيين : وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد ، وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما ، فلم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية ^٣ .

ومن الشعراء المعمرين (ذو الاصبع العدواني) ، واسمه (حرثان بن محرث ابن الحارث) أو (حرثان بن الحارث بن عمرو بن عبادة بن يشكر) اليشكري العدواني ، لقب بلذي الإصبع لأن حية نهشته على أصبعه فشلت ، فسمي بذلك . زعم أنه عاش مائة وسبعين سنة ، واستقل هذا العدد (أبو حاتم) ، فجعله ثلاثمائة سنة ، وهو عمر لا بأس به ! وكان أحد حكّام العرب ، وله قصة مع بناته الأربع ، في موضوع الزواج ، وصفات الزوج ، ورغبة المرأة في الازدواج ، روى أن (عبد الملك بن مروان) كان يحفظ شعره ، وأنه سأل رجلاً من

-
- ١ البيان والتبيين (٤ / ٤٥) ، (عبد السلام محمد هارون) ، الخزائن (١ / ٣١٦) .
 - ٢ الخزائن (١ / ٣١٧) ، (بولاق) ، الاشتقاق (٢ / ٢٣٩) .
 - ٣ البيان والتبيين (٢ / ٢٦٨) ، الحيوان (٧ / ١٥٧) ، الخزائن (١ / ٣١٧) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢ / ٦٧٦) .

(عدوان) عن شعره وأخباره ، فلم يعرف من أمره شيئاً، فحط من عطائه ثلاثمائة، زادها في عطاء رجل آخر ، كان يعرف شعره^١ . ومن شعره المزعوم في وصف حاله :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما مسني الكبر
لا أسمع الصوت حتى أستدير له ليلاً وإن هو ناغاني به القمر^٢

ومن شعر (ذي الاصبع) قوله :

جلبتا الخيل من بقران قبا تجوب الأرض فجاً بعد فج

وقوله يذكر عدة من ديارهم :

إن داري بمرهب فبصر فغور فوخدة فالمرار
ولنا منزل برقة لا يسمع فيه تهاذي الأخبار
منزل أحرز الخواضن فيه كل قزم متوج جبار
ثم بالفرع قد نزلنا قبلاً دار صدق قليلة الأقدار
ذات حرز وعزة ونجاة وامتناع من جحفل جرّار
ماؤنا الفيض لا يُعذبنا القيظ ولا التزع بالرشاء المغار^٣

ومن شعره قوله :

لي ابن عمّ على ما كان من خلقٍ مخالفٍ ليّ أقليله ويقلّيني
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا فخالني دونه بل خلته دوني

-
- ١ « حرثان بن السموأل » « حرثان بن محارب » ، « حرثان بن الحارث بن معرث » ، ابن الشجري (٣٦٣/١) . العقد الفريد (٣٢٨/٢ ، ٣٦٣) ، الامالي للقيالي (٢٥٤/١) ، الخزائن (٢٢٢/٣) ، الاغانى (٩١/٣ وما بعدها) ، امالي المرتضى (٢٤٤/١ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٦٣) ، المعرون (٩٠) ، الخزائن (٤٠٦/٢) وما بعدها) ، (بولاق) ، (حرثان بن السموأل) ، اللآلي (٢٨٩) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٣٠/٢) ، الامالي (٩٣/١) .
 - ٢ الخزائن (٤٠٨/٢) ، بولاق ، المؤلف ، للامدي (١١٨) ، الشعر والشعراء (٥٩٧/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الصفة (١٢٣) .

إنكَ الا تدع شتعي ومنقصي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
إني لعمري ما بيتي بلدي غلق على الصديق ولا خيري بمنون
ولا لساني على الأدنى بمنبسط بالفاحشات ، ولا فتكي بمأمون
عني اليكَ فا أمي براعية ترعى المخاض ولا رأيي بمنبون
لا يخرج الكرهُ مني غير مأية ولا ألينُ لمن لا يبتغي ليني

وله قوله :

عذير الحيّ من عدوا ن كانوا حية الأرض
علا بعضهم بعضاً فلم يُرعو على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم حكمٌ يقضي فلا ينقض ما يقضي
إذا ما وكدوا أشبوا بسر الحسب المحض

ومن شعراء (بني يشكر) : (المنخل بن عبيد بن عامر) ، « وهو قديم جاهلي ، وكان يشبب بهند أخت عمرو بن هند » . وذكر انه اتهم بـ (المتجرده) (امرأة النعمان بن المنذر) ، وهو الذي وشى الى (النعمان) بالناطقة ، لما وصف المتجرده ، وكان أيضاً يتهم بامرأة (عمرو بن هند) . وكان جميلاً ، وقد يكون جماله هذا هو الذي أولد هذا القصص المقال حوله من اتصاله بأخت (عمرو ابن هند) ، وبزوجته ، وبزوجة النعمان . ويذكر (ابن قتيبة) ان (عمرو بن هند) قتله ، وانه قال قبيل قتله :

طل وسط العباد قتلي بلا جر م ، وقومي يتجون السخالا
لا رعيتم بطناً خصييا ، ولا زر تم عدوا ، ولا رزأتم قبالا^٢

وهذا الخبر ، يناقض الأخبار التي تذكر انه كان يتهم بالمتجرده ، وانه وشى بالناطقة عند النعمان ، وان (النعمان) خرج يتصيد ، فعمدت الى قيد فجعلت رجلها في احدى حلقتيه ، ورجل المنخل في الأخرى شغفاً به ، وجاء النعمان

١ الشعر والشعراء (٥٩٧/٢ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٣١٨/١) ، المؤلف (١٧٨) ، الاغاني (١٦٦/٩) .

فألفاهما على حالهما ، فأمر بالمنخل فقتل ، فضربت به العرب المثل ، فقال أوس ابن حجر :

فجئت ربيعي مؤلياً لا أزيده عليه بها حتى يؤوب المنخل^١

وقد أشار ذو الرمة الى المنخل بقوله :

تقارب حتى يطمع التأني في الهوى وليست بأدنى من إياب المنخل^٢

وقد ورد اسمه على هذه الصورة في (تاج العروس) : « والمنخل بن خليل الشكري ، كمعظم : شاعر . ومنه لا أفعله حتى يؤوب المنخل . مثل للتأييد ، يضرب في الغائب الذي لا يرجى إيايه ، كما يقال : حتى يؤوب القارظ العتري ، واسمه عامر بن رهم بن هميم . وقال الأصمعي : المنخل رجل أرسل في حاجة ، فلم يرجع ، فصار مثلاً في كل ما لا يرجى »^٣ .

وقد اشتهر بقصيدته :

ولقد دخلتُ على الفتاة الخلد في اليوم المطير
الكاعب الحساء تر فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعته فتدافت مشي القطاة الى الغدير
وعطفته فتعطف كتعطف الظبي الغرير
فترت وقالت : يا منخل ما بجسمك من فتور^٤

ومن المعمرين (معدي كرب) الحميري من آل (ذي رعين) ، روى له شعراً منه :

أراني كلما أفنيت يوماً أتاني بعده يومٌ جديدٌ
يعود بياضه في كل فجرٍ ويأبى لي غيبابي ما يعود^٥

- ١ أسماء المقتالين (المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢٣٩) .
- ٢ ديوانه (٥٠٩) ، الاغاني (١٥٣/١٨) ، أسماء المقتالين (٢٣٩) .
- ٣ تاج العروس (١٣١/٨) ، (نخل) .
- ٤ الشعر والشعراء (٣١٧/١) وما بعدها .
- ٥ أمالي المرتضى (٢٥٣/١) .

و (بشر بن أبي خازم) شاعر جاهلي قديم ، من بني أسد ، شهد حرب أسد وطىء ، وشهد هو وابنه نوفل بن بشر الحلفَ بينهما . وكان في أول أمره يهجو (أوس بن حارثة بن لأم) الطائي ، فأسرتة بنو نيهان من طيء ، فركب (أوس) اليهم فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقته إن قدر عليه ، فوهبوه له ، ثم شفعت له أم أوس ، ففك أسره ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، لأن الهجاء لا يمحى عند العرب إلا بمدح ، يمحو أثره ، في قصة يروونها عن كيفية وقوعه في الأسر^١ .

وروي انه لما طعن ، طعنه غلام من (بني وائلة) بسهم فأثخنه ، وأخذ يجرود بنفسه ، قال قصيدة يخاطب بها ابنته عميرة :

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

وهي قصيدة روى بعض أبياتها الشريف المرتضى في أماليه^٢. وكان بشر قد أغار في مقنب من قومه على (الأبناء) من بني صعصعة بن معاوية ، وكل (بني صعصعة) إلا (عامر بن صعصعة) يدعون الأبناء ، وهم وائلة ، ومازن ، وسلول ، فلما جالت الخيل مرّ (بشر) بغلام من (بني وائلة) فقال له (بشر) استأسر ، فقال له الوائي : لتذهبن أو لأرشقنك بسهم من كنانتي ، فأبى بشر إلا أسره ، فرماه بسهم ، فاعتنق بشر فرسه وأخذ الغلام فأوثقه ، فلما كان في الليل أطلقه بشر من وثاقه وخلقى سبيله ، وقال : اعلم قومك انك قتلت بشراً ، وهو قوله :

وان الوائيّ أصاب قلبي بسهم لم يكن نكساً لغابا^٣

ومن هذه القصيدة قوله :

تسائل عن أبيها كل ركب ولم تعلم بأن السهم صابا
فرجى الخير وانتظري لإيابي إذا ما القارظُ العتري آبا

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٠/١ وما بعدها) ، المفضلية (٩٨) ، أسماء المقتالين (٢١٤) ، المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، رسالة الغفران (١٦٦) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٤١/١) ، الخزنة (٢٦٢/٢) ، مختارات ابن الشجري (٨١ وما بعدها) ، الاغاني (١٠/١١) ، المؤلف (٦٠) .
 - ٣ الخزنة (٢٦٢/٢) ، (بولاق) .

والقارطان من عترة ، يقال لهما خرجا في طلب القراظ يجتنيانه ، فلم يرجعا
فضرب بهما المثل فقالوا : « لا آتيك أو يؤوب القارطان » ، يضرب في انقطاع
الغيبة . وفي هذا المثل قال أبو ذؤيب :

وحى يؤوب القارطان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل^١

وقد رُمي (بشر) بالإقواء في شعره^٢ ، وقد نشر ديوانه^٣ . ومن أمثاله
السائرة قوله :

ألم ترَ أن طول العهد يُسلى وينسى مثلما نسيت جذام

وقوله :

يكن لك في قومي يد يشكرونها وأيدي الندى في الصالحين فروض^٤

وذكر أنه أوصى ابنته بأن تنزي الدمع عليه ، وأن تبكي عليه البكاء الذي
يستحقه ، وكان من عادة أهل الجاهلية ، التأكيد بلزوم البكاء والنوح على الميت ،
ويؤكدون الرصية بفعله ، وفي هذا المعنى قول طرفة بن العبد :

فلن مت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا أم معبد^٥

و (عمرو بن حمزة بن رافع بن حارث) الدوسي ، أحد حكام العرب من
الأزد ، شاعر قديم ، ذكروا أنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة : وذكروا له شعراً ،
قالوا إنه قال فيه أنه جاوز الثلاثمائة من العمر ، وأنه قد كبر ، ولا بد وأن
يأتيه يوم يموت فيه^٦ . وفي رواية أنه وفد على النبي ، وهي خطأ لأنه مات في

١ بلوغ الارب (١٠٥/٣) .

٢ الشعر والشعراء (١٩٠/١) .

٣ نشره الدكتور عزة حسن بدمشق ، سنة ١٩٦٠ م .

٤ بلوغ الارب (١٠٤/٣) وما بعدها .

٥ أمالي المرتضى (٣٤٠/١) وما بعدها .

٦ المرزباني ، معجم (١٧) ، (فراج) .

الجاهلية^١ . وله ولد اسمه (جندب) أسلم ، قتل يوم (أجنادين)^٢ . وذكر أنه الذي كان يقال له : ذو الحكم ، وضربت به العرب المثل في قرع العصا ، لأنه بعد أن كبر صار يذهل فأتخذوا له من يوقظه فيقرع العصا ، فيرجع إليه فهمه .
والله أشار الحارث بن وعله بقوله :

إن العصا قرعت للذي الحكم

ومن شعره الذي قاله في كبره :

أخبر أخبار القرون التي مضت ولا بد يوماً أن أطار لمصرعي^٣

وقد أنجبت (دوس) جملة شعراء ، منهم : (وهب بن عبد الله بن دوس ابن أبي خالد بن زهير) الشاعر في أول الاسلام ، و (جندب بن طريف) الشاعر الذي يقال له ابن الغامدية ، ومنهم : (أبو غنيس) الشاعر ، جاهلي من بني مبدول (مندول ٩)^٤ .

وقد اختلف في (جران العود) النميري ، فذهب (كرنكو) الى انه من شعراء العصر الأموي ، وانه من معاصري عبد الملك بن مروان . وقد نص (البغدادي) على انه شاعر جاهلي من (بني ضنة بن نمر بن عامر بن صعصعة) . واسمه : (عامر بن الحرث بن كلفة) ، وقيل (كلدة) ، وانما سمي (جران العود) لقوله يخاطب امرأته :

عمدت لعود فالتحيت جرانه وللكبس أمضي في الأمور وأنجح
خذنا حذراً يا ضرتي فإني رأيت جران العود قد كان يصلح^٥

وجران العود أحد من وصف القوادة في شعره^٦ . وقد روى (السكري) ديوان هذا الشاعر ، وقد تحدث في ديوانه عن (حمامة نوح) ، وورد فيه شعر

-
- ١ الاصابة (٥٢٦/٢) ، (رقم ٥٨٢١) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٩٦/٢) .
 - ٢ الاصابة (٢٥٠/١) وما بعدها ، (رقم ١٢٢٦) .
 - ٣ الاصابة (٥٢٧/٢) ، (رقم ٥٨٢١) .
 - ٤ الاشتقاق (٢٩٦/٢) .
 - ٥ الخزانة (١٩٨/٤) ، الحيوان (٤٠/١) .
 - ٦ الشعر والشعراء (٦٠٥/٢) وما بعدها .

للرجال ، وكان خدن جران ، وتزوج كل واحد منها امرأتين ، فلقيا منهما مكروهاً^١ . وقد طبع الديوان مع شرح عليه^٢ .

ومن الشعر المنسوب اليه هذا الشعر :

حملن جران العود حتى وضعته بعلياء في أرجائها الجن تعزف

وذكر (المعري) انه ينسب أيضاً (لسحيم)^٣ .

ونجد في شعر ينسب اليه اشارة الى الكتابة والى الوشوم ، تكون بأيدي الروم ،
إذ يقول :

تُرْكَنَ برجلة الروحاء حتى تنكرت الديارُ على البصير
كوحى في الحجارة أو وشوم بأيدي الروم باقية النشور^٤

وذكر (الجاحظ) له قوله :

وكان قزادي قد صحا ثم هاجه حائم ورق بالمدائن هُتِف
كأن الهديل الظالع الرجل وسطها من البغي شريب يغرد مترف^٥

وله شعر في وصف (الذئب)^٦ ، وفي أصوات الطيور والحمام وبقية الحيوانات^٧ ،
وفي الطيرة ، إذ يقول :

جرى يوم رحنا بالجمال نرفهها عقابٌ وشحاج من البين يبرح
فأما العقاب فهي منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح^٨

وقد أورد (الجاحظ) له أشعاراً نثرها في كتابه (الحيوان)^٩ .

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٠٥/٢) .
 - ٢ بروكلمن (١١٦/١) .
 - ٣ رسالة الفقران (٢٧٧) .
 - ٤ الحيوان (٤٠/١) .
 - ٥ الحيوان (٢٠٩/٢) .
 - ٦ الحيوان (٢١٣/٢) .
 - ٧ الحيوان (٢٩٧/٢) ، (٢٤٠/٣) .
 - ٨ الحيوان (٤٤١/٣) .
 - ٩ الحيوان (٣٨٦/٧) .

وقد وصف نفسه وعشيقته بقوله :

فأصبحَ من حيث التقينا غدية سوار وخلخال ومرط ومُطرف
ومقطعاتٌ من عقود تركنها كجمر الغضا في بعض ما تتخطف^١

ونجد شعره شعراً حضرياً ، فيه ذكر البقل ، كما في هذين البيتين :

فلنا سقاطاً من حديث كأنه جتى النحل أو أبكار كرم يقطف
حديثاً لو أن البقل يُولى بمثله زها البقل واخضر^٢ العضاء المصنف^٣

ومن شعراء الجاهلية : (الحادرة) الديباني ، وهو (قطبة بن أوس بن محصن ابن جربول) من (بني ثعلبة بن سعد) الغطفاني ، وهو شاعر جاهلي مجيد مقل ، كان يهاجي (زبان بن سيار) الفزاري ، وقد بقيت أشعاره القليلة برواية (أبي عبدالله) اليزيدي ، المتوفى سنة (٨٣١٠هـ)^٤ . وكانت له صاحبة اسمها (سمية) تغزل بها في شعره :

بكرت سمية غسلوة فتمتعـ وغدت غلوةً مفارق لم يربع^٥

ومن شعراء الجاهلية : (سويد بن عامر) المصطلق . ينسب له قوله :

لا تأمنن وإن أمسيت في حرمٍ إن المنايا بكفني كل انسان
واسلك طريقاً تمشي غير تمشع حتى تبيّنَ ما يمني لك الماني
فكل ذي صاحب يوماً يفارقه وكل زادٍ وإن أبقيته فان
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان^٥

ونسب البيت الأول والثاني والرابع الى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها:

١ البخله (٢٣٣) .

٢ البيان والتبيين (٢٨١/١) .

٣ رسالة الغفران (٢٨٢) ، الاغانى (٨٢/٣ وما بعدها) ، بروكلمن (١١٠/١) ،
البيان والتبيين (٣٢٠/٣) ، الحيوان (٤٧٥/٣) .

٤ رساله الغفران (٢٨٢ ، ٤٠١) .

٥ أمالي المرتضى (٣٦٨/١) .

يا دارُ أعرفها وحشاً منازلها بين القوائم من رهط قائلان

مع اختلاف في روايتها وترتيبها^١ .

ومن شعراء خزاعة : (مطرود بن كعب) الخزاعي ، له شعر في رثاء عبد
المطلب بن عبد مناف ، أوله :

يا أيها الرجل المحول رحله	ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت عليهم	ضمنوك من جوع ومن أقراف
الآخذون العهد من آفاقها	والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياحُ تناوحت	ورجال مكة مستنون عجاف
والمفضلون إذا المحول ترادفت	والقائلون هكُم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم	حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت	فالمُحُ خالصة لعبد مناف ^٢

ومن شعراء هذيل (أبو كبير) . وهو (عامر بن الحليس) ، وقيل (ابن
جمرة) . وهو جاهلي ، تزوج أمّ (تأبط شرأ) ، ثم تركها في قصة يرويها
أهل الأخبار^٣ . قال (ابن قتيبة) : « وله أربع قصائد ، أولها كلها شيء
واحد ، ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك . احدها : »

أزهير هل عن شيبه من مَعْدِل أم لا سبيل الى الشباب الأول

والثانية :

أزهير هل عن شيبه من مقصر أم لا سبيل الى الشباب المدبر

والثالثة :

أزهير هل عن شيبه من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف

-
- ١ أمالي المرتضى (٣٦٨/١) تعليق رقم (١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٢٦٨/٢) ، المرزباني ، معجم (٣٧٥) ، ابن هشام (١١٧/١)
(حاشية على الروض) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٢٣١/١) ، الخزانة (٤٦٦/٣) ، السمط (٣٨٧) ،
رسالة الغفران (٣٣٤) ، ديوان الهذليين (٩٢/٢) .

والرابعة :

أزهير هل عن شية من معكم أم لا خلود لباذل متكرم^١

وتنسب له قصيدة فيها :

ولقد سريتُ على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مُهبل
من حُلن به وهنَّ عواقد حُبِّكَ النطاق ، فعاش غير مثقل

ونسبها بعض العلماء الى (تأبط شرأ) ، وتتناول قصة حب ، وقعت بين صاحب القصيدة وامرأة ، كان لها ابن ذكي ، هدها بقتلها إن بقيت تواصل الرجل ، فأشارت المرأة على الشاعر بقتله ، لأنها تحبه ، ولا تريد مفارقتها ، وفضلت قتله على فراق الشاعر ، في قصة جميلة من قصص الحب^٢ . فالقصيدة إذن من الشعر القصصي الذي يتعلق بالحب والغرام .

وقد نسبها بعضهم الى (أبي كبير) ، وجعل الغلام (تأبط شرأ) في قصة طريفة من قصص الحب^٣ .

وقد روي أنه أدرك الإسلام ، ثم أتى النبي ، و فقال له أحل لي الزنا : فقال : أحب أن يؤتى اليك مثل ذلك ؟ قال : لا . قال : فارض لأخيك ما ترضى لنفسك . قال : فادع الله لي أن يذهب عني^٤ . والأصح أنه جاهلي لم يدرك الإسلام .

وللذيل شعر جيد وشعراء مجيدين . وتعد من القبائل المخضبة في الشعر ، ومن شعرائها : (المتنخل) : (مالك بن عمرو بن عُم بن سويد بن حنش بن خناعة) (مالك بن عويمر) من (لحيان)^٥ . اشتهر بقصيدته التي يقول فيها :

١ الشعر والشعراء (٥٦١/٢) ، الحماسة شرح التبريزي (٤٢/١) ، الامالي (٣٢/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٦٢/٢) وما بعدها ، (غير مثقل) ، الخزانة (٤٦٦/٣) .
٣ الخزانة (٤٦٧/٣) وما بعدها ، شرح الحماسة ، للتبريزي (٤٢/١) .
٤ الخزانة (٤٧٣/٣) ، (فقال : أحل لي الربا) ، الاصابة (١٦٥/٤) ، (رقم (٩٦١) .

٥ الشعر والشعراء (٥٥٢/٢) ، الاغاني (١٤٥/٢٠) ، المؤتلف (١٧٨) ، الخزانة (١٣٥/٢) ، السمط (٧٢٤) ، ديوان الهذليين (١٥/٢) .

يا ليت شعري وهم المرء ينصبه والمرء ليس له في العيش تحريز
هل أجزيتمكما يوماً بقرضكما والقرض بالقرض مجزي ومجلوز

• قال الأصمعي : ما قيلت قصيدة على الزاي أجود من قصيدة الشماخ في
صفة القوس ، ولو طالت قصيدة المتنخل كانت أجود^١ . وهو من الجاهليين .
ومن شعره :

لا ينسئ الله منّا معشراً شهدوا يوم الأميلح لا عاشوا ولا مرحوا
عقوا بسهم فلم يشعر له أحد ثم استفاؤا وقالوا : حبذا الوضع

التعقبة : الاعتذار . وأصل هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلته ، فيطلب
القاتل بدمه ، فتجتمع جماعة من الرؤساء الى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم
العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوي قوى أبوا ذلك ، وإلا قالوا لهم :
بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي ، فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون
أن نأخذ سهماً فرمي به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرباً بالدم ، فقد نهينا
عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد ، فقد أمرنا بأخذها ، وحينئذ مسحوا
لحامهم وصالحوا على الدية ، وكان مسح اللحية علامة للصالح . قال الأشعر الجعفي :
عقوا بسهم ثم قالوا : ساهموا ياليتني في القوم إذ مسحوا اللحي^٢

وأورد (المرتضى) له شعراً في رثاء أبيه أو أخيه أوله :

لعمرك ما إن أبو مالك بوانٍ ولا بضعيف قسواه

ومنه :

أبو مالكٍ قاصيرٌ فقره على نفسه ومشيع غناه^٣

ومن شعره في الضيف :

ولا والله نادى الحيّ ضيفي هدوءاً بالمساءة والعلاط

١ الشعر والشعراء (٥٥٢/٢) .

٢ الخزائن (١٣٧/٢) .

٣ أمالي المرتضى (٣٠٦/١) وما بعدها .

سأبدؤهم بمشعة وأنتي بجهدني من طعامٍ أو بساطٍ^١

ومن شعراء (هذيل) : (خويلد بن مطحل) الهذلي ، أحد (بني سهم ابن معاوية) ، وكان سيد هذيل في زمانه ، وابنه من بعده ، (معقل بن خويلد) . وكان شاعراً معدوداً في شعراء هذيل ، ووفد الى أرض الحبشة ، فكلّم ملكهم في من عنده من أسرى العرب ، فأطلقهم له . وهو القائل :

لعمرك لليأس غيرُ المريث خيرٌ من الطمع الكاذبِ
وللريث تحفزه بالنجاسِ خيرٌ من الأمل الخائبِ
يرى الحاضر الشاهدُ المطمئن من الأمر ما لا يرى الغائبُ^٢

وورد في (الإصابة) اسم (معقل بن خويلد بن وائل بن عمرو بن عبد ياليل) الهذلي ، وكان شاعراً ، وكان أبوه رقيق (عبد المطلب) الى أبرة ، وكان بين أبي سفيان وبين معقل بن خويلد ، خلاف في سلب رجل من قریش . فقال النبي : « يا معقل بن خويلد اتق معارضة قریش » . وذكره (المرزباني) في الشعراء المخضرمين^٣ .

ومن بقية شعراء الجاهلية (ذو الخرق) الطهوي ، وهو (دينار بن هلال) . ويقال إن اسمه (قرط) ، وإنما سمي بذی الخرق لقوله :

جاءت عجافاً عليها الريش والخرق^٤

وهو من الشعراء الفرسان^٥ .

و (سراج بن قرة) (سراج بن قرة) العامري ، أحد بني الصموت بن عبدالله بن كلاب من الشعراء الجاهليين . ذكر (المرزباني) في معجم الشعراء له شعراً قاله في يوم من أيام الجاهلية ، وقد نسب على هذه الصورة : (سراج

-
- ١ أمالي المرتضى (٤٩٣/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٥٦/٢) ، ديوان الهذليين (٦٨/٣ وما بعدها) .
 - ٣ الإصابة (٤٢٥/٣) ، (رقم ٨١٣٧) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٦٢/١) .
 - ٥ تاج العروس (٣٢٩/٦) ، (خرق) .

ابن قرة (قوة) بن ربيعي بن زرعة بن الكاهن بن عمرو بن عوف بن أبي ربيعة
ابن الصموت بن عبدالله بن كلاب) . وقد زعم أن له وفادة على النبي ، ولا
يوجد دليل يؤيده^١ .

و (السندري بن يزيد الكلابي) شاعر كان مع علقمة بن علاثة ، وكان
(لييد) الشاعر مع (عامر بن طفيل) ، فدعى لييداً الى مهاجاته فأبى^٢ .

ومن شعراء تغلب في الجاهلية (المهلهل) و (عمرو بن كلثوم) التغلبي ،
(أفنون) التغلبي ، واسمه (ظلم) ، وقيل : (صريم بن معشر بن ذهل بن
تيم بن عمرو بن مالك) التغلبي . يقال انه مات بموضع يقال له (إلهة) بطريق
الشأم ، بلدغة حية ، وان كاهناً كان قد قال له : انك تموت بمكان يقال له
إلهة ، فأت به .

ومما ينسب له من الشعر هذا البيت :

مَنِينَتَا الْوُدَّ يَا مَضْنُونُ مَضْنُونَا أَزْمَانَتَا إِنْ لِلشَّيْبَانِ أَفْنُونَا^٣

وله مقطوعة أولها :

أبلغ حُبيباً وغلّ في سراتهم ان الفؤاد انطوى منهم على حزن
قد كنت أسبق من جاروا على مهلٍ من ولد آدم ما لم يخلعوا رسي
فالوا عليّ ولم أملك فيالتهم حتى انتحيت على الأرساغ والثن
لو أنني كنت من عادٍ ومن إرمٍ ربيت فيهم ولقمان ومن جدن^٤

ذكروا أنه انما عرف بأفنون لقوله من قطعة :

مَنِينَتَا الْوُدَّ يَا مَضْنُونُ مَضْنُونَا أَيَّامُنَا إِنْ لِلشَّيْبَانِ أَفْنُونَا

-
- ١ الاصابة (١٦/٢) ، (رقم ٣١٠١) .
 - ٢ تاج العروس (٢٨١/٣) ، (السندرة) ، ديوان لييد (١٤) ، (مقدمة) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١٤٦/١) ، وقيل اسمه « ظالم » المؤتلف (١٥١) ،
السمط (٦٨٤) ، القاب الشعراء (٣١٧) ، الاشتقاق (٢٠٣/٢) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٤٤/١) وما بعدها ، المفضلية رقم (٦٦) ، الامالي
(٥١/٢) ، أمالي ابن الشجري (٣٧/١) ، البيان والتبيين (٢٣/١) ، الخزائن
(٤٥٥/٤) وما بعدها .

وأنه لما قال له الكاهن تموت بمكان يقال له إلهة ، مكث ما شاء الله ثم سار الى الشام في تجارة ، ثم رجع في ركب من (بني تغلب) فضلوا الطريق ، ثم نزلوا (إلهة) ، قارة بالسماوة ، فلما أتوها نزل أصحابه ، وقالوا : انزل . فقال : والله لا أنزل ! فجعلت ناقته ترتعي عرفجاً فلدغتها أفعى في مشفرها ، فاحتكت بساقه والحية بمشفرها فلدغته في ساقه ، فقال لأخ معه احفر لي قبراً فاني ميت ، ثم رفع صوته بأبيات منها :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقياً
كفى حزناً أن يرحل الحي غدوة وأصبح في أعلى إلهة ثاويًا^١

ومات من ساعته ، فقبره هناك . وهو القائل :

لعمرك ما عمرو بن هند إذا دعا لتخدم أمي امه بموفق^٢
ومن شعراء تغلب : (الأخنس بن شهاب) التغلبي ، فارس المصا^٣ .
وينسب له قوله :

يظل بها ربد النعام كأنها اماء ترجى بالعشي حواطب^٤

وقد قال (الأخنس) في أول القصيدة :

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان في الرق كاتب^٥
وذكر (الأعمى الشفتمري) قبله :

فن يك أمسى في بلاد مقامه يسائل أطلالاً بها ما تجاوب
فلاينة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان في الرق كاتب
وفي جملة أبياتها :

فوارسها من تغلب ابنة وائل حماة كفاة ليس فيها أشائب

-
- ١ الخزانة (٤ / ٤٦٠) ، (بولاق) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١ / ١٥٩ ، ٣٣١ وما بعدها) ، الحيوان (٣ / ١٣٥) ، شرح النقائض (٨٨٦) .
 - ٣ الاشتقاق (٢ / ٢٠٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١ / ١٠٢) ، المفضلية رقم (٤١) ، الموشح (٤٤) .

وعدها ما بين ثلاث وعشرين الى ثلاثين بيتاً ، حسب اختلاف الروايات^١ .
 و (البرج بن الجلاء بن الطائي) من شعراء طيء ، وكان خليلاً للحصين
 ابن الحمام وندمه على الشراب . ذكر أنه وقع على أخت له وهو سكران فافتضها
 فلما أفاق ندم واستكتم ذلك قومه ، ثم أنه وقع بينه وبين الحصين فعيّره بذلك في
 أبيات ، وجرت بينها الحرب ، فأسره (الحصين) ثم منّ عليه لتقدم صداقته ،
 فلحق ببلاد الروم ، وقيل بل شرب الخمر صرفاً حتى قتلته^٢ .

ومن شعراء (طيء) في الجاهلية : (عمرو بن عمار) الطائي ، وكان شاعراً
 خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين
 والجلد والشعر ، شديد العريضة ، قتالاً للندماء ، فنهاه (أبو قردودة) عن
 منادمته ، لكنه لم ينته ، فغضب عليه النعمان وقتله ، فرثاه (أبو قردودة) بقوله :

إني نهيته ابن عمارٍ وقتلت له لا تأمنن أحمر العينين والشعره
 إن الملوك متى تنزل بساحتهم تظر ببارك من يرأنهم شره
 يا جفنة كلزاء الحوض قد هدمت ومنطقاً مثل وشي اليمنة الحبره^٣

وأبو (قردودة) الطائي ، شاعر ، رأى (سعد القرقرة) أكل عند النعمان
 مسلوخاً بعظامه ، فقال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي اللثاب له ظئر وأخوال^٤

وله قصيدة أولها :

كبيشة عيرسي تريد الطلاقا وتسالني بعد وهن فراقا^٥

و (دريد بن الصمة) من سادات (جشم) ، ويكنى (أباقرة) ، وهو
 أحد الفرسان الشجعان المشهورين ، وذوي الرأي في الجاهلية . وشهد معركة (حنين)

-
- ١ الخزانة (١٦٥/٣) ، (بولاق) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٠/١) وما بعدها .
 - ٣ الحيوان (٢٤٣/٤) ، (٣٣٢/٥) ، البيان والتبيين (٢٢٢/١) ، (٣٤٩) ، المرزباني
 معجم (٢٣٦) ، محاضرات الراغب الاصبهاني (٩٢/١) .
 - ٤ الحيوان (١٤٧/١) .
 - ٥ الحيوان (٤٦٣/٥) .

مع (هوازن) ، وهو شيخ كبير ، فقتل مع من قتل من المشركين^١ . وقيل انه قال في هذه المعركة :

يا ليتني فيها جدع أحبُّ فيها وأضع
أقود وطفاء الزممع كأنها شاة صدع

ومن جيد شعره قوله :

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشدَ إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم ، وآنني غير مهتدي
وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وله أشعار أخرى ، ذكر (ابن قتيبة) بعضاً منها^٢ .

وأمه (ربحانة) بنت (معدي كرب) ، أخت (عمرو بن معدي كرب)^٣ .

وله قصيدة في رثاء (معاوية) أخي الخنساء ، مما جاء فيها :

فإن الرزء يوم وقفت أدعو فلم يسمع معاوية بن عمرو
رأيت مكانه فعطفت زوراً وأي مكان زور يا ابن بكر
على ارم وأحجار ومير وأغصان من السلوات سمر
وبنيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
ولو أسمعته لأناك ركضاً سريع السعي أو لأناك يجري
بشكة حازم لا عيب فيه إذا لبس الكفاة جلود نمر
فلما تمس في جدث مقيماً بمسكة من الأرواح قفر
فعر عليّ هلكك يا ابن عمرو ومالي عنك من عزم وصبر^٤

١ الاغانى (٢/٩ وما بعدها) ، الخزانة (٤٤٢/٤ وما بعدها) ، أسماء المغتالين

(٢٢٣) ، المعمر (٢٠) ، ابن هشام ، سيرة (٤٢٩/٢) ، المقرئ ، امتاع

الاسماع (٤٠٢/١) ، عيون الاثر (١٨٨/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٦٣٥/٢ وما بعدها) ، بروكلمن (١٦٤/١) ، كارلو نالينو

(٨٠) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٩٣٨/٢ وما بعدها) .

٤ الخزانة (٤٤٤/٤) .

وقد وصف بأنه شجاع شاعر فحل : « أول شعراء الفرسان ، أطول الفرسان الشعراء غزواً وأكثرهم ظفراً وأبعثهم نقيبة عند العرب وأشعرهم »^١ . غزا نحو مائة غزوة وما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين ولا فضل فيه للحرب ، وانما أخرجوه نيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فقتل على شركه . وكان قد رأس قومه : (مالك بن عوف) ، فلما سأله (دريد) عن خطته في الحرب ، سفه رأيه وأشار عليه بالرجوع فخالفه (مالك) ، فلما التقوا بالمسلمين حلت الهزيمة بهم . وقتل (دريد)^٢ .

وكان (دريد) فارس (غطفان) ، وقتل أخوه (عبدالله) ، فقتل به به (ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب) ، وقال :

قتلت بعبدالله خير لدائه ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب^٣

و (عامر بن الطفيل) من (بني عامر بن صعصعة) من الشعراء الذين أدركوا الاسلام ، وقد وفد على الرسول ، وهو يريد الغدر به ، ثم رجع كافراً فأتى وهو في طريقه الى دياره بالطاعون^٤ . ورد في رواية انه قال للرسول : « تجعل لي نصف ثمار المدينة ، وتجعلني وليّ الأمر من بعد وأسلم ؟ »^٥ . وهو الذي نافر (علقمة بن علاثة) الى (هرم بن قطبة) الفزاري ، حين أهرعته عامر بن مالك ملاعب الأسنة .

وكان فارس قيس ، أعور عقيماً لا يولد له ، ولم يعقب ، مغروراً فخوراً بنفسه : ومن شعره قوله :

فإني وإن كنتُ ابن فارس عامرٍ وسيّدها المشهور في كل موكب

-
- ١ الخزانة (٤٤٦/٤) .
 - ٢ الخزانة (٤٤٦/٤) وما بعدها .
 - ٣ الاشتقاق (١٧٨/٢) .
 - ٤ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر) ، ابن هشام ، سيرة (٣٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الخزانة (٤٧٣/١) ، المعمر (٦٠) ، ابن كثير ، تاريخ (٥٦/٥) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٥٢/١) .

فما سوتفني عامر عن وراثته أبى الله ان أسمو بأب ولا أب
ولكنني أحي حماها ، وأنقي أذاها ، وأرمي من رماها بمنكب^١

وله شعر يفخر به بقومه قيس عيلان ، يجعل الأرض قيس عيلان وحدهم ،
لهم السهول والحزوم ، وقد نال مجدهم آفاق السموات ، ولهم الصحو منها
والغيوم^٢ .

وكان (عامر) شديداً قوياً ، يرى لنفسه الزعامة بفضل قبيلته ، وبقوة
شخصيته ، وتذكر بعض الأخبار انه لما وفد مع (بني عامر) ، كان غليظاً في
كلامه ، حتى ان الرسول امتعض منه ، وكان يستهين أمر الرسول ، ويقول :
« لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقي ، أفأنع أنا عقب هذا الفتي
من قريش ؟ » يقولها لما كانوا يلحون عليه في الدخول في الاسلام . ولما سأل
الرسول أن يجعل له ميزة فيتفق معه على أن يكون هو سيد أهل الوبر ، وان
يكون الرسول سيد أهل المدر ، وأبى الرسول ذلك عليه ، خرج من يثرب
غاضباً مهدداً ، قائلاً للرسول : « لأملأنها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً :
ولأربطن بكل نخلة فرساً » ، مما جعل الرسول يدعو الله أن يكفيه شره . وكان
الرسول يقول : « والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر لزاخوا قريشاً على
منابرهم »^٣ .

وبنو عامر بن صعصعة من القبائل القوية ، وهي من (هوازن) ، وقد كانت
منازلها بنجد ، وقد ساهمت في حروب عبس وذبيان ، فساعدت عبس على ذبيان ،
ولعب عامر بن صعصعة دوراً مهماً فيها .

وقد طبع ديوانه ، طبعه المستشرق (لایل) في سلسلة (جب) التذكارية سنة
(١٩١٣) مع ديوان عبيد بن الأبرص^٤ .

ومن شعراء (بني بارق) : (معقر بن حمار) البارقي ، واسمه (سفيان بن
أوس بن حمار) ، سمي معقراً بقوله :

- ١ الشعر والشعراء (٢٥٣/١) .
- ٢ الشعر والشعراء (٢٥٢/١) .
- ٣ الاغانى (١٣١/١٥) وما بعدها .
- ٤ بروكلمن (١١٧/١) .

له ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

وقوم (معقر) ، وهم (بارق) من اليمن في الأصل ، ينتهي نسبهم بالأزد .
وكانوا قد حالفوا (بني نعيم بن عامر) لدم أصابوه منهم ، وشهدوا يوم
(جبلة) . وهو يوم كانت فيه وقعة بين (بني ذبيان) و (بني عامر) ،
فظهرت (بنو عامر) على (بني ذبيان) . وكان (معقر) من فرسان قومه
ومن شعرائهم يوم (جبلة) وقد حدد ذلك اليوم بوقوعه قبل الإسلام بتسع وخمسين
سنة ، وبتسع عشرة سنة قبل المولد النبوي^١ .

ومن شعره :

الشعرُ لبُّ المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالحصل^٢

ومن شعره المشهور :

فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر^٣

ومن شعراء الجاهلية ، شاعر لا نعرف من أمره شيئاً يذكر ، اسمه : (عمرو
ابن عبد الجن)^٤ ، (عمرو بن عبد الحق)^٥ ، وينسب له قوله :

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبج الرهبان في كل بيعة أبيل الأييلين المسيح بن مريما

١ الخزانة (٢ / ٢٩٠ وما بعدها) ، (ومعقر بن أويس) البارقي ، كحدث ، شاعر .
هكذا نسبته « ابن الكلبي » . ويقال هو : معقر بن حمار البارقي حليف بني نعيم .
وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، تاج العروس (٤١٨ / ٣) ،
(عقر) .

٢ الحيوان (٣ / ٦١ وما بعدها) .

٣ المؤلف (٩٢) ، المرزباني ، معجم (٢٠٤) .

٤ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية ، للعيني (١ / ٥٠٠) ، (حاشية على
الخزانة) ، (بولاق) ، اللسان (١١ / ٦ وما بعدها) ، (أبيل) .

٥ تاج العروس (٧ / ١٩٨) ، (أبيل) ، شيخو ، النصرانية (٢ / ١ ص ١٨٦) .

لقد ذاق منا عامر يوم لعل حساماً اذا ما هز بالكف صمّاً^١

ومن شعراء (قيس) المجيدين في الجاهلية : (خدّاش بن زهير بن ربيعة ابن عمرو بن عامر بن صعصعة) ، قال (أبو عمرو بن العلاء) : « خدّاش ابن زهير أشعر في عظم الشعر ، يعني نفّس الشعر ، من لبيد ، انما كان لبيد صاحب صفات » . وجدّة (عمرو بن عامر) ، يقال له (فارس الضحياء) ، والضحياء فرسه . وفيه يقول :

أبي فارس الضحياء عمرو بن عامر أبى الذم واختار الوفاء على الغدر

ومما يتمثل به من شعره قوله :

ولن أكون كمن ألقى رحالته على الحمار وخطى صهوة الفرس

وقوله :

فإن يك أوس حية مستميتة فدرني وأوساً ، إن رقيته فعي^٢

وذكر أنه كان من الصحابة ، وأنه شهد حيناً مع المشركين ، ثم أسلم بعد ذلك . ويرى (المرزباني) أنه جاهلي لم يدرك الإسلام ، وأغلب أهل الأخب على هذا الرأي . وينسب إليه قوله :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

و (سخينة) قريش . وكانت تعبر بالكثاها من أكلها السخينة^٣ .

ومن شعره :

فيا راكباً أما عرضت فبلغن^٤ عقيلاً إذا لاقيته وأبا بكر
بأنكم من خير قوم لقومكم على أن قولاً في المجالس كالهجر

-
- ١ العيني (٥٠٠/١) ، اللسان (٦/١١ وما بعدها) ، (أبيل) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٤٠/٢) ، المؤلف (١٠٧) ، السمت (٧٠١) ، الخزائنة (٢٣٣/٣) ، (٣٣٨/٤) .
 - ٣ الخزائنة (٢٣٣/٣) ، الإصابة (٤٥٥/١) ، (٢٣٢٧) .

دعوا جانباً إنا سنترك جانباً لكم واسعاً بين اليمامة والظهر^١

و (الحصين بن الحمام) المريّ ، شاعر جاهلي ، وهو من (بني مرة) ،
يعد من أوفياء العرب^٢ . وهو أحد الشعراء المقلّين . « قال أبو عبيدة : وانفقوا
على أن أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة : المتلمس ، والمسيب بن علس ، والحصين
ابن الحمام المريّ »^٣ . وقد أدخله بعضهم في الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام.
وقد احتجوا بإسلامه بما نسب إليه من الشعر من قوله :

أعوذ بربّي من المخزيات يوم ترى النفس أعمالها
وخف الموازين بالكافرين وزلزلت الأرض زلزالها

والأصح أنه جاهلي لم يدرك الإسلام^٤ .

وأما (الفضل بن معشر بن أسحم) ، فهو من (نُكْرَة) من (لكيز) ،
فضلته قصيدته التي يقال لها (النصفه) ، وأولها :

لم ترَ أن جبرتنا استقلوا فنيتنا ونيتهم فريق^٥

وقد ولع بعض العلماء في وضع تواريخ للشعراء المتقدمين ولغيرهم ، تحدّد سني
ميلادهم وسني وفاتهم ، وسني الحوادث التي وقعت في أيامهم والمذكورة في
أشعارهم . وهو ولع لا يستند على أسس علمية . لأن أغلب الروايات الواردة عن
هؤلاء الشعراء هي غير ثابتة ، وقد تتناقض أحياناً ، وقد يثبت بطلانها بعد نقدها
نقداً علمياً ، ثم إن فيها ما هو موضوع مصنوع ظاهر الصنعة ، يبيّن التكلف ،
ولهذا فأنا أحاول جهد إمكانني تجنب نفسي من توريطها في وضع أرقام تمثل

١ الخزانة (٣٣٨/٤) .

٢ الخزانة (٩/١) ، (بولاق) ، الشعر والشعراء (١١٥/١) ، (٥٤٢/٢) ،
الخزانة (٧/٢) ، (٣٥٢/٣) ، الاغانى (١١٨/١٢) ، المؤلف (٩١) ، السمت
(١١٧) .

٣ الشعر والشعراء (١١٥/١) .

٤ الاصابة (٢٣٥/١) ، (١٧٣٢) .

٥ ابن سلام ، طبقات (٧٠) .

مواليد الشعراء الجاهليين أو سني وفاتهم ، أو تواريخ الحوادث المذكورة في شعرهم ، لعدم امكانية التثبت من ذلك ، بل اني أرى لزوم الابتعاد جهد الإمكان من وضع التواريخ لسني حكم الملوك ولسني وفاتهم لصعوبة اثبات ذلك ، والاكتفاء بجهد الإمكان بتقريب أيامهم إلينا بصور تقريبية . ولهذا السبب لم أحفل في هذا الفصل بترتيب الشعراء ترتيباً زمنياً على وفق ما ذهب إليه المولعون بتدوين التواريخ بالسنين ، إذ أرى صعوبة الأخذ بهذا الرأي في التوريج .

الفصل الثامن والخمسون بعد المئة

المعلقات السبع

ومن الشعر الجاهلي قصائد عرفت بين الناس باسم (المعلقات السبع) وبـ (المعلقات) وبـ (المنهبات) وبـ (السموط) ، لزعم الرواة أن العرب اختارتها من بين سائر الشعر الجاهلي ، فكتبتها بماء الذهب على القبايطي ، ثم علقتها على الكعبة إعجاباً بها وإشادة بذكرها ، وقد بقي بعضها إلى يوم الفتح ، وذهب ببعضها حريق أصاب الكعبة قبل الإسلام^١ .

والمعلقات السبع هي سبع قصائد طويلة اختيرت من الشعر الجاهلي ، فعرفت لذلك بين الناس بـ (السبع) وبالسبع الطوال ، وبالسبع الطول ، وبالقصائد المختارة ، وبالسبعيات ، وعرفت أيضاً باختيارات حماد ، وبالسبط، وبالسموط ، وبالمذهبات. ويظهر ان لفظة (السبع) ، هي من الألفاظ القديمة التي أطلقت على اختيارات (حماد) ، فقد ذكر (محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بمجمهرة أشعار العرب : ان أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والناطقة ، والأعشى ، وليد ، وعمرو ، وطرفة . قال : وقال الفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد

١ المزهري (٤٨٠/٢) ، الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٧/١) ، العمدة (٩٦) ، العقد الفريد (١٦٩/٦) .

أبطل^١ . ولما تحدث (ابن قتيبة) عن معلقة (عمرو بن كلثوم) ، قال : « وهي من جيد شعر العرب القديم ، واحدى السبع »^٢ . فالسبع ، تسمية أخذت من حقيقة ان القصائد المذكورة المختارة كانت سبع قصائد .

وأما تسمية المعلقات بـ (السبع الطوال) و (السبع الطوال) ، فلكون هذه القصائد السبعة ، هي من أطول ما ورد في الشعر الجاهلي من قصائد . ونجد هذه التسمية واردة على لسان (المفضل) حيث نسب اليه قوله : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال »^٣ . وقد أطلقها (ابن كيسان) المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) (٩١١)^٤ ، (٣٢٠ هـ) (٩٣٢)^٥ ، على شرحه لتلك القصائد حيث سمّاها بـ (شرح السبع الطوال الجاهلية)^٦ ، وأطلق (أبو جعفر أحمد بن محمد) النحاس (٣٣٨) هذا العنوان عليها ، إذ ذكرها بقوله : « ان حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت معلقة على الكعبة »^٧ ، وأطلقه على شرحه لها^٨ .

وعرفت أيضاً بـ (القصائد السبع) وبـ (القصائد السبع الطوال) وبـ (القصائد)^٩ . وبـ (القصائد التسع) ، وبـ (القصائد التسع المشهورة) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف على القصائد المذكورة قصيدتين أخريين^{١٠} ، وبـ (القصائد العشر) ، وذلك بالنسبة لمن أضاف ثلاث قصائد عليها^{١١} .

ويظهر أن مصطلح (السبع الطوال) ، هو أنسب المصطلحات تعبيراً عن هذه القصائد ، لأنها تمثل في الواقع أطول ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي . فإن عدد أبيات أقصر قصيدة من قصائدها هو (٦٤) بيتاً ، أما عدد أبيات أطول

-
- ١ المزهري (٤٨٠/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٥٨/١) ، (عمرو بن كلثوم) .
 - ٣ الجمهرة (٤٥) .
 - ٤ بلاشير (١٥٥) .
 - ٥ بروكلمن (٧٠/١) .
 - ٦ ياقوت ، ارشاد (١٤٠/٤) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٧/١) .
 - ٧ بلاشير (١٥٥) .
 - ٨ الاغانى (٨/١١) ، (٤٢) ، بلاشير (١٥٥) ، شرح القصائد السبع الطوال (للأنباري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون) ، (القاهرة ١٩٦٢ م) ، (دار المعارف) .
 - ٩ بروكلمن (٦٨/١) .
 - ١٠ شرح القصائد العشر ، للتبريزي ، بروكلمن (٧١/١) .

قصيدة منها ، فهو (١٠٤) ، ومعدل أبيات المعلقة (٨٥) بيتاً^١ .
وعرفت هذه القصائد بـ (القصائد المختارة) لطبيعة كونها قصائد اختبرت
من قصائد الشعر الجاهلي ، وانتخب منه انتخاباً^٢ . ونجد مجموعة أخرى عرفت
بـ « شعر الشعراء الست » ، وهم امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ،
وطرفة ، وعنترة . وقد أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : « مختار شعر
للشعراء الست : امرؤ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة .
وشرحها للأعلم الشتمري »^٣ .

ولم نجد في الكتب التي وصلت إلينا ، الاسم الصحيح الأول الذي أطلقه جامع
هذه القصائد ومختارها عليها . وقد ورد في مقدمة شرح التبريزي (٥٥٠٢) على
(القصائد العشر) : « سألتني - أدام الله توفيقك - أن ألخص لك شرح
القصائد السبع ، مع القصيدتين اللتين أضافهما إليها أبو جعفر أحمد بن محمد بن
إسماعيل النحوي - قصيدة النابغة الذبياني الدالية ، وقصيدة الأعشى اللامية -
وقصيدة عبيد بن الأبرص تمام العشر »^٤ . فيظهر منها أن جملة (القصائد السبع) ،
كانت غالبية على تلك القصائد ، من حقيقة كونها سبع قصائد في الأصل .

ولا نعلم اسم أول من أطلق مصطلح (المعلقة السبع) على هذه القصائد ،
وفي أي وقت أطلقه عليها . ولا يستطيع أحد إثبات ان (حماداً) الراوية هو الذي
أطلقه على متنياته . وقد ذكر (بلاشير) ان (ابن قتيبة) لما تكلم عن قصيدة
(عمرو بن كلثوم) التي تدخل في المعلقة قال عنها انها (احدى السبع المعلقة)^٥ .
وقد رجعت الى النص فوجدته يقول : « وهي من جيد شعر العرب القديم ،
واحدى السبع »^٦ ، ولما كنت لا أملك النسخة الافرنسية لكتاب (بلاشير) ،
لذلك لا أدري اذا كانت تلك النسخة قد استخدمت جملة (احدى السبع المعلقة) ،
كما وردت في الترجمة العربية ، أم ان الترجمة العربية هي التي استعملتها تصرفاً ،

١ Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, p. XX.

٢ (شرح القصائد المختارة للتبريزي) ، السيوطي ، شرح شواهد المغني (١١ / ١) ،
(مقدمة) .

٣ الخزانة (١٠ / ١) ، (يولاق) .

٤ شرح القصائد العشر (ص ٤٥) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٥ بلاشير (١٥٤) .

٦ الشعر والشعراء (١٥٩ / ١) .

وانها لم ترد في النص الأصل . واني أستبعد احتمال أخذ (بلاشير) من نسخة أخرى استعملت جملة (احدى السبع المعلقة) بدلاً من (احدى السبع) الواردة في النص الذي اعتمدت عليه ، المطبوع ببيروت سنة ١٩٦٤ م .

والعلماء مختلفون في القصائد التي تعدّ من المعلقة وفي عددها ، ولكنهم متفقون على خمس منها ، هي معلقة امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم . أما بقيتها ، فمنهم من يعد من بينها معلقة عنتره والحارث بن حلزة ، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى . وقد أضاف بعض العلماء القصيدتين اللتين اختارهما المفضل الضبي ، وهما قصيدتا النابغة والأعشى ، الى المعلقة السبع التي هي من اختيار حماد ، فجعلها تسع معلقة . ويرى (نولدكه) ان لولاء حماد لبكر بن وائل علاقة يَدْخُلُ حماد قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري في جملة المعلقة ، وذلك ان حماداً كان مولى لبكر بن وائل ، وكانت هذه القبيلة في عدااء مع تغلب ، ولما كانت قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي قد لقيت شهرة واسعة ، لم يسع حماد أن يعدل عن اختيارها ، فاخترها ، واختار معها قصيدة الحارث إرضاء لمن انتمى اليهم بالولاء ، مع قلة شهرتها بالنسبة الى القصائد الأخرى^١ .

ونجد في (الفهرست) اسم كتاب ذكر (ابن النديم) انه من مؤلفات (الأصمعي) ، دعاه (كتاب القصائد الست)^٢ . ولهذه التسمية أهمية كبيرة ، لأنها تدل على ان (الأصمعي) ، كان قد اختار من القصائد المعروفة ست قصائد ، وضمها بين دفتي كتاب . ولم يشر (ابن النديم) الى أسماء القصائد الست المختارة ، ولكنني لا أستبعد احتمال اسقاطه قصيدة واحدة من بين القصائد السبع التي اختارها (حماد) ، فصار العدد ست قصائد . كما أشار (البغدادي) الى كتاب دعاه : (مختار شعر الشعراء الست : امرئ القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنتره) ، والى شرحها للأعلم الشنتمري^٣ .

وأشار (السيوطي) أثناء حديثه في مقدمته لكتابه : « شرح شواهد المغني »

1 Brockelmann, I, S. 18, Char. Lyall, Translations of Ancient Arabian Poetry, London, 1885.

2 الفهرست (٨٨) ، (الأصمعي) .

3 خزائن (١٠/١) ، (بولاق) .

الى « شرح المعلقات السبع » ، وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس، وشرح السبع العاليات للكميت ، وشرح القصائد المختارة للتبريزي ^١ . وتلفت جملة : « وشرح السبع العاليات للكميت » النظر ، لأنها جاءت في أثناء تحدث (السيوطي) عن الكتب التي رجع اليها في جمع مادة كتابه ، وفي أثناء تحدثه على المعلقات السبع وما ضم اليها للتبريزي ولأبي جعفر النحاس ، مما يدل على أنه قصد بشرح السبع العاليات للكميت ، قصائد سبعاً مختارة لها صلة بهذه المعلقات السبع ، ولا سيما وقد ذكر بعد هذا الشرح اسم شرح القصائد المختارة للتبريزي ، التي هي المعلقات العشر ، وأنه لم يقصد بالقصائد السبع (الهاشميات) ، (هاشميات) الكميث وهي أيضاً سبع قصائد ، من شعر هذا الشاعر ، عرفت بالهاشميات . ولو كان قصدها بالذات لدعاها باسمها الذي عرفت به ، وهو (الهاشميات) ^٢ ، وإنما قصد كتاباً آخر ، اسمه : (شرح السبع العاليات) ، ولفظه (العاليات) نعت للقصائد السبع . ولم يتحدث السيوطي وبنا للأسف عن هذا الشرح بأي شيء ، فهل يكون الكميث المتوفى سنة (١٢٦ هـ) ، أي قبل (حماد) ، قد اختار سبع قصائد جاهلية وضمها في ديوان عرف بـ (السبع العاليات) وقف عليها (حماد) أو صارت اليه ، فأملأها فنسبت اليه ، على عادة القدماء في ذلك الوقت ، من أخذهم الكتب والروايات القديمة ، ثم أملاها على تلامذتهم ، فنسب اليهم ، فتكون المعلقات اذن من جمع الكميث ، رواية حماد !

وفهم من خبر مذكور في (خزانة الأدب) أن الخليفة (عبد الملك بن مروان) أمر فطرح شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة . ومعنى هذا الخبر هو وجود المعلقات قبل أيام عبد الملك . وفي الكتاب خبر آخر هو أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار ، فساها المعلقات ^٣ ، وفي رواية أخرى : المعلقات الثواني ^٤ . ولم يعين المورد الشخص الذي أمر باختيار تلك الأشعار ، ولا الشخص الذي قام بالاختيار . ولعله قصد الوليد وحماداً ،

- ١ السيوطي ، شرح (١١) .
- ٢ القصائد الهاشميات ، للكميت (مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣٢١ هـ) ، بروكلمن (٢٤٣/١) ، وطبعت بليدن سنة ١٩٠٤ م ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (٣١٦/١) .
- ٣ خزانة الادب ، للبغدادي (٦١/١) .
- ٤ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (١٨٧/٣) .

فاليها ينصرف الذهن ، لما للوليد من ولج بالشعر ، ولما لحماذ من علم به .
ولم يشر (البغدادي) صاحب (خزانة الأدب) الى اسم المورد الذي استقى
منه خبره عن طرح (عبد الملك) شعر أربعة من أصحاب المعلقات ، واثباته
أربعة مكانهم . كما أنه لم يشر الى أسماء أصحاب المعلقات الذين طرحت معلقاتهم ،
ولا الى أسماء الشعراء الأربعة الذين أثبتت قصائدهم مكان القصائد الأربع المطروحة .
وروي أن (معاوية) ، تذكر قصيدة (عمرو بن كلثوم) ، وقصيدة (الحارث
ابن حلزة) فقال « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، من
مفاخر العرب ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرأ »^١ .

والمعروف اليوم ، ان حماداً الراوية ، هو الذي جمع القصائد السبع المذكورة ،
وأذاعها بين الناس . وهو من حفظة الشعر ورواته ومن اشتهروا وعرفوا برواية
الشعر القديم . وكان من المتكسبين بالشعر . وقد اتهم بالوضع وباللس على الجاهليين
وبالكذب عليهم : وهو نفسه لم ينكر ذلك ، ولم يبرئ نفسه من اللس على
الجاهليين والوضع عليهم . ولكنه كان ياجاع أنصاره وخصومه من أفرس الناس
بالشعر ، ومن أعلمهم بالشعر الجاهلي وبطرقه ودروبه وأساليبه ، ولعل علمه هذا
بالشعر ، ورغبته في التفوق والتصدر على أقرانه المتعishين مثله على رواية الشعر ،
كانا في رأس الأسباب التي حملته على الوضع واللس والافتعال .

ووضع (المفضل) الضبي قصيدتي النابغة والأعشى مكان قصيدتي عنزة
والحارث بن حلزة اليشكري في الاختيارات الشهيرة للمعلقات . وضم (أبو جعفر
أحمد بن محمد بن اسماعيل) النحوي قصيدتي النابغة والأعشى على اختيارات (حماد)
فصار العدد تسع معلقات ، أضاف عليها بعض العلماء قصيدة (عبيد بن الأبرص)
فصارت عشرة ، وقد شرحها (التبريزي)^٢ . وجعل بعضهم العدد ثمانية . ولكن
المشهور المعروف بين علماء الشعر الجاهلي انها سبع قصائد : وهي في رأيهم أفضل
ما قيل من الشعر في زمان الجاهلية^٣ .

ولأهل الأخبار قصص وحكايات عن سبب تسمية المعلقات بالمعلقات . فذكر

١ الخزانة (١٦٢/٣) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٨/١) ، شرح التبريزي (٤٥) ، (طبعة محمد
محيي الدين عبد الحميد) .
٣ العقد الفريد (٩٣/٣) ، ابن خلدون (٥٠٩/١) .

(أحمد بن عبد ربه) مثلاً أن العرب كلفت بقصائد خاصة من الشعر الجاهلي وفضلتها على غيرها ، وعمدت الى سيع قصائد تختيرها من الشعر القديم ، فكتبتهم بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها في أستار الكعبة ، فنه يقال : مذهبة أمرىء القيس ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، ويقال لها المعلقات^١ . وورد : يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . وقال (ابن رشيق) : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتكون في خزانته^٢ .

وذهب (السيوطي) هذا المذهب كذلك ، إذ قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه لتكون في خزانته^٣ . وهو رأي أخذ من (ابن رشيق) ، من كتابه (العمدة) . وكتاب العمدة من الموارد التي استقى منها (السيوطي) ، يشير اليه أحياناً ، ولا يشير اليه أحياناً أخرى ، كما هو الحال في هذه الجملة ، التي هي عبارة (ابن رشيق) بحروفها كما جاء في العمدة . وقد توفي (ابن رشيق) سنة (٤٥٦ هـ) .

وزعم بعض آخر أن العرب كانوا في جاهليتهم يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض ، فلا يعبأ به ولا ينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسوه روي ، وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وإن لم يستحسوه طرح وذهب فيما يذهب . وقال « أبو عمرو بن العلاء : كانت العرب تجتمع في كل عام وكاذا تعرض أشعارها على هذا الحي من قريش^٤ . وذهب (ابن خلدون) الى أن العرب

-
- ١ العقد الفريد (١١٦/٣) ، (١١٩/٦) ، (لجنة) .
 - ٢ العمدة (٩٦/١) ، الخزانة (٦١/١) .
 - ٣ السيوطي ، المزهري (٤٨٠/٢) .
 - ٤ خزانة الادب (٦١/١) .

كانوا يعلقون أشعارهم بأركان البيت كما فعل أصحاب المعلقات السبع ، وإنما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من له قدرة على ذلك بقومه وعصيته ومكانه في مضر^١ . وذكر أن « أول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس وبعده علق الشعراء ، وعدد من علق شعره سبعة . ثانيهم طرفة بن العبد . ثالثهم زهير بن أبي سلمى ، رابعهم ليبد بن ربيعة ، خامسهم عنتره ، سادسهم الحارث بن حلزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم . هذا هو المشهور^٢ . وروي عن (معاوية) قوله : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا^٣ . »

وعن (ابن الكلبي) انه قال : « أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر اليه ، ثم أحْدِرَ فعلق الشعراء ذلك بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر ، إلا ان عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة^٤ . ولا بد وأن يكون ظهور قصة التعليق قد حدث قبل أيام (ابن عبد ربه) المتوفى سنة (٣٢٨هـ) ، لورودها في (العقد الفريد)^٥ . (وابن عبد ربه) من معاصري (أبي جعفر أحمد بن محمد) النحاس ، المتوفى بعده بعشر سنوات ، أي سنة (٣٣٨هـ) ، الذي ذكر القصة أيضاً ، لكنه أنكر تعليق المعلقات ، فعنده « أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة^٦ . وذكر أنه قال في شرحه على المعلقات ما نصه : « واختلفوا في جمع القصائد السبع ، وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي » ، وقال أبو جعفر : « وأما قول من قال إنها عُلقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » ، « وهو يستند في رأيه هذا ، إلى أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في الشعر ، جمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال هذه هي

-
- ١ مقدمة ابن خلدون (٥١١) ، (٥٠٩/١) .
 - ٢ الخزائن (٦١/١) .
 - ٣ الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .
 - ٤ الرافعي (١٨٧/٢) .
 - ٥ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٠٦/١) .
 - ٦ ياقوت ، ارشاد (١٤٠/٤) .

المشهورات ! فسميت القصائد المشهورة ^١ .

وقد مشت اسطورة التعليق هذه بين الناس ، حتى صارت رأياً اعتقد به كثير من المحدثين ، الى درجة أن منهم من صار يغضب ويثور إذا قرأ رأياً يخالف هذا الرأي ، لاعتقاده أن في هذا الإنكار غصاً وتعريفاً بأخلد تراث من تراث العرب القديم ، وأن فيه انتقاصاً من قدر الأدب العربي التليد .

وقد تعرض المستشرقون منذ أيام (بوكوك) لموضوع المعلقات ، وقد رأى كثير منهم ان قصة التعليق قصة مصطنعة وان الموضوع مصنوع موضوع . ويرى (نولدكه) ان اختلاف رواة الشعر في ضبط أبيات تلك المعلقات ، دليل في حد ذاته على عدم صحة التعليق ، إذ لو كانت تلك القصائد معلقة ومشهورة وكانت مكتوبة لما وقع علماء الشعر في هذا الاختلاف . ثم يرى سيباً آخر يحمله على الشك في صحة ما يقال عن المعلقات . هو ان كل الذين كتبوا عن فتح مكة مثل الأزرقى وابن هشام والسهيلي وغيرهم وغيرهم ، أشاروا الى ان الرسول أمر بطمس الصور وكسر الأوثان والأصنام ، ولم يشيروا أبداً الى المعلقات ، ولو كانت المعلقات موجودة كلاً أو بعضاً لما غص أهل الأخبار أنظارهم عنها ، ولما سكتوا عن ذكرها ، لأهميتها عند العرب ^٢ .

ثم يرى (نولدكه) ان هذه القصائد لو كانت معلقة حقاً ، وكانت على الشهرة التي يذكرها أهل الأخبار لما أغفل أمرها في القرآن الكريم وفي كتب الحديث وفي كتب الأدب مثل كتاب الأغاني وأمثاله ، ولأشير إليها ، ولهذا يرى ان ما يروى عن المعلقات هو من القصص الذي نشأ عن التسمية وعن اختيارات حماد لها ، فلما أشاعها بين الناس ، أوجد الرواة لها قصة التعليق ^٣ .

وقد استدلل (نولدكه) من عبارة : « وقال المفضل : القول عندنا ما قاله

١ محمد هاشم عطية ، الادب العربي وتاريخه (١٢٤) .

٢ Theodor Nöldeke, Beiträge zur Kenntnliss der Poesie der Alten Araber, Hannover, 1864, S. XVIII f.

راجع وصف دخول الرسول الكعبة ، وأمره بطمس الصور وكسر الأصنام والأوثان، ارشاد الساري (٣٩٣/٦) وما بعدها .

٣ Nöldeke, Beiträge, S. XVII, XX.

بروكلن ، تاريخ الادب العربي (٦٧/١) .

أبو عبيدة في ترتيب طبقاتهم : وهو ان أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات . وهم : امرؤ القيس وزهير والنابعة والأعشى ولييد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد . قال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب بالسموط ، ومن زعم غير ذلك ، فقد خالف جمهور العلماء ^١ ، على ان الأدباء أوجدوا قصة تعليق المعلقات في الكعبة ، نظراً الى ما يقال من تفاخر الشعراء بعكاظ ، وتحكيم المحكمين فيما بينهم ، فرأى رواة الشعر أن يجعلوا المختار من الشعر ، وهو القصائد السبع الطوال سيد الشعر الجاهلي ، ولما كانت مكة ذات قدسية ، وجدوا انها أصلح مكان لأن يربط بينه وبين هذا المختار من عيون الشعر ، فأوجدوا حكاية التعليق ^٢ .

وبين المستشرقين فريق ذهبوا مذهب (نولدكه) في رفض قصة التعليق ، ورأوا أن القصة أسطورة لا أصل لها ولا فصل . وفريق أيد التعليق ، وهم أقلية ، وذهب مذهب المثبتين له من علماء الشعر الجاهلي . أما علماء العربية في أيامنا ، فهم أيضاً بين مؤيد وبين مخالف ، ولكل رأي .

وقد تعرض (الرافعي) لموضوع تعليق المعلقات ، فذهب الى أن قصة التعليق على الكعبة قصة مفتعلة ، وأن (ابن الكلبي) هو الذي ذكر خبر تعليقها على الكعبة ، وأن من عدا ابن الكلبي ممن هم أوثق في رواية الشعر وأخباره لم يذكروا من ذلك شيئاً ، بل جملة كلامهم ترمي الى أن القصائد لم تخرج عن سبيل ما مختار من الشعر ، وأن المتأخرين هم الذين بنوا على خبر التعليق ما ذكروه من أمر الكتابة بالذهب أو بمائه في الحرير أو في القباطي ؛ وأن العرب بقيت تسجد لها (١٥٠) سنة حتى ظهر الإسلام ، تسجد لها كما يسجدون لأصنامهم ^٣ . (وابن الكلبي) على رأيه « هو أول من افترى خبر كتابة القصائد السبع المعلقات وتعليقها على الكعبة » ^٤ .

وتعرض (الرافعي) أيضاً الى رأي من ينكر أن هذه القصائد صحيحة النسبة الى قائلها . مرجحاً أنها منحولة وضعها مثل حماد الراوية ، أو خلف الأحمر ،

Belträge, S. XX.	١
Nöldeke, Belträge, S. XXII.	٢
الرافعي (١٨٦/٢ ، ١٩٢) .	٣
الرافعي (٤١٦/١) ، (١٩٢/٢) .	٤

فرأى أنه رأي فائل ، لأن الروايات قد تواردت على نسبتها ، وتجد أشياء منها في الصدر الأول ، غير أنه مما لا شك فيه أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة ، قل ذلك أو كثر ، أما أن تكون بجملتها مولدة فدون هذا البناء نقض التاريخ^١ .

ولم أجد بين الموارد التي وصلت إلينا من موارد مطبوعة أو مخطوطة مورداً واحداً ذكر أن الرسول حينما فتح مكة ، وأمر بتعطيم ما كان بها من أصنام وأوثان وبطمس ما كان بها من صور ، وجد معلقة واحدة أو جزءاً من معلقة أو أي شعر آخر وجد مكتوباً ومعلقاً على أركان الكعبة أو على أستارها ، كما اني لم أجد في أخبار بناء الكعبة خبراً يشير الى أنهم علقوا المعلقات على الكعبة حينما أشادوها وبنوها من جديد . ولو كانت تلك القصائد قد عُلقت ، لما سكت الرواة عنها وأغفلوا أمرها اغفلاً تاماً . ثم إن أهل الأخبار الذين أشاروا الى الحريق الذي أصاب الكعبة ، والذي أدى الى إعادة بنائها ، لم يشيروا أبداً الى احتراق المعلقات كلها أو جزء منها في هذا الحريق ، ولو كانت موجودة ومعلقة على الكعبة كما زعموا ، لما سكتوا عن ذكر هذا الحدث الهام . ثم اني لم أسمع ان أحداً من حملة الشعر الجاهلي من الصحابة أو التابعين ، ولا غيرهم من رواة شعر الجاهلية وحفظته ، وكلهم كانوا يتلذذون بروايته وبسماعه ، أشار الى وجود معلقات ومذہبات وقصائد سبع مختارة ، ولو كان لهم علم بها لما أخفوا ذلك عن جاء بعدهم أبداً . وتعليق المعلقات قصة ، لا أستبعد أن تكون من صنع (حماد) جامعها ، أو من عمل من جاء بعده ، في تعليل سبب ذلك الاختيار .

وأما ما زعم من أن معاوية قال : « قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقصيدة الحارث بن حلزة ، كانتا معلقتين بالكعبة دهرأ^٢ » ، فخير لا يوثق به .

ومن (السمط) جاءت فكرة تعليق المعلقات . فالسمط : خيط النظم لأنه يعلق ، وقيل قلادة أطول من المخنقة ، والخيط ما دام فيه الخرز ، وجمعه (سموط)^٣ . فالسمط يعلق ، وقد دعيَت القصائد المذكورة بـ (السمط) ، وقالوا

١ الرافعي (١٩٣/٢) .

٢ الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .

٣ اللسان (٣٢٢/٧) .

من ثم بتعليق تلك القصائد ، وتعليقها على الكعبة أو على استارها هو خير مكان يناسب المقام الذي وضعوه لتلك المنظومات .

وتلفت جملة : « وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء ، فقد أبطل » النظر حقاً^١ . فقد استعمل لفظة (السمط) ، فقط ، وقصد بها المعلقات، وهذا الاستعمال يدل على نعت العلماء للقصائد المذكورة بأن كل قصيدة منها وكأنها خيط من اللؤلؤ منظوم يتلو بعضه بعضاً ، وأن تلك القصائد السبع قد اختيرت من بين قصائد الشعر الجاهلي ، وأن من يزيد على ذلك العدد قصيدة ، فقد أخطأ .

وقد روي أن العرب كانت تسمى القصائد الطويلة الجيدة المقلدات والمسمطات^٢ . و « مقلدات الشعر وقلائده البوافي على الدهر »^٣ . « وسمط الشيء تسميطاً علقه بالسموط ، وهي السيور » ، ومن هذا المعنى أخذ اختراع تعليق المعلقات في رأي بعض الباحثين^٤ .

ويذكر علماء اللغة والشعر أن (السمط) من الشعر ، أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات . ويقال قصيدة مسمطة، شبهت أبياتها المقفاة بالسموط . وذكر بعضهم : الشعر المسمط الذي يكون في صدر البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة وتجمعها قافية مخالفة لازمة القصيدة حتى تنقضي . وهو الذي يقال له عند المولدين : الخمس ، والمسيح ، والمثمن . وذكر بعض علماء الشعر أن لامرئ القيس قصيدتان سمطيتان^٥ .

وأرى ان الذي أوحى الى أهل الأخبار بفكرة المعلقات السبع هو ما جاء في القرآن الكريم : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »^٦ ، وما جاء في الحديث من قوله : « أوتيت السبع الطول »^٧ . وقد ذكر علماء التفسير ان (السبع الطول) من سور القرآن : سبع سور ، وهي سورة البقرة وسورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، واختلف في السابعة ، فمنهم من قال السابعة

١ العملة (ص ٩٦) .

٢ البيان والتبيين (٩/٢) .

٣ تاج العروس (٤٧٥/٢) ، (قلد) .

٤ تاج العروس (١٦١/٥) ، (سمط) .

٥ تاج العروس (١٦١/٥) ، (سمط) .

٦ الحجر الآية ٨٧ .

٧ اللسان (٤١٠/١١) .

الأنفال ، ومنهم من جعل السابعة يونس ، ومنهم من قال انها سورة (الفاتحة)
وانها « السبع المثاني » ، لأنها تتألف من سبع آيات^١ . فن السبع المثاني التي قصد
بها السور السبع الطوال المذكورة ، والتي ذكر المفسرون انها خصبت بهذه التسمية
بسبب كونها أطول السور ولاحتوائها على أكثر الأحكام أخذ رواة الشعر في رأيي
فكرتهم في المعلقات السبع ، التي نعتوها أيضاً بـ (الطوال) وبـ (السبع الطوال)
وهو نعت جاء في الحديث وفي كتب التفسير للسبع المثاني ، أي للسور المذكورة ،
إذ عُبِّرَ عنها بـ (السبع الطوال) ، وورد في الحديث : « أُوتيت السبع الطوال » .

ويلاحظ أن علماء الشعر مغرمون بعدد السبعة ، وأن نظام انتقائهم للأشعار
قائم على سبع . فالمعلقات سبع ، ومنتقيات العرب والمذاهب التي للأوس والخزرج
خاصة سبع كذلك ، وعيون المراثي سبع ، ومشوبات العرب وهي التي شابهن
الكفر والإسلام سبع كذلك ، والملحاحات سبع أيضاً . وبمجموع هذه الاختيارات
تسع وأربعون . وهي حاصل هذه المجموعات السبع التي تتألف كل مجموعة منها
من سبعة أشعار^٢ .

وهذا التقسيم السبعي لا بد أن يكون له أساس ، فليس من المعقول أن يكون
اعتباطياً وعلى غير أساس . والمعروف أن التقسيم السبعي ، أو النظام السبعي ،
تقسيم قديم يعود الى سنين طويلة قبل الميلاد ، فالسماوات والأرضون سبع ،
والكواكب السيارة سبعة ، والأنغام الموسيقية سبعة ، وأيام الاسبوع سبعة . والعدد
سبعة هو عدد مقدس عند بعض الشعوب القديمة .
وقد سبق لي أن تحدثت في مجلة المجمع العلمي العراقي عن المعلقات السبع ،
وذكرت الأسباب التي حملت العلماء على تسميتها بالمعلقات .

١ تفسير الطبري (٣٥/١٤ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٥٥٧/٢) ، تفسير
الطبرسي (٣٤٤/٣) .
٢ الرافعي (١٩٠/٣ وما بعدها) .

الفصل التاسع والخمسون بعد المئة

أصحاب المعلقات

أصحاب السبع الطوال ، هم : امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، ولييد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد ، والحارث ابن حلزة البشكري . وهم الذين اختار (حماد) الراوية قصائدهم ، فألف منها اختياراته . وقد رتبهم حسب الترتيب المألوف الذي يرد في دواوين المعلقات ، وإن كان هذا الترتيب يتعارض مع الترتيب الزمني . فليد مثلاً كان من الواجب علينا تأخيرها ، يجعله آخر الشعراء المذكورين ، لأنه أدرك الاسلام ، فهو من المخضرمين ، وبعض منهم كان من اللازم تقديمه ، ليأخذ مكانه المناسب له من الناحية الزمنية ، يجعله في موضع من يؤخر لتأخره في الزمان .

وسأضيف على ما ذكرت الأعشى والنابعة وعبيد بن الأبرص ، مجارة لمن زاد على ذلك العدد شاعراً أو شاعرين أو ثلاثة ، أو طرح منه شاعرين ، ووضع في محلها شاعرين آخرين . كما جرى الحديث عن ذلك حين تكلمت عن المعلقات . وسأبدأ لذلك بالكلام على أولهم ، وهو بإجماع علماء الشعر : امرؤ القيس . وامرؤ القيس ، هو على رأس شعراء الجاهلية في الذكر والشهرة ، وعلى رأس أصحاب (المعلقات السبع) . وقد أوصله أهل الأخبار الى (قيصر) ، وجعلوا له معه حكايات ثم قبروه بـ (أنقرة) الى جانب قبر ابنة بعض الملوك الروم^١ .

١ نزهة الجليس (١٤٧/٢ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح (٢١) ، الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، (بولاق) ، الخزانة (٥٣٢/٣) .

وختموا حياته بخاتمة مؤلة مفاجئة ، وقالوا إنه عرف ب (ذي القروح) ، لأن ملك الروم كساه حلة مسمومة فقرحته^١ ، أو لقوله :

وبدلت قرحاً دائماً بعد صحة لعل منايانا تحوّلن أبوساً^٢

ويرى (بروكلمن) ان قصة موت (امرئ القيس) ، بسبب الحلة المسمومة ، أسطورة تشبه الأسطورة التي حصلت لهرقل البطل اليوناني الشهير^٣ .

ودعوه ب (الملك الضليل) ، و (الملك المضلل)^٤ . وذكروا انه سعى وجدّ لإعادة ملك والده ، ولكنه باء بالفشل ، وكان آخر ما فعله في هذا الباب ، أن ذهب الى (القسطنطينية) لمقابلة (قيصر) لإقناعه بمساعدته في الحصول على حقه ، وتقويته لينتقم من قتلة والده ، وليعيد الحكم الى كندة ، فكان مصيره ان جاءه الموت وهو في طريقه ، على نحو ما تقصّه علينا قصص أهل الأخبار .

وما قصة موته من قروح أصيب بها من لبسه الحلة المسمومة ، إلا أسطورة . ويرى (بروكلمن) احتمال ظهورها من سوء فهم الآيات ١٢-١٤ من القصيدة (٣٠) من ديوانه . ولعل هذه القصة هي التي أوجدت له اللقب الذي لقّب به ، وهو (ذو القروح) . وأنا لا أستبعد احتمال اصابته بدمامل أو بمرض جلدي آخر ، قرحت جلده ، ومات منها ، فعرف لذلك ب (ذي القروح) ، وأوجدت له قصة الحلة المسمومة على نحو ما أوجدته نخيلة أهل الأخبار .

ويذكر أهل الأخبار ان (امرأ القيس) لما احتضر بأنقرة ، نظر الى قبر فسأل عنه ، فقالوا قبر امرأة غريبة ، فقال :

١ المستطرف (٣٥/٢) ، شرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، (بولاق) ، العمدة (٤١/١ وما بعدها ، ٩٧) ، شرح القصائد العشر (٤٦ ، ٧) ، المؤلف والمختلف ، للامدي (٩ وما بعدها) ، قال الفرزدق :

وهب القصائد لي النوايغ اذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول ديوان الفرزدق (٧٢٠ وما بعدها) ، النقائض (٢٠٠ وما بعدها) .

٢ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للششيخ أحمد بن الامين الشنقيطي (ص ٥) (طبعة دار الاندلس) .

٣ بروكلمن (٩٩/١) .

٤ تاج العروس (٤١٢/٧) ، (ضلل) ، الخزانة (١٦٠/١) ، (بولاق) .

أجارتنا إن الخطوب تنوب ولاني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فلان تصلينا فالمودة بيتنا وان تهجرينا فالغريب غريب

وورد في كتاب : مقاتل الفرسان - لأبي عبيدة ، ان صخر بن عمرو الشريد
أخا الخنساء ، قال لما أدركه الموت :

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وكل المخطئين مُصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن ولاني مقيم ما أقام عسيب

ومات فدفن بقرب عسيب . فلعلها تواردا ^١ .

وتذكر قصة ، أن (امرأ القيس) دخل مع القيصر الحمام، فإذا قيصر أقلق ،
فقال :

لاني حلفت يميناً غير كاذبة أنك أقلق إلا ما جنى القمر
إذا طعنت به مالت عمامته كما تجمع تحت الفلكة الوبر

وتذكر القصة ان ابنة القيصر نظرت اليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأتيه، وطبّين
(الطمّاح بن قيس) الأسدي لهما ، وكان حجر قتل أباه ، فوشى به الى الملك،
فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث اليه قيصر بحلة مسمومة ، فتناثر لحمه وتلفظ
جسده . وكان يحمله (جابر بن حني) التغلبي ، فذلك قوله :

فلما تربني في رحالة جابرٍ على حرج كالقر تخفق أكفاني
فيا ربّ مكروب كررت وراءه وعان فككت الغلّ عنه ففداني
إذا المرء لم يحزن عليه لسانه فليس على شيء سواه يحزان^٢

ولم ينس (ابن الكلبي) من ذكر آخر كلمة قالها شاعرنا حين حضرته الوفاة،
فقال إنه قال :

١ السيوطي ، شرح (٧١٥) ، نزهة الجليس (١٤٧/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وطعنة مسحفرة وجفنة متعجرة تبقى غداً بأنقرة

فكان هذا آخر شيء تكلم به ، ثم مات^١ .

ورويت كلماته الأخيرة على هذه الصورة :

رب خطبة مسحفرة وطعنة متعججـره
وجعبة متحيرة تدفن غداً بأنقره

كما روى شعره الذي قاله يخاطب قبراً لامرأة زعم انها من بنات ملوك الروم ،
على هذا النحو :

أجارتنا إن المزارق قريب ولاني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إننا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب^٢

وهكذا نجد الرواة يختلفون فيما بينهم في رواية هذه الأشعار التي صنعت على
لسان الشاعر ، لتكون مادة مقومة للقصة . وكان آخر ما صنعه لإتمام القصة ،
أن أوجدوا له قبراً بأنقرة ، اتخذوه الى جانب قبر منفرد منعزل ، هو قبر إحدى
بنات ملك من ملوك الروم ، أوصاهم به (امرؤ القيس) نفسه لما رأى دنو
أجله . فكانت إلخامة مؤلمة ، وكان الاختيار موفقاً جداً ، فالقبر قبر امرأة ،
وكان صاحبنا متيماً بحب النساء ، وكانت المرأة بنتاً لملك من ملوك الروم ، فهي
من طبقتة ، وتصلح أن تكون جارة له ، وهو ابن ملك ، وكان صديقاً حميماً
لقيصر الروم ، يدخل معه الحمام ، ويراه عارياً تماماً ، أقلف . فابنة ملك من
ملوك الروم ، تصلح لأن تكون له جارة وصاحبة لهذا القبر ، وهكذا قبروا
الاثنتين في قبرين متجاورين .

وقد زعموا أن امرأ القيس كان « مثنائاً لا ذكر له ، وغيوراً شديد الغيرة ،
فإذا ولدت له بنت وأدها ، فلما رأى ذلك نساءه غيبن أولادهن في أحياء العرب ،
وبلغه ذلك فتبعهن حتى قتلهن »^٣ .

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٣/١) ، (الثقافة) ، نزهة الجليس (١٥٣/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .

وزعموا أنه كان مع جلاله ووسامته وحسنه « مفركاً لا تريده النساء إذا جربته . وقال لامرأة تزوجها : ما يكره النساء مني ؟ قالت : يكرهن منك أنك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الازاقة ، بطيء الافاقة . وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك أنك إذا عرقت فمحت بريح كلب ! فقال : أنت صدقتني ، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأة من كندة يقال لها هند ، وكان أكثر ولده منها ^١ .

وترغم قصة أن قيصر وجه معه جيشاً ، ليعاونه على استعادة ملكه ، فوشى به رجل من (بني أسد) يقال له (الطاح) ، فهم بقتله ، وأرسل إليه في أثره بحلة مسمومة مع رجل ، أدخله الحمام وكساه إياها بعد خروجه ، فلما لبسها تنفط بدنه ^٢ . وزعم (الجاحظ) أنه « راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها ، وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله ، فتذم من ذلك ، وأمر بقميص فغمس في السم ، وقال لامرء القيس : لبس هذا القميص فإني أحببت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها ، فسمي ذا القروح . وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك إنه هجاه ، فعندها يقول :

ظلمت له نفسي بأن جئت راغباً إليه وقد سيرت فيه القوافيا
فإن أكُ مظلوماً فقدماً ظلمته وبالصاع يُجزى مثل ما قد جزانيا ^٣

. قال علماء الشعر : كان (امرؤ القيس) ممن يتعهر في شعره ^٤ ، وقد سبق الشعراء الى أشياء ابتدعها : واستحسنها العرب ، واتبعته عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ . وله تشبيهات مستجادة ، واجادة في صفة الفرس ، وفي الوصف ^٥ . « واجتمع عند (عبد الملك) أشراف من الناس والشعراء ، فسألهم عن أرق بيت قالته العرب ، فاجتمعوا على بيت امرء القيس :

-
- ١ الشعر والشعراء (٦٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ نزهة الجليس (١٥٢/٢) .
 - ٣ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٥٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٥٤/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل^١ ،

وقال (أبو عبيدة معمر بن المثنى) : « من فضله ، انه أول من فتح الشعر واستوقف ، وبكى في الدمن ، ووصف ما فيها ، ثم قال : دع ذا - رغبة عن المنسبة - فتبعوا أثره ، وهو أول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والظباء والطير ، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف^٢ .

وقال أبو عبيدة : هو أول من قيد الأوابد ، يعني في قوله في وصف الفرس (قيد الأوابد) فتبعه الناس على ذلك .

وقال غيره : هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال :

منابته مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهو عذب^٣ يفصص

فاتبعه الناس . وأول من قال : « فعادى عداً » فاتبعه الناس . وأول من شبه الحمار (بمقلد الوليد) وهو عود القلّة و (بكرّ الأندري) ، والكر : الحبل . وشبه الطلل (بوحى الزبور في العسيب) . والفرس ببتيس الحلب^٤ .

وأورد له علماء الشعر أشياء ذكروا انه انفرد بها ، ولم يتمكن أحد من مجاراته بها^٥ ، وعابوا عليه أشياء ، دافع عنها بعض العلماء ، وردّوا العائنين عليها . وما عابوه عليه تصريحه بالزنا والديب الى حرم النساء ، وفجوره بالمتزوجات ، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته^٦ . وقد فضله (لبيد بن ربيعة) على جميع الشعراء ، إذ قال : « أشعر الناس ذو القروح ، يعني امرأ القيس » .

وقد ذكر علماء الشعر أبيات شعر لامرئ القيس ، قالوا ان غيره من الشعراء أخذوها أخذاً ، مع تغيير بسيط وأدخلوها في شعرهم ، أو أخذوا أكثر ألفاظها أو معانيها فأضافوها الى شعرهم . من ذلك قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صبحي عليّ مطيتهم يقولون : لا تهلك أسي وتجمل

- ١ الشعر والشعراء (٥٦/١) ، (الثقافة) ، ديوانه (١٣) .
- ٢ الشعر والشعراء (٦٨/١) ، (الثقافة) .
- ٣ الشعر والشعراء (٧٢/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
- ٤ الشعر والشعراء (٧٣/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
- ٥ الشعر والشعراء (٥٠/١) ، (الثقافة) .

أخذه طرفة فقال :

وقوفاً بها صبحي عليّ مطيهم يقولون : لا تهلك أسمى وتجلد

ومثل قول امرئ القيس :

فلأباً بلأبي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة محتب

أخذه زهير ، فقال :

فلأباً بلأبي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظاهراً مفاصله

الى غير ذلك من أمثلة ذكرها (ابن قتيبة) وغيره في مؤلفاتهم عن الشعر والشعراء^١ . إن صحت دلت على ان الشعراء الجاهليين كانوا يحفظون شعر من تقدم عليهم ، وشعر المعاصرين لهم ، وانهم كانوا يتبعونه ويستقصونه ليحفظوه ، ولم يبالوا بعد ذلك اذا أخلوا شيئاً من شعر غيرهم . وهذا يدل أيضاً على ان الشعر الجاهلي كان محفوظاً في الصدور ، يحفظه الشعراء وغيرهم من عشاق الشعر ، الى أن جاء الاسلام فدوّن بالقراطيس .

يقول علماء الشعر لم يتقدم امرؤ القيس الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، أو لأنه كان أول من ابتدأ بالشعر ووضع جادته ومهد سبيله ووضحه لمن جاء بعده من الشعراء ، لكنه سبق إلى أشياء طريقة فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ، لأنه كان أول من لطف المعاني ، ومن استوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيّض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام ، فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه^٢ . وقد ثمن (الباقلاني) شعره بقوله : « وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً أتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذي أبدعه والتشبيه الذي أحدثه والتميح الذي يوجد في شعره والتصرف

١ الشعر والشعراء (٦٩/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (٥٣/١ وما بعدها) .

الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح . وقد ترى الأدباء يوازفون بشعره فلاناً وفلاناً ، ثم هو يؤاخذ الشاعر على عيوب ذكر أنها عوار في معلقته^١ .

ووضع أهل الأخبار (امرئ القيس) في رأس زمرة عشاق العرب والزناة . وذكروا له عشقه لـ (فاطمة بنت العُيَيد بن ثعلبة) العنزية ، وعشقه لـ (أم الحارث) الكلبية ، وعشقه لـ (عنيزة) ، وهي صاحبة يوم (دارة جلجل)^٢ ، ورووا له قصة طريفة حدثت له مع صاحبة يوم (دارة جلجل) ، تبين كيف مكر بابتة عمه (عنيزة) ، فأجبرها على أن تتجرد من لباسها ، لينظر إليها وهي تخرج من الغدير مقبلة ومدبرة ، حتى يتمتع نظره برؤية جسدها العاري ، ثم كيف نحر ناقته ، وشوى لحمها ، وأخذ يطعم به البنات ، وكيف توسل الى ابنة عمه (عنيزة) لتحمله على غارب بعيرها بعد أن ذبح ناقته وشوى لحمها ليتخذ ذلك حجة له في مشاركة (عنيزة) بعيرها . ثم تروي القصة ، كيف أنه صار يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها . ثم تنتهي القصة بذكر الشعر الذي قاله في هذه المناسبة . حيث يقول :

ويوم عقرتُ للعذارى مطيَّتي فيا عجباً من رحلها المتحمِّل
يظل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت: لك الوليات إنك مُرجلي
تقول وقد مال الغيظ بنا معاً : عقرت بعيري يا امرئ القيس فانزل
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ولا تبعدينا من جنالك المعلِّل^٣

وراوي هذه القصة هو (محمد بن سلام) ، سمعها كما يقول من (أبي شفل) راوية (الفرزدق) الشاعر الشهير ، وقد ذكر هذا الراوي أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق ، وذلك لأن (امرئ القيس)

١ اعجاز القرآن (٧٤ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٦٤/١) .

٣ الشعر والشعراء (٦٦/١) ، الثقافة .

كان قد أقام في (بني دارم) رهط الفرزدق حيناً ، حين رأى من أبيه جفوة ،
فن سَمَّ أخذ (الفرزدق) علمه بأخبار (امرئ القيس) وأحاديثه وأشعاره^١ .
ويكثر (امرؤ القيس) من ذكر أسماء المواضع التي نزل بها ، وقد أفادنا
بذلك في معرفة تلك المواضع . وفي جملة ما ذكره موضع (الحص) ، وقد اشتهر
بالخمر . وهو قرية من أسفل الفرات :

كَانَ التَّجَارُ اصْعَدُوا بِسَيْثَةٍ مِنْ الْحَصِّ حَتَّى أَنْزَلُوهَا عَلَى يَسْرٍ^٢

وقوله :

لَمَنْ الدِّيَارُ عَرَفْتُهَا بِسَحَامٍ فَعَمَاتَيْنِ فَهَضْبٌ ذِي أَقْدَامٍ
فَصَفَا الْأَطْيَاطُ فَصَاحَتَيْنِ فَعَاسِمٍ تَمْشِي النَّعَاجُ بِهَا مَعَ الْآرَامِ^٣

وقد ذكر عشرة مواضع من أرض البحرين بقوله :

غَشِيَتْ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ فَعَارِمَةٌ فَبَرْقَةُ الْعِيرَاتِ
فَعُولٌ فَحْلِيَّتٌ فَفَنِيٌّ فَفَنَجَجٌ إِلَى عَاقِلٍ فَالْجَبُّ ذِي الْأَمْرَاتِ^٤

وله أشعار أخرى كثر فيها ورود أسماء المواضع^٥ .

ويذكر ان قوماً من أهل اليمن أقبلوا يريدون النبي ، فضلتوا ، ووقعوا على
غير ماء ، فكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء ، وأوشكوا على الهلاك . فأنشد أحدهم
بيتين من شعر امرئ القيس ، هما :

لَا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةَ هَمَّتْهَا وَأَنْ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمْتُ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ بِفِيءٍ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمُضُهَا طَامِي

فقال أحدهم : ضارج عندكم ، وأشار إليه فشوا على الركب ، فإذا ماء غدق ،

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الشعر والشعراء (٦٤/١) ، (الثقافة) . |
| ٢ | الصفة (١٢٩) . |
| ٣ | الصفة (١٥١ ، ٢٢٦) . |
| ٤ | الصفة (٢٢٥) . |
| ٥ | الصفة (٢٢٩ وما بعدها) . |

واذا عليه العَرَمُض ، والظل يفيء عليه ، فشربوا وحلوا ولولا ذلك لهلكوا^١ .
ولما بلغوا النبي ، أخبروه خبرهم ، فقال : « ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف
فيها ، منسي في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار »^٢ .
وروي عن (عمر) قوله في (امرئ القيس) : « سابق الشعراء ، خسف لهم
عين الشعر »^٣ . ونجد لهذا الشاعر ذكراً في كتب الحديث^٤ .

وذكر أن (امرأ القيس) أشار الى (ابن مندلة) (ملك العرب) بقوله :

فأقسمت لا أعطي مليكاً ظلاماً ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندلة

وروي أن هذا البيت ، هو لعمر بن جوين^٥ .

وتذكر قصة رواها (أبو الحسين) النسابة ، أن (حجرأ) والد امرئ
القيس نهى ابنه عن قول الشعر ، فلما لم ينته عنه ، أمر أحد غلمانه أن يقتله
ويأتيه بعينه ، فانطلق به الغلام ، فاستودعه جبلاً منيفاً ، وعلم أن أباه سيندم
على قتله . وعمد الغلام الى جؤذر كان عنده فنحره وامتلخ عينيه ، فأتى بهما
حجرأ ، فانفجر حجر من الغضب والندم ، حتى همّ بقتل الغلام ، فأخبره الغلام ،
أنه لم يقتله ، وأنه لا زال حياً ، وأنه كان يعلم أن والده سيندم على قتله .
فأمره عندئذ بالذهاب اليه ، والعودة به الى بيته ، فأثابه به . وكف امرؤ القيس
من قول الشعر حتى قتل أبوه^٦ . وهي قصة نجد أمثالها في أساطير الأمم الأخرى .
والى هذه القصة أشار (امرؤ القيس) بقوله :

فلا تتركني يا ربيعُ لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٥/١) ، (الثقافة) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦٧/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٨/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ احمد بن حنبل ، مسند (٢٢٨/٢) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (٢٥٦/١) ،
(١٩٦٤ م) .
 - ٥ تاج العروس (١٣٢/٨) ، (ندل) .
 - ٦ شرح شواهد المغني ، للسيوطي (٢١) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٨/١) ،
« دعا مولى له يقال له ربيعة » ، الشعر والشعراء ، (٥١/١) ، (الثقافة) ،
الخرانة (١٦٠/١ وما بعدها) .

وتذكر رواية أخرى ان أباه نهاه بعد عودته اليه من قول الشعر ، ثم انه قال :

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده^١ .

والمشهور بين علماء الشعر ، ان امرأ القيس انما طرد ، لأنه كان يقول الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، فزجره أبوه ومنعه عن قوله ، فلما لم يته طرده . فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر ابن وائل ، فلذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام ، فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قبانة ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن ، فقال : ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر ا ثم شرب سبعاً ، فلما صبحا آلى أن لا يأكل لحماً ، ولا يشرب خراً ، ولا يدهن ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره . وهكذا صبروا (امرأ القيس) من الصعاليك ، وجعلوه في عدادهم ، فاتكأ كثير الغزل والولوع بالنساء ، ينتقل في أحياء العرب ويغير بهم ، فيصف الأوثان ، ويبكي على الدمن ، ويذكر الرسوم والأطلال وغير ذلك^٢ .

ويرجع سند أكثر الروايات المتقدمة والتي بعدها الى (ابن الكلبي) ، ولاين الكلبي كتاب يتصل بامرئ القيس اسمه : « كتاب تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء »^٣ ، وله روايات مدونة في الأغاني وفي كسب أدب أخرى عن هذا الشاعر وعن ملوك كتلة ، ويظهر أنه قد اصطنع قصص امرئ القيس ، وأضاف على القصص شعراً ، ليكون له سنداً وتفسيراً ، وقد يكون أخذ القصص من أفواه الأعراب والرواة الذين حرفوا تأريخ امرئ القيس ووالده وجوروه وحوّلوه على طريقتهم المألوفة الى قصص وأساطير ، تميل نفوسهم الى الاستماع إليها . فنقلها عنهم كما سمعها . غير أن (ابن الكلبي) ، كان كما

١ الشعر والشعراء (٥٢/١) ، (الثقافة) .

٢ نزهة الجليس (١٤٧/٢) وما بعدها .

٣ الفهرست (١٤٨) .

نعلم من الوضاعين ، وكان من العارفين بدروب الشعر ، وكان أيضاً مثل والده ممن يضع الشعر على ألسنة الناس .

وتذكر قصة (امرئ القيس) أنه انتقم من (بني أسد) قتلة والده، فقرت عيناه بأخذه الثأر منهم . وقد نظم ذلك في شعره^١ . وتذكر أنه خرج اليهم أول ما خرج مع بكر وتغلب ، وهم الذين كانوا معه ، فأدرك بني أسد ظهراً ، فكثرت الجرحى والقتلى ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد ، فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً ؛ قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ، وانصرفوا عنه ، فشئى هارباً لوجهه ، حتى أمده (مرثد الخير بن ذي جدن) الحميري ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر رجالاً من القبائل ، ثم خرج فظفر ببني أسد ، وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه اليه الجيوش ، فتفرق من كان معه ونجا في عصبته . فكان يتزل على بعض العرب ويرحل حتى قدم على السموأل ، ثم على قيصر ، على نحو ما ذكرت^٢ .

وتذكر رواية ان (امرأ القيس) لما مر بيكر بن وائل طالباً منهم النصرة ، سألهم عن شاعر محسن فيهم ، فأتوه بعمر بن قيسة الضبيعي ، وقد أسن ، فأعجب به (امرؤ القيس) ، فأخذه معه ، حتى ذهب الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، طالباً منه النجدة ، فقال له : اني لست أقدر على المسير الى العراق في هذا الوقت ، ولكني أسير معك الى الملك قيصر ، فهو أقوى مني على ما سألت ، وكانت للحارث وفادة على الملك ، فأوفده معه^٣ . فالذي أخذ (امرأ القيس) الى الروم هو (الحارث) ، على هذه الرواية . والمعروف من الروايات الأخرى ان هذا الملك طالب (السموأل) بأسلحة (امرئ القيس) التي أودعها عنده ، فلما أبى السموأل إلا اعطاءها الى (آل امرئ القيس) الشرعيين وورثته، حاصره ، وقتل ابنه ، فضربت العرب بالسموأل المثل في الوفاء^٤ .

- ١ تاريخ ملوك العرب الاولى (ص ١٢٦ وما بعدها) .
- ٢ الرافعي (١٩٥/٣) وما بعدها .
- ٣ الخزائن (٦١٣/٣) وما بعدها ، (بولاق) .
- ٤ نزهة الجليس (١٥١/٢) .

وكنية امرئ القيس (أبو يزيد) ، ويقال : (أبو وهب) ، ويقال :
(أبو الحارث) ، ويقال (أبو كبشة) . وأما اسمه ، فاختلف فيه ، ف قيل :
(عدي) ، وقيل (مليكة) ، وقيل (حندج) . وكان يقال له : (الملك
الضليل) ، و (الضليل) ، و (ذو القروح)^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان (امرأ القيس) كان مِعَنًا عَرَبِيًّا يَنَازِعُ كُلَّ مَنْ
قال انه شاعر ، فنازع (التوأم اليشكري) ، (الحارث بن التوأم)^٢ ، فقال له :
« إن كنت شاعراً فليط أنصاف ما أقول وأجزها » . ونازع (عبيد بن الأبرص)^٣ .
وإذا ما أخذنا بآراء بعض المستشرقين عن سنة وفاة الشاعر (امرئ القيس)
من أنها كانت بين السنة (٥٣٠) والسنة (٥٤٠) بعد الميلاد ، فيكون عصر أقدم
شعر جاهلي وصل إلينا لا يزيد عمره على القرن السادس للميلاد ، أو أواخر القرن
الخامس للميلاد . وهذا التقدير معقول يتناسب مع الأخبار المروية عن هذا الشاعر .
روي أن ربيعة بن العجاج قال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثني عمي .
قالت : سألت امرأ القيس ، ما معنى قولك : كرك لأمين على نابيل ؟ فقال :
مرت بنابل وصاحبه يناوله الريش لُؤاماً وظُهاراً ، فأريت أسرع منه ولا
أحسن ، فشبهت به^٤ . ولو أخذنا بهذه الرواية وصدقناها ، فلن تتمكن من
الارتفاع بها من حيث الزمن الى أكثر من هذا التقدير .

وذكر أن (امرأ القيس) لما هرب من (المنذر بن ماء السماء) صار الى
جبل طيء : أجا وسلمى ، فتزوج أم جندب . وصادف أن جاءه (علقمة بن
عبدة التميمي) ، فتذاكرا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال
علقمة : بل أنا أشعر منك ! فتحاكما الى أم جندب ، فأخذ كل واحد منهما
يقول شعراً وهي تسمع ، وتعلق عليه ، ففضلت أم جندب (علقمة) عليه ،
فغضب (امرؤ القيس) وطلقها ، فخلف عليها علقمة ، فسمي علقمة الفحل^٥ .

-
- ١ السيوطي ، شرح (٢١ وما بعدها) .
 - ٢ قتادة بن التوأم اليشكري ، اللسان (٢١٣/٦) ، (مجس) ، « لقي التوأم
اليشكري ، واسمه الحارث بن قتادة » ، العمدة (٢٠٢/١) .
 - ٣ اللسان (٢١٤/٦) ، (مجس) ، السيوطي ، شرح (٢٥) ، العمدة (١٧٦/١) ،
(٨٧/٢) .
 - ٤ تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٦٥/٣) .
 - ٥ التنبيهات على أغلاط الرواة (٤) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٩٢ وما بعدها) .

وجاء في كتاب (الشعر والشعراء) : « وكان امرؤ القيس في زمان أنوشروان ملك العجم ، لأنني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني . وهو الحارث الأكبر . والحارث هو قاتل المنذر بن امرئ القيس الذي نصبه أنوشروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة ، كأنه ولد لثلاث سنين خلت من ولاية هرمز بن كسرى ، وما يشهد لهذا ، ان عمرو بن المُسَبِّح الطائي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة في وفود العرب وهو ابن مائة وخمسين سنة وأسلم . وعمرو يومئذ أرمى العرب . وهو الذي ذكره امرؤ القيس »^١ .

و (عمرو بن المُسَبِّح) (المسيح)؟ الطائي ، هو الذي عناه (امرؤ القيس) بقوله :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مَخْرَجَ كَفْيِهِ مِنْ سُبْرَةٍ

وكان كما يزعم أهل الأخبار أرمى العرب يومئذ ومن فرسانهم المعروفين . ومن المعمرين . عثر على ما يقولون مائة وخمسين سنة ، وجعلوه ممن أدرك أيام الرسول ، بل زعموا انه وفد عليه فأسلم . وجعل بعض أهل الأخبار وفاته في خلافة (عثمان) . وتوقف (ابن قتيبة) في (المعارف) ، فقال : « لا يدري أقبض قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، أم بعده »^٢ ، « ولست أدري أقبض قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أم بعده »^٣ .

وذكروا أنه هو القاتل :

لقد عمرت حتى شف عمري علي عمرو بن علة وابن وهب^٤

ولا يعقل خبر بقاء (عمرو بن المسيب) الطائي الى أيام النبي ، ولا سيما خبر

١ الشعر والشعراء (٥٠ وما بعدها) ، (١ / ٦٦) ، (الثقافة) .

٢ الاصابة (١٧ / ٣) ، (رقم ٥٩٦٤) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٣٢) ، المعمرين (٨٦) ، الشعر والشعراء (١ / ٦٧) ، (الثقافة) ، الاستيعاب (٢ / ٥١٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ المعارف (٣١٤) .

٤ الاصابة (١٧ / ٣) ، (رقم ٥٩٦٤) .

من جعل موته في خلافة عثمان . ولعل شخصاً كان اسمه مثل هذا الإسم ، فاشتيه أمره على الرواة ، فظنوه صاحب امرئ القيس . ولو كان هو صاحبه لما سكت عشاق الشعر والباحثون عن شعر صاحبه عنه ، ولوجدنا له خبراً مع الرسول أو عمر عن حياة امرئ القيس .

وقد أشير الى (البريد) في شعر (امرئ القيس) ، إذ ذكر أنه نادى (قيصر) وأركبه البريد :

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا
إذا ما ازدحمتنا على سكة سبقت الفُرانق سبقاً بعيداً^١

وكانت البرد منظومة الى كسرى ، من أقصى بلاد اليمن الى يابه ، أيام وهرز ، وأيام قتل مسروق عظيم الحبشة، وكذلك كانت برد كسرى الى الحيرة: الى النعمان وآبائه ، وكذلك كانت برده الى البحرين : الى المكعب مرزبان الزارة، والى مشكاب ، والى المنفر بن ساوى ، وكذلك كانت برده الى عمان ، الى الجلندى بن المستكبر ، فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين برده ، إلا ما كان من ناحية الشام ، فإن تلك الناحية من مملكة خثعم وغسان الى الروم ، إلا أيام غلبت فارس على الروم^٢ .

ويرجع الفضل في تحليل شعر (امرئ القيس) الى (حماد) الراوية ، والى (أبي عمرو بن العلاء)^٣ . وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : « فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة »^٤ . والى (الفرزدق) الذي كان من أروى الناس لأحاديثه وأشعاره^٥ ، والى (ابن الكلبي) الذي نجد عنه نقولاً في كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، تخصص (امرأ القيس)^٦ ، وفي كتاب الأغاني ، وهو من أهم الأخباريين الراوين لأخبار كندة .

- ١ ديوانه (٢٦٢) ، رسائل الجاحظ (١/٢٧٥ ، ٢٩٠ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
- ٢ رسائل الجاحظ (١/٢٩١ وما بعدها) ، (كتاب البغال) .
- ٣ المزهر (٢/٢٥٣) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٩) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/١٤٢) .
- ٥ الشعر والشعراء (١/٦٤) ، (الثقافة) .
- ٦ الشعر والشعراء (١/٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨) .

وذكر (الرياشي) ان كثيراً من الشعر الوارد في ديوان امرئ القيس ، هو منحول عليه ، وهو لجماعة من أصحابه ، مثل عمرو بن قبيثة^١. وقد نص بعضهم على انه لم يصح له إلا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة^٢. وقد عني علماء الشعر والأخبار بجمع أشعاره في ديوان ، فجمعه غير واحد منهم ، وشرحه كثيرون ، وطبع جملة طبعات ، وترجم الى مختلف اللغات^٣.

وقد اختلف رواة الشعر في ضبط عدد أبيات معلقة امرئ القيس، كما اختلفوا في تقديم وتأخير الأبيات ، « وفي رواية بعض الألفاظ ، بحيث لا تجتمع اثنان منها على صورة واحدة »^٤. وذكر (البغدادي) : أن قصيدة امرئ القيس التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

هي من عيون شعره ، وعدتها ستة وخمسون بيتاً ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين ، وفي كتب النحو والمعاني^٥.

« وكان امرؤ القيس يروي شعر أبي دؤاد الإيادي ويتوكأ عليه . وهو فحل قديم كان أحد نعات الخيل المجيدين » . « ثم هو كان يعرف أن امرأ القيس ابن حذام يبكي في شعره الطلول ، فأخذ ذلك عنه كما أخذ صفة الخيل عن أبي دؤاد ، وتراه يحاول أن يلحقه في إجادة نعتها والشهرة بذلك ، حتى لا يخلو أكثر شعره من هذا الوصف »^٦.

وقد كان يعاصره من الشعراء المعروفين : علقمة بن عبدة، وعبيد بن الأبرص، والشنفرى ، وسلامة بن جندل ، والمثقب العبدى ، والبراق بن روحان ، وتأبط شراً ، والتوهم البشكري .

١ الموشح للمرزباني (٣٤) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٩/١) .

٢ العمدة (٦٧/١) ، الرافعي (٢٠٣/٣) .

٣ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٠/١ وما بعدها) ، ودائرة المعارف الاسلامية .

٤ الرافعي (١٩٩/٣) .

٥ الخزانة (٢٨/١) ، (بولاق) .

٦ الرافعي (٢٠٤/٣) .

وزعم أن (التوعم) الشكري لقي (امرأ القيس) يوماً فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فقل لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم : فقال امرؤ القيس :

أحارِ ترى بريقاً هب وهناً

فقال التوعم : كنار مجوس تستعر استعاراً

واستعرا على ذلك . ولما رآه امرؤ القيس قد ماتته ، ولم يكن في أيامه من يطاوله ، آلى أن لا ينازع الشعر أحداً أبداً^١ .

ونجد للباقلاني صاحب كتاب (إعجاز القرآن) آراءً في بعض أشعار (امرئ القيس) ، حيث ينتقد بعض الأبيات ويبين ما فيها من عيوب^٢ . كما نجد في كتب (النقد) آراءً في شعره ، وهي بين مستحسن ومستهجن لبعض الأبيات أو القصائد . « ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل ، وكثرة الإقواء في القافية ، وكثرة التصريح في غير أول القصيدة »^٣ .

وللقدماء ملاحظات عن شعر (امرئ القيس) ، وقد شك بعض منهم في كثير من شعره وذهبوا الى انه من الموضوعات ، وقد أشاروا اليه ، ثم جاء المستشرقون ، فركنوا الى ما قاله القدماء عنه ، وأبدوا رأيهم فيه . وتحدث المحدثون من العرب عنه ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، حيث أنكر شعره لحجج أوردتها في كتابه في الأدب الجاهلي^٤ .

وعاش في أيام (امرئ القيس) شاعر آخر عرف أيضاً بامرئ القيس ، هو (امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن أبي زهير بن جناب بن هبل)^٥ . و (طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك) ، من قيس بن ثعلبة . وهو ابن أخي (المرقش الأصغر) ، وكان من المقربين الى عمرو بن هند (ملك

١ الرافعي (٢٢٨/٣) .

٢ الباقلاني ، إعجاز القرآن .

٣ بروكلمن (٩٩/١) .

٤ راجع أيضاً شوقي ضيف : العصر الجاهلي (ص ٢٤٨ وما بعدها) .

٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢٦/١) .

الحيرة ، ومن المناديين لأخيه (أبو قابوس) . وهو ابن أخت (جرير بن عبد المسيح) المعروف بـ (المتلمس) . وقد قال الشعر وهو صغير السن ، ومات أبوه وهو صغير ، وأكل أعمامه ماله ، وأبوا تقسيمه ، فهجأهم ، واشتهر بمعلته التي عاتب بها ابن عمه (مالكاً) لأنه لم يُعَيِّنْ أخاه (معبداً) في جمع شتات إبله . وقد قتل بالبحرين على ما يذكره أهل الأخبار في قصص متضارب ، اختلف في سبكه الرواة ^١ .

واسم (طرفة) عمرو ، وإنما سمي طرفة لقوله :

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفاً ولا أميركيا بالدار إذ وقفا

وقيل إن كنيته (أبو عمرو) ^٢ . وقد فضل بعض علماء الشعر شعره على شعر سائر الشعراء الجاهليين ^٣ .

وكان (طرفة) أحدث الشعراء سنّاً وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة . فيقال له (ابن العشرين) . وقيل بضع وعشرين سنة . وأمه (وردة) من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخواله وقد ظلموها حقها ، بأن يعطوها حقها :

ما تنظرون بـمال وردة فيكم صغُر البنون ورهط وردة غيبٌ

ويقال إن أول شعر قاله (طرفة) انه خرج مع عمه في سفر ، فنصب فخاً ، فلما أراد الرحيل قال :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري قد رفع الفخ فاذا تحذري

لا بد يوماً أن تصادي فاصبري ^٤

١ الخزانة (٤١٣/١) (بولاق) ، الاغانى (١٨٥/٢١) ، الموشح (٥٧) ، المرزبانى ، معجم (٢٠١) ، طبقات ابن سلام (١١٥) ، الشعر والشعراء (١١٧/١) وما بعدها ، الخزانة (٤١٩/٢) ، (هارون) .

٢ أنسيوطي ، شرح شواهد (٨٠٥/٢) ، المزهر (٤٤١/٢) .
٣ المصدر نفسه .

٤ الابيات في ديوانه (١١) ، الشعر والشعراء (١١٩/١) ، (الثقافة) .

٥ الشعر والشعراء (١٢٠/١) ، (الثقافة) ، الخزانة (٤١٧/١) .

وروي ان أخته رثته بقولها :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيداً ضحياً
فُجعنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا قحاً

ورغم قلة ما نسب الى (طرفة) من الشعر ، فقد قدمه علماء الشعر على غيره من الشعراء بأن جعلوا ترتيبه الثاني بعد امرئ القيس ، ولهذا ثنوا بعلقته . ذكر (ابن قتيبة) انه أجود الشعراء قصيدة^٢ . وقد ذكر (ابن سلام) ان معظم شعر (طرفة) قد ضاع حتى لم يبق منه بأيدي المصححين لشعره إلا بقدر عشر قصائد ، مع انه كان من أقدم الفحول . وقد حمل عليه كثيراً من الشعر^٣ .

وكان في حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . وكانت أخته عند (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) ، وكان (عبد عمرو) سيد أهل زمانه ، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها اليه ، فقال :

ولا عيب فيه غير أن له غنى وإن له كشحاً ، إذا قام أهضماً
وإن نساء الحي يعكفن حوله يقلن ، عسيب من سرارة ملها

فبلغ عمرو بن هند الشعر ، فأبلغه الى (عبد عمرو) وهو معه في صيد ، فقال (عبد عمرو) : أبيت اللعن ؛ الذي قال فيك أشدّ مما قال فيّ ، قال : وقد بلغ من أمره هذا ؟ قال نعم . فأرسل اليه ، وكتب له الى عامله بالبحرين فقتله . في قصة منمقة مدونة في أكثر كتب الأدب والأخبار . وقد تعرضت لها في مكان آخر من هذا الكتاب . ويقال ان الذي قتله (المعلّى بن حنش العبدي) ، والذي تولى قتله بيده (معاوية بن مرة الأيفلي) ، حيّ من طسم وجديس^٤ . وقيل (الربيع بن حوثة) عامله على البحرين^٥ . وقيل إن قاتله : (عبد هند

١ الخزانة (٤١٦/١) .

٢ الشعر والشعراء (١١٧/١ وما بعدها) ، الخزانة (٤١٩/٢) ، (هارون) .

٣ طبقات (٢٣) .

٤ الشعر والشعراء (١١٧/١ وما بعدها) .

٥ الشعر والشعراء (١٢١/١) ، الخزانة (٤٢١/٢ وما بعدها) ، (هارون) ، الاغاني (١٢٥/٢١) ، نادر المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ٢١٢ وما بعدها) .

ابن جرد بن جري^١ بن جروة بن عمير (التغلبي ، عامل (عمرو بن هند) على البحرين . وان (عمرو بن هند) ، كان قد جعل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قابوس) أخيه ، فكان (قابوس) يتصيد يوماً ، ويشرب يوماً ، فكان إذا خرج الى الصيد خرجا معه ، فنصبا وركضا يومها ، فلإذا كان يوم لهوه وقفا على بابه يومها كله ، فلما طال ذلك عليهما ، هجا طرفة (عمرو بن هند) وأخاه ، فبلغ الهجاء الملك ، فقرر قتلها^١ . وورد أن (عمرو بن هند) ، كان قد رشح أخاه (قابوس بن المنذر) ليملك بعده ، وانه جعل (طرفة) و (المتلمس) في صحابة (قابوس) وأمرهما بلزومه ، فكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب للصيد ، فيركض يتصيد ، وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد تعبوا ، فيكون قابوس من الغداة في الشراب فيقفان بباب سرادقه الى العشي ، فضجرا منه فهجوا وهجوا عمرأ معه ، فبلغ ذلك الهجاء (عمرأ) ففعل بهما ما فعل^٢ .

ويقال ان (طرفة) كان ينادم يوماً (عمرو بن هند) ، فأشرفت ذات يوم أخته ، فرأى طرفة ظلها في الجلام الذي في يده ، فقال :

ألا يا بأبي الظبي^٣ الذي يبرق^٤ شفاه
ولولا الملك القاعد^٥ قد الشمي فاه

فحقق ذلك عليه ، وكان قال أيضاً :

ولبت^٦ لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تدور^٧
لعمرك إن قابوس^٨ بن هند ليخلط ملكه نوك^٩ كثير

وقابوس هو أخو (عمرو بن هند) . وكان فيه لين . ويسمى قينة العرس . فحقق (عمرو بن هند) عليه واستدعاه ، وكتب له كتاباً ، وكتب بمثل ذلك (للمتلمس) ، وشك^{١٠} المتلمس في أمر الصحيفة ، ومزقها ، ومضى (طرفة) الى البحرين ، فأخذ (الربيعة بن حوثة) فسقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصده أكحله ، فقبره بالبحرين . وكان لطرفة أخ يقال له (معبد بن العبد) ، فطلب

١ أسماء القتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢١١ وما بعدها) .

٢ الخزانة (١٢/١) وما بعدها .

بديته ، فأخذها من الحوثر^١ .

ويرى (بروكلمن) أن (طرفة) لم يتادم أبا قابوس ، وإنما نادى (عمرو ابن مامة) أخ الملك من أبيه ، باليامة . وكان قد التجأ الى (مراد) من عداوة أخيه . فعاقب الملك (طرفة) بأخذ إبله التي تركها في (تبالة) من ديار (لحم) ، فهجاه طرفة^٢ . وقد ذكر (المرتضى) رواية تذكر أن صاحب المتلمس وطرفة هو (النعمان بن المنذر) ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

وأبو منذر ، هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان^٣ .

وذكر « ان عائشة سئلت : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت : لا ، إلا لبيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول : ويأتيك بالأخبار من لم تزود . فقال أبو بكر : ليس هكذا . فقال : اني لست بشاعر ، ولا ينبغي لي^٤ .

وينسب الى طرفة قوله :

عفا من آل ليل السهـ ب ، فالأملح فالغمر
ففرق فالرماح قال لئوى من أهله قفر
وأبلي^٥ الى الغرأ ع فالماوان فالحجر

-
- ١ الشعر والشعراء (١/١٢١) ، النقافة (، فليت) ، الخزائن (١/٤١٢ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٢) .
 - ٣ أمالي المرتضى (١/١٨٥) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٠٤ وما بعدها) .

فأمواه الدنا فالنجد سد فالصحراء فالنسر
فلاة ترتعها العيب من فالظلمان فالعفر
وينسب للخرنق أيضاً^١ .

ويقدم علماء الشعر (طرفة) على غيره من الشعراء ، بإجادته وصف الناقة في
معلقته على نحو لم يسبق إليه^٢ . وقد جعله (لبيد) بعد (امرئ القيس) في
الشعر ، وقال عنه « أبو عبيدة : طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور ،
يعني امرأ القيس وزهيراً والنابعة ، ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة
وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل » .

وقد ذكر علماء الشعر أحياناً جيدة لطرفة سبق بها غيره من الشعراء ، فأخذها
عنه الشعراء وضمنوها أو ضمنوا معناها شعرهم . ومن اقتبس منه : (لبيد)
و (الطرماح) و (عدي بن زيد) العبادي ، وعبدالله بن نهيك بن أساف
الأنصاري وغيرهم^٣ .

وتعدّ (معلقة) (طرفة) أطول المعلقات أحياناً ، فهي تتألف من (١٠٥) أبيات
في شرح القصائد العشر للزوزني^٤ ، وقد يزيد عليها بيتاً أو أكثر في بعض الروايات^٥ .
وتنتهي المعلقة بذكر الموت ، وبالنصح ، وبأن الأيام معارة فما استطعت من معروفها
فتزود بها ، ثم ختمها بقوله :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وهي حكم ، لا تصدر في العادة إلا من شيخ شارف على الموت ومن حكيم
عرك الأيام ، ومن رجل خبير مجرب . والقصيدة نفسها من نفس رجل ، يجب
أن يكون قد خبر الحياة ، ومارس الشعر زمناً ، فهل تكون من نظم شاب هو
ابن عشرين سنة ، أو بضع وعشرين ؟

-
- ١ الصفة (٢٢٥) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٢ / ١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٢١ / ١) ، (النفاقة) .
 - ٤ (ص ١٣٣ وما بعدها) .
 - ٥ نزهة الجليس (١٥٨ / ٢) وما بعدها .

وفي معلقة (طرفة) أبيات تشير الى وقوفه على سفن الفرات ودجلة والبحر،
إذ يقول فيها ^١ :

كأن حدوج المالكية غدوة خلأيا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقاتل باليسد

ويقول فيها أيضاً ^٢ :

وأتلع نهاضٌ إذا صعدت به كسُكَّان بوصي بدجلة مصعد

وزهير بن أبي سلمى ، من هذا الرعيل السذي عدت إحدى قصائده من المعلقات . وكان على ما يقال راوية لأوس بن حجر زوج أمه ، وكان أوس راوية للطفيل الغنوي ، وهو والد (كعب بن زهير) الشاعر الشهير الذي كساه الرسول بردة له، بعد أن كان قد أمر بقتله لما بلغه من هجائه له. فلما سمع (كعب) بذلك جاء الى المدينة فأسلم ، وطلب العفو ، وقال قصيدته الشهيرة بحضرة الرسول فعفى عنه وأعطاه البردة . أما والده (زهير) ، فقد توفي قبل المبعث ، ولا صحة لما ذكره البعض من انه لقي الرسول ^٣ . وقد كان يكنى بـ (أبي بجير) ^٤ . وأتى (بجير) النبي وأسلم . وقد زعم انه رأى رؤيا في منامه ، ان سبيلاً تدلى من السماء الى الأرض وكان الناس يمسكونه ، فأوله بنبي آخر الزمان ، وان مدته لا تصل الى زمن بعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره . ثم توفي قبل المبعث بسنة ^٥ .

وهو (زهير بن أبي سلمى) ، واسم (أبي سلمى) ربيعة بن رياح المزني ، من مزينة بن أد بن طابخة ، وكانت محلثهم في بلاد (غطفان) ، فظن الناس أنه من غطفان . وقد ذهب (ابن قتيبة) الى أنه من (غطفان) وردّ على

-
- ١ المعلقة ، البيت (٣ - ٥) .
 - ٢ المعلقة ، البيت (٢٨) .
 - ٣ الاغانى (١٥٠ / ٩) ، الاصابة (٢٧٩ / ٣) ، (رقم ٧٤١٣) ، الخزائن (٤٣٦ / ١) وما بعدها .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٣١ / ١) .
 - ٥ الخزائن (٣٢٥ / ٢) وما بعدها .

من زعم أنه من مزينة^١ . وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر ، وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة الذبياني^٢ . ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير^٣ . وكان والد (زهير) شاعراً ، وأخته (سلمى) شاعرة ، وأخته (الخنساء) شاعرة ، وابناه كعب وُبجسر شاعرين ، وابن ابنه (المضرب بن كعب) شاعراً^٤ . وكان خال (زهير بن أبي سلمى) : (أسعد بن الغدير) شاعراً ، وقد عرف بأمه ، وكان أخوه : (بشامة بن الغدير) شاعراً ، كثير الشعر^٥ .

ويظهر من شعر ينسب إليه انه عاش أكثر من مائة سنة ، إذ نراه يتأفف من هذه الحياة ، ومن مشقاتها ، حتى شتم منها ، إذ يقول :

شتمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبالك يسأم

ويقول :

بدا لي إن الله حق فزادني إلى الحق ، تقوى الله ما كان بادياً
بدا لي اني عشت تسعين حجة تباعاً وعشرأ عشتها وثمانياً

أو :

ألم ترني عُمرت تسعين حجة وعشرأ تباعاً عشتها ، وثمانياً^٦

ويظهر ان بيت بدا لي ان الله حق فزادني ، وما بعده من الشعر المنحول عليه . ولم يرد في رواية أبي العلاء ، والأصمعي ، والمفضل الضبي ، والسكري^٧ .

- ١ الخزانة (٣٣٢/٢) ، (هارون) ، (والناس ينسبونه الى مزينة ، وإنما نسبه في غطفان) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) ، الاغانى (١٤٦/٩) .
- ٢ الخزانة (٣٣٢/٢) وما بعدها .
- ٣ الشعر والشعراء (٧٦/١) .
- ٤ الخزانة (٣٣٣/٢) .
- ٥ من نسب الى أمه من الشعراء ، نوادر المخطوطات ، (المجموعة الاولى) ، (ص ٩١) .
- ٦ رسالة الغفران (١٨٢) وما بعدها .
- ٧ رسالة الغفران (١٨٣ رقم ١) .

وفي شعر زهير ، زهد ووعظ وتهذيب ، حملت بعض الباحثين على اعتباره نصرانياً ، ويشك (بروكلمن) في ذلك ، إذ يرى ان أثر النصرانية وإن كان واسع الانتشار في جزيرة العرب في ذلك الوقت ، بيد انه لا توجد لدينا أدلة تحملنا على جعله نصرانياً^١ . وقد ذكر علماء الشعر ان (زهيراً) كان يتأله ويتعفف في شعره . ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك قوله :

يؤخر فيودع في كتابٍ فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^٢

ومن جيد شعره في تحديد اليمين قوله :

فإن الحق مقطعه ثلاث^٣ يمين أو نِفار أو جلاء^٤

وقد ثمن شعره وقدره العلماء . قال (الثعالبي) فيه : « انه أجمع الشعراء للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ »^٥ . وفي معلقته أبيات في نهاية الحسن والجلودة ، وقد جرت مجرى الأمثال الرائعة^٥ .

وورد أن (عمر بن الخطاب) كان لا يقدم عليه أحداً . وذكر أن (عمر) قال لابن عباس : أنشدني لأشعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير . قيل بمَ كان ذلك ؟ قال : كان لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل بما لا يكون في الرجال . قال : فأنشدته حتى برق الصبح . وورد أن عمر كان جالساً « مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل ابن عباس ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بالشعر ، فلما جلس قال : يا ابن عباس ، من أشعر العرب ؟ قال : زهير بن أبي سلمى . قال فهل تنشد من قوله شيئاً نستدل به على ما قلت ، قال : نعم ، امتدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال :

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٧٨/١) ، (الثقافة) .

٣ الشعر والشعراء (٧٩/١) ، (الثقافة) .

٤ خاص الخاص (٧٥) ، الاعجاز والايجاز (٣٧) .

٥ كارلو نالينو (٧٧) .

لو كان يقعد فوق الشمس من أحد قوم لأوتلهم يوماً إذا قصدوا
مُحَسِّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حَسَدُوا^١

وورد في رواية أخرى ، ان (عمر) قال لابن عباس : « أنشدني لشاعر الشعراء ، الذي لم يعاقل بين القوافي ، ولم يتبع وحشي الكلام ، قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير »^٢ .

وكان زهير أستاذ الحطيثة . وسئل عنه (الحطيثة) فقال : ما رأيت مثله في تكفيه على أكتاف القوافي ، وأخذته بأعنتها حيث شاء ، من اختلاف معانيها ، امتداحاً وذمّاً . قيل له : ثم من ؟ قال : ما أدري ، إلا أن تراني مسلنطحاً واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوي في أثر القوافي .

« قال أبو عبيدة : يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء : انه أمدح القوم وأشدهم أسراً شعر . قال وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : الفرزدق يشبه بزهير . وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيثة وأشباهها عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . قال : وكان زهير يسمى كُبْرَ قصائده الحوليات .

وكان جيد شعره في هرم بن سنان المري . وقال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ! فقال عمر رضي الله عنه : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم »^٣ . وقد عيب على (زهير) لأخذه عطايا (هرم بن سنان) ، إذ عد أهل الأخبار ذلك نوعاً من التكسب بالشعر ، وهو مرذول عند العرب^٤ .

وقد قدمه (الأخطل) كذلك ، وقال (ابن الأعرابي) : « كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً وهو شاعر وخاله شاعر وأخته

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١٣١/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٧٦/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٨١/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٨١/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .
 - ٤ العمدة (٤٩/١) .

سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعران ، وأخته الخنساء شاعرة^١ . « ومن قدّم زهيراً قال : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح ، وأكثرهم أمثالا^٢ في شعره »^٣ . وقيل ان أمدح بيت قالته العرب ، هو بيت زهير :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله^٤

ولزهير قصيدة أولها :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

يقال إنه قالها لما طلب (كسرى) النعمان بن المنذر ، ففرّ قاثي طياً ، فسألهم أن يدخلوه جبلهم ، فأبوا ، فلقيه بنو رواحة من عبس ، فقالوا له : أقم فينا ، فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فقال : لا طاقة لكم بكسرى ، وأنتى عليهم خيراً . وورد أن (الأصمعي) أنكر كون هذه القصيدة لزهير . ونسبها بعضهم (لصرمة بن أبي أنس الأنصاري) ، وهي لا تشبه كلام زهير^٥ .

ولزهير شعر سبق به غيره ، فأخذ الشعراء منه وضمنوه شعرهم . وقد ذكر العلماء أمثلة على ذلك^٦ . « ويروى أن لزهير سبع قصائد نظم كلاً منها في عام كامل ، ومن ثمّ سميت : الحوليات »^٧ .

ومن أولاد زهير بن أبي سلمى ، كعب وبجير . وكان (بجير) قد أسلم قبل (كعب) . فبلغ ذلك كعباً ، فقال شعراً تعرض فيه بالرسول فهلر الرسول دمه ، فكتب (بجير) إليه شعراً يخوّفه فيه ويدعوه الى الاسلام ، فجاء وأسلم^٨ .

١ السيوطي ، شرح شواهد (١٣٣/١) .

٢ المصدر نفسه (١٣٢/١) .

٣ الشعر والشعراء (٧٧/١) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٨٢/١ وما بعدها) ، ديوان زهير (٢٨٣ وما بعدها) ، الخزائن (٥٨٨/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

٥ الشعر والشعراء (٨٣/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٦ الخصائص ، لابن جني (٣٣٠/١) ، بروكلمن (٩٥/١) .

٧ السيوطي ، شرح شواهد (٥٢٤/٢) ، العمدة (١٦٥/١) ، ابن هشام ، سيرة

(٢٦/٣) ، الروض الانف (٣٠٥/٢) .

و (لكعب) ولد يقال له (المضرب بن كعب) . كان شاعراً^١ ، واسمه :
(عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى) ، لقّب بالمضرب ، لأنه شبّه
بامرأة من بني أسد ، فضرب ، فسمي المضرب . روى له الشريف (المرتضى)
شعراً^٢ .

وكانت لزهير بنت كانت شاعرة كذلك . ذكر ان بنت زهير دخلت على
(عائشة) ، وعندها بنت (هرم بن سنان) ، فسألت بنت هرم : بنت زهير
من أنت ؟ قالت : أنا بنت زهير . قالت : أوّما أعطى أبي أباك ما أغناكم ؟
قالت : إن أباك أعطى أبي ما بقي ، وإن أبي أعطى أباك ما بقي ، وأنشدت
بنت زهير :

وإنك إن أعطيتني فن الغنى حمدت الذي أعطيت من ثمن الشكر
وإن يفنّ ما تعطيه في اليوم أو غدٍ فإن الذي أعطيك يبقى على الدهر^٣

والشاعر (ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب) العامري ، ويكنى
(أبا عقيل) ، هو من أشراف قومه في الجاهلية والإسلام ، وكان سخيّاً من
أسرة معروفة . وكان في شبابه من فرسان زمانه ، وقد شارك قبيلته في غاراتها
على أعدائها ، وذب عنها بسيفه وبقلمه . وهو من الشعراء المترفعين الذين ترفعوا
عن مدح الناس لنيل جوائزهم وصلاتهم كما كان من الشعراء المتقدمين في الشعر^٤ .
وقد عرف والده بـ (ربيعة المقترين) ، أو (ربيع المقترين) ، لسخائه :
وقد ذكره (ليبد) ابنه في شعره بقوله :

ولا من ربيع المقترين رزئت بلدي علق فاقي حياك واصبري

وتحدث عن كرمه ، فقال :

وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا^٥

-
- ١ الخزانة (٣٣٣/٢) ، المؤلف (٢٨١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٤٥٨/١) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٧٥٤/٢) وما بعدها .
 - ٤ الخزانة (٢٤٦/٢) ، (هارون) ، (٣٣٧/١) ، (بولاق) .
 - ٥ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (١٧) ، (شرح الدكتور احسان عباس) ،
(الكويت ١٩٦٢) .

وقد قتل والده وهو صغير السن ، فتكفل أعمامه بتربيته . ويرى (بروكلمن) احتمال محيي (لييد) الى هذه الدنيا في حوالى سنة (٥٦٠ م) . أما وفاته ، فكانت سنة أربعين ، وقيل احدى وأربعين ، لما دخل معاوية الكوفة إذ صالح (الحسن ابن علي) ونزل (النخيلة) ، وقيل إنه مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة عثمان ، وقد رجح (ابن عبد البر) هذه الرواية ، وورد أنه توفي سنة نيف وستين^١ .

وقد عُرِفَت أم (ربيعة بن مالك) ، أي والد (لييد) بـ (أم البنين) ، وهي بنت (عمرو بن عامر بن صعصعة) ، وكانت تحت (مالك بن جعفر بن كلاب) ، فولدت له منه (عامر بن مالك) مُلاعب الأُسنة ، و (طفيل بن مالك) فارس قُرُزل ، وهو أبو (عامر بن الطفيل) ، و (ربيعة بن مالك) أبا لييد ، وهو ربيع المقترين ، و (معاوية بن مالك) معوّد الحكّام (معوّد الحكماء) ، وإنما سمي (معوّد الحكّام) (معوّد الحكماء) بقوله :

أعوّد مثلها الحكّام بعدي إذا ما ألحق في الأشياع نابا^٢

وقيل انه لما مات دفن في صحراء (بني جعفر بن كلاب) رهطه ، وانه لما قدم الكوفة وأقام بها ، رجع بنوه الى البادية أعراباً^٣ . وروي في خبر انـا مات بالكوفة أيام (الوليد بن عقبة) في خلافة (عثمان) ، فبعث (الوليد) الى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه . وقد رجح (ابن عبد البر) ، هذه الرواية . وورد في رواية أخرى انه توفي في عهد (زياد) وفي خلافة معاوية^٤ . وقد ذكر من ترجم حياته انه كان فارساً شجاعاً سخياً ، وقد جعله (ابن قتيبة)

١ الاستيعاب (٣٠٧/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، السيوطي ، شرح شواهد (١٥٢/١) وما بعدها .
٢ أمالي المرتضي (١٩٣/١) ،

أعوّد مثلها الحكماء بعدي إذا ما ألحق في الحدثان نابا
اللسان (٣٩٩/١٤) ، (سما) ، وورد « معوّد الحكماء » ، بالذال المعجمة ، تاج العروس (٤٤٠/٢) ، (عود) .

٣ المعارف (٣٣٢) .
٤ الاستيعاب (٣٠٩/٣) ، (هامش على الاصابة) ، الاصابة (٣٠٨/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .

في جملة المائة فارس الذين وجههم (الحارث بن أبي شمر) الفساني ، وهو (الأعرج) الى (المنذر بن ماء السماء) لقتله ، فلما صاروا الى معسكر (المنذر) ، أظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما تمكنوا منه قتلوه ، فقتل أكثرهم ، ونجا ليبد ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر . فحمل الفسانيون على عسكر (المنذر) فهزمهم ، وهو يوم (حليلة) . وقد ذكر (ابن قتيبة) في كتابه (الشعر والشعراء) ان (الحارث) كان قد أمّر (الوليد) على المائة فارس^١ ، وذكر في كتابه (المعارف) ، انه كان غلاماً إذ ذاك^٢ . وقد وقعت معركة (يوم حليلة) سنة (٥٥٤ م) ، فيجب أن يكون مولد (ليبد) قبل هذا العهد . ولو أخذنا برأي أهل الأخبار القائل انه عاش فوق المائة ، وانه كان يوم توفي ابن مائة وثلاثين سنة ، أو مائة وأربعين ، أو مائة وسبع وخمسين أو مائة وستين^٣ ، جاز لنا تصور اشتراك (ليبد) في ذلك اليوم ، غلاماً أو شاباً . ولم يذكر (ابن قتيبة) كيف جاء (ليبد) الى (الحارث) ، وهو في هذا العمر ، ولم اشترك مع من اشترك في اغتيال المنذر . ولكننا نجد (الميداني) ، يسمي ليبدأ الذي اشترك في اغتيال (المنذر) (ليبد بن عمرو)^٤ ، أي شخصاً آخر ، وهي رواية أدعى الى القبول من رواية (ابن قتيبة) .

وتقول قصة يرونها أهل الأخبار عن سبب نظم ليبد لأرجوزته الشهيرة ، التي أولها :

يارب هيجا هي خبر من دعه إذ لا تزال هامتي مقزعة

أن (ليبدأ) كان غلاماً آنذاك ، وكان قد ذهب مع وفد (بني عامر) أبناء (أم البنين) ، وعليه (أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، وقد وضعوه على رحالهم يحفظ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فبرعاها . وكان (النعمان) قد ضرب قبة على (أبي براء) وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل ، وكان

- ١ الشعر والشعراء (١٩٤/١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١/٣٣٧) ، (بولاق) .
- ٢ « فوجه اليهم مائة رجل ، فيهم « ليبد » الشاعر ، وهو غلام » ، المعارف (٦٤٢) .
- ٣ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣/٣٠٦ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

(الربيع بن زياد) العبيسي^١ يتادم النعمان ويتقدم على من سواه ، وكان يدعى (الكامل) ، وكان يعادي (بني جعفر) ، فأوغر صدر (النعمان) عليهم ، حتى صد عنهم ونزع القبة عن (أبي براء) . فلما وقف (ليبد) على خبرهم ، قال لهم : هل تقدرّون أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعد الملك فأرجز به رجراً ممضاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً ؟ قالوا وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : فلما نيلوك بشتم هذه البقلة ، فقال فيها قولاً أعجبهم . فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلّقوا له رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه (الربيع) ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة بالوفد . فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع الى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبد : وقد دهن أحد شقي رأسه ، وأرخی ازاره ، وانتعل نعلاً واحدة ، على عادة الشعراء في الجاهلية إذا أرادت الهجاء ، ثم قال رجزه حتى إذا بلغ قوله :

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه إن استه من برص مكمعه^٢
وإنه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يوارى أشبعه
كأنه يطلب شيئاً ضيحه

نفر (النعمان) من (الربيع) ورمقه شزراً ، وكره مجالسته لتأثير هذه الأبيات فيه ، وأعاد القبة على (أبي براء)^١ .

وقد أيد (ابن رشيّق) رواية من ذكر ان (ليبداً) كان غلاماً يوم قال قصيدته المذكورة بقوله : « والربيع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان فحاشاً عياباً بدياً سبّاباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان ، فرمي بليبد وهو غلام مراهق فنافسه »^٢ . فجعل (ليبداً) غلاماً مراهقاً .

ويروي أهل الأخبار خبراً يؤيد الخبر المتقدم . يقول خبرهم : « نظر النابغة

١ الفاهر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٢/١٦) ، نزهة الجليس (٥٠٧/٢) وما بعدها ، أمالي المرتضى (١٨٩/١) وما بعدها ، العمدة (٢٧/١) ، الخزائن (١١٧/٤) ، مجالس ثعلب (٤٤٩ وما بعدها) .
٢ العمدة (٥١/١) .

الى ليبد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فسأل عنه فنُسب له . فقال له : يا غلام ، إن عينيك لعينا شاعر ، أفترض من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأشدني شيئاً مما قلته ، فأشده قوله : « ألم تربع على الدمن الخوالي » فقال له : يا غلام أنت أشعر بني عامر . زدني يا بني ، فأشده : طلل نخولة بالرئيس قديم . فضرب يديه الى جبينه وقال : اذهب فأنت أشعر من قيس كلها : أو قال : هوازن كلها . ويقال : انه أنشده : عفت الديار محلها فقامها ، فقال له : اذهب فأنت أشعر العرب^١ .

واذا أخذنا بالروايتين المذكورتين القائلتين ان (ليبد) كان صبيّاً أو غلاماً في أيام حكم الملك النعمان ، وجب علينا افتراض ان ميلاده لم يكن بعيداً عن سنة (٥٨٠) أو (٥٨١) أو (٥٨٢ م) ، السنة التي تولى فيها (النعمان) الملك ، ومعنى هذا انه لم يعمر طويلاً ، وهو خلاف ما يذكره أهل الأخبار ، وان كل ما يمكن أن نتصوره عن عمره ، انه كان في حوالى الثمانين حين داهمته منيته . وقد جعل (بروكلمن) مولده حوالى السنة (٥٦٠ م) ، وجعل وفاته سنة (٥٤٠) أي حوالى السنة (٦٦٠ م) ، ومعنى هذا انه كان من أبناء المائة حين جاء أجله^٢ .

ولليبد شعر في (النعمان بن المنذر) ، وصف فيه مجلسه . فذكر انه كان قاعداً كعتيق الطير يُغضي ويُجمل ، والهبائيق قيام ، بأيديهم الأباريق ، تحسر الديباج عن أذرعهم ، ينتظرون أمراً يصدره اليهم . وهو شعر مدون في ديوانه يعدّ من جيد شعره^٣ .

وله قصيدة في رثاء (النعمان) ، تعرض فيها للموت ولزوال النعيم ، ولعدم دوام الدنيا لأحد ، ثم تحدث عن النعمان وعن أعماله وتجارته ختمها بقوله :

وَأَمْسَى كَأَحْلَامِ النَّيَامِ نَعِيمُهُمْ وَأَيُّ نَعِيمٍ خَلْتَهُ لَا يَزَالُ
تَرَدُّ عَلَيْهِمْ لَيْلَةُ أَهْلَكْتَهُمْ وَعَامٌ وَعَامٌ يَتَّبِعُ الْعَامَ قَابِلُ^٤

-
- ١ الاغانى (٩٧/١٤) ، شرح ديوان ليبد (٢١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٥/١) .
 - ٣ ديوان ليبد (١٩٥) ، الشعر والشعراء (٢٠٣/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ القصيدة رقم (٣٦) من الديوان ، شرح ديوان ليبد (ص ٢٦٦) ، الخزائنة (٣٣٩/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وقد ذكر فيها (الله) بقوله :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى : كل ذي لب الى الله واسل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه إذا كُشفت عند الإله المحاصل^١

وهي قصيدة أزيد من خمسين بيتاً . وأولها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل^٢

وروي أن لييدا أنشد النبي قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال له صدقت ؛ فقال : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال له : كذبت ، نعيم الآخرة لا يزول . وروي أن ذلك كان مع (أبي بكر) ،
وروي في خبر آخر أنه كان مع (عثمان بن مظعون)^٣ .

ولليد شعر يرثي به أخاه لأمه (أربد) ، وكان قد أصابته صاعقة فقتل .
وكان (أربد) أكبر منه سنّاً . وأبوه (قيس بن جزء بن خالد بن جعفر)
(أربد بن قيس بن مالك بن جعفر)^٤ ، وكان يعطف على (لييد) كثيراً وعلى
ذوي رحمه ، فارساً كريماً ، فلما أصابته الصاعقة تألم (لييد) مما ألم بأخيه كثيراً ،
فرثاه برجز وبقصيد. وقد وجدت في النسخة العربية لتأريخ الأدب العربي لبروكلمن
هذا النص : « ولما استقام السلطان للنبي بالمدينة ، سار لييد يحمل رسالة اليه من
عمه : أربد ، فأعجبه دينه »^٥ . وهو وهم ، فأربد هو أخوه لا عمه . قال

١ القصيدة رقم (٣٦) ، البيت (٨) وما بعده .

٢ الخزانة (٢٥٢/٢) ، (هارون) .

٣ الخزانة (٢٥٥/٢) وما بعدها .

٤ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) ، الخزانة (٢٥٠/٢) وما
بعدها .

٥ بروكلمن (١٤٥/١) .

الطبري : « وكان أريد بن قيس أخا لييد بن ربيعة لأمه »^١ . وكان من خبره انه قدم مع وفد (بني عامر بن صعصعة) على الرسول ، وفيه (عامر بن الطفيل) وثلاثون من رؤوس القوم وشياطينهم ، وفي رأس (عامر) الغدر بالرسول ، بأن يشاغله في الحديث ، فيعلو (أريد) النبي بالسيف ، فلم يتجاسر (أريد) على ضربه ، ورجع الوفد الى بلاده . فلما كان (عامر) يبعض الطريق أصيب بالطاعون فمات ، ومات (أريد) بعد ذلك بقليل بالصاعقة^٢ .

وذكر أن (عامر) لما مات نصبت (بنو عامر) نصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يُرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وكان (جبار بن سلمى بن عامر بن مالك) غائباً ، فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا نصبناها حمى على قبر (عامر) ، فقال ضيقتم على أبي علي^٣ . إن أبا علي بان من الناس بثلاث . كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتى يضل النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل^٤ .

وفي اصابة (اريد) بالصاعقة يقول (لييد) يكيه :

ما ان تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أريد الخوف ولا اهرب نوء السماك والأسد
فجعتي الرعد والصواعق بالفارس يوم الكربة النجد^٥

وهي قصيدة دون أبياتها (ابن هشام)^٦ .

وله قصيدة أخرى في رثاء (اريد) مطلعها :

ألا ذهب المحافظ والمحامي ومانع ضميمها يوم الحصام

- ١ الطبري (١٤٥/٣) ، ابن هشام ، سيرة (٣٧٢/٢) .
- ٢ الطبري (١٤٤/٣) وما بعدها ، وروى « ابن سعد » خبر وفد « عامر بن صعصعة » بشكل آخر ، ذكر أنه طلب من الرسول أن يجعل له ميزة على غيره ان أسلم ، أو أن يجعل الامر اليه من بعده ، فلما رفض الرسول ذلك ، قال : لاملأنها عليك خيلاً ورجالا ، ابن سعد ، الطبقات (٣١٠/١) ، (وفد عامر بن صعصعة) ، سيرة ابن هشام (٣٣٧/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، (الروض الانف (٣٣٧/٢) .
- ٣ الخزائن (٤٧٤/١) ، (بولاق) .
- ٤ الشعر والشعراء (١٩٨) ، ابن هشام (٣٣٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، تفسير الطبري (٨٤/١٣) وما بعدها .
- ٥ سيرة (٣٣٨/٢) .

وقد رواها (ابن هشام)^١ . وقصائد أخرى عديدة^٢ ، تدل على شدة تأثيره بوفاة (أربد) .

وقد اختلفت الروايات في زمن إسلام (لييد) . قيل إنه أسلم سنة وفد قومه (بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) فأسلم^٣ . وقيل إن (لييد بن ربيعة) و (علقمة بن علاثة) كانا من المؤلفة قلوبهم^٤ . وقيل إنه وفد على الرسول بعد وفاة أخيه (أربد) فأسلم^٥ .

وتجمع روايات أهل الأخبار وعلماء الشعر على إقبال (لييد) على الاسلام من كل قلبه ، وعلى تمسكه بدينه تمسكاً شديداً ، ولا سيما حيناً بدأ يشعر بتأثير وطأة الشيخوخة عليه وبقرب دنو أجله ، ويظهر ان شيخوخته قد أبعدته عن المساهمة في الأحداث السياسية التي وقعت في أيامه ، فابتعد عن السياسة وانزوى في بيته ، وابتعد عن الخوض في الأحداث ، ولهذا لا نجد في شعره شيئاً ، ولا فيما روي عنه من أخبار ، انه تحزب لأحد أو خاصم أحداً .

وروي ان (لييداً) ترك الشعر في الاسلام وانصرف عنه . فلما كتب (عمر) الى عامله (المغيرة بن شعبة) على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » ، أرسل الى (الأغلب) الراجز العجلي ، فقال له : انشدني ؟ فقال :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم أرسل الى لييد ، فقال : « انشدني ما قلته في الاسلام » ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : « أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء (الأغلب) خمسمائة وجعلها في عطاء لييد^٦ : وروي ان (عمر) كتب الى عامله بالكوفة : سل لييداً والأغلب

- ١ سيرة (٣٣٨/٢) .
- ٢ ابن هشام ، سيرة (٣٣٨/٢) وما بعدها .
- ٣ الاستيعاب (٣٠٦/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ الاستيعاب (٣٠٨/٣) ، الخزانة (٢٤٦/٢) ، (هارون) .
- ٥ الاغانى (٩٠/١٤) .
- ٦ الاغانى (٩٧/١٤) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٢٠/١) وما بعدها .

العجلي ما أحدثنا من الشعر في الاسلام ؟ فقال لييد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه^١ :

وروي الخبر المتقدم بشكل آخر . روي أن (عمر بن الخطاب) قال للييد : أنشدني ، فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورتي البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه خمس مائة ، وكان ألفين . فلما كان في زمن (معاوية) قال له (معاوية) : هذان الفودان فما بال العلاوة ؟ وأراد أن يحطه إياها ، فقال أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان ! فرق له ، وترك عطائه على حاله ، ومات بعد يسير^٢ . وورد في رواية أخرى أن (معاوية) كتب الى (زياد) أن اجعل أعطيات الناس في ألفين ، وكان عطاء (لييد) ألفين وخمسمائة . فقال له (زياد) : « أبا عقيل هذان الخراجان ، فما بال هذه العلاوة ؟ قال : ألحق الخراجين بالেলাوة ، فإنك لا تلبث إلا قليلاً حتى يصير لك الخراجان والেলাوة ! فأكملها (زياد) ، ولم يكملها لغيره . فما أخذ لييد عطاء آخر حتى مات^٣ .

وقيل إن لييداً لم يقل في الاسلام إلا بيتاً واحداً ، هو :

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرءُ ينفعه القرين الصالح^٤

في رواية . وورد على هذه الصورة :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرءُ يصلحه المجلس الصالح^٥

في رواية أخرى .

وقيل هو هذا البيت :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الاسلام سربالاً^٦

-
- ١ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٩٥/١) وما بعدها ، الاستيعاب (٣٠٩/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الاصابة (٣٠٨/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٥٥/١) ، الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٩٥/١) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٩٥/١) ، (الثقافة) .

وذكر بعض العلماء أن البيت :

الحمد لله إذ لم يأتي أجلي حتى اكتسيت من الإسلام مربلا

ليس للبيد ، بل هو لـ (قردة بن نفاعة)^١ .

ومن الشعر المستجاد المنسوب الى لبيد ، قصيدته :

إن تقوى ربنا خير ثقل وبإذن الله ريبي وعجل
أحمد الله فلا نسد له يديه الخير من شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقد زعم بعض العلماء أنها قيلت في الجاهلية ، ولكنها لا يمكن أن تكون من شعر الجاهلية ، لما فيها من آراء اسلامية ، ثم أنها قيلت بعد موت (اربد) ، وكان لبيد مسلماً آنذاك على ما جاء في بعض الأخبار^٢ .

ومما جاء فيها :

اعقلي إن كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل
إن ترى رأسي أسى واضحاً سلط الشيب عليه فاشتعل

وقوله :

غير أن لا تكذبها في التقى واخرها بالبر لله الأجل

وهي قصيدة تبلغ عدتها (٨٥) بيتاً^٣ ، بعض أبياتها لشعراء آخرين ، وقد نسبها بعض العلماء اليه ، فأدخلت في القصيدة^٤ .

١ الاصابة (٣٠٧/٣) ، (رقم ٧٥٤٣) ، الاستيعاب (٣٠٧/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ ديوان لبيد (١٧٤ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (٢١/١) .

٣ الخزائن (٢٨/٢) ، (يولات) .

٤ ديوان لبيد (١٩٩ وما بعدها) .

ومما جاء فيها في حق (أريد) قوله :

من حياة قد مللنا طولها وجدير* طول عيش أن يمل
وأرى أريد قد فارقتي ومن الأرزاء رزء* ذو جلال^١

وقد عاب بعض العلماء عليه قوله :

ومقام ضيق فرجته بمقامي ولساني وجدل
لو يقوم القيل أو فيآله زال عن مثل مقامي وزحل

« وقالوا : ليس للقيال من الخطابة والبيان ، ولا من القوة ، ما يجعله مثلاً لنفسه ، وإنما ذهب الى ان القيل أقوى البهائم ، فظن ان فيآله أقوى الناس ! قال أبو محمد ، وأنا أراه أراد بقوله : لو يقوم القيل أو فيآله مع فيآله ، فأقام (أو) مقام الواو^٢ .

وفي هذه القصيدة إشارة الى صلاة اليهود ، حيث يقول :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصّل^٣

« قال أبو الحسن الطوسي : كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه . قال البغدادي : واليهودي يسجد على شق وجهه^٤ .

وقد تعرض (كارلو فالينو) لهذه القصيدة ، فقال : « ومن المشهور ما في ديوانه من العبارات الدينية ، بل الشبيهة بالعقائد الإسلامية » ، ثم ذكر أبياتاً منها ، ثم قال : « ولكن ليس كل ما ينسب اليه في ديوانه من هذا السبب صحيحاً ، بل لا اختلاف في بعض الأشعار انها مصنوعة^٥ .

١ البيتان (٧٩ - ٨٠) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ٢٠٠ وما بعدها) .

٣ البيت رقم (٣٢) من القصيدة (٢٦) في ديوانه (ص ١٨٣) .

٤ ديوان لبّيد (١٨٣) .

٥ كارلو فالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧٨) .

ونسب له قوله :

من ييسط الله عليه اصبعها بالخير والشر بأيّ أولما
يملاً له منه ذنباً مُترعاً^١

وقوله :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلتوها ، وغدواً بلاق

وقوله :

تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^٢

وفي هذه الأبيات إشارات الى رأي لييد في الدنيا وفي الموت، وهي آراء يقوها في العادة المعمرون ، فإذا صح أنها له ، فلا بد وأن تكون من شعره الذي قاله بعد تقدمه في السن .

ويظهر أن الكبر هو الذي حمل (لييداً) على ترك الشعر أو الاقلال منه ، فالتقدم في السن يوقف القرينة ويجمد الذهن . فلما أرسل (الوليد بن عقبة) اليه شعراً ، ومعه مائة بكرة ، قال لييد لابنته : اجيبه فقد رأيتني وما أعيسا بجواب شاعر^٣ . وفي هذا الجواب دلالة على توقف قريحته عن قول الشعر ، وأنه لم يعد باستطاعته نظمه ، وليس السبب هو الإسلام .

وكانت مناسبة لإرسال (الوليد بن عقبة) الشعر والهدية اليه ، أنه (لييد) كان آلى في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وألزمه نفسه في إسلامه . فهبت الصبا ، ولم يكن عند (لييد) ما يعينه على الإطعام ، فخطب (الوليد) الناس بالكوفة ، وقال : إن أخاكم لييداً آلى ألا تهب له الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن ، وهذا اليوم من أيامه ، فأعينوه ، وأنا أول من أعانه.

١ أمالي المرتضي (٣١٩/١) .

٢ أمالي المرتضي (٤٥٣/١) .

٣ أمالي المرتضي (٥٥/٢) .

٤ الشعر والشعراء (١٩٦/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

ونزل فبعث اليه بمائة بكرة وكتب اليه شعراً يمدحه فيه ويذكر له كرمه ونذره^١
ويشك (بروكلمن) في صحة ما ورد من ترك (لييد) الشعر بعد دخو
في الإسلام . ويرى أن كثيراً من شعره مطبوع بطابع إسلامي ، ويعد أن يكون
مما صنع عليه ، وإن زيد عليه بعض الزيادات^٢ .

ونجد في قصيدة (لييد) الكبرى التي مطلعها :

عفت الديار محلها فقامها بنى تأبد غولها فرجامها^٣

أسماء مواضع كثيرة من نجد والحجاز^٤ .

ولعلماء الشعر آراء في شعر لييد ، من ذلك ما قالوه في قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفه المرء يصلحه المجلس الصالح

فقالوا : إنه شعر جيد المعنى والسبك ، لكن ألفاظه قصرت عن معناه . فإذ
قليل الماء والرونق^٥ .

وقد ذكروا له أشعاراً سبق بها غيره من الشعراء ، أخذها غيره عنه ، فأعاده
علماء الشعر الى أصلها . كما عابوا عليه بعض الأمور الصغيرة التي لا يمكن أن
يقلت منها شاعر^٦ .

و (عنتر بن شداد العبسي) ، هو (عنتر بن عمرو بن شداد بن قراد
العبسي . وشداد جده أبو أيه في رواية لابن الكلبي ، غلب على اسم أيه فنسب
اليه . وقال غيره : شداد عمه ، وكان عنتر نشأ في حجره فنسب اليه دون أيه
وكان يلقب بـ (عنتر الفلحاء) لتشق شفتيه .

وانما ادعاه أبوه بعد الكبر ، وذلك انه كان لأمة سوداء يقال لها (زبيبة) .

-
- ١ الشعر والشعراء (١٩٦/١) وما بعدها (،) (الثقافة) ، الاغاني (٢٩٨/١٥)
السيوطي ، شرح شواهد (١٥٥/١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٥/١) .
 - ٣ القصيدة رقم (٤٨) في الديوان ، شرح ديوان لييد (ص ٢٩٧) .
 - ٤ الاكليل (٢٢٣) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٩٩/١) وما بعدها (،) (الثقافة) .

وكانت العرب في الجاهلية اذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده ، وكان لعنرة اخوة من أمه عبيد . وكان سبب ادعاء أبي عنرة إياه ان بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من (بني عيس) ، فأصابوا منهم ، فقبضهم العبيسون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم ، وعنرة فيهم ، فقال له أبوه : أوعمه في رواية أخرى : كرت يا عنرة ! فقال عنرة : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصبر . فقال : كر وأنت حر ، فكرت وقاتل يومئذ حتى استنقذ ما بأيدي عدوهم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق به نسبه^١ .

وورد في رواية أن اخوته قالوا له : اذهب فارح الإبل والغنم واحلب وصر : فانطلق يرعى وباع منها ذوداً ، واشترى بثمانته سيفاً ورمحاً وترساً ودرعاً ومغفرأ ، ودفنها في الرمل . وكان له مهر يسقيه ألبان الإبل . وان في الجاهلية من غلب سبا . وأنه جاء ذات يوم الى الماء فلم يجد أحداً من الحي ، فبهت وتحير حتى هتف به هاتف : أدرك الحي في موضع كذا ، فعمد الى سلاحه فأخرجه والى مهره فأسرجه واتبع القوم الذين سبوا أهله فكرت عليهم ففرق جمعهم وقتل منهم ثمانية نفر ، فقالوا : ما تريد ؟ فقال : أريد العجوز السوداء والشيخ الذي معها ، يعني أمه وأباه ، فردّوها عليه . فقال له عمه : يا بني كرت ، فقال : العبد لا يكر ، ولكن يحلب ويصر . فأعاد عليه القول ثلاثاً وهو يحميه كذلك . قال له : إنك ابن أخي وقد زوّجتك ابنتي عبلة . فكرت عليهم فألقته وابنته منهم . ثم قال : إنه لقيح أن أرجع عنكم وجيراني في أيديكم : فأبوا ، فكرت عليهم حتى صرع منهم أربعين رجلاً قتلى وجرحى فردّوا عليه جيرانه . فأنشد :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^٢

وروي انه كان من معاصري (امرئ القيس) ، وانه اجتمع به^٣ ، وان امرأة (شداد) أبي (عنرة) ذكرت لشداد ان عنرة أرادها عن نفسها ، فأخذها أبوه فضربه ضرب التلف ، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به

١ الشعر والشعراء (١٧١/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٨١/١ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٩/١ وما بعدها) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٨٢/١) .

من الجراحات ، وبكته . وكان اسمها : (سمية) ، فقال عنترة :

أمن سمية دمع العين مذروف لو كان منك قبل اليوم معروف^١

وذكر انه كان من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتى سابه رجل من عبس ، فذكر سواد أمه وأخوته ، وعيبره بذلك ، وبأنه لا يقول الشعر ، فاغتاظ منه وردت عليه ، وهاجت قريحته فنظمت له قصيدة :

هل غادر الشعراء من متردم

وهي أجود شعره ، وكانوا يسمونها (المذهبة)^٢ .

وله كأكثر الشعراء أبيات شعر ، استحسناها علماء الشعر ، وقالوا انه أجاد فيها وأحسن ، وما سبق اليه ولم يتازع فيه في بعض ذلك الشعر^٣ .

وهو أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة ، وأمه زبيبة ، سوداء ، وخفاف بن عمير الشريدي ، من بني سليم ، وأمه تدبة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء ، والسليك بن عمير السعدي ، (السليك بن سلكة) ، وأمه سلكة ، واليها ينسب ، وكانت سوداء^٤ . وذكر أنه كان يفخر بأخواله السود ، رهط أمه ، فدعاهم ب (حام) حيث يقول :

إنني لتعرف في الحروب مواطني في آل عبس مشهدي وفعالي
منهم أبي حقاً فهم لي والد والأم من حام ، فهم أخوالي^٥

وإذا صح ان هذا الشعر هو لعنترة ، دلّ على وقوف الجاهليين على اسم (حام) ، الوارد في التوراة ، على أنه جدّ السودان . ولا بد أن تكون التسمية قد وردت الى الجاهليين عن طريق أهل الكتاب .

-
- ١ المحاسن والاضداد (١٤٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٧٢/١) وما بعدها ، الزوزني (١٣٦) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٨١/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٧٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١٧٢/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٧٥/١) .

وذكر أنه كان قد أغار على (بني نبهان) فرماه (وزر بن جابر بن سدوس ابن أصمح) النبهاني ، فقطع مطاه ، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله فات^١ .

ويعد (عمرو بن كلثوم) التغلبي من كبار شعراء الجاهلية ، وكان معاصراً للملك (عمرو بن هند) (٥٥٤ - ٥٦٨ م) ، وهو قاتله في خبر سبق أن تحدثت عنه . وهو من الشعراء الذين مالوا إلى الحكيم^٢ في نظم الشعر^٣ . وقد عرف بـ (أبي الأسود)^٤ . ويقال إن أخاه (مرة بن كلثوم) التغلبي ، هو قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر . وكان (عمرو بن كلثوم) سيد قومه ، سادهم وهو ابن خمس عشرة ، ومات وله مائة وخمسون سنة^٥ . وكان خطيباً حكيماً وشاعراً ، أوصى بنيه عند موته بوصية بليغة حسنة^٦ ، ضبط نصها الرواة فيما بعد ، وكانهم كتبوها بخط يدهم .

وقصيدته الشهيرة التي هي إحدى السبع ، هي من جيد شعر العرب القديم ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء :

ألمى بني تغلب عن كل مكربة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم بالرجال لفخر غير مسؤول^٧

وفي قتل (عمرو بن كلثوم) (عمرو بن هند) يقول أحد شعراء تغلب ، وهو (افنون بن صريم) التغلبي :

لعمرك ! ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلاً وأمسك من ندمانه بالمخنق^٨

ويذكر في سبب نظم (عمرو بن كلثوم) قصيدته الشهيرة ، أن قبيلة (تغلب)

-
- ١ أسماء المقتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١٠ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن (١٠٣/١) ، الاغانى (١٧٥/٩) ، الخزائن (٥٢/١) ، الشعر والشعراء (١٥٧/١ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٦ وما بعدها) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١٢١/١) ، الخزائن (٥١٧/١ وما بعدها) .
 - ٤ الاغانى (١٧٥/٩ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٧) .
 - ٥ الاغانى (٥٩/١١) ، (بولاق) ، المرزباني ، معجم (٧) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٥٩/١ وما بعدها) ، (لشعر غير مسؤول) ، الخزائن (٥١٧/١ وما بعدها) ، الاغانى (٥٤/١١) ، (دار الكتب) ، الخزائن (٥١٩/١) ، (بولاق) .
 - ٧ المحبر (٢٠٤) ، الاغانى (١٧٥/٩ وما بعدها) ، (٥٤/١١) ، (دار الكتب) .

كانت من أشد الناس في الجاهلية ، وكانت بينهم وبين (بكر) حزازات وعداوة ، ويقال : جاء ناس من بني تغلب الى بكر بن وائل يستسقونهم فطردهم بكر للحقد الذي كان بينهم فرجعوا ، فمات سبعون رجلاً عطشاً . فاجتمعت (تغلب) لحرب (بكر) ، واستعدت لهم (بكر) حتى إذا التقوا ، خافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت ، فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح ، فتحاكموا في ذلك الى (عمرو ابن هند) . فجاءت تغلب يقودها (عمرو بن كلثوم) وجاءت بكر ، ومعها (الحارث بن حلزة الشكري) ، فألقى قصيدته :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَوْرٍ يُمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وتأثر (عمرو بن هند) بها ، فعلم لبكر ، وأنشد (عمرو) قصيدته :

أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحْنَا وَلَا تَبْقَى خُورُ الْأَنْدَرِينَا^١

وفي جملة أبياتها :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^٢

ويذكر بعض الرواة أن (عمرو بن كلثوم) ارتجل قصيدته الشهيرة ارتجالاً ، وأنها كانت تبلغ ألف بيت أو تزيد^٣ . وإن مسا وصل إلينا منها هو بعضها . وتبلغ (٩٦) بيتاً في كتاب (شرح القصائد العشر) للتبريزي^٤ . يظهر من دراستها وامعان النظر فيها أنها لم تنظم دفعة واحدة ، وإنما لم تكن بهذا الطول يوم ألفها الشاعر ، بل زيدت فيما بعد حسب المناسبات ، لأن فيها أبياتاً تمس أموراً وقعت فيما بعد ، في ظروف متأخرة ..

ويروى أن (عمرو بن كلثوم) ، جاء سوق عكاظ ، فألقى معلقته هناك . وروي أن (معاوية بن أبي سفيان) قال « ان قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة ، من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهرأ^٥ » .

١ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٣٧٩ وما بعدها) .

٢ أمالي المرتضي (٥٧/١ ، ٣٢٧) ، (١٤٧/٢) .

٣ شعراء النصرانية (١٩٧ وما بعدها) .

٤ (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ح ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢) .

٥ الخزانة (٥١٧/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

وبلاحظ ان في معلقة (عمرو بن كلثوم) أبياتاً خرجت على رويّ القافية ،
مثل قوله :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعتتها صفونا^١

وقوله :

ندافع عنهم الأعداء قدماً ونحمل عنهم ما حملونا^٢

وقوله :

نحزُّ رؤوسهم في غير برٍّ فما يدرون ماذا يتقونا^٣

وقوله :

إذا ما صَيَّ بالإسناف حيَّ من الهولِ المشبه أن يكونا^٤

وقوله :

برأسٍ من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا^٥

وقوله :

إذا عضَّ الثفاف بها اشمازت وولتهم عَشَوَزةً زبونا^٦

وقوله :

علينا كلَّ سابغة دلاص تَرى فوق النجادِ لها غضونا
إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القومِ جُونا^٧

-
- ١ البيت رقم (٢٤) من المعلقة .
 - ٢ البيت رقم (٣١) .
 - ٣ البيت رقم (٣٦) .
 - ٤ البيت رقم (٣٩) .
 - ٥ البيت رقم (٤٥) .
 - ٦ البيت رقم (٥٠) .
 - ٧ البيتان رقم (٧٠ وما بعده) .

وقوله :

وأنا المانعون لما يلينا إذا ما البيض زابت الجفونا^١

ومواضع أخرى من هذا القبيل^٢ . وكان من اللازم مسaire الفافية التي هي (الأندرينا) .

ولعمرو أشعار ، فيها هجاء للنعمان بن المنذر . فقد ذكر أن النعمان توعد (عمرو بن كلثوم) ، فبلغه ذلك ، فدعا كاتباً من العرب ، فكتب اليه :

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً فدحك حولي^٣ وذمك قارج
مضى تلقني في تغليب ابنة وائل وأشياها ترقي اليك المسالحي

وهجاء في شعر آخر ، ذكر فيه أمه ، وعبره بها ، وعبره في شعر آخر بأن خاله صانع يصوغ القروط والشنوف بيثرب ، ورماء فيه باللؤم^٤ .

وتنسب لعمرو أبيات نظمها في البذل والسخاء وفي اعطاء المال ، أولها :

لا تلومني فإنني متلف كل ما تحوي يميني وشمالي
لست إن أطرفت مالا فرحاً وإذا أتلفته لست أبالي^٥

ولعمرو بن كلثوم ديوان صغير ، نشر في مجلة المشرق . وقد ترجمت معلقته الى الألمانية^٥ . وفي معلقة (عمرو) أشعار مضطربة وتكرار ، وعدم تجانس في وحدة الموضوع . وقد يكون ذلك بسبب تلاعب الأيدي في القصيدة . وإذا عثر على نصها القديم ، الذي زعم انه كان ألف بيت أو يزيد ، فلأنها ستكون أطول قصيدة في تاريخ الشعر العربي نسبها علماء الشعر الى أحد من الجاهليين . وذكر ان (عمرو بن كلثوم) ، أغار على (بني حنيفة) باليامة ، فأسره

١ البيت رقم (٧٧) .

٢ الابيات (٨٠ - ٨٣) ، (٨٨) .

٣ الاغاني (١٧٥ / ٩) وما بعدها ، (٥٨ / ١١) ، (دار الكتب) .

٤ المرزباني ، معجم (٧) .

٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٥٧ / ١) ، ٦٧ وما بعدها ، (١٠٣) ، المشرق (١٩٢٢ م) ، (ص ٥٩١ وما بعدها) .

(يزيد بن عمرو الحنفي) ، ثم سقاه الخمر في قصر بـ (حجر) اليامة ، حتى مات . وذكر ان (يزيد) أراد المثلة به ، يربطه بجمل ، ثم ضرب الجمل ، ليركض به ، فصاح : « يالَ ربيعة ! أمثلة »^١ .

وتذكر رواية ان نهاية (عمرو بن كلثوم) كانت انتحاراً بشرب الخمر ؛ وذلك ان الملوك كانت تبعث اليه بجبائه وهو في منزله من غير أن يفد إليها . فلما ساد ابنه (الأسود بن عمرو) بعث اليه بعض الملوك بجبائه كما بعث الى أبيه . فغضب (عمرو بن كلثوم) وقال : « ساواني يولي » ، فحلف لا يذوق دسماً حتى يموت . وجعل يشرب الخمر صرفاً على غير طعام . فلم يزل يشرب حتى مات^٢ .

و (الحارث بن حلزة) اليشكري ، هو من (بني يشكر) ، من بكر بن وائل . وكان أبرص . وقد اشتهر بقصيدته التي هي إحدى المعلقات ، كما اشتهر بمثلها (عمرو بن كلثوم) و (طرفة بن العبد) . يذكر أنه ارتجلها بين يدي (عمرو بن هند) ارتجالاً ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف ، للبرص الذي كان به . وكان من عادة الملك أن يسمع الأبرص من وراء سبعة ستور ، وينضح أثره بالماء إذا انصرف عنه . فلما سمعت أم (عمرو بن هند) قصيدته ، قالت : « تالله ما رأيت كالיום قط رجلاً يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » ، فقال الملك : « ارفعوا سترأ وأدنوا الحارث » ، وكان كلما استحسن شيئاً منها أمر برفع ستر ، حتى رفعت الستور السبعة . واقعده الملك قريباً منه استحساناً لها وتقديراً له . وكان الحارث متوكئاً على عترة فارتزت – كما يقول أهل الأخبار – في جسده وهو لا يشعر^٣ . وقد زعم أنه قال قصيدته المشهورة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين^٤ .

والقصيدة من قصائد الفخر والتبجح بالمفاخر والمآثر ، وقد عرض فيها بقبيلة (تغلب) ، وعرض بـ (عمرو بن هند) كذلك . وقد ضرب به المثل بالفخر

١ الشعر والشعراء (٢٢٤ وما بعدها) .

٢ المحبر (٤٧٠ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١٢٧/١) ، الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) .

٤ الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) ، (٥١٩/١) ، (بولاق) .

فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة »^١ . ويرى (نولدكه) ان سبب اختيار (حماد) الراوية لهذه القصيدة وضمها الى القصائد الأخرى المختارة ، هو ان حماداً كان مولى لقبيلة (بكر بن وائل) ، وكانت هذه القبيلة في عدااء مع قبيلة (تغلب) ، ولما كان (حماد) قد اختار قصيدة (عمرو بن كلثوم) التغلبي لشهرتها ، لم يسع حماداً أن يعدل عن اختيارها ، ولكنه اضطر على اختيار قصيدة أخرى الى جانبها تشيد بمدح (بكر بن وائل) سادته ، فاختار قصيدة (الحارث ابن حلزة) الذي لم يبلغ في الشهرة شهرة الشعراء الآخرين^٢ .

ويزعم أهل الأخبار انه ارتجلها ارتجالاً أمام الملك ، بينما يذكرون انه كان قد قال لقومه قبل ارتجاله لها أمام الملك : « اني قد قلت قصيدة ، فن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه فرواها ناساً منهم . فلما قاموا بين يديه لم يرضهم فحين علم انه لا يقوم بها أحد مقامه » ، احتملها وأنشدها أمام الملك^٣ . وقد قالها لتكون حجة لقومه في نزاعهم السياسي مع قبيلة تغلب ، ودفاعاً عنهم أمام الملك^٤ .

ويرى (بروكلمن) أن شعر (الحارث) أقل إصالة من شعر (عمرو بن كلثوم) . وهو قريب من شعر (زهير) في ميله الى مذهب التعليم والتهديب^٥ . وقد قدم (أبو عبيدة) شعره وجعله أحد ثلاثة نفر اشتهروا بمجودة قصائدهم ، إذ قال : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث ابن حلزة ، وطرفة بن العبد »^٦ .

وللحارث بن حلزة شعر يذكر فيه (ابن مارية) ، وهو (أبو حسان) (قيس بن شراحيل بن مرة بن همام) ، وكان ممن سعى في الصلح بين بكر وتغلب . وفي جملة ما قاله فيه :

والى ابن مارية الجواد وهل شروى أبي حسان في الأنس^٧

- ١ زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٢٥/١) .
- ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦٧/١ وما بعدها) .
- ٣ الخزائن (٥١٩/١) .
- ٤ كارلو نالينو (٧٥) .
- ٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٣/١) .
- ٦ الخزائن (١٥٨/١) ، (بولاق) .
- ٧ المفضليات (٥٤) .

وفي قصيدة (الحارث بن حلزة) أسماء مواضع من محالهم ومحال حلالهم .
وهي قصيدته التي تبدأ بـ :

أذنتنا بينها أسماء رب ثاورٍ يمل منه الثواء^٢

وللحارث بن حلزة ديوان صغير^٣ وأشعار مثورة في كتب الأدب والأخبار^٤.

و (الأعشى) (ميمون بن قيس بن جندل) من (سعد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة) ، ويكنى أبا بصير . وهو ممن عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام . ذكر (ابن قتيبة) انه (كان أعمى)^٥ . وهو وهم ، وإنما عمي في أواخر أيامه ، كما يفهم ذلك من شعره ، بعد أن لعب به الكبر ، وتحكمت به الشيخوخة ، وصار عاجزاً ، يقوده قائد ، يوجهه أنى يشاء ، تسيره عصاه ، وهو يخاف العثار^٦ . وقد وصف شيخوخته هذه وصفاً مؤلماً ، صادراً من قلب متفطر حزين ييكي أيامه الأولى ، أيام اللذة والمتعة ، أيام اللهو والجمرة والنساء ، أيام مضت ، حلت محلها أيام سود ، لا يفرق فيها الأبيض من الأسود ولا الليل والنهار ، ثم هو وحده ، لا خير ولا امرأة ولا لحم دسم ، عافته المرأة ، لذهاب ماله وشبابه ، وتركه الزنا على رغم منه ، ولم يعد يرى في هذه الأيام إلا الهم والحزن والألم .

وأم الأعشى بنت (عكس) أخت المسيب بن علس من بني (جُجاعة) ، ثم من بني (ضبيعة بن ربيعة بن نزار) ، ولد بقرية بالهامة يقال لها (منفوحة) ، وفيها داره وبها قبره . ويقال إنه كان نصرانياً ، وهو أول من سأل بشعره^٧ . ويسمى (صناجة العرب) . لأنه أول من ذكر الصنج في شعره فقال :

١ الصفة (٢٢٠) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٣/١) ، مجلة المشرق (١٩٢٢ م) (ص ٥٩١ وما بعدها) .

٣ الاغانى (١٧١/٩) وما بعدها ، المفضليات رقم (٢٥) ، (٦٢) ، (١٢٧) .

٤ الشعر والشعراء (١٧٨/١) ، (الثقافة) ، الخزائن (٨٤/١) وما بعدها ، الاغانى (١٠٨/٩) ، رسالة الغفران (١٥٩) .

٥ القصيدة رقم (١٢) و (٢٨) من ديوانه ، المرزباني ، معجم (٤٠١) ، طبقات ابن سلام (١٥) ، الاغانى (١٠٨/٩) ، المؤلف (١٢) ، رسالة الغفران ١٥٩ .

٦ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) .

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل^١

وذكر أنه إنما عرف بصناعة العرب لكثرة ما تغنت العرب بشعره ، أو لجودة شعره ، أو لأن العرب كانت تتغنى بشعره على صوت الصنج ، الى غير ذلك من شروح وتفسير^٢ .

وقد نشأ (الأعشى) راوية لشعر خاله (المسيب بن علس) ، وهو من شعراء الجاهلية المقلين . ثم نبغ هو في الشعر ، فعلا اسمه على اسم خاله ، حتى حلق في سماء الشعر ، ولا سيما في وصف الخمر ، حيث حظي الخمر عنده بموقع ممتاز في شعره ، فأجاد في وصفه وفي أثره في النفس. وتفنن في وصف الخمر، حتى سبق بوصفه هذا سائر شعراء الجاهلية ، ولم يلحق به في هذه الناحية من الشعر أحد . وقد عدّه بعض علماء الشعر رابع الشعراء الأربعة ، فهو يأتي بعد امرئ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابعة الذبياني^٣ . وقد أجاد أيضاً في وصف القيان .

قيل : كان الأعشى يفد على ملوك فارس ، ولذلك كثرت الفارسية في شعره^٤ ، وزعم ان (كسرى) سمعه يوماً يُنشد ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أمروذ كويذ تازى ، أي مغني العرب ، فأنشد :

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرقُ وما بي من سقمٍ وما بي معشوق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال ! فقالوا : ذكر انه سهر من غير سقم ولا عشق !

فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص !^٥ الى غير ذلك من قصص مصنوع .

-
- ١ المرزباني ، معجم (٣٢٥) ، (فراج) ، الشعر والشعراء (١ / ١٧٩) ، (الثقافة) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٤٠) .
 - ٢ المزهري (٤٣١ / ٢) ، الخزائن (٨٥ / ١) ، (بولاق) .
 - ٣ رسالة الغفران (٢٢٩) ، (بنت الشاطي) .
 - ٤ الشعر والشعراء (١ / ١٧٩) ، (الثقافة) ، الخزائن (٨٥ / ١) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١ / ١٨٠) ، (الثقافة) .

وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة ، ويمدح الأسود بن المنذر ، أخا النعمان^١ :
وقال له (النعمان بن المنذر) : لعلك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى :
اجبني في بيت حتى أقول ، فحبسه في بيت ، فقال قصيدته التي أولها :
ألزمت من آل ليلي ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

وفيهما يقول :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الأسرات الحمارا^٢

وورد في شعر الأعشى قوله :

وكنتم امرأة زمناً بالعراق عفيف المناخ طويل التنغ^٣

وإذا كان ما نسب الى الأعشى من قوله :

لسنا كمن جعلت إياد^٤ دارها تكرت تنظر حبها أن يحصدا
جعل الإله طعامنا في مالنا رزقاً تضمنه لنا لن يتفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تُرَاع فلن تظردا
ضمنت لنا أعجازهن قدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا^٥

صحيحاً ، فإنه يشير الى أرض يقال لها (تكرت) . وقد ذكر بعض علماء
اللغة أن (تكرت) بنواحي الموصل ، سميت بتكرت بنت وائل ، أخت (قاسط)* .
ويظهر أن الساسانيين قد أبعثوا بعض بطون (إياد) الى هذه الديار ، فأجبروهم
على الإقامة بها ، وأما النسب المذكور ، فقد وضع فيما بعد . ويظهر من هذا
الشعر ان تلك البطون قد تعلمت الزراعة ، فزرعت الحب ، والزراعة مزدراة في
نظر العرب ، ولهذا تبجح الشاعر عليها وافتخر ، بكون قومه أصحاب إبل

١ الشعر والشعراء (١٨٠/١) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٠/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ أمالي المرتضى (٣١/١ ، ٣٥) ، ديوانه (٢٢) .

٤ ديوان الاعشى رقم ٣٤ ، تاج العروس (٥٧٦/١) ، (كريت) .

٥ تاج العروس (٥٧٦/١) ، (كريت) .

ضخمة ، يعقرونها لمن يتزل بساحتهم من ضيوف ، أما إيراد فهم أصحاب زراعة وحصاد .

وكان الأعشى بنادم (هوذة بن علي) الحنفي ، صاحب الهمامة ، وكان نصرانياً على ما يقال . وذكر ان (الأعشى) كان نصرانياً كذلك ، وكان يزور (الحيرة) كما كان يزور أسقف (نجران) . وله رواية يروي شعره اسمه (يحيى ابن متى) من عبادة الحيرة . وقد أشار في شعره الى أمور توراتية مثل حمامة نوح وأخبار سليمان . لا ندري اذا كان قد أخذها من التوراة ، أو انه سمعها من رجال الدين أو من قصص نصارى الحيرة^١ .

وله أشعار كثيرة في مدح (هوذة) (هوذة بن علي بن ثمامة) الحنفي ، منها قصيدته التي مطلعها :

أحييتك تيمناً أم تركت بدائكها وكانت قتولاً للرجال كذلك
وأقصرت عن ذكرى البطالة والصبا وكان سفيهاً ضلة من ضلالها

الى أن قال :

الى هوذة الوهاب أهديت مدحتي أرجي نوالاً فاضلاً من عطائك
تجانب عن جو الهمامة ناقتي وما عمدت من أهلها لسوائك

وهذه القصيدة تشبه أشعار المحدثين والمولدين في الرقة والانسجام^٢ .

ومن شعره في مدح (هوذة) قوله :

له أكاليل بالياقوت زينها صراغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

وقوله :

وكل زوج من اللبياج يلبسها أبو قدامة مجبوراً بذلك معاً^٣

١ راجع قصائده ١٣ ، و ٣٤ ، و ٧٩ من ديوانه ، وبروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١) ، الاغانى (٧٦/١٦) ، رسالة الغفران (١٧٤) .
٢ الخزنة (٦١/٢) وما بعدها ، (يولاق) .
٣ أمالي المرتضى (١٧٢/٢) .

وكان يزور اليمن ، ويقف بأبواب أقيالها ، لينال منهم هداياهم . وفي خبر يرجع سنده الى (الأعشى) ، أنه قال : « أتيت سلامة ذا فائش (فائش) فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه ، فأنشدته :

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في شعر من مضى مثلاً
استأثر الله بالوفاء وبالعادل وولى الملامة الرجال
الشعر قلده سلامة ذا فائش والشيء حيث ما جعلاً

قال : صدقت ، الشيء حيث ما جعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حلاً وأعطاني كيرشاً مدبوغة مملوكة عنبراً ، فبعثتها في الحيرة بثلاثمائة ناقة حمراء^١ . والشعر المذكور هو من قصيدة رقت برقم (٣٥) في ديوانه وتقع في (٢٤) بيتاً ، وفي ترتيب بعض أبياتها اختلاف . وقد شكك (ابن قتيبة) في صحة نسبتها الى الأعشى ، كما شك غيره في صحة نسبتها اليه ، لأسباب ذكروها^٢ . وقد نسبها (الهمداني) الى الأعشى^٣ .

ونسب (الهمداني) الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة) أولها :

رأيت سلامة ذا فائش إذا زاره الضيف حياً وبش^٤
وقال لهم مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بهم وابتهش

وتنسب الى الأعشى قصيدة أخرى في مدح (سلامة ذا فائش) ، وهو : (سلامة ذو فائش) ابن يزيد بن مرة بن عريب بن مرثد بن حريم الحميري^٥ ، وقد ذكر (الهمداني) أن (ذا فائش) هذا ، هو (ذو فائش الأصغر) ، واسمه (سلامة بن بهر) القليل . وأورد أبياتاً في مدحه أولها :

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٣٩/١) ، الاغاني (١٢٤/٩) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ٦٨ ، رقم القصيدة ٨) ، (شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين) ، رسالة الغفران (١٧٥) .
- ٢ ديوان الاعشى الكبير (٢٣٢) ، الاغاني (٨٥/٨) ، الامالي (٩٩/٢) .
- ٣ الاكلیل (١٩٨/٢) .
- ٤ الاكلیل (١٩٥/٢) .
- ٥ هي القصيدة التي رقت برقم (٨) في ديوانه ، (ص ٦٨ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (١٩) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢١٨) .

تؤم سلامة ذا فائش هو اليوم حم لمياعدها
وكم دون بيتك من صفصف ودكداك رمل وأعقادها

وهي أبيات من القصيدة المرقفة برقم (٨) في ديوان الأعشى ، وتقع في (٥٦) بيتاً .

ودون (الهمداني) أبيات شعر زعم أنها في مدح (ذي فائش) ، الذي هو (سلامة بن يهر) القيسل ، ذكر أن (ابراهيم بن المحابي) ، أنشدها إياه ، أولها :

وذو فائش قد زرنه في ممنع من النيق فيه للوعول موارد^١

وذكر (الهمداني) أبياتاً من الشعر في مدح (زرعة بن عمرو) (زرع بن عمرو) . وكان (زرعة بن عمرو) يتولى وآباؤه للتبائع أعمال (المعافر) و (مأرب) وحضرموت ، وكان قد حارب (مذحجاً) ، وفيه يقول (الأعشى) وقد وفد على بعض أولاده ومدحهم ، قصيدة أولها :

تستم في العلا زرع بن عمرو وشيد ما بنى عمرو وزادا^٢

ودون (الهمداني) أبيات شعر في مدح (حجر بن زرعة) ذكر أنها للأعشى ، وقال إنه كثيراً ما يفد الى المعافر ، ثم قال : وقيل لأنها للمسيب بن علس . وأولها :

حللتُ على حجر بن زرعة بعدما برى الجسم مني مشفقات العواذل^٣

ونسب (الهمداني) أبيات شعر في مدح (فهد بن النعمان) ، وكان قبلاً بالمعافر . وقد وفد عليه . وأول هذه الأبيات :

ونادمت فهداً بالمعافر حقبة وفهد سماح لم تشبه المواعد^٤

-
- | | |
|---|---------------------|
| ١ | الاكلیل (١٩٥/٢) . |
| ٢ | الاكلیل (١١٥/٢) . |
| ٣ | الاكلیل (١١٧/٥) . |
| ٤ | الاكلیل (٣٦٣/٢) . |

ونسب الرواة الى (الأعشى) قصيدة في مدح (مسروق بن وائل) الحضرمي .
وهو ممن وفد الى (النبي) في وفد حضرموت فأكرمه^١ . وهي قصيدة رقت
برقم (٧٠) في ديوانه^٢ .

وفي (يزيد بن صهر بن أبي ثابت) الشيباني ، من سادة بني شيان وذوي
الرأي فيهم ، يقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أبها الرجل ؟

وهي لاميته الشهيرة التي تعدّ من المعلقات^٣ . وما جاء فيها في وصف مجلس
الشرب والخمر :

نازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مَرْتَقَاً وقهوة مزرة راووقها خضبل
لا يستفيقون منها إلا وهي راهنة إلا بهات ، وإن علّوا وإن نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات لها نطف مقلص أسفل السربال ، مُعْتَمِل
ومستجيب لصوت الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة القُضْلُ^٤

وكان ينبغي من أسفاره هذه جمع المال للاستمتاع بلذة الحياة ، ولذة الحياة
عنده : الخمر والطعام والنساء ، وقد جمعها بقوله :

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت مالي وكنتُ بهن قدماً مُولعا
الخمر واللحم السمين مع الطلى بالزعفران ولا أزال مُردّعا^٥

وهو من الشعراء الذين تعهروا في شعرهم ، على شاكلة (امرئ القيس) .
وقد أبدع في وصف صاحبه (قُتَيْلَة) . وهو لا يخشى من التصريح بأنه انما
يحب النساء ، لأجل الاستمتاع بهن . فليست المرأة إلا أداة اللذة في هذه الحياة .
فهو يبحث عنها ، ولا يبالي من أي نوع كانت ، جارية أم حرة ، عاهرة أم

-
- ١ الاصابة (٣/ ٣٨٨) ، (رقم ٧٩٣٥) .
 - ٢ شرح ديوان الاعشى (٣٢٨ وما بعدها) ، الاكليل (٣٧٦/٢) .
 - ٣ طبقات ابن سلام (٢٣) ، الاغانى (١٠٠/٨) ، رسالة الغفران (١٧٤) ،
(حاشية) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٧١ وما بعدها) ، تهذيب الالفاظ ، لابن السكيت (٢٢٧) .
 - ٥ ديوان الاعشى (ص) ، (دكتور م . محمد حسين) .

متزوجة، وهو على شاكلة (امرئ القيس) يطيب له أن يصور صاحبه متزوجة،
تخون زوجها ، وتقدم له الحب واللذة ، لأن في الاتصال بالمتزوجة مجازفة من
الرجل ومن المرأة ، والمجازفة من سياء العشاق الفرسان الشجعان .

وقد تمكن الأعشى باتصاله بملوك الحيرة والغساسنة ، وبقيس بن معديكرب ،
وسلامة ذي فائش ، وبسادة نجران ، وبهودة ، وبأمثالهم من حكام وسادة - من
الحصول على مال طيب، ومن التمتع بمشاهدة مجالس أولئك السادة ، ومن الشرب
بصحاف الذهب والفضة ، ومن أكل أكالات الخضر ، التي لا يعرفها إلا أصحاب
المال والترف ، ومن الاستمتاع بسماع الغناء العربي والأعجمي ، ومن التأثر بالحياة
الرفيعة التي يحياها أهل الخضر . فأثرت تلك الحياة فيه ، وصار يقبل عليها
ويبحث عنها في كل مكان . وما الحياة تلك إلا اللهو بالخمر والنساء والطعام
الطيب ، حتى كان يتلف ماله في سبيلها ، إن عسر الحصول عليها بغير ثمن .
وهو في شعره صريح يعلن فيه حبه لجمع المال ، لا يخشى من التصريح به
أحدًا ، ولغله كان يريد الإعلان عن ذلك ، ليرزقه الناس مما عندهم ، ويزيدوا
في ماله . نراه يقول :

وطوّفت للبال آفاقها عمان وحمص فأوريشكَمْ
أتيت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض العجم
فنجران فالسرو من حير فأبي مرام له لم أرم
ومن بعد ذلك الى حضرموت فأوفيت همّي وحيناً أهم

ثم هو يعدد المواضع التي زارها فيقول :

ألم ترني جولتُ ما بين مأربٍ الى عدن فالشأم والشأم عاند
وذا فائش قد زرت في متمنّع من النيق فيه للوعول موارد
بيعدان أوريمان أو رأس سكتية شفاء لمن يشكو السائم بارد
وبالقصر من أرياب لو بت ليلة لجاءك مثلوج من الماء جامد
ونادمتُ فهدأ بالمعافر حقبة وفهد سماحٌ لم تشبه المواعد

١ الصفة (٢٢٤) ، ديوان الاعشى القصيدة رقم (٤) ، والقصيدة رقم ٦٣ .

وقيساً بأعلى حضرموت انتجعتنه فتعم أبو الأضياف والليل ، اكد^١

ويظهر من الشعر المتقدم انه طاف بلاداً كثيرة ، فيها أرض العجم ، وأرض النبط ، وبلغ حمص و (أورشليم) ، أي القدس ، وعمان ، وزار جزيرة العرب حتى وصل حضرموت واليمن ، وعبر الى (النجاشي) في داره . وهي أسفار بعيدة متعبة بالنسبة لذلك الوقت ، وربما كان هذا الشعر مما أقحم عليه .

وله أشعار كثيرة في مدح (قيس بن معديكرب)^٢ ، الذي كان يرزقه ويغدق عليه المال ، وهو لا يجد غضاضة من التصريح في مدحه له أن لا يحرمه من نداء الجزيل . ولهذا عدة علماء الشعر أول من سأل بشعره ، وابتذل نفسه في السؤال ، وأسرف في الترحال من أجل جمع المال . ومن شعره في (قيس) وفي الاستجداء منه ، قوله :

ونبت قيساً ولم أبله كما زعموا خير أهل اليمن^٣
فجئتكَ مرتاداً ما خبروا ولولا الذي خبروا لم ترّان
فلا تحرمني نداءك الجزيل فلاني امرؤ قبلكم لم أهن

وهي قصيدة نونية ، موجودة في ديوانه^٤ .

وللأعشى قصيدة في مدح (أبي الأشعث بن قيس) الكندي . والأشعث اسمه (معديكرب) كان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث ، وهو من الصحابة ، وفد على النبي سنة عشر وأسلم ، وكان شريفاً مطاعاً جواداً شجاعاً ، وهو أول من مشى الرجال في خدمته وهو راكب ، وكان من أصحاب (علي) في وقعة صفين . ومن شعر الأعشى في مدح (أبي الأشعث) ، وهو (قيس بن معديكرب) قوله :

-
- ١ الصفة (١٠٠ ، ٢٢٥) ، الاكليل (١٠٢/٢) .
 - ٢ تاريخ ملوك العرب الاولى (١٢٤) .
 - ٣ ديوان الاعشى (١٥) ، (أوربا) ، شرح ديوان الاعشى (ش) ، رسالة الغفران (٢١٨) ، وله قصيدة مطلعها :

أأزعمت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن يزارا
في مدحه أيضاً ، راجع ديوانه (ص ٣٥) ، (أوربا) ، رسالة الغفران (٢٢٧) .

من ديار هضْب كهضْب القلب فاض ماء الشؤون فيض الغروب
أخلفتني بها قتيلة ميعا دي وكان للوعد غير كذوب^١

وكان الأعشى ، إذا زار اليمن تخوف بـ (أثافت) ، وكان له بها معصر
للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل (أثافت) من أعنابهم . وقد ذكرها (الأعشى)
في شعره ، إذ قال :

أحبُّ أثافيتَ وقت القطاف وقت عَصارة أعنابها

وكانت تسمى (درني) في الجاهلية . وإياها التي ذكرها الأعشى بقوله :

أقول للشرب في درني وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل^٢

وذكر غير (الهمداني) أن (درني) المذكورة في شعر الأعشى ، هي ناحية
من شق اليمامة . قال الأعشى :

حلّ أهلي ما بين درني فبادو لي وحلّت علوية بالسخال

فهي ليست بـ (أثافت) ، كما ذكر ذلك (الهمداني)^٣ . ونجد الهمداني
يذكر (درنا) في مواضع اليمامة . ولما كان (الهمداني) من العلماء بمواضع
جزيرة العرب ، فلا اعتقد أنه وهم حين ذكر قول (الرئيس الكباري) ، أن
(درني) هي (أثافت) ، فلعل (درني) غير (درنا) اليمامة^٤ .

وقد هجا (الأعشى) (علقمة بن علاثة) من سادات (بني عامر)
وأشرافهم . وكان سبب ذلك ، أنه مدح (الأسود) العنسي ، فأعطاه خمسمائة

١ الخزانة (٤٦٣/٢) وما بعدها ، (بولاق) .

٢ ديوان الاعشى (ف) ، (دكتور م . محمد حسين) ، (وأثافت وتسمى أثافه بالهاء
وبالتاء أكثر ، وخبرني الرئيس الكباري من أهل أثافت قال : كانت تسمى في
الجاهلية درني وإياها التي ذكرها الاعشى بقوله :

أقول للشرب في درني وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل) ،
الصفة ، للهمداني (٦٦) .

٣ تاج العروس (١٩٨/٩) ، (درن) .

٤ الصفة (١٣٧) .

مقال ذهباً وخمسمائة حللاً وعنباً ، فخرج ، فلما مر ببلاد (بني عامر) ، وهم قوم (علقمة) و (عامر بن الطفيل) ، خافهم على ما معه ، فأتى (علقمة ابن علاثة) ، فقال له : أجزني ! قال قد أجزتك من الجن والأنس . قال الأعشى ومن الموت . قال : لا . فأتى (عامر بن الطفيل) ، فقال له : أجزني ! قال : قد أجزتك من الجن والأنس . قال الأعشى : ومن الموت ! قال عامر : ومن الموت أيضاً . قال : وكيف تجبرني من الموت ؟ قال : إن مت في جوارى بعثت الى أهلك الدية . قال : الآن علمت انك قد أجزتني . فحرضه عامر على تغييره على علقمة ، فغلبه عليه بقصائد . فلما سمع علقمة نذر ليقتله إن ظفر به . فقال الأعشى قصيدة مطلعها :

شاكك من قيلة أطلالها بالشط فالجزع الى حاجر

ولما نذر (علقمة) دم الأعشى جعل له على كل طريق رسداً . فاتفق ان الأعشى خرج يريد وجهاً ومعه دليل فأخطأ به الطريق ، فألقاه على ديار بني عامر ابن صمصمة ، فأخله رهط (علقمة) فأتوه به . فقال له علقمة : الحمد لله الذي مكنتني منك ، فقال الأعشى :

أعلم قد صيرتني الأمور اليك ، وما أنت لي مُنقِصُ
فهبلي ذنوبي فدتك النفوس ولا زلت تنمي ولا تنقصُ

في أبيات ، فعفا عنه ، فقال الأعشى يتنقص ما قال أولاً :

علم يا خير بني عامر للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همه والغافر العثرة للعائس

وكان (عامر بن الطفيل) لما نافر (علقمة) خرج مع لييد الشاعر والأعشى ، فحكماً (أبا سفيان) ، فأبى أن يحكم بينهما ، فأتيا (عيينة بن حصن) فأبى ، فأتيا (غيلان بن سلمة) الثقفي ، فردهما الى (حرملة بن الأشعر) المرثي ، فردهما الى (هرم بن قطبة) الفزاري ، فحكم بتساويهما في الشرف والمترلة ،

١ الشعر والشعراء (١٨٢/١) ، (الثقافة) ، الخزانة (٤٣/٢) وما بعدها .

ولم يفضل فانصرفا على ذلك^١ .

ويقال إن النبي قال لحسان : يا حسان أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله لنا فيه ؟ فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقمة بن علاثة :

علقم ما أنت الى عامر الناقض الأوتار والواتر

فنهى النبي حسان من تلاوتها . وذكر أن النبي رخص في الأشعار كلها إلا هاتين الكلمتين : كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الأعشى في علقمة بن علاثة^٢ .

وقد اختلفت الروايات في (علقمة) ، فرواية تذكر أنه أسلم وصحب الرسول ورواية تذكر أنه لم يسلم، وأنه كان عند (قيصر) ، وأنه أثنى أمامه على الرسول حين كان عنده ، بينما تناول أبو سفيان منه ، ورواية تذكر أنه أسلم ثم ارتد ولحق بالشام ، ثم عاد الى الإسلام ، ورواية تذكر أن (عمر) استعمله على (حوران) ، فأت بها . وقد رثاه (الخطيب) بقصيدة ، وكان قد ذهب اليه لنيل نواه ، فوجده قد مات ، وقد أوصى له بجائزة في حياته ، فأعطاه ابنه مائة ناقة يتبعها أولادها^٣ .

ولما كان الأعشى تاجراً من تجار الشعر ، اتخذ الشعر متجراً يتاجر به ، فيمدح من يعطيه ، ويهجو من لا يحسن اليه ويصله ، لذلك صار شعره في الرجال الذين اتصل بهم ، بين مدح وبين هجاء .

وقد أفادنا (الأعشى) فائدة كبيرة في ذكره أسماء المواضع التي مر بها في شعره . وقد اقتبس (الهمداني) بعض شعره المتعلق بهذا الموضوع . كما أورد شعراً لغيره يتعلق بالمواضع ، انفرد به في بعض الأحيان . ومما ذكره من شعر الأعشى في بعض مواضع اليمامة ، قوله :

قالوا : "نمار" فبطن الخال جادهما فالعسجدية فالأبلاء فالرجل

١ الاصابة (٤٩٦/٢ وما بعدها) ، (٥٦٧٦) .

٢ الخزائن (٤٣/٢) ، (يولاق) ، الاصابة (٤٩٦/٢) ، (رقم ٥٦٧٧) .

٣ الاصابة (٤٩٧/٢ وما بعدها) ، (رقم ٥٦٧٧) .

فالسَّجْجُ يَجْرِي فَخَزِيرٌ فَبَرُّقَتُهُ حَتَّى تَتَابَعُ فِيهِ الْوَتْرُ وَالْحَبْلُ^١

ونجد في شعر الأعشى قصصاً من قصص أهل الجاهلية ، من ذلك ما رواه عن سد (مارب) في قصيدته التي يقول فيها :

ففي ذلك للمؤتسي أسوة ومارب قَتَى عليها العريمُ
رخام بنته لهم حمير إذا جاءه مأوهم لم يرم
فأروى الزروع وأعابها على سعة مأوهم لم يرم^٢

وهي آيات نظمت على طريقة ذلك الوقت في ذكر نكبات الماضي ، وما حل بالقبائل والمدن والقرى من مصير سيء ، لانتخاذها درساً وعبرة للأحياء . وهي لذلك تكون ذات صبغة أدبية أخلاقية ، لا يهتم فيها للتأريخ ولواقع الأحداث ، وإنما للقص وللتأثير في العواطف والقلوب .

ومنها قصيدته التي ذكر فيها من أهلكه الدهر من الجبابرة ومطلعها :

ألم تروا إرمًا وعادا أفناهم الليل والنهار
وقبلهم غالت المنايا طسماً فلم يُنْجها الحذار
وحلّ بالحي من جديس يوم من الشرّ مستطار
وأهل جوّ أنت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا
فصبتهم من الدواهي نائحة عقبها الدمار

وقد روى أهل الأخبار قصص هؤلاء الأقوام الذين ذكرهم الأعشى في شعره ، وقد رصنوها على عادتهم بالشعر ، نسبوه إلى أبطال ذلك القصص^٣ .

وأشار (أبو العلاء) المعري إلى شعر نسب للأعشى أوله :

أَمِنْ قَتْلَةٍ بِالْأَنْقَا ۚ دَارَ غَيْرِ مَحْلُولَةٍ
كَأَنَّ لَمْ تَصْحَبِ الْحَيَّ ۚ بِهَا بَيْضَاءُ عَطْبُولَةٍ

١ الصفة (١٣٧) .

٢ ديوان الأعشى البيت (٦٧) وما بعده من القصيدة رقم ٤ .

٣ الخزنة (٣٤٧/١) وما بعدها ، (بولاق) .

أناءٌ يتزل القوسى منها منظر هولـ^١
وما صهباء من عانة في الدارع محموله
تولى كرمها اصهب يسقيه ويغدو له
ثوت في الخرس أعواماً وجاءت وهي مقتوله
عماء المزنة الغراء راحت وهي مشموله
بأشهى منك للظما ن لو أنك مبدوله

فنفى على لسان الأعشى أن يكون من شعره ، أو أن يكون قد صدر عنه^١ .
وقد ورد في بعض الأخبار أن الأعشى كان نصرانياً . ويرى (بروكلمن)
أن من الجائز أن يكون نصرانياً ، غير أن نصرانيته لم تكن مؤثرة عليه ، وهو
إذا كان قد تحدث عن الله وعن البعث ، وعن الحساب ويوم الدين ، فقد تحدث
غيره عن هذه الأمور أيضاً ، ولم يكن من النصارى^٢ . ونحن لا نكاد نجد في
شعره ما يؤيد كونه نصرانياً صحيحاً قويم الدين ، له علم بأحكام شريعته ونواحيها ،
ولعل نصرانيته الوحيدة البادية عليه ، هي في حلفه برهان دير هند ، وإشارته
الى عيد الفصح والى طوفان نوح ، وزيارته (بني الحارث بن كعب) سادة
نجران ، وهم نصارى ، وتشبيهه (قيس بن معديكرب) بالرهبان في عدله
وتقواه^٣ . وقوله :

ولاني ورب الساجدين عشة وما صلك ناقوس النصرارى أيلها^٤

وقوله :

ربى كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا^٥

-
- ١ رسالة الغفران (٢١١ وما بعدها) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٧/١ وما بعدها) ، القصيدة رقم ١٥ حيث
يحلف بثوب راهب اللج .
 - ٣ ديوان الاعشى (دكتور م . محمد حسين) ، راجع القصيدة رقم ٥ من مدح قيس بن
معديكرب الكندي ، والقصيدة رقم ١٥ .
 - ٤ القصيدة رقم ٢٣ .
 - ٥ القصيدة رقم ٣٤ .

ولكننا نجده يقسم بالكعبة إذ يقول :

لاني لعمر الذي خطت مناسمها -تخدى وسيق اليه الباقر الغيل^١

ويقول :

ولاني وثوبي راحب اللج والتي بناها قصي^٢ والمضااض بن جرهم

ويقول :

وما جعل الرحمن بيتك في العلا بأجياذ غربي الفناء المحرم^٣

وورد ان الأعشى كان يقول بالقدر . ورد في كتاب (الأغاني) : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى ، وكان نصرانياً عبادياً ، وكان معمرأ ، قال : كان الأعشى قلدرياً ، وكان لييد مثبأ ، قال لييد :

من هداه سبل^٤ الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة الرجال

قلت : فن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصاررى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فللقنوه ذلك^٥ . وقد جعله (المرتضى) في عداد من كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى لقوله البيت المذكور^٦ .

وقد نسب الأعشى هلاك الإنسان وموته الى فعل الدهر ، إذ يقول :

فاستأثر الدهر^٧ الغداة بهم والدهر يرميني ولا أرمي
يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم^٨

١ القصيدة رقم (٦) .

٢ القصيدة رقم ١٥ .

٣ الاغاني (٧٩/٨) .

٤ أمالي المرتضى (٢١/١) ، ديوانه (١٥٥) .

٥ أمالي المرتضى (٤٦/١) .

ومن شعره قوله :

وأرى الغواني لا يواصلن. أمراً^١ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا^٢

وهو شعر يظهر أنه قاله بعد أن عبث به الكبر ، وفقد الشباب ، فقال على عادة الشعراء في ذمهم المرأة حين بلوغهم هذه المرحلة من العمر .

وروي أنه مرّ بأبي سفيان بن حرب فسأله عن وجهه الذي قدم منه فعرفه ، ثم سأله : أين يقصد ؟ فقال : أريد محمداً . فقال : إنّه يحرم عليك الزنا والخمر والقمار . فقال له : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيت منه وطراً ، وأما القمار فلعلّي أن أصيب منه خلفاً . قال : فهل لك الى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظهر أتيته ، وإن ظهرنا كنت قد أصبت عوضاً من رحلتك : قال : لا أبالي . فانطلق به أبو سفيان الى منزله وجمع له أصحابه وقال : يا معشر قريش ، هذا أعشى بني قيس بن ثعلبة ، وقد عرفتم شعره ، ولئن وصل الى محمد ليضربن عليكم العرب بشعره ، فجمعوا له مائة ناقة وانصرف ، فلما كان بناحية اليمامة ألقاه بعيره فوقصه فمات^٣ .

ويذكر علماء الشعر ، ان الأعشى كان قد هيا قصيدة لينشدها أمام النبي ، في صلح الحديبية ، فلما صرفه (أبو سفيان) عن الذهاب الى يثرب لم يقرأها . ومطلع القصيدة :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السليم مسهدا^٤

وهي قصيدة نخلت عليه ، ولا يمكن أن تكون من شعر هذا الشاعر الذي لم يتعود على التعمق في جزئيات أمور الدين . ثم ان القسم الخاص بمدح النبي من

١ أمالي المرتضى (٦١٢/١) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٤٠/١) ، الخزائن (٨٥/١) ، رسالة الغفران (١٧٢ وما بعدها) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٥٧٦/٢) ، القطعة رقم ١٧ من ديوان الاعشى ، الاكلیل (٢٥٩/٢) ، الخزائن (٨٥/١) وما بعدها ، الشعر والشعراء (١٧٨/١) وما بعدها () .

هذه القصيدة وبأحكام الاسلام ضعيف الحبك ، لا يتناسب مع المطلع ولا مع شعر الأعشى الآخر ، ولهذا ذهب أكثر المعاصرين الى انها من الشعر المصنوع^١. وفيها أمور من المجرمات لا يمكن أن يكون الأعشى قد وقف عليها .

ومما جاء في هذه القصيدة :

ألا أيها السائل أين يمت	فإن لها في أهل يثرب موعدا
فأليت لا أرثي لها من كلاله	ولا من حفى ، حتى تلاقي محمدا
متى ما تنأخي عند باب ابن هاشم	تراحي ، وتلقي من فواضله يدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد	نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله	وأنت لم ترصد لما كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها	ولا تأخذن سهماً حديدا لتقصدا
ولا تقربن جارة إن سرها	عليك حرام فانكحن أو تأبدا
نبي يرى ما لا يرون، وذكره	أغار لعمرى في البلاد وأنجدا ^٢

وأنت اذا قرأت هذه الأبيات والأبيات الأخرى التي لم أذكرها ، فستخرج جازماً انها من الشعر المصنوع المنحول على الأعشى . ففيها نهى عن أكل الميتة، وعن عبادة الأوثان ، والحث على الصلاة ، وعلى ايصال السائل المحروم ، وغير ذلك من آراء اسلامية ، تجد جلورها في القرآن .

وذكر أن الأعشى سمى قصيدته المحكمة حكيمة ، أي ذات حكمة . فقال :

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها^٣

وقال بعض علماء الشعر : الأعشى أغزل الناس في بيت ، وأخث الناس في

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٨/١) ، طه حسين ، في الادب الجاهلي (٢٥٨) ، فؤاد أفرام البستاني ، مجلة المشرق (المجلد ٣٠) ، (ص ٧٦٣ وما بعدها) ، ديوان الأعشى (١٣٤) ، (الدكتور م. محمد حسين) .
 - ٢ وفي رسالة الغفران بعض الاختلاف عما جاءت في ديوانه وفي كتب الادب ، رسالة الغفران (١٧٨ وما بعدها) .
 - ٣ تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حكم) .

بيت ، وأشجع الناس في بيت ، فأغزل بيت قوله :
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

وأخنت بيت قوله :

قالت هريرة لما جئتُ زائرهما وبلي عليك وبلي منك يا رجل

وأشجع بيت قوله :

قالوا الطرادَ فقلنا تلك عادتنا أو يتزلون فلما معشر نزل^١

ومن جيد شعره قوله :

عهدي بها في الحمي قد دُرعت صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم يُنقل الى قابر
حتى يقول الناس بما رأوا يا عجباً للميت الناشر^٢

وكان الأعشى سليط اللسان ، اذا هجا أقذع ، شديداً في هجائه، لذلك كان الناس يخشون جانبه ، ويرهبون لسانه ، وكان مداحاً ، يمدح فينال عطاء المدوحين . وله أسلوب خاص في نظم الشعر ، وفي العرض والسبك ، وموسيقى النظم ، وفي شعره طلاوة ، وفي أبياته حلاوة . وقد أبدع في أمور، منها ووصف الخمر ، ووصف الخمر الوحشية ، ولا نجد في شعره مكانة للأطلال والديار ، وهو يطيل في النسب^٣ .

ومن أمثلة ما يروونه عن أثر شعره في الناس ، ان رجلاً بائساً مسكيناً اسمه (المحلق) ، كان والد ثمان بنات ، ولا يملك شيئاً سوى ناقصة ، سمعت زوجته بذكر الأعشى وعموره منهم في طريقه الى سوق (عكاظ) ، فأشارت على زوجها أن يركض الى الأعشى ليستضيفه ، لعله يمدحه ، فيزوج بناته وينال شرف مدحه

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٩٦٧ وما بعدها) ، الخزائنة (٣/٥١٨) ، (بولاقي) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١/٤٥١) .
 - ٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٤٨ وما بعدها) .

بين الناس . ففعل ، وذبح ناقته الوحيدة وأكرمه مع بناته غاية الإكرام ، فلما علم الأعشى بسوء حاله ، أعد له قصيدة ، ألقاها في عكاظ ، مطلعها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

فلما رأى الناس (المخلق) ، وقد حيّاه الأعشى ، أقبل الناس يخطبون منه بناته ، فما قام من مقعده حتى خطبت بناته جميعاً^١ .

ولعل خفة عروض شعر الأعشى ومرونته ، وما في شعره من ترنيم ورنين ، وما فيه من سهولة ، تدل على براعة في الشعر ، هي التي حملت بعض علماء الشعر على تقديمه على غيره ، أو على رفع مكانته بوضعه في طبقة الشعراء الفحول من الطبقة الأولى ، غير أن من العلماء من انتقد شعره ، وانتقد اكثاره من ادخال الألفاظ الأعجمية في نظمها^٢ .

وكان للأعشى رواية اسمه (عبيد) ، كان يصحبه ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل . ومنه أخذ الرواة أخبار الأعشى وشعره . وكان (سماك) أحد الرواة المتصلين به ، وعنه أخذ (حماد) الرواية أخباره عن الأعشى . وعنه أيضاً أخذ (شعبة بن الحجاج) أخباره عن (الأعشى) . وعن (شعبة) روى (مؤرج بن عمرو السدوسي) (أبو فريد) أحد علماء البصرة المتوفى سنة (١٩٥ هـ) . وعنه أخذ (الرياشي) أخباره عن (الأعشى) . و (الرياشي) هو (أبو الفضل) العباس بن الفرج مولى سليمان بن علي الهاشمي . وكان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن (الأصمعي) . وقد توفي الرياشي سنة (٢٥٧ هـ)^٣ .

وقد شك علماء الشعر في صحة نسبة بعض الشعر الى (الأعشى) . فقد روى (أبو عبيدة) ان (أبا عمرو بن العلاء) زاد بيتاً على قصيدة :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعاً واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

وهو البيت الثاني من هذه القصيدة . وروى غيره ان (حماد) الرواية ، هو

١ الخزانة (٢١١/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) .

٣ الشعر والشعراء (١٨١/١) ، الفهرست (٩٢) .

الذي دس ذلك البيت ، ولم يطمئن (المرزباني) من هذه القصيدة ، ثم هي « من
الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسيج ، القلقة القوافي ، المضادة
للأشعار المختارة » ، ما خلا ستة أبيات^١ .

ولم يرض (المرزباني) عن قصيدة الأعشى الثانية المدونة في ديوانه ، ومطلعها:
لعمرك ما طولَ هذا الزمن على المرء إلا عناء^٢ معن^٣

وفي شعره قصائد تعد من المصنوعات^٤ .

ويذكر أن الأعشى كان يهاجي شاعراً عرف بـ (جُهْنَم) ، وهو لقب
(عمرو بن قطن) من بني سعد بن قيس بن ثعلبة^٥ ، وذكر أنه هو القائل :

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندلٍ وخالك عبدٌ من خاعة راضع

قاله يهجو به الأعشى . إذ زعم أن والده دخل غاراً ، ف وقعت عليه صخرة ،
سدت فم الغار ، فمات فيه من الجوع^٦ .

وفي حقه قال الأعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جُهْنَمُ جدعاً للهجين المذم

وذكر أن (جهنم) تابعة للأعشى ، أي شيطانه ، كما يقال لكل شاعر
شيطان^٧ :

والنابعة ، هو (زياد بن معاوية بن ضباب) الـذياني ، أبو أمانة وقيل
(أبو ثمامة) و (أبو عقرب) ، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ، ومن أعيان
فحولهم المذكورين . عدّه بعض العلماء من الطبقة الأولى بعد (امرئ القيس) .

-
- ١ الموشح (٤٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) ، ديوان
الأعشى (١٠٠) ، (القصيدة ١٣) ، (دكتور م . محمد حسين) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٤٩/١) .
 - ٣ العصر الجاهلي (٣٤٠ وما بعدها) .
 - ٤ تاج العروس (٢٣٥/٨) ، (جهنم) .
 - ٥ الاغانى (١٠٨/٩) .
 - ٦ تاج العروس (٢٣٥/٨) .

وذكر أن الخليفة (عمر) قال : أشعر العرب النابغة . وأنه قال : « النابغة أشعر شعرائكم ، وأعلم الناس بالشعر » أو أنه قال : « هذا أشعر شعرائكم » ، وذلك لوفد كان قد قدم عليه ، كان في جملة ما تحدث عنه موضوع الشعر ، وموضوع أفضل شاعر جاهلي^١ . وقد فضله (ابن عباس) على غيره أيضاً في رواية تنسب إليه^٢ . وذكر أن الشاعر (حسان بن ثابت) سئل من أشعر الناس ؟ فقال : أبو أمامة ، يعني النابغة الذبياني . وأن (أبا عمرو بن العلاء) ، قال : « كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما أنشأ النابغة طأطأ منه . وأنه قال أيضاً ، وكان بعضهم قد ذكر النابغة وزهير : ما كان زهير يصلح أن يكون أخيراً للنابغة ، يعني راوياً عنه^٣ . وقال بعضهم : « كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلم بيتاً ، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف ، ونبيغ في الشعر بعدما احتكتك ، وهلك قبل أن يُهتر »^٤ . وقال أبو عبيدة : يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء : هو أوضحهم كلاماً ، وأقلهم سقطاً وحشواً ، وأجودهم مقاطع ، وأحسنهم مطالع ، ولشعره ديباجة ، ان شئت قلت : ليس بشعر مؤلف ، من تأثته ولينه ، وان شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها^٥ .

وذكر ان (النعمان) غني بشيء من دالية النابغة ، فقال : هذا شعر علوي ، أي عالي الطبقة أو من عليا نجد^٦ . وقيل عن شعره : « ينسب إذا عشيق ويثليب إذا حنيق ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب »^٧ . وقد قال الأصمعي فيه وفي

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٧٨/١ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٧/٢) ، الخزانة (٦/٢) ، طبقات الشعراء (٤٧ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٢٤) ، ديوان النابغة (٥٧) ، كنى الشعراء ، لمحمد بن حبيب (٢٨٨) ، (سلسلة نوادر المخطوطات) ، (عبد السلام هارون) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) ، الخزانة (٧/٢) ، الشعر والشعراء (١١٠) ، (١٢٣ ، ٣٠٣) ، الخزانة (٤٤٨/٢) ، (هارون) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٩٢/١) ، (الثقافة) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١٠١/١ وما بعدها) ، جمهرة اشعار العرب (٢٦) .
 - ٦ تاج العروس (٢٥٣/١٠) ، (علو) .
 - ٧ كارلو نالينو (٨٦) .

غيره من الشعراء المشاهير : « كفاك من الشعراء أربعة : زهير اذا طرب ،
والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا غضب ، وعنترة اذا كلب »^١.

قيل انما سمي النابغة بقوله : فقد نبغت لنا منهم شؤون ، وانسه كان شريفاً
فغضب منه الشعر . وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجدة ، وكانوا له مكرمين.
وروي ان أول ما تكلم به النابغة من الشعر ، انه حضر مع عمه عند رجل ،
وكان عمه يشاهد به الناس ويخاف أن يكون عيباً ، فوضع الرجل كأساً في يده
وقال :

تطيب كؤوسنا لولا قذاها ويحتمل المجلس على أذاها

فقال النابغة : وحي لذلك :

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بسكم اشتراها^٢

وقد أخذ عليه علماء الشعر تكسبه بشعره ، فقد ذكروا ان العرب كانت لا تتكسب
بالشعر ، وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاكة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على
أداء حقها إلا بالشكر إعظماً لها ، حتى نشأ النابغة ، فدح الملوك وقبل الصلة على
الشعر وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشرته
أو من سار اليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيماً ،
حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأواني من عطاء الملوك^٣ . وفي
هذا القول الذي لا يخلو من مبالغة ، دلالة على ان النابغة قد كان موسراً نوعاً
ما حسن الحال ، وان قسماً من ثرائه قد جاء اليه من مدحه للملوك .

وقد رمي بالإقواء ، فقيل انه كان يقوي في شعره ، فعيب ذلك عليه ،
واسمعه في غناء :

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغداف الأسود

١ جمهرة أشعار العرب (٢٦) ، الزهر (٢٩٧/٢) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠/١) .
٣ العملة (٤٩/١) .

فقطن فلم يعد^١ . وذكر ان ذلك كان يثرب . فقد كان قد دخلها ففني بشعره ، فقطن فلم يعد للإقواء^٢ .

وقد أخذ العلماء عليه بعض مأخذ ، ذكرها (ابن قتيبة) في كتابه : (الشعر والشعراء)^٣ ، وأخذوا عليه (الاكتفاء) في بعض أشعاره^٤ .

ونفى (المعري) في رسالة الغفران أن تكون الكلمة التي أولها :

أَلَا عَلَى الْمَطْوَرَةِ الْمَتَابِدَةِ أَقَامَتْ بِهَا فِي الْمَرْجِ الْمَتَجَرِدَةِ
مُضْمَخَةٌ بِالْمَسْكِ مَخْضُوبَةُ الشَّوَى بَدْرٌ وَيَا قُوتَ لَهَا مَقْلَدُهُ

من شعر النابغة ، إذ يقول على لسانه : « ما أذكر أنني سلكت هذا القري قط » ، ثم ينسبها الى رجل من بني ثعلبة بن عكابة^٥ .

والنابغة مثل غيره من أهل زمانه ، كان يعتقد بالجن ، فأشار في شعره الى (جنة البقار) . ونجد في شعر (زهير) إشارة الى (جنة عبقرية) ، و (جنة عبقر) مشهورة في أساطير الجاهليين . وذكر (ليبد) (جن البدي)^٦ . وهو ممن ذكر بعض القصص والأساطير في شعره ، فقد ذكر (النعمان بن المنذر) ، بقصة زرقاء اليمامة ، وهي قصة يظهر أنها كانت شهيرة وشائعة بين الجاهليين ، ضربها مثلاً له ، وذكر قصة الحية ، وهي اسطورة في ذم الغدر والخيانة ، ضربت مثلاً ، لكل من يغدر ، ومثل هذه الأساطير معروفة عند الأمم الأخرى ، ولا سيما قصص الإنسان مع الجن ، والحية من فصائل الجن في نظر أكثر الجاهليين . وكانت العرب تضرب أمثالا على السنة الموام^٧ .

ويظهر من الشعر المنسوب الى النابغة انه كان لا يتبدل في مجون ، ولا يسرف في هجاء ، ولا يتدنى في سفاهة ، وقد نسب بعض المستشرقين هذا الخلق الرفيع

- ١ الشعر والشعراء (٩٣/١) ، (الثقافة) .
- ٢ المصدر نفسه (١٠٢/١) .
- ٣ (١٠٢/١) وما بعدها .
- ٤ الشعر والشعراء (١٠٥/١) ، (الثقافة) .
- ٥ رسالة الغفران (٢٠٧) وما بعدها .
- ٦ الصفة (١٢٨) .
- ٧ الشعر والشعراء (٩٦/١) .

الذي فراه فيه الى تنصره ، مستدلين على رأيهم هذا بما ورد في شعره من أمور نصرانية ، غير اننا لا نستطيع لإثبات ذلك ، كما اني لا أستطيع نفيها عنه مستشهداً بالبيت :

فلا لعمر الذي قد زرتة حججاً وما هريق على الأنصاب من جسد^١

فالقسم عند الجاهليين لا يشير دائماً الى عقيدة صاحب القسم ، فقد نسب الى (عدي بن زيد) العبادي القسم بمكة ، ولم يكن من عبّاد الأصنام ، ثم إن من المحتمل أن يكون من الشعر المصنوع ، واني أرى ان ما نسب الى (عدي) من هذا القسم موضوع عليه . فهو رجل نصراني ، وكان الملك وثنيّاً ، ثم صار نصرانياً ، ولم يكن عبّاد الأصنام من عرب الحيرة يحجون الى مكة حتى يقسم (عدي) بها مجازاة للوثنيين ، ولذلك أرى ان هذا الشعر مصنوع عليه ، صنع لإظهار ان الحج الى مكة كان عاماً عند جميع العرب ، حتى عرب العراق وبلاد الشام، وقد رأينا ان أهل الأخبار صيروا ملوك اليمن من أشد الناس تعلقاً بالكعبة، جعلوهم يحجون اليها ، مع ان المسند يسخر من هذه الخزعبلات ، كما اننا لا نسمع بحج أحد من عرب العراق أو بلاد الشام الى مكة ، ولو كانوا يحجون اليها لما سكّت أهل الأخبار عن ذلك .

ونال النابغة الذبياني رزقاً كثيراً من النعمان بن المنذر . أعطاه مرة مئة ناقة من الإبل السود برعاتها ، لإنشاده قصيدته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب^٢

والإبل السود ، هي أغلى وأتمن الإبل عند العرب . وكاد ملوك الحيرة يحتكرون هذه الجمال ، ولا يسمحون لافتحال أحد فحلاً أسوداً . ولهذا كان هذا الجباء الذي أغدقه النعمان على النابغة جباءً ثميناً وعطاءً كبيراً، وكان (النعمان) قد أعطى (النابغة) إبلاً وريشها ، أي بما يصلحها من الآلة والثياب^٣ .

وروي عن الشاعر (حسان بن ثابت) ، أنه رحل الى (النعمان) ، فلقى

١ معلقته البيت رقم (٣٧) .
٢ العقد الفريد (٢٢/٢) « لجنة » .
٣ مجالس ثعلب (٣٥) .

رجلاً فقال : أين تريد ؟ فقلت : هذا الملك ، قال : فإنك إذا جثته متروك شهرأ ، ثم يسأل عنك رأس الشهر ، ثم أنت متروك شهرأ آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه ، وإن رأيت (أبا أمامة) النابغة فاطمن ، فإنه لا شيء لك . قال : فقدمت عليه ، ففعل بي ما قال ، ثم خلوت به وأصبت منه مالا كثيرا ونادمته ، فبينما أنا معه في قبة إذ جاء رجل يرجز حول القبة :

أنت أم تسمع ربّ القبة يا أوهب الناس لعنس صلبة
ضرابة بالمشفر الأذبة ذات هباب في يسلمها جلبة

فقال النعمان : أبو أمامة ! فأذنوا له ، فدخل فحيّاه وشرب معه ، ووردت النعم السود ، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يُعلّم مكانه ، ولا يفتحل أحد فحلاً أسود ، فاستأذنه أن ينشده ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فما حسدت أحدًا حسدي النابغة ، لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل شعره^١ .

وذكر انه نادى المنذر الثالث والمنذر الرابع من ملوك الحيرة ، وكان من المقربين جداً من النعمان بن المنذر ، المعروف بأبي قابوس . ثم وقعت نقرة بينهما ، أدت الى هروب (النابغة) من (النعمان) ، وذهابه الى (عمرو بن الحارث) ملك غسان والى ابنته (النعمان بن عمرو) . وسبب هروبه من ملك الحيرة على ما يزعّمه أهل الأخبار ، ان (النابغة) تجاسر فوصف (المتجرّدة) امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة^٢ ، وتغزل بها ، مما أثار غضب النعمان عليه ، فخاف على نفسه ، وفر الى أعداء النعمان ملوك غسان . ويظهر ان النابغة ، كان يتصل بالغساسنة ويراجعهم ، وهم أعداء ملوك الحيرة ، أو ان جماعة من حساد النابغة وأعدائه دسوا ذلك الوصف عليه ، ونسبوه له ، ورووه وأوصلوه الى النعمان ،

١ الشعر والشعراء (٩٨/١ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٨١/١) .

٢ تاج العروس (٣١٩/٢) ، (جرد) ، المحاسن والاضداد (١٤٣) .

وهو رجل عصبي المزاج ، حاد الطبع ، سريع التأثر والأخذ بأقوال الناس ، فأراد الفتك به ، فهرب النابغة الى مكان يكون بآمن فيه ، وينال فيه التقدير ، فوقع اختياره على أرض الغمامة . وعاش في كنف عمرو بن الحارث ، وفي ظل ابنه (النعمان) . فلما مات (النعمان بن عمرو بن الحارث) ، أخذ ينظم الشعر في مدح (النعمان بن المنذر) ، وفي الاعتذار منه ، وفي التنصل مما اتهمه به حساده ، حتى غفى الملك عنه ، فعاد الى الحيرة ، ولما مات (النعمان) في محبسه ، رجع النابغة الى قبيلته ، وعاش بينها حتى مات هناك^١ .

ولأهل الأخبار قصص في سبب وقوع هذه النفرة ، فقال قوم : إنه هجاه فقال :

ملك يلاعبُ أمه وقطينه رنحو المفاصل أيره كالمروود

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها :

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأذنى ويعجز عن ضر الأفاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويفزرو ثم لا يرزأ العدو فتبلا

ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة ، وإنما قاله على لسانه قوم حسدوه ، منهم (عبد قيس بن خفاف) التميمي ، ومنهم (مرة بن ربيعة بن قرئش) السعدي^٢ ، (مرة بن ربيعة بن قريع) وهو الذي سعى الى النعمان بالوشاية بالنابغة^٣ .

ويقال ان النعمان قال للنابغة وعنده المتجردة امرأته : صفها لي في شعرك يا أبا أمامة ! فقال قصيدة^٤ ذكر فيها بطنها وعكنها ومنتها وروادفها وفرجها ،

١ الشعر والشعراء (٧٠ وما بعدها) ، الاغانى (١٦٢/٩ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٨/١ وما بعدها) ، تاريخ ملوك العرب الاولى (١٠٧ وما بعدها ، ١١١) .

٢ الشعر والشعراء (٩٩/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ مرة بن ربيعة بن قريع ، الخزائن (٣٢٢/٢) ، (هارون) .

٤ هي القصيدة التي أولها : « أمن آل مية رائح أو مفتد » ، الخزائن (٢٨٧/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، (٤٢٧/١) ، (بولاق) .

وكان للنعمان نديم هو (المنخل) الشكري ، يتهم بالمتجردة ويظن بولد النعمان منها أنهم منه ، وكان (المنخل) جميلاً ، وكان النعمان قصيراً دميماً أبرش ، فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان : ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب ! فوّر ذلك في نفسه ، وبلغ النابغة ذلك فخافه فهرب إلى غسان ، فصار فيهم ، وانقطع إلى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني) ، وإلى أخيه النعمان بن الحارث ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغمّ ذلك النعمان ، وبلغه أن الذي قذف به عنده باطل ، فبعث إليه : إنك صرت إلى قوم قتلوا جدي فأقت فيهم تمدحهم ، ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن ، إن كنا أردنا بك ما ظننت ، وسأله أن يعود إليه ، فقال شعره الذي يعتذر فيه . وقدم عليه مع (زبّان بن سيّار) ، و (منظور بن سيّار) الفزاريين ، وكان بينهما وبين النعمان دخل ، فضرب لها قبة ، ولا يشعر أن النابغة معها . ودس النابغة آياتاً من قصيدته :

يا دار مية بالعلياء فالسند

فلما سمع النعمان الشعر ، أقسم بالله أنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ، وكلّمه فيه فأمنه^١ . ويرى (بروكلمن) أن (النابغة) كان قد واصل بني غسان ، فظن (النعمان) به الغدر ، وعدم الوفاء له ، وهرب النابغة منه ، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث ، رجع النابغة إلى الحيرة ، وقال عفو أبي قابوس وحظوته من جديد ، ولكنه لم يتمتع طويلاً بذلك ، لموت أبي قابوس في سجن كسرى ، فرجع إلى قبيلته (بني ذبيان) ، حيث توفي بينها^٢ .

وقد مدح (النابغة) (عمرو بن الحارث) الغساني ، والغساسنة بشعر حسن ، يعدّ من الشعر الحسن المتفوق في المديح ، من جملة ما ورد فيه :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب^٣

١ الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٢ بروكلمن (٨٨/١ وما بعدها) .

٣ « محلتهم » ، كارلو نالينو (٨٥) .

رِقاق النعال طيب حجازهم يحيون بالريحان يوم السباب
تحييتهم بيض الولائد بينهم واكسية الإضريح فوق المشاب
يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومي وإذ أعيت علي المذاهب^١

وهو مدح يختلف عن مدح شعراء البادية ، فيه رقة وجمال ، وفيه إبداع في وصف الغسانة وعادتهم في الاحتفال بأعيادهم النصرانية^٢ .

وتروى للنابغة خطبة ، ذكر انه خاطب بها (الحارث) الغساني ، ليفك له أسرى قبيلته^٣ .

ويروى ان العرب سألت النابغة أن يضرب قبة بعكاظ فيقضي بين الناس في أشعارهم لبصره بمعاني الشعر ، فضرب قبة حمراء من آدم وأنته وفود الشعراء من كل أوب ، فكان يستجيد الجيد من أشعارهم ، ويرذل ، فيكون قوله مسموعاً فيهم جميعاً ومأخوذاً به . فكان فيمن دخل عليه (الأعشى) وحسان بن ثابت والخنساء ، فأنشده الأعشى ، ثم أنشده حسان ، ثم أنشدته الخنساء ، فقال النابغة مخاطباً (حسان) : « لولا ان أبا بصير ، يعني الأعشى ، أنشدني لقلت انك أشعر الجن والأنس ، فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومن أهلك ومنها ! » وهي قصة تروى بشرح أوفى ، قرن بالأسباب التي دعت بالنابغة الى تفضيل شعر الأعشى على شعر حسان . وهي قصة طعن في صحتها بعض علماء الشعر^٤ .

وللنابغة شعر في هجاء (زرعة بن عمرو) الكلابي، وكان لقي النابغة بعكاظ وأشار عليه أن يشير على قومه أن يغدروا به (بني أسد) ، ويتقضوا حلفهم ، فأبى عليه النابغة ، فتوعده ، فقال النابغة :

- ١ ديوان النابغة عدد (١) .
- ٢ كارلو نالينو (٨٦) .
- ٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٩/١ وما بعدها) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٧/١) .

نبتت زرعة والسفاهة كاسمها يهدي إليّ غرائب الأشعار
فحلقت بازرع بن عمرو انني مما يشق على العدو ضراري^١

وله شعر يهجو به (عامر بن الطفيل) حيث يقول :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب
فإنك سوف تحكم أو تنأى إذا ما شبت أو شاب الغراب

يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ، أو لعلك لا تحكم أبداً ، حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبداً ، ونحكم ، أي تصير حكماً^٢ . ويلاحظ أن هجاء النابغة هو هجاء مؤدب لا جهالة فيه ولا سفاهة ، عفا يؤثر في المهجو أكثر من أثر الهجاء الفاحش المليء بالسفاهة والسباب .

وقد نُعت شعراء آخرون بلفظة (النابغة) ، غير النابغة الديباني . منهم : النابغة الجعدي : قيس بن عبدالله الصابي ، والنابغة الحارثي زيد بن ابان ، والنابغة الشيباني : حمل بن سعدانة ، والنابغة الذهلي : المخارق بن عبدالله ، والنابغة ابن لؤي بن مطيع الغنوي ، والنابغة العدواني ، والنابغة ابن قتال بن يربوع الديباني ، والنابغة التغلبي الحارث بن عدوان^٣ .

وتبدأ معلقة (النابغة) بقوله :

يا دار ميةً بالعلياء فالسندِ أقوت ، وطلال عليها سالفُ الأبدِ

ولما تحدث (البغدادي) عن الشاهد التاسع والثمانين بعد المائة ، وهو :

كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

قال : « وهذا البيت من قصيدة للنابغة الديباني ، يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه » . ثم قال : « وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر

١ الخزانة (٦٧/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ أمالي المرتضى (٥٥/١) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٨١/١) ، الخزانة (٢٨٩/١) ، (بولاق) .

٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (٥١٢ وما بعدها) .

أحمد بن محمد بن اسماعيل النحوي الى المعلقة السبع لجودتها وقد أورد الشارح
المحقق في شرحه عدة أبيات منها ، وقبل هذا البيت :

كان رحلي وقد زال النهار بنا بني الجليل على مستأنس وحد
من وحش وجرة موثي أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد^١

وهي قصيدة نعتها (البغدادى) بأنها طويلة^٢ ، ويبلغ عدد أبياتها في المعلقة
(٥٠) بيتاً^٣ . وقد ورد فيها اسم النبي (سليمان) ، ذكر انه انما ذكره فيها ،
لأنه كان له الملك مع النبوة ، يريد انه لا يشبهه أحد ممن أوتي الملك إلا سليمان
النبي^٤ . وتعدّ من أحسن شعر النابغة ، « ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلقة »^٥ .
ومن شعر النابغة قوله :

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي ظل ووابل
فينبت حوذاناً وعوفاً منوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

وذلك على مذهب العرب المعروف في ذلك ، لأنهم كانوا يستقون السحاب
لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض . ويجرونه
مجرى الاسترحام ، ونسب (ابن الأعرابي) الى (علي) قوله : « إن العرب
انما تستسقي القبور لأنها اذا سقيت وعمّ الفطر أعشب المكان ، فحضره القوم
للرعي ، وترحوا على الموتى »^٦ .

وكان النابغة صديقاً لزهير بن أبي سلمى ، « روى هشام بن المنذر قال :
قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً ثم أكلدى ، ومر به النابغة اللدبياني فقال له :
أجز ، قال : ماذا ؟ قال :

تزال الأرضُ إما متَ خفاً ونحياً ما حييت بها ثقيلاً
نزلت بمستقر العز منها

- ١ الخزانة (٥٢١/١) ، (بولاق) .
- ٢ الخزانة (٤٥/٢) ، (بولاق) .
- ٣ التبريزي ، شرح القصائد العشر (٥٣٣) .
- ٤ الخزانة (٤٥/٢) ، (بولاق) .
- ٥ الخزانة (٣١٥/٢) ، (بولاق) .
- ٦ أمالي المرتضى (٥٤/١) .

فإذا قال ؟ فأكدى والله النابغة أيضاً ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له أبوه : أجز يا بني ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : بمستقر العز منها ؛ فقال كعب :

فتمنع جانبيها أن تزولا

فقال زهير : أنت والله ابني ^١ .

و(عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن زهير بن مالك بن الحارث) الأسدي ، شاعر مفلق من فحول شعراء الجاهلية . وكان معاصراً لامرئ القيس ، إذ يروي أهل الأخبار له قصيدة يخاطب بها امرأ القيس بن حجر ، أولها :

يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً^٢ وحينما
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً وميناً^٣

أو أنه قال :

يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه حُجرٍ تمني صاحب الأحلام

يخاطب به امرأ القيس الشاعر ، الذي هدد (بني أسد) قتل أبيه ، فأجابه عنهم بأن جعل وعيده كاذباً وما تمناه من الإيقاع بهم ، كأصغاث أحلام^٤ . فهو إذن من الرعيل القديم من الشعراء المعاصرين لامرئ القيس . وذكر انه القائل :

سائل بنا حجر بن أم قطام إذ ظلت به السمرة النوايل تلعب^٥

وقد قدمه بعض علماء الشعر ، فجعله من طبقة (امرئ القيس) ، وجعله بعضهم من الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة ،

-
- ١ أمالي المرتضى (٩٧/١) وما بعدها .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٨/١) ، الخزائنة (٣٢٤/١) ، (بولاق) ، (٢١٢/٢) ، (هارون) ، الاغانى (٨٧/١٩) ، البخلاء (١٩٠) .
 - ٣ الخزائنة (٢١٢/٢) وما بعدها ، (٣٢٤/١) ، (بولاق) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٥٦/١) .

وعدي بن زيد^١ . وأجود شعره قصيدته التي يقول فيها : « أقفر من أهله
ملحوب^٢ » . وهي إحدى السبع^٣ . وجعلوه في عداد المعمرين ، فجعل (ابن
قتيبة) عمره يوم قتل أكثر من ثلاثمائة سنة^٤ . وجعل (السجستاني) عمره مائتي
سنة وعشرين ، ثم استدرك المقدار وقال : « ويقال بل ثلاثمائة سنة^٥ » . ولكي
يثبتوا صحة دعواهم في انه عاش هذا العمر ، رووا له شعراً زعموا انه قاله، هو :

ولثنتين بعدي قرون جمّة ترعى محارم أيكة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجري أنحساً وسعدا
حتى يقال لمن تشرق دهره يا ذا الزمان هل رأيت عبيدا
مائتي زمان كامل وبضعة عشرين عشت معمرأ محمودا

أدركت أول ملك نصير ناشئاً وبناء شدّاد وكان أييدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت بأن أرى داودا
ما تبغي من بعد هذا عيشة إلا الخلود ولن تنال خلودا
وليفين هذا وذاك كلاهما إلا الإله ووجهه المعبودا

وزعم أنه هو القائل :

فنيث وأفناني الزمان وأصبحت لداني بنو نعش وزهر الفراقد

وأنه القائل :

تذكرت أهل الخير والباع والندى وأهل عتاق الخيل والخمر والطيب
فأصبح مني كل ذلك قد خلا وأي فتى في الناس ليس بمكذوب
ترى المرء يصبو للحياة وطيبها وفي طول عيش المرء برح بتعذيب^٦

وهو شعر لو أخذنا بحكم من ذكروا فيه ، إذن وجب أن يكون عمر (عبيد)

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٦٠/١) ، الخزائن (٢١٥/٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣١) ، الأغاني (٨٤/١٩) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٨٨/١) ، (الثقافة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١٨٧/١) وما بعدها .
 - ٤ الخزائن (٣٢٣/١) ، (بولاق) .
 - ٥ الخزائن (٣٢٣/١) .

قد جاوز الألف سنة بكثير ، ويكون أهل الأخبار قد ظلموه ، إذ جعلوا عمره أكثر من ثلثائة سنة ، وهو دون هذا العمر بكثير .

وزعم أن (المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء اللخمي) المعروف بـ (ذي القرنين) ، لقي (عبيد بن الأبرص) في يوم بؤسه ، وكان يقتل أول من يرى في يوم بؤسه ، فلما رآه قال له : هلاً كان المذبح غيرك يا عبيد ! فقال : أتتلك بجائن رجلاه ، وأرسله مثلاً ، فقال له : أنشدني يا عبيد ، فربما أعجبتني شعرك ! فقال : حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطيين . وأرسلها مثلاً ، وبقي يسأله وهو يحجب ، فيصير جوابه مثلاً ، حتى أمر بقتله ، فقال :

وخيرني ذو البؤس في يوم بؤسه خيصالاً أرى في كلها الموت قد برق
كما خيَّرتُ عادٌ من الدهر مرّةً سحائب ما فيها للذي خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل بيلدة فتتركها إلا كما ليلّة الطلق

وزعم أنه سأله أي قتلة تختار ؟ قال عبيد : أسقني من الراح حتى أثمل ، ثم أفصدني الأكحل ، ففعل ذلك به ، ولطخ بدمه الغرين^١ .

وقد أخطأ (ابن قتيبة) ، إذ جعل قاتله (النعمان بن المنذر)^٢ ، بينما هو (المنذر بن ماء السماء) ، في الموارد الأخرى .

ولعبيد بن الأبرص شعر يتباهى فيه ببني أسد قومه ، من ذلك قوله :

فاذهب اليك فلاني من بني أسد أهل القباب وأهل الجرد والنادي^٣

وبقباب الأدم تتفاخر العرب ، وللقباب الحمر قالوا : مضر الحمراء، والجرد : الخيل القصيرة الشعر ، وانما ذكر النادي لأن النادي من سياء السيادة والرئاسة وضخامة القبيلة ، حيث يجتمع ساداتها فيه .

-
- ١ الخزانة (٢ / ٢١٨ وما بعدها) ، (هارون) ، الخزانة (١ / ٣٢٤) ، (بولاق) ، السيوطي ، شرح شواهد (١ / ٢٦٠) ، أسماء المقتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) ، (ص ٢١١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١ / ١٨٨) ، (دار الثقافة) .
 - ٣ الحيوان (٥ / ٤٨٦) .

وله قصيدة قالها متشكياً فيها من إعراض صاحبه عنه ، إذ رآته وقد كبر
وصار شيخاً ، تغير لون شعره ، وعلا الشيب مفرقه ، وقلّ ماله ، منها هذه
الآيات :

تلك عرسي غضبي تريد زياي ألبين تريد أم للدلال
إن يكن طلبك الفراق فلا أحفل أن تعطيني صدور الجمال
أو يكن طيبك الدلال فلو في سالف الدهر والليالي الخوالي
كنت ييضاء كالمهاة وإذا تيك نشوان مريحاً أذياي
فاتركي مطّ حاجيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال
زعمت أنني كبرت وأنّي قل مالي وذن عني الموالي
وصحا باطلاي وأصبحت شيخاً لا يؤاتي أمثالها أمثالي
إن تريني تغير الرأس مني وعلا الشيب مفرقي وقذالي^١

١ البيان والتبيين (٢٣٦/١) .

الفصل الستون بعد المئة

الشعراء الصعاليك

قال صاحب (اللسان) : « الصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهري : ولا اعتماد . وقد تصعلك الرجل اذا كان كذلك ، قال حاتم طيء :

غنيا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقناه ، بكأسيهما الدهر
فا زادنا بغياً على ذي قرابة غنانا ، ولا أزرى بأحسابنا الفقر »^١

« والتصعلك : الفقر . وصعاليك العرب : ذؤبانها . وكان عروة بن الورد يسمى : عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغمه »^٢ ، وقيل : الصعلوك : الفقير ، وهو أيضاً المتجرد للغارات »^٣ . والصعاليك ، قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائهم وقبائلهم ، لأسباب عديدة ، منها عدم إدراك أهلهم أو قبيلتهم نفسياتهم ، مما سبب الى فقورهم منهم ، وخروجهم على طاعة مجتمعهم ، وهروبهم منه ، والعيش عيشة الذؤبان ، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم ، وعلى قوتهم في تحصيل ما يعتاشون به ، بالإغارة على الطرق والمسالك ، وبمهاجمة أحياء العرب المبعثرة ، أفراداً أو طوائف . وهم أبداً في خوف من متعقب يتعقبهم ، لاسترداد ما أخذ أو سلب ، ومن متربص يتربص

١ اللسان (٤٥٥/١٠) وما بعدها ، (صعلك) ، (صادر) .
٢ اللسان (٤٥٦/١٠) ، (صعلك) ، تاج العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .
٣ جمهرة أشعار العرب (١١٥) .

بهم الدوائر ، ليأخذ منهم ما غنموه بالقوة من غيرهم أو ما قد يجده في أيديهم. ولهذا كانوا يتكثرون أحياناً ، بانضمام بعضهم الى بعض ، مكونين جماعات ، جمعت بينها وحدة الهدف ، وغريزة حماية النفس ، والمصلحة المشتركة ، بعد أن حرمهم أهلهم ومجتمعهم من تقديم أية مساعدة أو حماية لهم ، وسحب منهم حق الأخذ بالتأثر والانتقام ممن قد يعتدي عليهم ، بحق (العصية) ، وبعد أن جعل دمهم هدراً ، وتبرأ منهم ومن كل جريرة يرتكبونها ، فلا يطالب أهلهم بدمهم ، ولا يطالبونهم بأي دم قد يسفحه الصعلوك .

ولا استبعد أن تكون للمغامرة ولإثبات الشخصية ، دخل أيضاً في حدوث الصعلكة وفي تمرد الشباب على مجتمعهم ، على غرار ما نجده اليوم من تمرد على مجتمعاتهم ، لإثبات وجودهم وشخصيتهم في هذه المجتمعات ، بطريقة العبث بالعرف والعادات وبعدم المبالاة لأوامر العائلة والمجتمع ، مما يجعلهم يسرون سيرة الصعاليك في ذلك الوقت ، فلو نظرنا الى حالة الصعاليك نجد أن منهم من كان من أسرة متمكنة أو لا بأس بأحوالها المالية ، ومع ذلك عاش صعلوكاً ، لما وجد فيها من مغامرات ومجازفات ومطاردة وهجوم ودفاع . فحب المغامرة ، وإثبات الشخصية ، من أسباب الصعلكة في الجاهلية كذلك .

والصعاليك بعد ، حاقدون على مجتمعهم ، متمردون عليه ، للأسباب المذكورة ، نبتت في أكثرهم عقد نفسية ، تكونت عندهم من سوء معاملة المجتمع لهم ، ومن سوء فعلهم وتصرفهم الخاطيء تجاه مجتمعهم ، فهم حاقدون لا يباليون من شيء ولو كان ذلك سلباً ونهيباً وقتل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم ، لأنهم خلعوا منها ، وحرموا من حق الدم ، فكان خلعها لهم سبب شقائهم ويؤس حياتهم ، فأبي حق بقي إذن يمنعهم من الحقد على القبيلة ومن مهاجمة العشيرة ؟ ثم إنهم حاقدون على مجتمعهم ، لأن منهم فقراء معدمين ، لا شيء عندهم يعتاشون عليه ، ولا ملابس لديهم تقيهم من الحر أو البرد أو المطر ، وكل ما تقع أعينهم عليه ، هو مفيد لهم نافع ، ومن حقهم بحكم فقرهم انتزاعه من مالكة ، وإن كان مالكة فقيراً معدماً مثلهم ، لأن النفس مقدمة على الغير ، وهم يعيرون الحامل منهم ، الذي يعيش صعلوكاً ذليلاً قانعاً بما كتب عليه من الذل والتشرد ، عائشاً على صدقات الناس ، ويرون الخلاص من هذا الذل بالحصول على المال بالقنا والسيف ، فن استعمل سيفه نال ما يريد ، لا يبالي فيمن سيقع السيف عليه ، وإلا عدّ

من (العيال) . قال (السليك) :

فلا تصلي بصلوك نثوم إذا أمسى يُعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب ينصل السيف هامات الرجال^١

« ولذلك كان صعاليك العرب ولصوصهم وأرباب الغارة منهم يرون أن ما يحوونه من النعم بالغارة ، ويتألمونه بالسرقة والسلب ، إنما ذلك مال منعت منه الحقوق ، ودفع عنه بالبخل والعقوق ، فأرسلهم الله إليه وسببه لهم رزقهم إياه ، كما قال عروة الصعاليك :

لعلّ انطلاقي في البلاد وعزمتي وشدي حيازيم المطيئة بالرحل
سيدفعني يوماً الى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل^٢

« وكما ان فيهم من يتمدح ببذل القرى ومعاناة الطوى ، وتحمل الكلفة ومواساة ذوي الخلة ، فكذلك فيهم البخيل الجامع ، واللثيم الراضع ، ومن يؤثر التفرد بناره والاستئثار بزياده دون ضيقه وجاره . وينشد لبعضهم :

أعددت للأضياف كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من أرزن

وقال الآخر :

ولاني لأجفو الضيف من غير بغضة مخافة أن يغري بنا فيعود

وقال الأصمعي : مرَّ ابن حمادة بالخطيئة ، فقال : السلام عليك . قال : قلت ما لا ينكر . قال : إني أردت الظل . قال : دونك ، والجبل حتى يغني عليك . قال : إني خرجت من عند أهلي بغير زاد . قال ما ضمنت لأهلك قراك . قال : إني ابن حمادة . قال : كن ابن نعمة . فضي عنه آيساً .

قال : وخرج الخطيئة يوماً من خبائه ويده عصا ، فقال له رجل : ما هذه ؟ قال : عجاء من سلم . قال : إني ضيف . قال : للضيف أعدتها^٣ .

١ الشعراء الصعاليك (٢٣٥) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٢ وما بعدها) .

٣ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٦٠ وما بعدها) .

والخطيئة من الملحقين في السؤال المستجدين الذين لا يخرجون من الاستجداء . فكان يلج في شعره بالطلب ، ويحاول بكل الطرق جمع المال ، حتى أهان نفسه ، ولم يترك رجلاً معروفاً إلا ذهب إليه يسأله أن يعطيه مما عنده . فلما عيّن (عمر) (علقمة بن علاثة) على حوران ، قصده (الخطيئة) ، فوجده قد مات ، فقال :

وما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل^١

فأعطاه ولده مائة ناقة مع أولادها .

وقد عاب (الأعشى) (علقمة بن علاثة) ، بقوله :

تبيتون في المشى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً^٢

وقد وجد الصعاليك في الأغنياء البخلاء ، هدفاً صالحاً لهم . فهؤلاء أصحاب مال ، وهم أصحاب جوع ، ولا بد للجوعان من أن يعيش ، فلم يجدوا في مباغطة الأغنياء أي حرج يمنعهم من السطو على أموالهم ، لأنها زائدة عليهم ، وهم في حاجة إليها ، وبذلك يضمنون لأنفسهم ولاخوانهم الجوع الصعاليك أسباب الحياة ، فالحاجة عندهم تبرر الوسطة ، وإذا امتنع إنسان على صعلوك وأبى تسليم ما عنده إليه ، فهو لا يبالي من قتله ، فالقتل ليس بشيء في نظره ، منظره مألوف ، والفقر ذاته قتل للإنسان ، بل أشد فتكاً به من القتل ، والصعلوك نفسه لا يدري متى يقتل ، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء .

وكان (أبو عبيدة) ، لا يستأنس بسماع شعر الصعاليك ، لأنهم فقراء ، قال (أبو حاتم) : « جئت أبا عبيدة يوماً ، ومعي شعر عروة بن الورد ، فقال : فارغ حل شعر فقير ليقرأه على فقير »^٣ ، فهو من المحبين للأغنياء ، وما الذي يجنيه من الفقراء ! وكان (أبو مالك عمرو بن كركرة) البصري ، مثل (أبي عبيدة) في الابتعاد عن الفقراء ، بل كان أشد منه تعصباً عليهم ،

١ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٨٨) .

٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٢٥٩) .

٣ أمالي المرتضى (٦٣٨/١) .

« قال الجاحظ : كان أحد الطيِّاب ، يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء . ويقول إن فرعون عند الله أكرم من موسى »^١ . و (ابن كركرة) أعرابي ، وكان مرجع الأعراب الوافدين إلى البصرة ، وقد تحدث عنه (الجاحظ) في كتبه .

وقد عرف الصعاليك بـ (الذؤبان) وبـ (ذؤبان العرب) ، « وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم وشطارهم الذين يتلصصون ويتصعلكون ، لأنهم كالذئباب »^٢ . وعرفوا باللصوص لأنهم كانوا يتلصصون . واللص السارق ، في لغة طيء^٣ ، وقيل لهم : (الشطار) . « والشاطر من أعبي أهله ومؤدبه خبثاً ومكرأ ، جمعه الشطار كرمآن . وهو مأخوذ من شطر عنهم ، إذا نزع مراغماً . وقد قيل أنه مولد »^٤ . وعرفوا بـ (الخلعاء) ، والخلع الشاطر ، « وهو مجاز سمي به ، لأنه خلعتة عشيرته وتبرأوا منه ، أو لأنه خلع رسنه . ويقال : خلع من الدين والحياء »^٥ . « وكان في الجاهلية إذا قال قائل منادياً في الموسم : يا أيها الناس ! هذا ابني قد خلعت ، وذلك إذا خاف منه خبثاً أو خيانة ، أو من هو بسبيل منه ، فيقولون : إنا قد خلعتنا فلاناً ، أي فلان جر لم أضمن ، وإن جر إليه لم أطلب . يريد تبرأت منه . وكان لا يؤخذ بعد بجريرته وهو خليع »^٦ . و (الخلعاء) جماعتهم « واختلعه إذا ذهبوا بماله »^٧ . ولعل لهذا التفسير صلة بالصعلكة التي تعني الفقر ، فالفقر والإملاق والجوع من أهم الملازمات التي لازمت ورافقت الصعاليك ، وفي هذا المعنى أيضاً ما جاء في كتب اللغة : « وشفر المال تشفيراً : قلّ وذهب »^٨ ، ولعل للفظ (الشنفرى) ، صلة بهذا المعنى ، وقد تكون اللفظة (الرجل) التي تعني البؤس والفقر^٩ ، صلة بهذا المعنى كذلك . فقد عرف الصعاليك بـ (الرجلين)

١ الفهرست (٧٢) .

٢ تاج العروس (٢٤٨ / ١) ، (ذاب) ، الخزائن (٥٣٢ / ٣) .

٣ تاج العروس (٤٣٢ / ٤) ، (لص) .

٤ تاج العروس (٢٩٩ / ٣) ، (شطر) .

٥ تاج العروس (٣٢١ / ٥) ، (خلع) .

٦ تاج العروس (٣٢١ / ٥) ، (خلع) .

٧ تاج العروس (٣٢٢ / ٥) ، (خلع) .

٨ تاج العروس (٣٠٨ / ٣) ، (شفر) .

٩ تاج العروس (٣٣٨ / ٧) ، (رجل) .

وب (الرجلياء) ، وعرف الواحد منهم ب (الرجلّي)^١ ، وقد تكون للفظه (الخلع) صلة بالفقر والإملاق كذلك ، بدليل ما ذكره في تفسير (المعيل) من قولهم : « المعيل : الذي قصر ماله وعليه عيال »^٢ . وقد عرف الصعاليك ب (الرجلين) لاستعمالهم أرجلهم في الإقدام والهروب ، لأنهم فقراء لا يملكون غير أرجلهم تحملهم الى المواضع التي يريدون سرقتها ، إذ لا خيل لهم يركبونها لعجز أكثرهم عن شرائها ، فلا يكون أمامهم غير الاعتماد على الرجل .

والجوع حليف ملازم للصعاليك ، لم ينفر منهم ، ولم يبتعد عنهم لذلك كثر الحديث عنه في شعرهم وفي أخبارهم . وقد كانوا يهربون منه ، لكنهم لم يفلتوا منه . فقد كان ممسكاً بهم ، ملازماً لهم ، ما داموا صعالكة ، فالجوع نفسه جزء من أجزاء الصعلكة . وفي شعر (عروة بن الورد) أن الجوع كان يتزل به ، حتى يكاد يهلكه ، أنزل به الهزال ، وأراه الموت ، لولا أنه كان يتهرب منه بالغارة ، لينال منها البلغة ، فالمنايا خير من الهزال المقيت المميت^٣ . وفي شعر للسليك بن السلكة ، أن الجوع كان يغشاه في الصيف ، حتى كان إذا قام تولاه اغماء شديد ، يريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع^٤ .

وما دامت حياة الصعلكة جوع وفقر ، وإملاق وهروب من متعقب ، فالموت خير للصلوك من حياة يعيشها فقيراً ، لا أقارب له تعطف عليه ، ولا أهل يشفقون عليه ، ولا قوم يراجعونه ويتعهدونه بالحياة^٥ ، حياته موحشة قاسية ، تفور بالأخطار والتهلكة والمغامرات ، لا يدري متى يأتيه الموت ومن أين يأتيه ، إذا نام ، خاف من غادر قد يغدر به ، ومن متعقب يتعقب أثره ، ومن طالب ثار يريد الأخذ بثأره منه ، ومن حيوان صعلوك مثله ، يريد أن يقضي على

١ تاج العروس (٣٣٩/٧) ، (رجل) ، (أجارت السليك بن السلكة السعدي ، وكان رجلياً) ، المحبر (٤٣٣) .

٢ تاج العروس (٣٢١/٥) ، (خلع) .

٣ أقيموا بني لبني صدور ركابكم فان منايا القوم خير من الهزل ديوان عروة (١٠٦) .

٤ الاغانى (١٣٥/١٨) .

٥ اذا المرء لم يبعث سوا ما ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربـه ديوان عروة (١٥٠) ، وينسبان لغيره ، حماسة أبي تمام (١٦٦/١ ، ١٦٧) .

جوعه بافتراسه ، وهو معذور في ذلك لأنه جائع لا طعام له ، ومن هنا هان الموت في نظر الصعلوك ، فهو معه يتبعه مثل ظله وملازم له ، وتولدت في نفسه فلسفة (الآجال) : فلسفة ان لكل نفس أجل ، وأن كل نفس ذائقة الموت ، وأن الإنسان مهما عاش وعمر ، فلا بد من أن يلاقي الموت ويستجيب له ، لن ينجيه منه قصر (ريمان) ، ولا حرس أبوابه المدججون بالسلاح ، يمنعون الناس من دخوله ، فالموت لا يعرف حرس القصور ولا يحول بينه وبين من يريد الوصول اليه حائل مهما كان . قال أبو الطمحان القيني :

لو كنتُ في ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف ألف
إذن لأتني حيث كنت منيتي يحبُّ بها هاد بأمرى قائف^١

ولقرب الموت من الصعاليك ، ولتعقب أصحاب الثأر دوماً لهم ، لازموا سلاحهم ، فكانوا لا ينامون إلا وسيفهم معهم . كما لازمهم الرقاد والسهر بالليل ، خشية مباغته غادر لهم ، والليل رفيق الغدر . لذلك كان ليلهم قصيراً ، ونومهم قليلاً ، من شدة قلقهم ومن تحسبهم لتعقب طلاب الثأر لهم ، ونجد في شعرهم اشارات الى مظاهر القلق الذي كان يستولي عليهم ، فيحول بينهم وبين النوم . ونجد في شعر للشنفرى توجع وتألم ومرارة ، وإن صيغ بصورة الاستهتار بالموت وبالحياة ، فهو إن جاءه الموت ، فلن ييالي ، ولم ييالي ، وهو انسان خليع بائس ، إن مات لا يجد من يبكي عليه أحد . فأى توجع أشد من هذا التوجع المصوغ في هذا البيت الساخر :

إذا ما أتتني ميتي لم أبالها ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي^٢

ولكن الحياة على ما فيها من مرارة وشقاء ، مطلوبة محبوبة ، فرباً لحظة فيها حبور تنسي كل ما كابده الانسان من تعاسة وشقاء ، والموت مكروه ممقوت ، وإن تمتناه المتمني ، وما تمنيه له إلا لثورة طارئة في النفس ولضيق في الصدر ، فإذا بان الموت لمتني ضاق صدره ، وتمنى لو مد في عمره . يدفعه الأمل الى

١ الاغاني (١٣٣/١١) .

٢ الاغاني (١٣٩/٢١) ، الشعراء الصعاليك (٣٣) .

التفكير في احتمال تغير الأوضاع ، وتحسن الحال ، والحصول على الغنى والمال ، بشرط أن يسعى ويضرب في الأرض وأن يكون صادق العزيمة ، لا ينخور أمام المصائب مهما كانت شديدة عاتية ولا ينهار منها :

فسر^١ في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا^٢

وقد كان عماد الصعلوك في حياته ، قوته الجسدية وسلاحه الذي يحارب به ، وجاعته الذين يأوي اليهم ، وكان يقااتل بضراوة ، قتال المستميت ، لأنه إن لم يدافع عن نفسه ، هلك ، إذ لا أمل له في وجود عصبية تدافع عنه ، أو أهل يقومون بافتدائه وتحليصه من أسر إن وقع فيه ، وسيله الوحيد للخلاصه عند قيامه بغارة : المباغتة والحرب بما قد يحصل عليه بسرعة ، كي يأمن العاقبة ، وعمل الحيلة في التخلص من المآزق ، لكيلا يقع في ايدي متعقبه ، فيكون بذلك هلاكه ، وفي جملة ذلك الفرار ، للنجاة بالنفس من موت محتم . وهو فرار يؤدي به الى معاودة الغارة والتلصص ، إذ لا مورد له في هذه الحياة يتعيش منه غير هذين الموردين . فحال في هذا الفرار حال (أبي خراش) الهللي حيث يقول :

فلن تزعمي أنني جبت^٣ فلاني أفر وأرمي مرة كل ذلك
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك^٤

ونظراً لفقر الصعاليك ، وعدم وجود مال لديهم يكفل لهم شراء فرس يركبونها في غاراتهم ، اعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم، وفي الحصول على معاشهم ، وعلى خفة حركاتهم ، وسرعتهم في الهروب من تعقب المتعقبين لهم في حالي الفشل أو النجاح . وكان من بينهم من ضرب به المثل في زمانه في شدة العدو ، وفي سرعة الركض ، ورويت عنه الأقاصيص في ذلك . منهم (سليك بن المقانب بن السلكة) ، وهو عداء بالغ . يقال : أعدى من السليك^٥ . وقد عرفوا لذلك بـ (العدائين) لشدة عدوهم^٦ ، جمع (عداء) ، ومنهم أيضاً

- ١ ديوان عروة (١٩١) .
- ٢ ديوان الهذليين (١٦٩/٢) ، الدكتور يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك (٤٠) .
- ٣ تاج العروس (٤٠٩/١) ، (غرب) .
- ٤ الخزائن (١٧/٢) .

(الشنفرى) : « شاعر عداء . ومنه المثل : أعدى من الشنفرى »^١ ، « وكان من العدائين . وفي المثل : أعدى من الشنفرى »^٢ . كما عرفوا بـ (الرجلين) وبـ (الرجلء) ، وهم « قوم كانوا يعدون . كذا في العباب . ونص الأزهري : يغزون على أرجلهم ، الواحد رجليّ محرّكة أيضاً ... وهم سليك المقانب ، وهو ابن سلكة ، والمتشر بن وهب الباهلي ، وأوفى بن مطر المازني »^٣ ، « والرجلة بالفتح وبالكسر : شدة المشي ، أو بالضم القوة على المشي ، وفي المحكم : الرجلة بالضم المشي راجلاً »^٤ . وقد صار العدو من أهم صفاتهم ومميزاتهم التي امتازوا بها عن غيرهم ، حتى قيل إن الخيل لم تكن تلحق بهم . وفتوا بأنهم كانوا أشد الناس عدواً ، وأنهم « لا يجارون عدواً » ، « لا يلحقون »^٥ . ومن العدائين : (تأبط شراً) ، و (عمرو بن البراق) ، و (أسيد بن جابر)^٦ . وورد أن العرب كانت تضرب بالسليك المثل في العدو ، وترغم أنه والشنفرى أعدى من رثي^٧ .

وضرب المثل بسرعة عدوهم ، واتخذ القصاص من شدة عدو الصعاليك مادة أدخلوها في قصصهم ، وبالفوا فيها لتناسب طابع القص واسلوبه ، وقد وجد بعضه سيلاً إلى كتب الأخبار والأدب والعجائب وال نوادر . وتؤلف المبالغات في سرعتهم وعدوهم أهم عنصر في القصص الذي يتحدث عنهم ، نجد فيها أن الصعلوك يسابق الخيل ، فيسبقها ، هذا (أبو خراش) الحلبي ، يدخل مكة ، فوجد (الوليد بن المغيرة) المخزومي ، يهيم بإرسال فرسين له إلى (الحلبة) فيقول له : ما تجعل لي إن سبقتهما ؟ قال : إن فعلت فيها لك ، فأرسلا وعدا بينهما فسبقها فأخذها^٨ . وهذا (تأبط شراً) يوصف بأنه « كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر

-
- ١ تاج العروس (٣١٨/٣) ، (الشنفرية) .
 - ٢ تاج العروس (٣٠٨/٣) ، (شفر) .
 - ٣ تاج العروس (٣٣٩/٧) ، (رجل) ، ثمار القلوب (١٣٥) .
 - ٤ تاج العروس (٣٣٦/٧) ، (رجل) .
 - ٥ الاغانى (٤٩/١٢) ، (١٣٣/١٨ وما بعدها) ، المرزباني (٤٦٨) ، الخزائنة (١٦/٢) .
 - ٦ تاج العروس (٣٠٨/٣ ، ٣١٨) ، (شفر) ، (شنفر) .
 - ٧ ثمار القلوب (١٣٤) .
 - ٨ الاغانى (٥٧/٢١) .

الى الظباء ، فينتقي على نظره أسمتها ، ثم يجري خلفه ، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبجه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله ^١ . الى غير ذلك من قصص وحكايات .

وقد فخر العداؤون بشدة عدوهم ، وتباهوا بمقدرتهم على العدو السريع ، حتى أنهم نسبوا سبب نجاتهم من الموت الى عدوهم هذا ، لا الى قتالهم وشجاعتهم ، وبالغوا في شعرهم به ، حتى ذكروا أنهم كانوا يسبقون الخيل والظباء بل الطير ^٢ . هو نوع من (البطولة) في مفهوم الصعاليك ، حتى أنهم - كما قلت - فضّلوه على الشجاعة ، وإذا كانت الشجاعة ضرب من الإقدام وإظهار المقدرة والرجولية ، فالركض فراراً ، نوع من البطولة أيضاً ، فيه مقدرة وشجاعة في ضبط الأعصاب وفي التصميم والإقدام على السلامة والنجاة بالنفس وبقاء الحياة وهكذا أوجدوا لفرارهم عدراً اعتلّروا به ، فهم إن اختاروا الفرار وفضلوه على المعركة والقتال فلما اختاروه لأن فيه أمل المعاودة الى قتال جديد ، ثم لأنهم لا يرون سبباً يدعو الإنسان الى أن يرمي نفسه في المهالك ، وأن يكون طعاماً للوحوش الكاسرة ^٣ . فليس في الهروب جبن ، وليس في الإقدام شجاعة ، والعقل من اتعظ فنجى نفسه من الموت ، وفي النجاة شجاعة .

وقد كان لسرعة عدو الصعاليك العدائين فضل كبير عليهم في النجاة من المهالك المحتمّة ، هذا (تأبط شراً) ، يذكر في شعر له انه وقع في فخ في موضع (العيكتين) ، وكاد يهلك ، لولا استعانتة بالركض ، ولا أحد أسرع منه ، وبذلك نجا وخلص من الوقوع في داهية ^٤ . فلا عجب اذن ، اذا ما افتخروا بسرعة عدوهم ، وجأهروا بما لأرجلهم من فضل ومنة عليهم . فلولا العدو لما خرج (أبو خراش) سالماً من موت كان قد أحاق به ، ولكنه غلب الموت بشدة عدوه وهروبه منه ، فعاد سالماً معافى الى حليلته ، فاستقبلته ابنته بقولها : « سلمت وما إن كدت بالأمس تسلم » ، وأنقذ بذلك ابنه (خراش) من الوقوع في اليم ^٥ .

-
- ١ الاغاني (٢١٠ / ١٨) .
 - ٢ الشعراء الصعاليك (٢٠٩ وما بعدها) .
 - ٣ الشعراء الصعاليك (٢٠٩ وما بعدها) .
 - ٤ المفضليات (٧ وما بعدها) ، الشعراء الصعاليك (٤٢) .
 - ٥ الاغاني (٥٦ / ٢١ وما بعدها) ، ديوان الهذليين (١٤٨ / ٢) .

فلا عجب اذن ، إن رأينا (الحاجز الأزدي) ، يفدي رجله بأمه وخالته ، وهو فداء في نظرنا غريب ، لكنه ليس بغريب ، بالنسبة الى انسان رجلاه رأسماله في هذه الحياة ، بفضلها سلم من المهالك ، وحصل على قوته ، ولولاهما لكان من الهالكين :

فدى لكما رجليّ أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثاب^١

وكان الصعاليك يغيرون فرساناً كذلك ، كانوا يجيدون ركوب الخيل والإغارة عليها ، وعدّ بعضهم من خيرة فرسان الجاهلية . ولعروة بن الورد فرس يسمى (قرمل)^٢ ، وللصليح فرس يسمى (النحام)^٣ ، وللشنفري فرس يسمى (اليحموم)^٤ ، وقد عرفت هذه الأفراس بشدة عدوها .

والسلاح للصعلوك ، هو الحاية الوحيدة التي يتقي بها أذى الناس ، ويستعين بها في القضاء على خصمه ، وهو السيف والقوس والرمح والدرع والمغفر ، وكان لا يفارق سلاحه ، لأنه لا يلدي متى ينقض عليه عدو له فيقتله ، فكان لا بد له من حمل سيفه معه ، واعتناقه له حين نومه ، وقد عد (عروة بن الورد) ، و (عمرو بن براق) السلاح رأسمالهما الذي يتكولن عليه في هذه الحياة * .

ولصعوبة تصعلك الرجل بمفرده ، تكتل الصعاليك كتلاً ، وكوتوا لهم فرقاً ، تكوّنت من أشبات وأنماط من الرجال ، فيهم الحرّ الثائر ، وفيهم الضالّ الغاوي ، وفيهم الأسود العبد ، وفيهم القاتل الفاتك . وهم بالطبع من قبائل مختلفة ومن بطون متنافرة . فلا تجمعهم عصبية القبيلة ، ولا نخوة العشيرة ، ومع ذلك في بينهم رابطة قوية ، ووحدة جمعت بينهم ، هي وحدة الدفاع عن النفس ، والذب عنها ، والكفاح في سبيل المعيشة ، بأي سبيل ، وبأية طريقة وجدت ووقعت ، حتى بالقتل . فن وجد شخصاً ومعه مال ، لا يجد الصعلوك والقاتل سبباً أخلاقياً

١ الاغاني (٥٢/١٢) .

٢ قال عروة :

كليلسة شيباء التي لست ناسياً وليلتنا اذ من ما من قرمل
تاج العروس (٧٩/٨) ، (القرمل) .

٣ ذيل الامالي ، للقالبي (١٨٨) .

٤ ديوان الشنفري ، تحقيق الميمني ، (لجنة) (ص ٤٠) .

٥ ديوان عروة (٢٠٧) ، الاغاني (١٧٥/٢١) .

يمنعه من قتله للحصول على ماله . فلما كان (عروة بن الورد) في أرض (بني أنقن) يتربص المارة ، فرت به إبل ، فيها ظعينة ورجل يحرسها ، خرج إليه (عروة) فرمى الرجل بسهم في ظهره ، أراحه قتيلاً ، واستاق الإبل والظعينة . ولما خرج (الأخينس) الجهني فلقني (الحصين) العمري ، وكانا فاتكين ، وسارا حتى لقيا رجلاً من كندة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك ، طمعا به ، فاغتره (الحصين) فضرب بطنه بالسيف فقتله ، واقتسما ماله ، ثم ركبوا ، وطمع (الأخينس) في مال (الحصين) فتربص به الفرص حتى أخذه على غرة فقتله واستولى على ما كان عنده ، في حكاية تروى ، وفيه يقول الأخينس على لسان (صخرة) أخت (الحصين) :

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين^١

فالفاتك لا يجد مانعاً أخلاقياً يمنعه من الفتك بأي شخص إن وجده عنده المال ووجد له فرصة مؤاتية ، ثم هو لا يمتنع من الفتك حتى بزميله وصاحبه وشريكه في الإغارة والفتك ، والتاجر لا يأمن من حراسه ومن مرافقيه حتى يصل مقره ، لأن الفقر لا يعرف أخاً ولا صديقاً وشريكاً ، قاتل الله الفقر ووقانا شره !

ونجد (تأبط شراً) ، يتبجح في شعر ينسب له ، فيقول انه لا يبيت الدهر إلا على فتي أسلبه ، أو على سرب أذعره^٢ . ونجد صاحب (لامية العرب) ، إن صح أنها للشنفرى ، يصف غارة ملأت الرعب في قلب من وقعت عليهم ، قام بها في ليلة باردة ، عاد منها سالماً معافى بغنائم ، وهو فرح بما تركه من قتل وسلب وألم في نفوس النساء والأطفال ، إذ يقول :

فأبمت نسوانا ، وأبتمت إلدةً وعدت كما أبدأت ، والليل أليل^٣

ونجد (السليك) يخرج مع صعلوكين يريدون الغارة ، فساروا حتى أتوا بيتاً مطرفاً ، ووجد شيخاً غطى وجهه من البرد ، وقد أخذته إغفاءة ، ومعه إبله

-
- ١ ديوان عروة (١١٣) ، (اخراج عبد المعين الملوحي) .
 - ٢ عيون الاخبار (١٨١/١) وما بعدها ، (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي) .
 - ٣ الاغانى (٢١٧/١٨) .
 - ٤ الشعراء الصعاليك (٤٩) .

ترعى ، فأسرع اليه وضربه بسيفه فقتله ، ونهبوا إبله ، وعادوا بها مسرعين فرحين ، خشية شعور الحي بأمرهم وتعقبهم لهم . قتله دون أن يشعر بوخزة ضمير ، لقتله انساناً نائماً طاعناً في السن يرعى إبله ، وإن وجدناه يبرر فعلته هذه ، بأنه لم يتل هذه الإبل إلا بعد أن صكه الجوع ، واستولى عليه الفقر ، فهو قد قام به مضطراً^١ ، والضرورات تبيح المحظورات .

ونرى (صخر الغي) المزني ، يقول في شعر له ، انه قتل رجلاً من (مزينة) وسلبه ماله ، ليقوى به مال رجل فقير ، لا يملك مالا^٢ :

في المزني الذي حششت به مالَ ضريك تلاده النكد^٣

وعلى الرغم من هذا العنف، ومن هذه القساوة العنيفة ، التي تصل الى الوحشية ، نرى عند بعضهم ، روحاً إنسانية ، فيها العطف على الضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة ، والبر للأهل والأقارب بل وللغريب أيضاً . بل نجد هذه الروح أحياناً حتى عند القساة منهم ، وسبب ذلك أن الصعاليكة في ثورات نفسية ، يعيشون عيشة قلق مضطربة ، فإذا كانوا في ثورة جائعة من جوع وحاجة وتآلم بما حلّ بهم وبما هم فيه من سوء حال ، هاجوا فكفروا بكل شيء ، وثاروا على كل شيء وعلى كل أحد ، وصاروا لا يبالون بعرف ولا سنة ، يقتلون لأنفهم الأسباب ، لأنهم معرضون أنفسهم في كل لحظة للقتل . ثم إن القتل لا شيء بالنسبة الى تلك الأيام ، وان تعاضم في نظرنا . فهم في ذلك مثل الأسود الجائعة ، لا تعابأ بشيء ، وكل همها الحصول على فريسة لتأكلها فتعيش عليها ، فإذا وجد الصعلوك غنيمة ، وعاد الى مقره سالماً ارتخت أعصابه ، وهدأت سورته ، وتذكر نفسه وما يقاسيه من ألم وجوع ، فيعود إنساناً آخر ، باراً بأصحابه حنوناً عليهم ، نادماً على حياة يعيشها جعلته يعيش مثل الوحوش الكاسرة ، كريماً يعطي مما ناله بقوته وبسلاحه وبلدائه . هذا (عروة بن الورد)^٤ و (أبو خراش) الهللي

وكادت لاسباب المنية أعرف
إذا قممت تغشاني ظلال فاسد

١ وما نلتها حتى تصعلكت حقبة
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
الشعراء الصعاليك (١٨٢ وما بعدها) .

٢ الشعراء الصعاليك (٢٣٨) .

وغيرهما ، نجد فيهم التقيضين ، نجد فيهم القسوة بل الوحشية ، ثم نجد فيهم العطف والشفقة والرحمة والاشفاق على الضعفاء ، وما الجمع بين التقيضين إلا من واقع هذه الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية التي كانوا يعيشون فيها .

وفي شعر ينسب الى (أبي خراش) الهللي ، امتداح للكرم ولكرامة الانسان في الحياة ، وترفع عن المذلة وتباهٍ بإثثار الغير على نفسه ، مع انه فقير صعلوك ، فهو يقول :

واني لأتوي الجوعَ حتى يملي فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي
وأغتبِق الماء القراح فأنتهي اذا الزاد أمسى للمزجِ ذا طعم
أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من صيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموتُ خيرٌ من حياة على رِغمٍ

وقد عاش هؤلاء على المباغثة والغارات ، فكانوا يتسترون في المواضع الوعرة ، وفي مفارق الطرق وشعاب الجبال حتى اذا مر بهم مار ، ووجدوا أن في إمكانهم الحصول على غنيمة ، باغتوه ، وأخذوا منه ما هو عنده . وقد يغفرون على الأحياء ليلاً ، فيأخذون ما يجدونه أمامهم ، ثم يجرون بسرعة حتى لا يدرკهم أحد ، ليصلوا الى مواضع آمنة بعيدة عن التعقيب ، مثل الكهوف والمغاور والآكام ، يأوون اليها ويعيشون بها عيشة الخائف المتشرد الهارب من مجتمعه ، الحاقد عليه ، لأن في قلبه حقداً عليه ، لأنه لم يفهمه ولم يفهم سبب نقمته على مجتمعه . وأكثرهم من الشباب الذين خرجوا على طاعة أوليائهم أو على عُرْف مجتمعتهم ، أو عوملوا معاملة أشعرتهم انها اذلتهم وجرحت كرامتهم ، فانفصلوا بذلك عن أهلهم وعشيرتهم أو فصلهم أهلهم عنهم ، فلم يبق أمامهم من سبيل سوى التصعلك والتشرد .

وكان من هؤلاء مثل (عروة بن الورد) من جمع حوله الصعاليك ، ولقّبهم حوله ، فكان يغزو بالقوي الجسر منهم ، فإذا أصابوا مغنماً جاءوا به الى أصحابهم الضعفاء ممن لا يتمكن أو لا يتجاسر على الغارة ، فيصيبونهم بما أصابوا ويعينونهم بما غنموا ، وحياة على مثل هذا الطراز ، هي حياة شديدة قاسية ولا شك .

١ ديوان الهذليين (١٢٧/٢) ، (دار الكتب) ، الاغاني (٤٢/٢١) .

وقد كانت المرتفعات الصعبة المشرفة على المسالك والطرق الضيقة من أهم الأماكن المحيية الى نفوس الصعاليك وقطاع الطرق ، يحتمون بالمواضع المشرفة منها على الطرق لمراقبة المارة ، من (مرقبة) تخفي معالمها لئلا يراها أو يظن لوجودها سلاك الطرق ، فاذا مروا بها اقتضوا عليها منها ، وكأهم هبطوا عليهم من السماء . ونجد لها ذكراً في شعر الصعاليك واللصوص وقطاع الطرق^١ . وقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته ، ورد : « المرقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »^٢ .

ونجد في شعر (تأبط شراً) أنه كان يغير على (أهل المواشي) و (أهل الركيب) والحب ، وعلى (أرباب المخاض) ، فعند هؤلاء ما يطعم فيه الفقير الصعلوك من مال وحب يعتاش عليه ، ومن نوق حوامل^٣ . ونرى (الأعلم) الهذلي ، يذكر أنه يغزو المترف السمين ، الذي يعيش بين السناثر والكنيف ، بينما هو وأمثاله لا يملكون شيئاً ، فاذا هاجموه ، خاف وأهدت كيانه^٤ . ولهذا صار الساكنون في الأرضين الحصبة والتجار والسابلة من خيرة الأهداف التي كان يترصدها الصعاليكة ، لعلمهم بوجود شيء عند أصحابها ، أكثر مما يجدونه عند الأعراف الضارين في البوادي النائية المكشوفة .

ويطعم الصعاليك أيضاً بعضهم في بعض ، فالحياة جوع وفقير ، والفقير كافر لا يعرف عرف (المهنة) ولا مجاملات الصنف ، ثم هم أبناء البادية ، يؤمن طبع البادية ، أن يغير أبنائها بعضهم على بعض ، للحصول على لقمة العيش ، فكان الصعاليك تبعاً لهذه السنة يغير بعضهم على بعض ، خاصة إذا كانوا صعاليك متعادية . فكان بين صعاليك هذيل وصعاليك قهم ، عدااء شديد ، وحقد دفين ، بسبب العداوة بين الحيين^٥ ، عداوة مرجعها تجاوز الحيين ، واختلاف مصالحهما الحيوية ، وطمع القبيلتين في (بجيلة) ، و (بجيلة) في جوار (الطائف) ، وهي غير

١ الشعراء الصعاليك (١٨٦ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٢٧٦/١) ، (رقب) .

٣ فيوما على أهل المواشي وتارة لاهل ركيب ذي ثميل وسنبيل ولكن أرباب المخاض يشفهم إذا اقتفروه واحداً أو مشيعاً

الآغاني (٢١٧/١٨) ، حماسة أبي تمام (٢٨/٢) .

٤ الشعراء الصعاليك (٢٣٧) .

٥ شرح أشعار الهذليين (٢٣٣/١ وما بعدها) ، الشعراء الصعاليك (٤٨) .

بعيدة عن فهم ، ولا تبعد منازلها بعداً كبيراً أيضاً عن ديار هذيل^١ .

وكان بين (صخر الغي) الهللي و (تأبط شرأ) عداء شديد . وقد سمي (الهذلي) (تأبط شرأ) بـ (ابن ترني) ازدراء به . ونجد في الشعر الوارد في هجاء الشاعرين بعض لوناً طريفاً من ألوان هذا الصراع السلي كان يقع بين الصعاليك^٢ ، وهو صراع أسبابه عديدة ، صراع متولد من عصبية قبلية ، أو من تنافس وتحاسد في الحرفة وعلى الرئاسة والزعامة والصيت والشهرة ، أو في طمع كل واحد منهم في الآخر للاستيلاء على ما حصل عليه من مال ليتعيش به .

وقد انتشر الصعاليك في كل موضع من جزيرة العرب ، ففي كل مكان منها جوع وقمر وصعلكة ، حتى صاروا قوة مرعبة مخوفة ، لشدة بأسهم في القتال ، ولعرفتهم بالمسالك وبمنافذ الطرق وبمداخلها وبأسرار البوادي وخفايا النجاد والجبال ، فكانوا أن اتخذوا من الكهوف والمنحدرات والمسترات المشرفة على الأودية والطرق ، مواضع رصد واختفاء ، يراقبون منها حركات المارة ، فإذا وجدوهم دخلوا موضعاً صعباً ، يمكن حصرهم به ، انقضوا عليهم ، فأخذوا منهم ما يكون عندهم من متاع هذه الدنيا ، ثم هربوا بما غنموا إلى مخابثهم حيث لا يصل إليهم أحد ، وإن وجدوا أن السابلة أقوى منهم وأشد بأساً ، اتخذوا من الفرار وسيلة للسلامة والنجاة ، فلا يلحقهم متعقب ، ولا يطمع أحد في إصابتهم بمكرهه ، وهم على علم واسع وخبرة عالية بمجاهل البوادي وبخبايا الأرض ، وهكذا يكونون في نأي عن التعقيب وفي منجاة من التعقب . ولما سدت السبل في وجه (النعمان ابن المنذر) بعد أن غضب كسرى عليه ، وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان ، لجأ إلى (هانيء بن قبيصة) الشيباني ، فأجاره وقال : لزمني فمالك ، وإني مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وإن ذلك مهلكي ومهلكك ، وعندني رأي لست أشير به لأدفعك عما تريد من مجاورتي ، ولكنه الصواب ، فقال هانيء ، قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد الملك سوقة . والموت نازل بكل أحد ، ولأن تموت كريماً خير من أن تتجرع الذل أو تبقي سوقة بعد الملك . امض إلى صاحبك واحمل عليه هدايا ومالاً والى نفسك بين يديه ،

١ شرح أشعار الهذليين (٢٣٣/١) وما بعدها .

٢ الشعراء الصعاليك (١٩٢) .

فلما أن يصفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، وأما أن يصيبك ، فالموت خير من أن تلعب بك صعاليك العرب ويتمطفك ذئابها^١ ، وفي نصيحة هانيء، للنعمان، وإشارته فيها الى (صعاليك العرب) دلالة على انتشارهم في كل مكان . وأنهم صاروا خطراً على الأمن ، بحسب له كل حساب .

ولما خلع (امرؤ القيس) ، وصار ضليلاً خليفاً ، « جمع جموعاً من حير غيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها^٢ ، وأخذ يغير بهم على أحياء العرب ، ما كان (امرؤ القيس) ليجمع جمعهم ويحزبهم حزبه لو لم تكن في نفسه حاجة لهم ، فقد كانوا قوة ، وقد صاروا رعباً يخيف الناس ، كالذي كان في جبل (مة) من تكتل خليط من كنانة ومزينة والحكم والقارة والسودان ، من تكتلهم وأبهم وأخذهم من كان يمر بالغارة والنهب والسلب ، بقوا على ذلك أسداً ثائن على مجتمعهم ، حتى ظهر الاسلام ، فكاتبهم الرسول ، وأمنهم انهم ان آمنوا وأقاموا الصلاة ، وصدقوا ، « فعبدهم حر ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخلوه ، فهو لم ، وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان^٣ . فهم قم متمردون ثائرون لا يعطون أحداً طاعة ، إلا طاعة أنفسهم والمترس فيهم . زلزل هذا هو الذي حدا بأهل النسب والأخبار أن يقولوا : « والخلعاء : بطن من بني عامر بن صعصعة ... كانوا لا يعطون أحداً طاعة^٤ .

وهكذا وضع (الصعاليك) أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم لتحقيق أهدافه التي يريد ، مقابل ترضيتهم وإعاشتهم ، كما يفعل الجنود المرتزقة هذا اليوم من خدمة الدول الأجنبية ، بانضمامهم الى الفرق الأجنبية ، كما هو الحال في (فرنسا) مثلاً لاستخدامهم في القتال .

وقد جعلت حياة التشرد والغارات والهروب والفرار الى مواضع بعيدة نائية وفي مجاهل البرادي ، الصعاليك من أعلم الناس بدروب جزيرة العرب ، وبالمواضع

- ١ الاغانى (١٢٦/٢) ، الخزائن (١٨٥/١) وما بعدها .
- ٢ الخزائن (٥٣٢/٣) ، (جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب) ، معاهد التنصيص (٥/١) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) ، (صادر) .
- ٤ تاج العروس (٣٢١/٥) .

الصعبة منها بصورة خاصة . وقد وصف (السليك) ، (البعيد - الغارة) بأنه « أدل من قطاة » ، ونعت الصعاليك جميعاً بأنهم « أهذى من القطا »^١ ، واقتخر الصعاليكة أنفسهم بأنهم كانوا يعرفون عن خفايا البوادي والجبال ما لا يعرفه أحد غيرهم ، وبذلك كانوا ينجون أنفسهم من تعقب المتعقبين لهم^٢ .

ونجد لشذاد العرب ، ذكراً في أخبار الغزو وفي أخبار الأخذ بالشار ، وفي أخبار من كان يريد الانتقام من أعدائه ، فلما غزا (زيد الخيل) الطائي (بني عامر) ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، « جمع طيئاً وأخلطاً لهم ، وجموعاً من شذاد العرب »^٣ ولما غزا (زهير بن جناب) الكلبي ، بكرأ وتغلب أخذ « من تجمع له من شذاد العرب والقبائل » وغيرهم فغزا بهم^٤ . وقد كان هؤلاء (الشذاد) على استعداد لوضع أنفسهم في خدمة من يريد استخدامهم في مقابل أجر ، أو يتكفل بإعاشتهم وإرزاقهم ، أو من يرزقهم غنيمة من غارة يساهمون فيها ، فلما أراد (أبو جندب) الهذلي ، الأخذ بثأر جارين له قتلها (بنو لحيان) ، قدم مكة ، فأخذ جماعة من خلعاء بكر وخزاعة ، وخرج بهم على بني لحيان ، وكان قد « قدم مكة ، فواعد كل خليج وفلك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه » ، ليثأر لأخيه^٥ .

وكانت مكة على ما يظهر من أخبار أهل الأخبار ، مكاناً أوى إليه ذؤبان العرب وخلعائهم وصعاليكهم ، حتى كثر عددهم بها ، لما وجدوه فيها من حماية ومعونة ، وكان أحدهم إذا جاءها ، نادى قريشاً نداء النخوة لتؤويه وتجيّره ، فيقوم أشرافها بحمايته وتقديم الجوار له . ومن هنا نجد الفتاك وأهل الغي والضلال يجوسون خلالها في أمن وسلام ، لحرم المدينة ولحرمه حقوق الجوار ، ولعل المصالح الاقتصادية التي كانت تبنيها قريش من هذا الإيواء ، كانت السبب الأول في جعل سرانها يقدمون العون والجوار لأولئك الذؤبان الفتاك الذين كانوا لا يتورعون من الإقدام على أي عمل مهما كان شأنه خطيراً ، حتى إن كان فيه هلاكهم ،

١ الاغاني (١٣٤/١٨) ، المرزباني (٤٦٨) ، الشعراء الصعاليك (٥٤) .

٢ الاصمعيات (٣٥/١) .

٣ الاغاني (٥٢/١٦) .

٤ الاغاني (٩٦/٢١) .

٥ الاغاني (٦٢/٢١ وما بعدها) ، شرح أشعار الهذليين (٨٣/١ وما بعدها) .

أو جاء بالأذى على من أحسن اليهم وأجارهم ، فهم قوم أصابهم طيش وركبهم التمرد والحقد على المجتمع ، فهم لا يبالون بارتكاب أية موبقة ولو وقعت منهم في الحرم ، فقد كان في وسع تجار قريش تأمين تجارتهم بالإحسان إلى هؤلاء الذين كان في استطاعتهم مهاجمة القوافل ونهب ما معها من أموال ، كما كان بإمكانهم استخدامهم حراًساً يخرجون مع قوافلهم لحراستها من بقية الصعاليك إلى وصولها إلى الأماكن التي تريدها ، كما كان في استطاعتهم الاستفادة من الفتاك في الفتك بمن يناصبهم العدا ، وفي القضاء على كل من يريد التحرش بقريشي أو بأموال قريش أو حلفائهم . وبذلك تمكنوا من حماية تجارتهم من الصعاليك ومن الأعراب الذين قد تمر تجارة قريش بهم ، وإن كانت قريش قد أمنت جانبهم أيضاً بعقد حبالها مع سادات القبائل بإيلاف عرف بـ (إيلاف قريش) في القرآن الكريم .

وكان (البراض) ، وهو (رافع بن قيس) وهو من الفتاك ، قد لجأ إلى مكة ، فحالف (بني سهم) من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه (العاص بن وائل) فأتى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب إلى اليمن ، فخلعه (حرب) ، فلما ضاقت به السبل ذهب إلى الحيرة ، وطلب من النعمان أن يجير له (لطيمته) ، فقال له (الرجال ابن عروة) : « أنت تجبرها على أهل الشيخ والقيصوم ؟ وإنما أنت كلب خليع ! » فأعطاهما (النعمان) إلى (عروة) ، فخرج (البراض) في أثره ، فلما انتهى إلى (أواره) قتله وانتهب اللطيمة ، فكان بسببه حرب الفجار بين كنانة وقيس !.

وبين الصعاليك قوم من (الغربان) (غربان العرب) ، وأغربة العرب سودانهم . شبهوا بالأغربة في لونهم ، وكلهم سرى اليهم السواد من أمهاتهم^١ . تصعلكوا لأزدراء قومهم لهم ، ولانتقاص أهلهم لشأنهم ، وعدم اعتراف آبائهم بينوتهم لهم ، لأنهم أبناء إماء . أو لفقرهم ، وظلم المجتمع لهم ، وعدم طبقة مملوكة ، هم والحيوان المملوك سواء بسواء . ليس لأحدهم جسمه ، ولا أهله ولا نسله ، وكل ما يملكه أو ما يحصل عليه يكون ملك سيده ، ومن خالف أمره منهم ، جاز لسيده قتله ، ولسيده حق الاستمتاع بمملوكته وبجواره من غير

١ المحبر (١٩٥ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٤٠٩/١) ، (غرب) .

قيد ولا شرط . وهذا ما جعل بعض الرقيق يهرب من سيده ، فراراً من ظلمه ، لينضم الى الصعاليك، أو ليكون عصابة تلجأ الى الجبال والكهوف ، تهاجم المارة ، والأحياء ، لتحصل على ما تتعيش به . ولما ظهر أمر الرسول ، كتب لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة، وهم خليط من كثانة ومزينة والحكم والقارة، ومن فر من سادته من العبيد ، كتاباً ، فيه أنهم « إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدكم حرّاً ، ومولاهم محمد ، ومن كان منهم من قبيلة لم يردّ إليها ، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم ، وما كان لهم من دين في الناس ردّ إليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان »^١ .

وأغربة العرب ، أو أغربة الصعاليك بتعبير أصدق ، كثيرون ، فقد كانت عادة اتصال العرب بالزنجيات منتشرة في الجاهلية ، وقد أولدت طبقة من الهجناء امتازت بسرعة العدو وبالشجاعة ، ويتحمل المشقات ، وكلها من مولدات الظروف . ولكن أشهر أغربة الصعاليك : السليك بن السلكة ، وتأبط شرّاً . وقد جعل (ابن قتيبة) أغربة العرب ثلاثة : عنزة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، والسيك بن عمير السعدي^٢ ، ولكن عددهم أكثر من ذلك بكثير ، يدخل فيهم الصعاليك وغيرهم .

أما الباقون ، فهم من شذاذ العرب ، ومن الخلقاء المطرودين المنبوذين، الذين طردوا من أهلهم أو من عشيرتهم وقبيلتهم ، وحرّموا من (العصبية) ، فلا أحد يسأل عنهم ، ولا أحد يسأل عن جرائمهم وأعمالهم ، فدمهم هدر ، ومسؤوليتهم على عاتقهم وحدهم . وهم من عشائر مختلفة ، فلا ينتسبون الى نسب واحد ، ونسبهم الوحيد الذي يربط بينهم ، هو الصعلكة ، والتمرد على المجتمع والتشرد في البوادي والهضاب والجبال ، ولهذا نجد الصعاليك من مختلف قبائل وعشائر جزيرة العرب ، قد يتكثرون في مجموعات تضم صعاليك قبيلة واحدة ، وقد يتكثرون في جماعات تتكون من صعاليك قبائل مختلفة . وتكون الألفة بين صعاليك القبيلة الواحدة أشد وأقوى من الألفة التي تكون بين صعاليك القبائل المختلفة ، لما يكون

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) ، « ذكر بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الرسل يكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام وما كتب به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لناس من العرب وغيرهم » .

٢ الشعر والشعراء (١٧٢/١) ، (دار الثقافة) ، (عنزة) ، الاغانى (٢٤٠/٨) .

للسبب والدم من أثر في نفوسهم ، وإن كفروا بعرف القبيلة وخرجوا على طاعتها . ونجد في شعر شعرائهم إشادة بأخوة (الصنف) و (الحرقه) تحل محل أخوة العشيرة والقبيلة ، إذا مات أحدهم أو قتل ، حزنوا عليه ، وإن مرض عالجوه ، وإن جاع قدموا له ما عندهم من طعام^١ .

وقد يستجير الخليج بمجير ، فيقبل جواره ، إلى حين أو بغير أجل محدد ، أو على شروط ، ففي حديث خروج (امرئ القيس) مطالباً بدم أبيه ، أنه لجأ إلى (عامر بن جوين) أحد الخلفاء الفتاك ، وعامر يومئذ خليج ، تبرأ قومه من جرائمه وتصل أهلهم منه^٢ ، وفي حديث (البراض بن قيس) الكناني وكان خليعاً فانتكاً سكيراً ، لا يتزل بقوم ، إلا عمل منكراً فيهم - ، أنه لجأ إلى بني (الدليل) ، فشرب وجرّ جريرة ، استوجبت خلعه فخلعوه ، فأتى مكة ، فتزل على حرب بن أمية ، فحالفه وأحسن جواره ، ثم شرب بمكة وأساء على عاداته ، حتى همّ حرب أن يخلعه^٣ ، وفي حديث (أبي الطمحان) القيني ، وكان خليعاً فاسقاً ، منهتكاً ، لا يعرف خلقاً ولا أدباً ، أنه نزل بمكة في جوار (الزبير بن عبد المطلب) ، « وكان يتزل عليه الخلفاء »^٤ ، ونزل (مطرود ابن كعب) الخزاعي ، في جوار (عبد المطلب) ، فحماه وأحسن إليه ، وكان قد لجأ إليه بلخاية كانت منه^٥ ، ووجد (قيس بن الحدادية) من يؤويه ، مع أنه كان صعلوكاً خليعاً ، عجز هو وأهله عن دفع دية قتيل قتلوه ، فخلعته قبيلته خزاعة ، فتزل عند بطن من خزاعة ، يقال لهم : (عدي بن عمرو بن خالد) ، فأحسنوا إليه ، كما نزل في بحيلة على (أسد بن كرز) فأحسن إليه وإلى قومه^٦ .

ولا ينسى بعض الصعاليك ذكر من أحسن إليهم فأكرمهم ورعاهم وحماهم . هذا (أبو الطمحان) القيني ، يثني على من آووه وساعدوه حتى صبروه واحداً

- ١ الشعراء الصعاليك (٢٠٣ وما بعدها) .
- ٢ الاغانى (٩٥/٩) ، الخزاعة (٢٤/١) .
- ٣ الاغانى (٧٥/١٩) .
- ٤ الشعر والشعراء (٣٠٤/١) ، الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١١) ، الاغانى (١٢٥/١١) .
- ٥ المرزبانى ، معجم (٢٨٢) .
- ٦ الاغانى (٢/١٣ وما بعدها) .

منهم ، لا تتحرش به كلابهم ، لأنها عرفت ثيابه ، وتأكدت انه واحد منهم ، فلا تهر عليه^١ . وهذا (حاجز) الأزدي ، يفخر بانتسابه الى (بني مخزوم) من قريش ، وهم قوم لا يخذلون أحداً اذا استنصر بهم ، وجعل حلقه فيهم ، اذا أصاب حليفهم مكروه ، هرعوا اليه لنجدة ، فهم أهل النجدة والكرم^٢ . وهذا (قيس بن الخدادية) يفني على (آل عمرو بن خالد) أحسن ثناء ، ويدعو الله أن يجزيهم خيراً لما فعلوا من حميد الفعال لصعلوك خليع^٣ .

والصعاليك كثيرون ، وقد خلدت أسماء جماعة منهم في كتب الأدب والأخبار ، أشهرهم وأبرزهم : (عروة بن الورد) ، و (الشنفرى) ، و (تأبط شرأ) ، و (السليك بن السليكة) ، وآخرون .

وللصعاليك بعد قصص في الكتب ، وقد بولغ في قصصهم لتؤثر في السامع ، ولتكون لذة للسامعين وممتعة يستمتعون بها أوائل الليل في أوقات سمرهم ، وقد رصعت بشعر ، على عادة العرب في رواية الأخبار . وفي بعض هذا القصص والشعر أثر الوضع المتعمد ، الذي صنع ليمثل الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت ، حيث كان الأغنياء متخمين بالمال ، بينما جيرانهم يموتون جوعاً ، فكأن هذا القصص قد وضع ليتحدث عن ذلك الوضع . وقد عرف هذا القصص عند الغربيين كذلك ، حيث كان الغنى وكان الفقر ، فظهر الصعاليك ، وظهر قصصهم وبولغ فيه ، وما (روبن هود) الانكليزي الذي آثر التصعلك وغزو الأغنياء ، لإتفاق ما يحصل عليه على الفقراء لإعاشتهم ، إلا صورة من صور غارة (عروة بن الورد) وأمثاله من الصعاليك ، وقد دونت أخبارهم في قصص ، وصيغ بعض منها على صورة أشرطة (سينائية) عرضت ولا تزال تعرض في دور (السينما) وفي (التلفزيون) ، لما فيها من بطولة ومروءة ومساعدة ضعفاء واستهتار في الحياة .

-
- ١ وقد عرفت كلابهم ثيابي كائني منهم ونسيت أهلي الحيوان (١ / ٣٨٠) ، الشعراء الصعاليك (٢٢٩) .
 - ٢ قومي سلامان اذ ما كنت سائلة وفي قريش كريم الحلف والنسب اني متى أدع مخزوما ترى عنقيا لا يرعشون لضرب القوم من كتب الاغانى (٤٩ / ١٢) .
 - ٣ الشعراء الصعاليك (٢٢٩) .

وأما (عروة بن الورد) ، فهو من (عبس) وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً ، عرف بـ (عروة الصعاليك) « لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغمه »^١ . وهو شاعر بدوي قح ، وكان أبوه ممن كان له ذكر في حرب داحس والغبراء ، وقد مدحه (عنتره) ، وكانت أمه من (نهد) ، ولم تكن من أهل البيوتات . وكان لشعره أثر في قومه : حتى كانوا يرون أنه أشعر الشعراء^٢ .

وذكر أنه إنما لقب بعروة الصعاليك لقوله :

لحي الله صعلوكاً إذا جن ليله مُصافى المشاش ألفاً كل مجزر
بعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاءً ثم يصبح قاعداً يحث الحصى عن جنبه المتعفر
ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المنور
مطلّ على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهر^٣

ويظهر من شعر لعروة ، انه كان نحيلاً ، شاحب الوجه هزيلًا ، فكانوا يعيرونه بذلك ، وكان يجيبهم بقوله :

لاني امرؤ عافى انائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أهزأ مني ان سمئت وان ترى بجسمي شحوب الحق ، والحق جاهد
أفرق جسمي في رسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء ، والماء بارد^٤

فهو نحيف نحيل شاحب الوجه ، لأنه يشرك الآخرين معه في أكله وشربه ،

-
- ١ تابع العروس (١٥٣/٧) ، (صعلك) .
 - ٢ الاغانى (١٨٤/٢) وما بعدها (دار الكتب) ، الخزائن (١٩٤/٤) بروكلمن ، (١٠٩/١) وما بعدها .
 - ٣ الشعر والشعراء (٥٦٦/٢) ، (الثقافة) ، من قصيدة مطلعها :
أقل علي اللوم يا بنت منسفر ونامي ، وان لم تشتهى النوم ، فاسهري
ديوان عروة بن الورد (٦٦ وما بعدها) ، (اخراج عبد المعين الملوحي) ، (وزارة الثقافة والارشاد . الجمهورية العربية السورية) ، الاغانى (٩٧/١٦) وما بعدها .
 - ٤ ديوان عروة (٢) ، الاغانى (٧٢/٣) وما بعدها ، الجمان في تشبيهات القران (٢٥٧) .

أما الهزء به ، فهو أناني ، لا يشرك أحداً معه في أكله ، وإناؤه واحد ، لا يأكل به أحد غيره ، ولذلك سمن وثخن من التخمّة ، أما هو ، وهو الوهاب فكان يقتر على نفسه ، ويجوع ، ليأكل غيره أكله ، فأصابه من ثم هذا الهزال . فهو انسان ، يقسم ما عنده وما يأتيه على نفسه وعلى غيره ، وقد يقدم غيره على نفسه . ومن هنا « كان يقال : من قال إن حاتمأ أصبح العرب ، فقد ظلم عروة ابن الورد »^١ .

ويذكرون أنه أصاب في بعض غاراته امرأة من كنانة ، فاتخذها لنفسه ، فأولدها ، فلقبه قومها ، وقالوا : فادنا بصاحبتنا ، فلإنا نكره أن تكون سبية عندك . قال : على شريطة ، قالوا : وما هي ؟ قال : على أن نخبرها بعد الغداء ، فإن اختارت أهلها أقامت فيهم ، وإن اختارتني خرجت بها . وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فأجابوه الى ذلك ، وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها ، وتركته فنظم في ذلك شعراً^٢ .

وذكر أن (معاوية) تذكر (عروة بن الورد) ، فقال : « لو كان لعروة ابن الورد ولد لأحببت أن أتزوج منهم » . وان (عبد الملك بن مروان) تذكره يوماً ، فقال : « ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله :

واني امرؤ ، عافى إنائي شركة^٣ وأنت امرؤ عافى إنائك واحد^٣

وهو بيت يمثل خلق هذا الشاعر ومروؤته التي أبت عليه إلا أن يشرك غيره من الضعفاء والمحتاجين فيما يحصل عليه ويناله من المتمكنين بالإكراه والقوة . إنأؤه مليء لبناً ، حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقة إنسان وجد اللبن أمامه ، يشرب منه وهو شريكه فيه ، شريكه في كل شيء عنده قل أو كثر ، وهو يفخر بذلك ويتبجح بإشراكه غيره إنأؤه على من حرص على ماله ، وبخل بما عنده ، مثل (قيس بن زهير) ، الذي استأثر بما عنده ، فلم يعط لمحتاج شيئاً منه . فصار

١ الروض الانف (١٨٠/٢) .

٢ الشعر والشعراء (٥٦٧/٢) .

٣ ديوان عروة (٢) ، الاغانى (٧٢/٣) وما بعدها .

يسمن وغيره يجوع ، على حين كان (عروة) يختار الجوع ، ليأكل الجوع ،
لتعود اليهم القوة والحياة ، ولا يبالي هو بنفسه إن جاع ، وفي ذلك يقول :

لاني امرؤ عافى لئائي شركة^١ وأنت امرؤ عافى لئائك واحد
أتهزأ مني إن سمعت وأن ترى بوجهي شحوب الحق ، والحق جاهد
أقسم جسمي في جسم كثيرة^٢ وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

وكان قد قال هذه الأبيات رداً على أبيات (قيس بن زهير) التي خاطب
بها (عروة) بقوله :

أذنب علينا شتم عروة خاله بغرة أحساء ويوماً يبديد
رأيتك ألقاً ييوت معاشر تزال يد في فضل قعب ومرفد^٣

وللأخفش حديث عن مروءة (عروة) وعن إنسانيته فيقول : « عن ثعلب
عن ابن الأعرابي ، قال : حدثني أبو فقحس ، قال : كان عروة إذا أصابت
الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ؛ وكان عروة
يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس ، من عشيرته في الشدة ، ثم يحفر لهم الأسراب ،
ويكتف عليهم الكنف ، ويكسيهم ، ومن قويّ منهم ، إما مريض يبرأ من
مرضه ، أو ضعيف تثوب قوته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين
في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا ، وذهبت السنة ، ألحق كل
إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها ، وربما أتى الإنسان
منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمي : عروة الصعاليك »^٤ .

ومن هنا عدّ من أصحاب الكرم والسباحة والسخاء . حتى قيل إن عبد الملك
قال : « من زعم أن حاتمًا أسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد »^٥ . وقيل
إنه بلغه عن رجل من بني (كنانة بن خزيمه) ، أنه من أبخل الناس وأكثرهم
مالاً ، فبعث عليه عيوناً ، فأتوه بخبره فشدّ على إبله فاستاقها ثم قسمها في

١ ديوان عروة (٥١ وما بعدها) .
٢ ديوانه (٨ وما بعدها) ، الاغانى (٧٨/٣ وما بعدها) ، التبريزي ، شرح حماسة
أبي تمام (٩/٢) ، جبهة أشعار العرب (١١٤ وما بعدها) .
٣ ديوان عروة (٣) ، الاغانى (٧٤/٣) .

قومه . فقال عند ذلك :

ما بالثراء يسود كل مسودٍ مثرٍ ، ولكن بالفعال يسودُ
بل لا أكاثِرَ صاحبي في يُسرهِ وأصْدَ إذ في عيشه تصريد
فإذا غنيتُ ، فإن جاري نيلهُ من نائلي ، وميسري معهود
وإذا افتقرت ، فلن أرى متخشعاً لأخي غني ، معروفه مكدوداً

فالسيد بفعاله ، وأعماله لا بالمال . وهو يقول في شعر له ، ان فراشه فراش
الضيف ، وأن بيته بيت للضيوف ، يجالس الضيف ويحادثه ، فالحديث جزء من
القرى :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه ، إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وفي خبر آخر ، ان سنين شديدة أصابت الناس ، فأهلكتهم ، وترك الناس
الغزو لجدوبة الأرض ، وكان عروة في تلك السنين غائباً ، فرجع مخففاً ، قد
ذهبت إبله ونخيله ، وجاء (الكنيف) ، أي الحظيرة والمأوى ، فوجد أصحابه
وقد سقطوا من الإعياء والشدة ، فندب منهم رهطاً ، فنحر لهم بعيراً ، وحلوا
سلاحهم على بعير آخر ، وقصد لهم بعيراً ، فوزعه بينهم . وخرج بهم غازياً
يلتمس الرزق . وهو يقول لهم : ان أصبنا رغبة فلذلك الذي نريد ، وإن رجعنا
خائبين ، كنا معذورين . قد أدبنا ما علينا ، ولن نقعد عن الطلب . فهو يحثهم
على الرزق والطلب ، دون تفكير في نجاح أو فشل ، فالحياة : نجاح وفشل ،
ومن فشل ، عليه المواظبة حتى ينجح ويستعيد قواه ، وذلك قوله :

قلت لقومي في الكنيف : تروحوا عشية بتنا عند ما وان رزح^١

الى آخر الأبيات .

وهو بصف في أبيات حالة الفقير وما يلقي من ظلم ، وحالة الغني وما يلقاه

١ ديوان عروة (٤٨) ، شرح ديوان عروة (١٨١) .
٢ ديوانه (٢٠ ، ٣٩ وما بعدها) .

من إجلال . فيقول :

دعيني للغنى أسمى فلاني رأيت الناس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أسمى له حسبٌ وخير
ويقصيه الندي وتزدرية حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير^١

وله شعر يبحث فيه الناس على السر في البلاد ، الهامساً للرزق ، لأن من لم يطلب معاشاً لنفسه ، وقعد في داره دون أن يعمل شكا الفقر ، وصار كلاً على غيره ، حتى على ذوي قرباه ، فيقول :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر ، أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأدين كلاً ، وأوشكت صلوات القربى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات ، من كل جهة من الناس إلا من أجدّ وشمرا
فسر في بلاد الله ، والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعزرا^٢

ومن شعره في المال والورثة قوله :

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي يجتمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرساً مثل القناة وصارماً حساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر^٣

ويقول في شعر آخر :

أليس وراثي ان أدب على العصا فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي
رهينة قعر البيت كل عشيّة يطيف بي الولدان أهوج كالرأل

يعني : أليس وراثي إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقني الكبر فأهون ويضجر مني أهلي^٤ . فهو يعتذر بذلك عن التصعلك واتخاذ الصعلكة حرفة له .

-
- ١ ديوانه (٩١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٤/١) ، وقد روي برواية تختلف عن رواية الديوان .
 - ٢ ديوانه (٨٩) .
 - ٣ كتاب العصا (٢٠٦) ، (نودار المخطوطات ، المجموعة الثانية) .
 - ٤ الحيوان (٣٥٦/٤) .

وقد زعم ان (عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) ، « قال لمعلم ولده :
لا تُروّهم قصيدة عروة التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسعى فلإني رأيت الناس شرهمُ الفقير

ويقول : هذا يدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم «^١ .

وهو يرى ان الموت خير للفقى من حياته فقيراً . وان الأقارب اذا ضنوا عليه
ولم يساعده ، فعليه بالرحيل عنهم ، والهاس الفجاج ، فإنها عريضة ، اذا ضاقت
عليه السبل . وهو لا يترك اخوانه أبداً ما عاش ، كما ان الانسان لا يتمكن من
ترك شرب الماء :

إذا المرء لم يبعث سَوَاماً ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفقى من حياته فقيراً ، ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة : أين الرحيل ؟ وسائل ومن يسأل الصعلوك : أين مذهب
مذهبه أن الفجاج عريضة إذا ضنّ عنه ، بالفعال ، أقاربه
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربهُ^٢

وهو بحث على المخاطرة بالنفس ، فإن القعود مع العيال قبيح ، حثّ عليها
في أبيات نسبت اليه ، وقيل انها ليست له ، بل هي للنمر بن تولب ، هذا نصها :

قالت تماضر ، إذ رأت مالي خوى وجفا الأقارب ، فالفؤادُ قريح
مالي رأيتك في الندي منكساً وصبا ، كأنك في الندي نطيج
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان القعود مع العيال قبيح
المال فيه مهابة وتجلة والفقر فيه مذلة وفضوح^٣

والصعلوك الحامل ، القعود الذي يعين نساء الحي ، ولا يستعمل سيفه للحصول
على رزقه ، هو خليق أن يكون ممن يهان ويزهدى ، والصعلوك العامل النشط ،

١ ديوانه (٣) .

٢ ديوانه (٢٩) .

٣ ديوانه (٤٣) .

هو الرجل الذي يستحق الحياة ، ويصلح أن يكون انموذجاً للرجال ، صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور ، مطلقاً على أعدائه ، يهابونه ولا يستطيعون الاقتراب منه ، ان لقي منيته لقيها حميداً ، وان عاش واستغنى فتعمة كبرى ، ينفق منها على من يحتاج اليه من الناس^١ .

وتراه يقول في أبيات أخرى :

إذا آذاك مالك ، فامتنه لجاديه ، وإن قرعَ المراحُ
وإن أخنى عليك ، فلم تجده فنبت الأرضِ والماء القراحُ
فرغم العيش ألفُ فناء قومٍ وإن آسوك ، والموت الرواحُ^٢

ومعناها : لا تبخل بمالك ، ولا تحرص عليه ، أعط منه السائل والمحروم والمحتاج ، ولا تحش الفقر ، فإن أخنى عليك ، وقل مالك ، وتركك الأصحاب فلا تيأس ولا تمنع لأحد ، ولا تجزع ، ففي الأرض رزق لكل أحد ، وتمتع لكل نفس ، وإن كان ذلك نبات الأرض وماؤها ، ولا تن قسك ، وتذل كرامتك ، فتعيش على موائد غيرك ، من اللؤماء الخقراء ، فأكلك منهم ، هو الموت الرواح ، بل هو شر من الموت . فلا تقرب موائد أصحاب المنة ، وإن آسوك وساعدوك ، فؤاساتهم كاذبة ، عن مظاهر وتفاق .

وفي أبيات شعر ، يذكر (عروة) (أصحاب الكنيف) والتواءهم عليه ، وكيف تمردوا عليه ، مع فضله عليهم ، وإشراكه لهم في كل ما كان يكسبه ويفنمه ، فيقول :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا
ولاني لمدفوعٌ إليّ ولاؤهم بماوان إذ نمشي ، وإذ نتمل
وإذ ما يريح الحيُّ هرماء جونة ينوس عليها رحلها ما يحلل
موقعة الصفيقين ، حذباء ، شارف تقيد أحياناً ، لديهم وترحل
عليها من الولدان ما قد رأيتم وتمشي بجنييها أرامل عبل

١ ديوان عروة (٧٨ وما بعدها) .
٢ ديوانه (٤٢) .

وقلت لها يا أم ييضاء ، فنية^١ طعامهم^٢ ، من القلور ، المعحر
مضيق من اليب المسان ، ومُسَخَّن من الماء نعلوه بآخر من عل^٣
بديعومة ما إن تكاد ترى بها من الظما ، الكوم الجلاذ تنول^٤
تنكر آيات^٥ البلاد لمالك وأيقن أن لا شيء فيها يُقَوَّل^٦ ١

وهي آيات ، تعبر عن مرارة نفسه ، وعن ألمه مما لاقاه من أصحاب الكنيف ،
مع افضاله عليهم ، وتقديمه لهم على نفسه ، وهو يواسي نفسه فيها ، فيقول أنهم
ناس ، ومن شأن الناس أنهم اذا اخصبوا وتمولوا وتحسنت أحوالهم ، تنكروا لمن
كان صاحب الفضل عليهم ، وتجاهلوا كل ما قام به من صنع حسن نحوهم .
أخرجتهم وأجسامهم هزال من شدة الجهد ، لا يقدرّون على المشي من شدة
الضعف والجوع ، وقت بأمرهم ، حتى اذا قروا ، ودنوا من بلادهم وعشائهم ،
وأقبلت أقسم فيهم ما غنمته من إبل ، فأعطيتهم بالتساوي ، وأخذت لنفسها
نصيب أحدهم ، تنكروا لي وصاروا كالأباعد ، ليس لهم شكر ، خاصموه وعارضوه .
وكان من شأنهم : انه خرج مع صعايلكة يبحثون عن غنائم ، حتى نزل أرض
(بني القين) ، فأقام مع أصحابه يوماً عند موضع ماء ، بانتظار مجيء الرعاة
لاسقاء لإبلهم ، ثم ورد عليهم فصيل ، فقالوا : دعنا فلنأخذها ، فلناكل منه يوماً
أو يومين ، فقال : إنكم إذن تنفرون أهله ، وان بعده إبلًا . فتركوه ثم ندموا
على تركه ، وجعلوا يلومون عروة على الجوع الذي جهدهم . ثم وردت لإبل
بعده بخمس ، فيها ظعينة ورجل ، والإبل مائة ، فخرج (عروة) ورمى صاحبها
في ظهره بسهم ، فخرت ميتاً ، واستاق عروة الإبل والظعينة^٧ . وأتى بالإبل
الكنيف فجعل يحملها لهم ، ثم حملهم حتى اذا دنوا من بلادهم وعشائهم ، أقبل
يقسمها فيهم ، وأخذ مثل نصيب أحدهم ، واستخلص المرأة لنفسه ، فقالوا :
لا والله لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها من سهمه ، فجعل
عروة بهم أن يحمل عليهم فيقتلهم ويتزع ما معهم ، ثم يتذكر صنيعه بهم ،
وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع ، ففكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يرد^٨
عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها امرأته ، فأبوا إلا أن يجعلوا الراحلة لهم ،

١ ديوانه (١١٩ وما بعدها)
٢ ديوانه (١١٣ وما بعدها)

فانتدب رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه وأقرها عروة، أي منحها إياه منيحة إذا استغنى عنها ردّها ؛ فقال عروة يذكر أصحاب الكنيف والتواءهم عليه تلك الأبيات المتقدمة^١ .

فهو في الأبيات المتقدمة يذكر أن الإنسان ذليل كسير ما دام فقيراً ، يتقرب الى القوي ويتبصص له ، ويتظاهر بحبه واخلاصه له ، فإذا نال حاجته ، أو اغتنى تبطر على من كان محتاجاً اليه ، وتعاضم عليه ، ونال منه .

وقد عرف (عروة) ب (أبي الصعاليك) ، قيل ان الناس كانوا اذا أصابهم السنة أتوه « فجلسوا أمام بيته حتى اذا بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغشنا » . فيخرج ليغزو بهم^٢ . وقد كان يعدّ صعاليكه (عباله)^٣ ، وكان يرعاهم ويحذب عليهم حذب الوالد على عباله ، ويخرج بالقوي منهم للغزو ، بحثاً عن غنيمة ينالها لإشباع أتباعه الجياع الصعاليك، مال غني جمع غناه بالعقوق وبالبلخل ، لأنه لا يرضى أن يرى اخواناً له يهلكون من الجوع ، ثم لا يجد ما يقدمه لهم لسد رمقهم^٤ ، وهو يطوف لذلك في البلاد باحثاً عن غنى ينفق منه على المعوزين وذوي الحاجات . وشر الناس في هذه الدنيا الفقير ، يباعده القريب لفقره ، وتردريه حليلته ، ولا يحترمه أحد ؛ بينما يعظم الغني ويحترم ، لا لسبب إلا لماله ولغناه ، ذنبه قليل في نظر الناس ، لأنه غني ، وللغني رب غفور :

ذريني للغني أسعى ، فلاني رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم ، وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب ، وتردريه حليلته ، ويقهره الصغير
ويلقي ذو الغنى ، وله جلال يكادُ فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه ، والذنب جم ولكن للغني رب غفور^٥

١ ديوانه (١١٨) ، الاغاني (٧٩/٣) وما بعدها .

٢ الاغاني (٨١/٣) .

٣ ديوان عروة (٩٩) ، حماسة أبي تمام (٧/٢) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٢) .

٤ أيهلك معتم وزيد ولم أقم على ندب يوما ولي نفس مخطر

ديوان عروة (٨٣) ، الشعراء الصعاليك (٣٢٥) .

٥ العقد الفريد (٢٩/٣) ، عيون الاخبار (٢٤١/١) وما بعدها ، البخلاء (١٨٣) ،

٣٩١) ، البيان والتبيين (٢٣٤/١) ، وتختلفه نصوص هذه القصيدة باختلاف

الموارد .

وفي قصيدته :

لما الله صعلوكاً اذا جن ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر
بعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاءً ثم يصبح طاوياً يحب الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه اذا هو أمسى كالعرش المجور
يعين نساء الحي ما يستعنه فيمسي طليحاً كالبعير المحسر
ولكن صعلوكاً صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المنور
مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهور
فإن بعلوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر
فذلك إن يلتق المنيّة يلقيها حمداً وان يستغن يوماً فأجدر

«مان سامية ، تعبر عن نفسية انسانية ، وعن عطف على الفقير والمحتاج والنساء
« وصف فيها فضيلة الفقير الحر الباسل وذم الذي يستأجر شغله »^٢ .

وفي شعر (عروة) اشارة الى الموت ، فهو يرى ان الحياة أجل ، وان الانسان
غير خالد في هذه الدنيا ، حياته قصيرة ، ثم يكون أحاديث للناس . اذا جاء
أجله خرجت منه هامة تعلو كل نشر :

أحاديث تبقى ، والفتى غير خالد اذا هو أمسى هامة فوق صيّر
تجاوب أحجار الكناس ، وتشتكي الى كل معروف رأته ، ومنكر

ثم تجاوب هذه الهامة أحجار الكناس ، وتشتكي الى كل معروف تراه ومنكر .
أي تصوت في كل حال اذا رأت من تعرف ومن تنكر^٣ .

والموت ملازم للانسان ، وهو ثغر كل ثنية ، ولا مفر منه :

وأن المنايا ثغر كل ثنية فهل ذاك ، عما يبتغي القوم محصر
وغيراء مخشى رداها مخوفة أخوها ، بأسباب المنايا مفرر

- ١ الخزانة (١٩٦/٤) ، (بلاق) .
- ٢ كارلو نالينو (٧٩) .
- ٣ ديوانه (٦٦ وما بعدها) .
- ٤ ديوانه (٧٧) .

وقد نسبت له قصيده مطلعها :

لما الله صعلوكاً مناه وهمه من الدهر أن يلقي لبوساً ومطعماً
ينام الضحى حتى إذا الليل جنه تبيت مسلوب القواد مورماً
ولكن صعلوكاً يساور همته ويمضي على الهيجاء ليثاً مصعماً
فذلك أن يلقي الكريهة يلقيها حميداً وان يستغن يوماً فربما

وقد ذهب بعضهم الى أن هذه القصيدة لحاتم الطائي ، لأن قصيدة عروة
رائية ، وليست هذه ، ولحاتم قصيدة على هذا الروي ، وليس فيها هذه الأبيات ،
وفيهما ما يشبهها ، وهو :

وليل بهم قد تسربت هولته إذا الليل بالنكس الضعيف تجمها
ولن يكسب الصعلوك مالا ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظماً
يرى الحمص تعذيباً وان يلق شعبة يبت قلبه من قلعة الهم مبهماً
ولكن صعلوكاً يساور همهم ويمضي على الأيام والدهر مقدماً
يرى رعمه ونبله ومجنه وإذا شطب بين المهدة مخلفاً
واحناء سرج قاتر ولجامه معداً لدى الهيجاء طرفاً مسوماً
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان يجي لا يقعد ضعيفاً ملوماً

وفي كتاب (ذيل الأمالي والنوادر) للقالبي ، أبيات على هذا النمط غير معزوة
لقائلها ، أوردها على أثر تحدّثه عن (الشيعظم بن الحارث الغساني) ، وكان قد
قتل رجلاً من قومه ، فخافهم ، فلحق بالخيبة متكرراً ، وكان من أهل بيت
الملك ، فكان يتكفّف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الخيرة ، فيبنا هو
ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لما الله صعلوكاً اذا نال مدقة توسد إحدى ساعديه فهو ما
مقيماً بدار الهون غير مُناكرٍ اذا ضم أغصى جفنه ثم يرشما
يلوذ بأخزاء المثاريب طامعاً يرى المنع والتعيس من حيث يما
يضم بنفسٍ كدر البؤس عيشها وجوداً بها لو صانها كان أحزما

١ الخزانة (١٩٤/٤ وما بعدها) .

فذاك الذي إن عاش عاش بذلة وإن مات لم يشهد له الناس مآتما
بأرضك فأعرك جلد جنبك اني رأيت غريب القوم لحماً موضعاً
فهي آيات في المعاني المتقدمة ، لم يعرف اسم صاحبها^١ .

وهو يزجر امرأته سلمى لأنها تلومه على غاراته وغزواته ، لما تخشاه عليه من
الوقوع في المهالك ، ومن ملاقاته حتفه . ويقول لها : إنه إنما يجازف ويخاطر
في سبيلها ، حتى يغنيها فلا تذل بعده أو تستجدي أحداً ، ثم ان عليه حق الوفاء
لأقاربه وللضعفاء ولإخوانه الصعاليك الذين يلوذون به ، فعليه مساعدتهم ، وهو
لا يتمكن من تقديم المساعدات لهم ، إلا بهذه الغارات^٢ .

وروي أن (عروة) كان يتردد على (بني النضير) فيستقرضهم إذا احتاج
ويبيع منهم إذا غم ، فرأوا عنده (سلمى) فأعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم
فأبى ، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه ، وفي ذلك
يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وروي أيضاً أن قومها افتدوها منه وكان يظن أنها لا تختار عليه أحداً ولا
تفارقه ، فاختارت قومها فندم وكان له بنون منها ، ثم تزوجها بعده رجل من
في النضير . وفيها يقول عروة :

أرقت وصحبي بمضيق عمق لبرق في تهامة مستطير

وهي قصيدة أشار فيها الى (سلمى) ، ومفارقتها له ، عند (بني النضير) ،
حيث يقول :

وآخر معهد من أم وهب معرسنا فوق بني النضير

وفي هذه القصيدة البيت المتقدم ، الذي يشير الى أنهم سقوه الخمر ، واحتالوا
عليه ، حتى ابتاعوها منه^٣ .

١ ذيل الامالي (١٧٩) ، الخزائن (١٩٥ / ٤) .
٢ الاصمعيات (٣٥) .
٣ الروض الانف (١٨٠ / ٢) وما بعدها .

وقد أشار (عروة) في شعر ينسب اليه الى (التعشير) ، وهو أن ينهق
الانسان عشر مرات اذا أراد دخول (خبير) لكي لا تصيبه الحمى . فقال :

وقالوا: أحبُ وانهقُ، لا تضيرك خبير وذلك من دين اليهود ^١ ولوع
لعمري، لئن عشت، من خشية الردى نهاقَ الحمير اني لجزوع^٢

وقد رفض عروة ذلك ، وسخر من هذه الخرافة .

قال (الجاحظ) : « وكانوا اذا دخل أحدهم قرية خاف من جن أهلها،
ومن وباء الحاضرة ، أشد الخوف ، إلا أن يقف على باب القرية فيعشر كما يعشر
الحجار في نهيقه ، ويعلق عليه كعب أرنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة ولا ددع يغني ولا كعب أرنب »

« وقد قال عروة بن الورد ، في التعشير ، حين دخل المدينة فقيل له : إن
لم تعشر هلكت :

لعمري لئن عشتُ من خيفة الردى نهاقُ الحمير اني لجزوع^٣ ،

ولعروة شعر في يوم (ساحوق) ، وهو يوم لبني ذبيان على (بني عامر) ،
إذ يقول :

ونحن صبحنا عامراً في ديارها عُلالة أرماح وعضباً مُدَكِّراً
بكل رقيق الشفرتين مهندي ولدن من الخطي قد طُرَّ أَمَراً
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أغدرا
يشدّ الحليمُ منهم عَقْدَ حبله ألا إنما يأتي الذي كان حُدَّراً

أي أنهم كانوا ذوي غدر بين ، لو أنهم جاهدوا في الحرب وقتلوا ، أما الآن
فلا غدر لهم بين الرجال في خنقهم أنفسهم . وكان (الحكم بن الطفيل) وأصحابه
قد خنقوا أنفسهم ، بشد الحبل حول العنق^٤ ، وذلك تحت شجرة بالمروراة ،

١ ديوانه (٩٥) ، الحيوان (٣٥٩/٦) .

٢ الحيوان (٣٥٩/٦) .

٣ الحيوان (٢٧٣/٢) ، الخزانة (٢١٨/٤) ، العقد الفريد (٣١٨/٢) .

خشية الوقوع في الأسر . و (الحكم بن الطفيل) هو أخو (عامر بن الطفيل) ،
وقد عرف يوم (المروراة) بيوم (التخانيق) ^١ .

وقد عدت قصيدته التي تبدأ بـ :

أقلى عليّ اللوم يا ابنة منذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

من القصائد (المنتقيات) ^٢ .

وأما شعر (عروة) ، فقد عد أشعر شعر (بني عيس) في رأي أبناء قبيلته.
روي أن (عمر بن الخطاب) « قال للحطية : كم كنتم في حربكم ؟ قال :
كنا ألف حازم . قال : وكيف ؟ قال : فينا قيس بن زهير ، وكان حازماً
وكنا لا نعصيه ، وكنا نقلم باقدام عترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد
لأمر الربيع بن زياد » ^٣ .

ويرى (بروكلمن) ، أنه كان بدوياً قحاً ، رويت له أشعار أكثر مما روي
لتأبط شراً والسنفري ، لكنه كان دونهما في تصوير حياة الجاهلية ^٤ .

ولعروة ديوان برواية (ابن السكيت) (٢٤٣هـ) (٢٤٤هـ) ، طبع جملة طبعات.
وقد ترجم الى الألمانية والفرنسية ^٥ ، وقد جمع (الأصمعي) شعره في ديوان
لم يصل إلينا ^٦ .

وفي شعر عروة شعر مصنوع ، وضع عليه ، وفيه كما رأينا ما ليس له، وقد
نسبه بعض العلماء الى غيره ، ونجد في شعره شعراً يمثل طبيعة مجتمع حضري
غلبت عليه التفرقة الطبقيّة ، فيه غنى حضر ، وفقر أهل مدن ، يظهر أنه وضع
على لسانه حكاية عن وضع الناس في ذلك الوقت ، خشية ناظمه من تعرض الحكام

١ الخزائن (٢١٦/٤) وما بعدها .

٢ الاغانى (١٩٠/٢) ، الشعر والشعراء (٤٢٥) ، الجماهر . (١١٤) ، زيدان ،

تاريخ الادب العربي (١٦٤/١) .

٣ ديوان عروة (٣) .

٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) .

٥ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٩/١) ، زيدان ، تاريخ

آداب اللغة العربية (١٦٤/١) .

٦ الشعراء الصعاليك (١٥٨) .

أو الأغنياء له بسوء ، فيما لو نشره باسمه ، فأثر نظمه باسم (عروة) .
و (الشنفرى) ، وهو (ثابت بن أوس) الأزدي ، وقيل بل (الشنفرى)
اسمه لا لقبه ، وقيل : بل هو : (عمرو بن مالك) الأزدي ، وقيل (عمرو
ابن براق) ، وقيل غير ذلك ، من (بني الأواس بن الحجر بن الهنيء بن
الأزد)^١ ، من اليمانية في عرف أهل النسب . وهو من الصعاليك ومن العدائين .
وكان من المرافقين للشاعر (تأبط شراً) في كثير من غزواته . وكان أكبر منه
سناً ، وتوفي قبله . وذكر أنه حلف يميناً أن يقتل من (بني سلامان) مائة رجل
فقتل تسعة وتسعين ، فأمسك به رجل عداء ، هو (أسيد بن جابر) وهو عداء
من العدائين وقتله . ففرّ به رجل من بني سلامان فركل جميعته ، فدخلت
شظية منها في رجله فمات . فوفى الشنفرى بقسمه ، وآثم العدد وهو ميت^٢ .
ويلاحظ أن أهل الأخبار يزعمون أن (عمرو بن هند) كان قد حلف يميناً أن
يقتل من (بني دارم) مائة رجل ، وأن يلقي بهم في النار ، فسار اليهم فقتل
تسعة وتسعين وأحرقهم بالنار ، وبقي عليه أن يبر بقسمه بقتل واحد آخر منهم
حتى يكمل العدد ، فر رجل من البراجم شمّ رائحة حريق القتلى ، فحسبه قتار
الشواء ، فقال اليه ، فلما رآه (عمرو) ، قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من
البراجم ، فقال : ان الشقي وافد البراجم ، وأمر فقتل وألقي في النار . فبرت
به يمينه^٣ . وقد يكون للقصة ولقصص آخر من هذا النوع علاقة بطقوس أو
بأساطير جاهلية قديمة ، تبجل الأبطال ، ينذرون نذوراً تختلف عن نذور سائر
الناس ، هي قتل مائة نفس قربى إلى الآلهة ، بدلاً من تقديم الضحايا من
الحيوانات .

وكان (الشنفرى) يحقد على (بني سلامان) حقداً شديداً ، وسبب حقه
عليهم ، انه كان قد وقع أسيراً وهو صبي في (بني شيبانة بن فهم) ، فانتقم

- ١ الخزائن (١٦/٢ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٢٤/٣) ، المفضليات (١٠٦/١)
وما بعدها ، مجالس ثعلب (٤٢٦) ، الحيوان (١٠٨/٣) ، (٢٤٤/٦) ، أمالي
القالبي (١٥٧/١) ، رسالة الففران (٣٥١ وما بعدها) .
- ٢ الشعر والشعراء (٢٥/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٣٠٨/٣ ، ٣١٨) ،
(شفر) ، (الشنيفة) ، الاغانى (٨٧/٢١) ، الخزائن (١٤/٢) ، بولاق ،
ذيل الامالي (٢٠٨ وما بعدها) ، زيدان ، تاريخ آداب (١٦١/١) .
- ٣ الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٥١) .

اليهم ، ثم وقع أحد (بني شبابة) أسيراً في (بني سلامان بن مفرج) من الأزد ، ففدى (بنو شبابة) الأسير به . فصار (الشنفرى) فيهم ، وحسب منهم ، ثم انه أراد الزواج من ابنة رجل منهم ، فرده والدها رداً عنيفاً ، أثر فيه ، فعاد الى (بني فهم) ، وأخذ يغير على (بني سلامان) للإهانة التي لحقت من الرجل ، والتي كانت سبب صعلكته^١ .

ويروى ان الشنفرى أغار مع (تأبط شرأ) و (عمرو بن براق) على (بجيلة) ، فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لهم على الماء رسداً ، وقد علم (تأبط شرأ) انهم يريدونه ، فتأمر مع الشنفرى وعمرو بن براق ، على انقاذه إن وقع في أيديهم ، فلما جاء الماء قبضوا عليه ، فعمد الشنفرى وابن براق الى حيلة كانوا قد اتفقوا عليها لغش بجيلة ، فأتقنوه ، وهربوا ساخرين من بجيلة التي خدعت بها^٢ . وللعرب قصص ترويه عن بساطة (بجيلة) ، وسرعة انخداعها بالحيل .

وهو كما سبق أن ذكرت ، أحد أغربة العرب ، ويظهر ان الملامح الافريقية كانت بارزة عليه ، بدليل تلقيبه بالشنفرى ، و (الشنفرى) الغليظ الشفاه ، ويظهر انه أخذ ملامحه من أمه السوداء . وأخباره متناقضة متضاربة ، يظهر منها ان أباه قد قتله قاتل من (الأزد) ، قتله (حرام بن جابر) ، وكان قد قدم (منى) ف قيل له : هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله^٣ . فحقد على قتلة أبيه ، وقرر الانتقام منهم شر انتقام ، وأن لا يكف عنهم ما دام حياً ، فكان يكثر من الغارة عليهم ، يغير مع من معه من صعاليك ، وقد يغير عليهم وحده^٤ .

ويروى في قتله ، انه قتل من (بني سلامان بن مفرج) تسعة وتسعين رجلاً ، فأقعدت له رجالاً يرصدونه ، فلما دنا من ماء ليشرب ، قبض عليه رجلان من (بني البقوم) من الأزد ، فقبضا عليه ، وأصبحا به في (بني سلامان) . فربطوه الى شجرة ، فقالوا : قف أنشدنا ، فقال الإنشاد على حين المسرة ، ثم قال :

- ١ بروكلمن (١٠٥/١) ، الاغانى (١٣٤/٢١) .
- ٢ الخزائن (١٧/٢) .
- ٣ الاغانى (١٣٧/٢١) ، الخزائن (١٦/٢) .
- ٤ الاغانى (١٣٥/٢١) .

فلا تدفنوني إن دفني محرم^١ عليكم ولكن خامري أم عامر
إذا حملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر^٢

وذكر (المرتضى) أن هناك من نسب هذا الشعر الى تأبط شرأ^٣ . وقد نسيه
(الجاحظ) الى (تأبط شرأ) ، إذ قال : « وقال تأبط شرأ :

فلا تقبروني إن قبري محرم^٤ عليكم ولكن خامري أم عامر
إذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أبغي حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر^٥ »

ويختلف نص هذا الشعر بعض الاختلاف عن النصوص الأخرى^٦ .

ويذكر أنه لما وقع بأيدي أعدائه ، تفننوا في قتله ، وأروه أصناف العذاب .
قطعوا يده ، وصاروا يسخرون منه ، ويسألونه أين يدفونه . فرد عليهم بمقطوعة
رائعة ، كما رثا يده بأرجوزة لما قطعوها ، وقد ذكر أنه طلب منهم ألا يدفن ،
ولمّا يلقي بجسده الى الضباع^٧ . وروي أن رجلاً من (بني سلامان) رماه بسهم
في عينه فقتله ، فقال (جزء بن الحارث) في قتله :

لعمرك للساعي أسيد^٨ بن جابر أحق بها منكم بني عقب الكلب^٩

- ١ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٢٥/١) ، (دار الثقافة) ،
ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر
- ٢ حماسة أبي تمام (٢٤/٢) وما بعدها بولاق) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية
(٧٣) ، الخزائن (١٨/٢) ، أمالي المرتضى (٧٢/٢) وما بعدها) ، (إذا احتملت
رأسي) ، أسماء المفتالين (٢٣٢) ، (المجموعة السادسة) .
- ٣ أمالي المرتضى (٧٢/٢) وما بعدها) .
- ٤ الحيوان (٤٥٠/٦) .
- ٥ راجع العقد الفريد (٥٣/١) ، (٢١٩/٤) ، الحماسة (١٨٨/١) ، المخصص
(٢٥٨/٣) .
- ٦ الشعر الصعاليك (٣٣٥) .
- ٧ أسماء المفتالين (المجموعة السادسة) ، (ص ٢٣٢) .

وقد ضاع أكثر شعر (الشنفرى) . وقد طبعت لاميته ، وللعلماء شروح وبحوث عليها . وهي في الفخر والحاسة ، ولم يعرف كثير من قدماء علماء الشعر القديم هذه اللامية ، ومن بينهم مؤلف كتاب (الأغاني) . وقد تعرض (القالبي) لموضوع (اللامية) ، فقال : « حدثني أبو بكر بن دريد : ان القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فلإني الى قوم سواكم لأميل

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية هـ^١ . ويعود الضمير (له) الى خلف الأحمر . أي ان القصيدة هي من صنعه وعمله . وعدة القصيدة ثمانية وستون بيتاً . ومن شرحها : الخطيب التبريزي ، والزمخشري ، وابن الشجري ، وابن اكرم وغيرهم^٢ . وقد ورد في (تأريخ الآداب العربية) لكارلو نالينو : « أما الشنفرى الأزدي فصاحب اللامية المشهورة التي يفتخر فيها بانفراده من قومه ووحشة عيشه في البراري كأنه لم يعاشر إلا السباع . وهي قصيدة غايبة في الجبال تنطق بلسان حال الشاعر وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ هـ^٣ . وفي قوله : « وان كان بعض النحويين يزعمون انها من مصنوعات حماد الراوية ، وهم لا أدري أوقع منه ، أم من الترجمة ، لأن غالبية العلماء تنسبها الى خلف الأحمر ، لا الى حماد . كما ان وفاته كانت سنة (١٥٦ هـ)^٤ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الذين بحثوا أمر هذه القصيدة ، الى أن القصائد التي نحلها (خلف الأحمر) احتفظت دائماً بعمود الشعر القديم وطابعه ، أما هذه القصيدة ، فلها طابع خاص يجعل من الصعب تصور صدورها من (خلف الأحمر)^٥.

١ الامالي (١٥٦/١ وما بعدها) ، الاغاني (٨٧/٢١) ، الخزانة (١٦/٢) ، زيدان ،

تاريخ آداب اللغة العربية (١٦١/١ وما بعدها) .

٢ الخزانة (١٥/٢) ، (يولاقي) ، اللاميتان : لامية العرب ولامية العجم ، من

شروح الزمخشري والصفدي ، علق عليهما وأعدهما : عبد المعين الملوحي ، دمشق

وزارة الثقافة والارشاد القومي ، رقم ١٣ .

٣ (ص ٧٣) .

٤ الفهرست (١٤٠) .

٥ بروكلمن (١٠٦/١ وما بعدها) .

وذهب بعض آخر الى جواز كونها من نظم (الشنفرى)^١، وذكر أنها من مصنوعات (جتاد) الراوية^٢ .

وفي (المفضليات) قصيدة طويلة له ، هي قصيدة تائية ، ومقطعات ، وفي قصيدته وصف لحياته ول بعض غاراته ، وكيف كان يقود صعا ليكه في طرق وعرة ، وهم على أرجلهم ، ثم يصف حاله ، فهي قصيدة فيها بعض تأريخ هذا الشاعر وقصص غزوه وتعامله مع رفاقه^٣ .

وقد طبع الأستاذ (عبد العزيز) الميمني ، ديوان الشنفرى في (الطرائف الأدبية)^٤ ، وتوجد أشعاره أيضاً في (ديوان الهذليين)^٥ . وقد كان عند العيني ديوان للشنفرى في جملة دواوين عديدة كانت في حوزته^٦ . وقد كتب عدد من المستشرقين عن الشنفرى وشعره بمختلف اللغات^٧ .

وأما (تأبط شرأ) ، وهو (ثابت بن جابر بن سفيان) ، وقيل (ثابت بن عمسل) فهو من فهم ، وكان من أغربة العرب ، لأن أمه أمة سوداء . وكان من العدائين المعروفين عند العرب . وله أخبار كثيرة في ذلك ، وله مغامرات تحمل طابع القصص والأساطير . وله قصيدة في وصف (القول) ذكر فيها كيف طير بسيفه قجف ابنة الجن^٨ . وكان أحد رآيل العرب . وذكر علماء اللغة ان الرثيال هو الذي ولدته أمه وحده^٩ ، وبه سميت رآيل العرب ، ومن السباع الكثير اللحم الحديث السن ، والذئب الخبيث ، وترأبلوا : تلصصوا أو أغاروا على الناس

- ١ بروكلمن (١٠٧/١) .
- ٢ تاريخ الآداب العربية (٧٣) ، الاغانى (٥/١٣) .
- ٣ العصر الجاهلي (٣٨٠ وما بعدها) .
- ٤ بروكلمن (١٠٥/١ ، ١٠٩) ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٥ الشعراء الصعاليك (١٥٩ وما بعدها) .
- ٦ العين ، كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية (٥٩٦/٤) .
- ٧ راجع بروكلمن (١٠٧/١) .
- ٨ الشعر والشعراء (١٧٤) ، الاغانى (٢٠٩/١٨) « بلاق » ، خزانة الادب (٦٦/١) ، بروكلمن (١٠٤/١ وما بعدها) ، شرح شواهد المغنى ، للسيوطي (١٩) ، المفضليات (٢٧ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٢٣٠/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٤/١) .
- ٩ تاج العروس (١٠٠/٥) ، (أبط) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى (٥٠/١ وما بعدها) ، (أحمد ظافر كوجان) .

وفعلوا فعل الأسد ، أو غزوا على أرجلهم وحدهم بلا والٍ عليهم^١. وهذا المعنى هو أقرب المعاني وأقرب إلى الصحة في تفسير (رآيل العرب) . فهم الصعاليك الذين نبحت عنهم .

ويظهر أن أباه مات وهو صغير ، وأن أمه التي كانت أمة سوداء على أغلب الروايات ، أو أمة حرة في رواية ، تزوجت الشاعر (أبا كبير) الهللي ، وهو من الصعاليك ، من صعاليك هذيل ، وأن أبناء قبيلته كانوا يعبرونه بسواده ، مما ترك أثراً في نفسه ، فتصعلك ، وأخذ يرافق الصعاليكة ، ومنهم صعلوك شهير آخر ، هو (الشنفرى) الذي رافقه في كثير من غزواته . وقد نعت (تأبط شراً) بأنه كان شاعراً بئساً ، يغزو على رجليه^٢ .

وبما يروى من قصصه أنه كان يشتار عسلاً من جبل ليس له غير طريق واحد ، فأخذت لحيان عليه ذلك الموضع ، وخيروه التزول على حكمهم أو إلقاء نفسه من الموضع الذي ظنوا أنه لا يسلم . فصب العسل الذي معه على الصفاو شد صدره على الزق ثم لصق على العسل ، فلم يبرح يتزلق عليه حتى نزل سالماً ، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مُدبر^٣

ولعلماء الشعر قصص في تفسير تسمية هذا الشاعر بـ (تأبط شراً) ، فزعم بعض منهم أنه « إنما سمي تأبط شراً لأنه أخذ سيفاً وخرج ، فقبل لأمه أين هو ؟ قالت : لا أدري ، تأبط شراً وخرج . وقبل أخذ سكيناً تحت أبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم ، فقبل تأبط شراً . وزعم بعض آخر أن أم تأبط شراً قالت له يوماً : إن الغلمان يجنون لأهلهم الكمأة فهلا فعلت كفعلمهم ، فأخذ جرابه ومضى فلأه أفاعي وأتى متأبطاً به ، فألقاه بين يديها فخرجت الأفاعي منه

١ تاج العروس (٣٣٣/٧) ، (ريل) ، الاشتقاق (١٦٢ وما بعدها) ، اللآلئ

(١٥٨ وما بعدها) ، التيجان (٢٤٢ وما بعدها) ، أسماء المغتالين (٢١٥) ،

٢ الشعر والشعراء (٢٢٩/١) ، (دار الثقافة) ، الاغاني (٢١٥/١٨ وما بعدها) ،
Baur, in ZDMG, X, 7, 17, ff.

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٩٧٥/٢) ، الاغاني (٢١٥/١٨) ، شرح ديوان

الحماسة (٣٨/١) ، المحبر (١٩٧ وما بعدها) ، الخزنة (٣٥٧/٣) .

تسعى فولت هاربة . فقال لها نساء الحبي : ما الذي كان ابنك متأبطاً له ؟ فقالت :
تأبط شراً ! وقيل : إنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل
يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحبي نفل عليه الكبش ، فرمى به ، فإذا
هو الغول . فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ قال : الغول . قالوا :
لقد تأبطت شراً ، فسمي بذلك . وانه قال في ذلك :

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يوائم غماً أو يشيف على ذحل

وقيل سمي بهذا البيت . قال رجل لتأبط شراً : يمّ تغلب الرجال وأنت دميم
ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تأبط شراً ، فينخلع
قلبه حتى أنال منه ما أردت ^١ . وقيل إنما سمي (تأبط شراً) ، لأن أمه رآته
وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوساً ، فقالت له : هذا تأبط شراً ، أو تأبط
سكيناً فأثى ناديم فوجاً بعضهم ، فسمي به لذلك ، وكان لا يفارقه سيفه .
قتلته هذيل في رواية ، وقالت أخته ترثيه :

نعم الفتى غادرتم برحمان بثابت بن جابر بن سنان

وكانت تسمى (ربطة) . وذكر أن أمه هي التي رثته . وقد ذكر في أشعار
هذيل ^٢ .

وكان سبب قتله ، انه خرج غازياً في نفر من قومه ، إذ عرض لهم بيت
من هذيل ، بين صدى جبل ، فأراد مهاجمته ، فنعه من كان معه من مباغتته ،
لخروج ضبع اعتافوا منه ، فلم يبال بتشاورهم ، فلما قارب البيت رآه غلام ،
فهرب الى الجبل ، فهجم تأبط شراً مع جماعته على البيت ، فقتلوا شيخاً وعجوزاً ،

١ الاغاني (١٤٦/٢١) ، شرح حماسة أبي تمام (٧٥/١) ، السيوطي ، شرح شواهد
(٥٢/١) .

٢ تاج العروس (١٠٠/٥) ، (أبط) قال مليح الهذلي :
ونحن قتلنا مقبلاً غير مدبر تأبط ، ما ترهق بنا الحرب ترهق
اللسان (٢٥٤/٧) ، (أبط) .

ويل أم طرف قتلوا برحمان بثامت بن جابر بن سنان
الشعر والشعراء (٢٢٩/١) ، (دار الثقافة) ، الاغاني (٢٠٩/١٨) ، (بولاق) ،
المقتالين (٢١٥) ، الخزائن (٦٦/١) .

وحازوا جاريتين وإبلاً ، ثم أبصر تأبط شراً بالغلام ، فاتبعه ، فرماه الغلام بسهم أصاب قلبه ، وحمل على الغلام فقتله ، ثم مات هو من السهم ، وترك جثة ، فاحتلمته هذيل ، وطرحته في غار يقال له غار (رخان) . فرثته أخته (ربيعة) بقولها :

نعم الفتى غادرتم برخان ثابت بن جابر بن سفيان
قد يقتل القرن ويَروي الندمان^١

وفي بيت شعر ينسب الى تأبط شراً ، هو :

ولست أبيت الدهر إلا على فنى أسلبه أو أذعر السرب أجمعا^٢

معنى يفيد انه كان يغير على القادم والآيب ، يسلبه ويأخذ ما عنده ، لا يبالي بشيء إلا بمحصله على غنيمة السلب ، وهو ان قابل قافلة ، فلم يتمكن منها ، يكون قد رضي من فعله بما ألقاه من رعب وذعر في قلوب أصحابها ، ويكون قد اشتفى بملك منها . فهو رجل منتقم ، يريد أن يفرج عما ولد في قلبه من غلّ ، بأية طريقة كانت ، غلّ ، ولد فيه ، من سواد لونه ، ومن ازدراء قومه له ، ومن فقره وسوء حاله في هذه الحياة ، وذلك فيما لو صح ان هذا الشعر هو من قوله .

ونسب قوم من الرواة الى (تأبط شراً) قصيدة مطلعها :

ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مهبل

وهي قصيدة نسبها غيرهم الى (أبي كبير) الهللي ، ووضعوا حولها قصة في شرح السبب الذي حمل (أبا كبير) أو (تأبط شراً) على نظمها^٣ .

قال (الملاحظ) في كتابه (الحيوان) : « وقال تأبط شراً - إن كان قالها - :

١ اسماء المختارين (٢١٥ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٢١٧/١٨) .

٣ الشعر والشعراء (٥٦٢/٢ وما بعدها) ، (الثقافة) .

شامس في القرّ حتى اذا ما ذكت الشعبرى فبرد وظل
وله طعمان أرني وشري وكلا الطعمين قد ذاق كل^١
مما يدل على انه في شك من أمر نسبة هذه القصيدة اليه .

وأشعار (تأبط شراً) متناثرة في كتب الأدب . ولم يطبع له ديوان بعد .
ومن شعره أبيات ، يذكر فيها أن (عدالة) لامته حتى أكثرت من لومه ،
فكادت تحرق جلده أي تحرق ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

يا من لعدالة خذالة نشب خرقت باللوم جلدي أي تحرق
تقول : أهلكت مالا لو ضننت به من ثوب عزٍ ومن بزٍ وأعلاق
سدّد خلالك من مال تجمععه حتى تلاقى ما كلّ امرئ لاق
عاذلتا إن بعض اللوم معنفة وهل متساع وإن بقيته^٢ باق^٣

وهذه هي مشكلة أولئك الصعاليك ، كانوا يخاطرون بحياتهم ، للحصول على
مال ، فإذا حصلوا عليه ، ونجوا من تعقب الناس لهم ، أهلكوه . يتلفونه على
ملذاتهم ، أو على أصدقائهم . وإذا بهم في حاجة الى مال ، وفي عسر وضيق .
ومن شعره قوله :

لَتَقْرَعَنَّ عليّ السنّ من ندمٍ إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي^٤

وله شعر يصف فيه حاله ، بقوله :

قليل التشكّي للمهم يُصبيه كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالكِ
يظلّ بمؤامة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعرّو ريّ ظهور الممالكِ
ويسبق وفد الريح من حيث يتحي بمنخرق من شدة المتداركِ
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالى^٥ من قلب شيحان فاتك

-
- ١ الحيوان (٦٨/٣ وما بعدها) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٣٠/١) ، (دار الثقافة) ، أبو تمام ديوان الحماسة (٣٨٢ وما بعدها) .
 - ٣ الحيوان (٦٣/١) .

ويجعل عينه ريشة قلبه الى سلة من حدّ أخلق صائك
إذا هزّه في عظم قرن تهلت نواجد أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهندي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^١

وهي قصيدة مدح بها عمه (شمس بن مالك)^٢ .

وقد شك (الجاحظ) في نسبة هذه القصيدة الى (تأبط شرأ) ، إذ قال :
« ومن هذا الباب قول تأبط شرأ ، أو قول قائل فيه في كلمة له »^٣ . وتنسب
أيضاً الى (السليك بن السلكة) أحد غرابيب العرب^٤ .

وله قصيدة ذكر فيها أنه التقى بالغول ، وصار جاراً للغيلان ، وقد وصف
حاله معها ، حيث قال :

وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعبُ الخيملا
الى أن حدا الصبحُ أثناءهُ ومزق جلبابه الأيللا
على شيم نارٍ تنورتها فبت لها مدبراً مقيلا
فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنتِ ما أهولا
وطالبتُها بعضها فالتوت بوجه تهول فاستهولا

وهي قصيدة ذكرها (ابن قتيبة) ، وقد اكتفيت منها بالآيات المتقدمة * .
وقد عمل (ابن جني) ديوان (تأبط شرأ)^٥ ، ونشرت بعض أشعاره
وترجمت بلغات أعجمية^٦ .

- ١ الحماسة ، لابي تمام (٤٦/١ وما بعدها) ، (بلاق) ، كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧٣) ، (اذا خاص) ، (اذا خاط) ، الحيوان (٤٦٧/٦) .
 - ٢ كارلو نالينو ، (٧٣) .
 - ٣ الحيوان (٢٥٥/٦) ، وتجد اختلافا بين نص الجاحظ لها ، وبين نصها في الموارد الأخرى .
 - ٤ الحماسة (٢٢/١) ، القالي ، أمالي (١٣٨/٢) ، التيجان (٢٤٢) ، زهر الاداب (١٨/٢) ، الصناعتين (٢٧٩ ، ٣١٠) ، ثمار القلوب (٢٠٤) ، الحيوان (٢٥٦/٦) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٣٠/١ وما بعدها) . اعجاز القرآن ، للباقلاني (٢٢) ، مروج الذهب (١٣٤/٢ وما بعدها) ، (ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول) .
 - ٦ بروكلمن (١٠٤/١ وما بعدها) .
- Ch. Lyell, Four Poems by T. Sh. the Poet, brigand, JRAS, 1918, 211-227.

وأما (السليك بن السلكة) ، فهو من تميم . وأمه أمة سوداء ، وكان يغير على القبائل ، ولا سيما القبائل البائية وقبائل ربيعة . وكان من العارفين باقتفاء الأثر . ومن العالمين بالمسالك وبالطرق والأرض . يذكرون أنه كان إذا جاء الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف ، وأغار واحتاج الى الماء ، جاء الى مواضع البيض ، فاستخرج البيض منها وشرب ما فيه من ماء^١ .

وقد نسب (سليك) على هذا النحو : « سليك بن يثربي بن سنان بن عمرو ابن الحرث ، وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن سلكة ، وهي أمه . ولذا قيل : (ابن السلكة) وقيل اسم والده : (عمرو بن يثربي) ، ويقال (عمير) ، وهو شاعر لص فتاك عداء . يقال : وأعدى من سليك ، ويقال له : (سليك المقانب) . قال قرآن الأسدي ، وقيل أنس ابن مدرك :

لخطابُ ليلٍ بالَ برثن منكم على الهول، أمضى من سليك المقانب^٢

وقال أهل الأخبار عنه، انه أحد أغربة العرب وهجئاتهم وصعاليكهم ورجلائهم ، وكان له بأس ونجدة . وكان أدل الناس بالأرض وأجودهم عدواً على رجله ، وكان لا تعلق به الخيل . وتذكر قصة انه خرج رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر عليه ، فيذهب بإبله ، وبينما هو نائم ، وإذا برجل يجثم عليه ، ويقول له : استأسر ، فتمكن منه السليك ، ووجده صعلوكاً فقيراً جاء مثله لعله يصيب شيئاً ، فاتفق معه على أن يغزوا معاً ، فلما سارا وجدا رجلاً صعلوكاً انضم إليهما ، واتفقا على الغزو ، ولما كانوا في جوف (مراد) ، وجدوا نعماً ، فطلب (سليك) من رفيقه الانتظار والترص ريثما يذهب الى الرعاء فيلهيها ، ثم يغيرا على النعم . فلما وصل الى الرعاء ، تودد اليهم ، ثم قال لهم : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى ، فأخذ يغني :

- ١ زيدان ، تاريخ آداب (١٦٣/١) ، الاغانى (١٨/١٣٣) ، الشعر والشعراء (٢١٣) .
- ٢ اللسان (٤٤٣/١٠) ، (سلك) ، تاج العروس (١٤٤/٧) ، (سلك) ، (السليك ابن سنان بن سلكة) ، تحفة الابيه فيمن نسب الى غير ابيه (١٠٥ وما بعدها) ، (نوادر المخطوطات ، المجموعة الاولى) .

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي إلا عبيد وآم بين أذواد
أنتظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

فلما سمعا ذلك أطردا الإبل فذهبا بها^١ .

وذكر ان (بكر بن وائل) سارت للإغارة على (تميم) . ورأته طلائعها ،
فأرادت القبض عليه ، حتى لا يذهب اليهم فيخبرهم بزخهم عليهم . ولكنه
ركض مسرعاً ، ففلت منهم ، وأخبر قومه بغزوهم ، فكذبوه . فقال في ذلك
شعراً ، وجاءت (بكر بن وائل) فأغارت عليهم^٢ .

وقد وصفه (عمرو بن معدى كرب) في شعر منه :

وسيريّ حتى قال في القوم قائل : عليك أبا ثورٍ سُلَيْكُ المقائب^٣ .

ومرّ (سليك) في بعض غزواته ببيت من (خثعم) ، أهله خلوف ، فرأى
فيهم امرأة بضمة شابة ، فتسنّمها ومضى ، فأخبرت القوم ، فركب (أنس بن
مدرك الخثعمي) في أثره فقتله ، وطولب بديته ، فقال : والله لا أديسه ابن
إفال ، وقال :

لاني وقتلي سليكا يوم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
غضبتُ للمرء إذ نيكت حليته وإذ يشدُّ على وجعائها الثغر^٤

وقد ورد البيتان على هذه الصورة :

لاني وقتلي سليكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
أنفت للمرء إذ نيكت حليته وأن يشد على وجعائها الثغر^٥

ومن بقية الشعراء الصعاليك ، (حاجز) الأسدي ، (قيس بن الحداية)

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٨٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، الاغاني (١٨/١٣٤) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٨٤/١) ، (الثقافة) ، الخزائن (١٧/٢) ، (بولاق) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٨٤/١) ، (الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٢٨٥/١) ، (الثقافة) أسماء المقتالين (٢٢٠ ، ٢٢٦ وما بعدها) ، الاغاني (١٣٣/١٨) ، المؤلف (١٣٧) ، الخزائن (١٧/٢) .
 - ٥ الحيوان (١٨/١) .

الأزدي ، و (أبو الطمحان) القيني ، و (أبو خراش) الهللي ، وصخر الغي الهللي^١ ، وأخوه الأعلم الهللي^٢ ، وعمرو ذو الكلب^٣ .

فأما (قيس بن الحداية) ، فهو (قيس بن منقلد بن عبيد بن أصرم بن ضاظر بن حُبشية بن سلول) ، وله مع (عامر بن الظرب) حديث . وصفه (المرزباني) بـ « شاعر قديم كثير الشعر »^٤ . وأمه من (بني حُدَاد) كنانة ، وقوم يجعلونها من حُدَاد محارب . وكان صعلوكاً خليعاً^٥ ، ساهم مع جماعة من أهله في قتل رجل من قبيلتهم ، وعجز قومه من دفع ديتة ، فولوا هاربين ، فقتلوا في (فراس بن غنم) ثم لم يلبثوا أن قتلوا منهم رجلاً ، فهربوا ، فقتلوا على (أسد بن كرز) من (بجيلة) ، فأحسن إليهم وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس^٦ . وقد نسب (قيس) الى أمه الحُدَادية ، وهي حضرمية من محارب^٧ . وورد ان أمه من (محارب بن خصفة) . و (حُدَاد) من كنانة . ومن شعره :

أنا الذي أطرده مواليه^٨ وكلهم بعد الصفاء قاله^٩

ولا نجد في بطون الكتب شعراً كثيراً لقيس بن الحداية ، بحيث تنطبق عليه جملة (كثير الشعر) التي أطلقها (المرزباني) على شعر هذا الشاعر ، مما يبعث على الاحتمال بضياعه منذ عهد طويل .

وألّف (قيس بن الحداية) ، عصابة ضمت « شذاذاً من العرب وفتاكاً

-
- ١ شرح أشعار الهذليين (١٢/١) ، الاغانى (١٩/٢٠) ، الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) ، ديوان الهذليين (٥٧/٢) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) .
 - ٣ الاغانى (١٩/٢٠) .
 - ٤ زيدان ، تاريخ آداب (١٦٤/١) .
 - ٥ المرزباني ، معجم (٢٠٢) ، الاغانى (٦/١٣) .
 - ٦ الاغانى (٢/١٣) وما بعدها ، الشعراء الصعاليك (٩٦ وما بعدها) .
 - ٧ كتاب من نسب الى أمه من الشعراء (٨٦ وما بعدها) ، (نواذر المخطوطات ، المجموعة الاولى) .
 - ٨ كتاب من نسب الى أمه من الشعراء (٨٧) ، الاشتقاق (٢٧٧) ، ألقاب الشعراء ، لابن حبيب (١٣٩) .

من قومه ، وأخذ يغير على عشيرته بسبب خلعها له ، وبقي شريداً متمرداً يغزو بصعاليكه ، الى أن قتل صعلوكاً^١ .

وأما (أبو الطمحان) القيني ، فهو (حنظلة بن الشرقي) من بني كنانة بن القين ، وكان فاسقاً ، نازلاً بمكة على الزبير بن عبد المطلب ، وكان يتزل عليه الخلاء ، وكان ندماً له في الجاهلية . اختلف فيه ، فمنهم من قال إنه جاهلي ، ومنهم من قال إنه أدرك الإسلام . وقد زعم بعضهم أنه عاش مائتي سنة ، وأنه ندم على ما اقترفه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والسرقة ، ورووا له شعراً تبرأ فيه من الذنوب . ذكر أنه قيل له : ما أدنى ذنوبك؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلتُ بديريانية ، فأكلت عندها طفشياً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت ؟! وكانت له ناقة يقال لها (المرقال) ، وله إبل استقامها قوم نزلوا ضيوفاً عليه وشربوا من ألبانها ثم أدخلوها معهم ، فقال في ذلك شعراً منه :

واني لأرجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر^٢

وذلك أنه جاورهم ؛ فكان يسقيهم اللبن ؛ فقال أرجو أن تشكروا لي ردّ إبلي ، على ما شربتم من ألبانها ، وما بسطت من جلد أشعث أغبر ، كأنه يقول : كنتم مهازيل فبسط ذلك من جلودكم^٣ .

وروي أنه كان من المعمرين ، عاش على حدّ قول بعضهم مائتي سنة . فقال في ذلك :

حتني حانيات الدهر حتى كأنني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رأيي ولست مقيداً أني بقيد^٤

١ الشعراء الصعاليك (٩٧ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٤/١ وما بعدها) ، الاصابة (٣٨١/١) ، (رقم ٢٠١١) ، الاغانى (١٢٥/١١) ، الخزائن (٤٢٦/٣) ، المعرون للسجستاني (٦٢) ، المؤلف (١٤٩) ، أمالي المرتضى (٢٥٧/١ وما بعدها) .

٣ الحيوان (٤٧٣/٤) .

٤ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) .

ونسب (المرتضى) له قوله :

ولاني من القوم الذين همُّ همُّ
نجوم سماء كلما غاب كوكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
وما زال منهم حيث كان مسودٌ
إذا مات منهم ميت قام صاحبه
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه
دجى الليل حتى نطَّم الجزع ثاقبه
تسير المنايا حيث سارت كتابه^١

وقد لاقى (أبو الطمحان) مصاعب عديدة ، وكان لا يكاد يجد له مكاناً يستقر فيه ، حتى تقع له حادثة توقعه في مشكلات عويصة وفي شدة ومحنة ، فكان ينتقل من جار الى جار ، ثم يهم بالعودة الى أهله لولا خوفه من أداء الدية التي عليه أن يدفعها ، فيحجم عن الذهاب اليهم ، حتى استقر أخيراً في (بني فزارة) في جوار رجل يقال له (مالك بن سعد) أحد (بني شمع) ، وكان كريماً ، فأواه ، وأعطاه إيلاً لتكون دية جنايته وزاد عليها ، وكان قد لمح له انه يريد العودة الى أهله لولا هذه الدية ، فلما وجد هذا السخاء من مالك ، بقي عنده ، وصار أحد عشيرته حتى هلك فيها ، وهو طاعن في السن^٢ . فذكره (السجستاني) لذلك في المعمرين ، وأعطاه مائتي سنة من عمر مديد^٣ !

ونسب الى (أبي الطمحان) قوله :

إن الزمان ولا تفنى عجائبه فيه تقطع آلاف وأقران
أمسّت بنو القين أفرافاً موزعة كأنهم من بقايا حي لقمان^٤

وله شعر في مدح (مالك بن حمار) الشمخي ، وكان شريفاً من أشراف العرب قتله (خفاف بن نذمة) السلمي^٥ ، يقول فيه :

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٥٧/١) .
 - ٢ الاغانى (١٣٢/١١) وما بعدها .
 - ٣ المعمرين (٦٢) .
 - ٤ البيان والتبيين (١٨٧/١) .
 - ٥ الاشتقاق (١٧٢/٢) ، البيان والتبيين (٢٣٥/٣) ، وقد اخطأ السيد عبد السلام محمد هارون في الجزء الاول من كتاب الحيوان الذي حققه ، اذ قال : « وهو يمدح مالك بن حماد الشمخي » ، ثم علق عليه برقم (٤) حاشية ، ثم قال في الحاشية : « هو قاتل خفاف بن نذبة » ، (ص ٣٨٠) ، الاغانى (١٣٤/١٣) .

سأمدح مالكا في كل ركبٍ لقيتهم وأترك كل رذل
فأنا والبكارة من مخاضٍ عظام جلة سدس وبزل
وقد عرفت كلابكم ثيابي كأني منكم ونسيتُ أهلي
نمتكم من بني شمع زناد لها ما شئت من فرع وأصل^١

وله أيضاً :

فكم فيهم من سيد وابن سيد وفي بعقد الجار حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يزعب إن رأى وجوه بني لأم وينهل بارقه^٢

وله في (بني نمر) قوله :

مهلاً نمرُ فإنكم أمسيتم منّا بشعر ثنية لم تُستر
سوداً كأنكم ذئاب خطيطة مطير البلاد وحرّمها لم يُمطر
يحبون ما بين أجا وبرقة عالج حبو الضباب الى أصول السخبر
وتركتم قصب الشريف طوامياً تهوى ثنيته كعين الأعور^٣

وله في الإنعاط والاعتبار بدروس الغابرين ، قوله :

ألا ترى مأرباً ما كان أحصنه وما حواله من سور وبنان
ظلّ العبادي يسقي فوق قلّته ولم يهب ريب دهر حق خوآن
حتى تناوله من بعد ما هجموا يرقى إليه على أسباب كتّان^٤

ولما في حياة الصعاليكة من غرابة وطرافة ومغامرات ، تستلذ لسماعها الأذان ، وضع الوضاعون عليهم أخباراً كثيرة وأشعاراً عديدة ، تجسد بعضها تحكي الأيام

١ البيان والتبيين (٣ / ٢٣٥) .

٢ البيان والتبيين (٣ / ٣٣٧) .

وفي بعقد الجار ، حين يفارقه
وجوه بني لأم وينهل بارقه

كم فيهم من سيد وابن سيد
يكاد الغمام الغر يزعج إن رأى

الحيوان (٣ / ٩٢) .

٣ الحيوان (٦ / ١١٣) .

٤ الحيوان (٦ / ١٥٤) .

التي وضع الوضاعون فيها تلك الأشعار ، من حيث الطعن في الأغنياء ، وتفضيل
الفقراء عليهم ، وترجيح الفقير على الغني ، لشعوره بشعور انساني حرم منه الغني
الذي لم يكن يفكر إلا بنفسه ، كما ان في كثير من الشعر المصنوع طابع حياة
المغامرات . وهو يختلف نصاً من مؤلف الى مؤلف، مما يدل على تعدد الروايات،
وانه أخذ من السنة متعددة ، فتعدد بعددها .

الفصل الحادي والستون بعد المئة

شعراء القرى العربية

والقرى العربية في نظر (ابن سلام) خمس هن: مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين^١. و (القرية) في تفسير علماء العربية المصر الجامع ، وقيل كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها^٢. وقد جاءت اللفظة في مواضع عديدة من القرآن. كما وردت فيه : (القريتين) ، بمعنى مكة والطائف^٣، و (أم القرى) ، بمعنى (مكة)^٤ ، و (أهل القرى) ، و (القرى) . ومكة والمدينة والطائف قرى ، أما (اليمامة) ، فصر جامع ، ضم قرى ، وكذلك البحرين . ولم تدخل (الحيرة) ، أو الأنبار ، في القرى العربية لكونهما خارج حدود جزيرة العرب في عرف العلماء .

وذكر (ابن سلام) ان أشهر أهل القرى الخمس ، أهل قرية (المدينة) ، أي (يثرب) . وقد أخرجت خمسة من الفحول : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فن الخزرج من (بني النجار) : حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة : (كعب بن مالك) ، ومن (بلحارث بن الخزرج) (عبدالله بن رواحة) .

١ طبقات (٥٢) .

٢ تاج العروس (٢٩٠/١٠) ، (قرى) .

٣ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ٣١ ، تفسير الطبري (٣٩/٢٥) .

٤ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ٩٢ ، تفسير الطبري (١٨٠/٧) .

ومن (الأوس) : قيس بن الخطيم ، من (بني ظفر) ، (و) أبو قيس ابن الأسلت (من) بني عمرو بن عوف ^١ .

وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على ان أشعر أهل المدر : يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف ، وعلى ان أشعر أهل المدر : حسان بن ثابت ، ثم قال : « حسان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر اليمن في الاسلام ، وهو شاعر أهل القرى » . وروي انه كان أشعر أهل الحضر ^٢ .

وقال (ابن سلام) في حديثه عن مكة : « وبمكة شعراء ^٣ ووصف أشعار قريش بأنها أشعار فيها لين ^٤ ، وهي سهلة سلسة اذا قيست بأشعار أهل البادية ، يتغلب عليها طابع الحضارة ، وكذلك شعر باقي القرى . وقال عن (الطائف) ، وبها شعراء وليس بالكثير . وعلل ذلك بقوله : « وانما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم : والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا . وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف ^٥ » . وقال عن (البحرين) : « وفي البحرين شعر كثير جيد وفصاحة ^٦ » . وقال عن (اليمامة) : « ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً ^٧ » .

ولم تنفرد أشعار قريش وحدها باللين ، وإنما الليونة والسهولة في الشعر من طبائع الشعر الحضري أجمع . ففي طبيعة الحياة في الحضارة سهولة غير موجودة في حياة البداوة ، وراحة ودعة واستقرار ، وهي أمور لا توجد في البادية ، ثم فيها اجتماع واحتكاك بعالم خارجي ، وميل الى جمع المال والاستمتاع به ، والابتعاد عن الغزو والحرب ، وكراهة القتال وتعريض النفس للخطر ، والنفس عزيزة غالية عند الحضر ، وهي هينة رخيصة عند الأعراب ، وما الذي يجعل الأعرابي يحرص على حياته حرص أهل الحواضر ، وكل ما عنده جوع وفقير وطبيعة قاسية

-
- | | |
|---|---|
| ١ | ابن سلام ، طبقات (٥٢) . |
| ٢ | الاستيعاب (٢٣٨/١) ، (حاشية على الاصابة) . |
| ٣ | طبقات (٥٧) . |
| ٤ | طبقات (٦٠) . |
| ٥ | المصدر نفسه (٦٥) وما بعدها . |
| ٦ | كذلك (٦٦) . |
| ٧ | كذلك (٧٠) . |

تجعله لا يحصل على قوته إلا بالإغارة على غيره لاستلاب ما عنده من رزق .
فلا غرابة إذا ما غلظ شعره وخشن شعوره المتمثل في نظمه ، ولأن شعر الحضري
في مقابله .

ولم يذكر (ابن سلام) السبب الذي جعل (اليامة) فقيرة في الشعر ، حيث
يقول : « ولا أعرف باليامة شاعراً مشهوراً »^١ ، ولا الأسباب التي حملته على
القول بعدم وقوفه على شاعر شهير فيها ، مع أن (الأعشى) منها ، وهو شاعر
شهير ، والمرقس الأكبر ، والمرقس الأصغر ، وهما شاعران مشهوران من (قيس
ابن ثعلبة) ، و (قيس بن ثعلبة) من القبائل النازلة باليامة ، وقد ذكرها (ابن
سلام) في طبقاته ، كما ذكر (المتلمس) ، في طبقاته ، وهو شاعر معروف
من شعراء اليامة كذلك . ويظهر أنه نسي أسماءهم ، لأنه كان يعلم أن الغلبة
كانت لبني حنيفة على اليامة عند ظهور الإسلام ، ولم يحفظ الرواة - لسبب
لا نعرفه - شعراً لشعراء من بني (حنيفة) ، فعمم قوله على كل اليامة ، والحكم
بالتعميم شيء مألوف بين أهل الأخبار .

وقد ذهب (الجاحظ) إلى أن (بني حنيفة) أهل اليامة ، كانوا أقل الناس
شعراً ، إذ يقول : « وبني حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة
وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم
وحدهم يعدلون بكرأ كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعراً منهم . وفي
أخوتهم عجل قصيد ورجز ، وشعراء ورجازون » . وقد أنكر أن يكون ذلك
بسبب مكان الخصب وأنهم أهل مدر ، أي حضر ، وإنما رجع ذلك إلى الطبع ،
والى « قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلاد والأعراق مكانها »^٢ .

ويلاحظ أن علماء اللغة ، جعلوا (اليامة) في جملة الأراضين التي لم يرجعوا
إلى لغاتها ، فذكروا أنهم لم يأخذوا اللغة « لا من بني حنيفة وسكان اليامة ،
ولا من ثقيف وأهل الطائف ، لمجاورتهم تجار اليمن المقيمين عندهم »^٣ ، وذلك
في الإسلام بالطبع ، لأن تدوين اللغة لم يبدأ به إلا في هذا الحين . وهو رأي
صحيح ، لأن لغات أهل اليامة متأثرة باللهجات العربية الجنوبية ، كما كانت كتابتهم

١ طبقات (٧٠) .
٢ الحيوان (٣٨٠/٤) وما بعدها .
٣ المزهر (٢١٢/١) .

بالمسند ، بدليل عثور المستشرقين على كتابات عديدة في مواضع من اليامة ، مدونة بهذا القلم ، وبلغة عربية جنوبية متأثرة بلهجات خاصة بعض التأثير ، ولهذا فنحن نستطيع أن نقول إن كتابات اليامة التي عثر عليها الآن والتي سيعثر عليها في المستقبل ، تكون مجموعة فريدة مهمة من الكتابات الجاهلية وقد تكون جسراً بين العرييات الجنوبية القحة ، وبين اللغات العربية الشمالية ، وقد تكون هذه الخصائص اللغوية الفريدة هي التي جعلت (ابن سلام) يقول في طبقاته : « ولا أعرف باليامة شاعراً مشهوراً »^١ ، إذ سمع أن شعراء اليامة كانوا يقولون الشعر بلهجاتهم التي تختلف عن اللهجة التي نظم بها شعراء مجموعة (ال) ، فأهمل لذلك شعرهم ، أو أن شعرهم لكونه شعراً محلياً خاصاً ، لم ينتشر خارج قبائل اليامة ، فلم يصل الى علمه منه شيء ، فقال لذلك قوله المذكور ، ولم يعده من الشعر المألوف ، الذي تعورف عليه بين علماء الشعر ، ولما كان (الأعشى) و(المرقش) الأكبر ، و(المرقش الأصغر) ، والمتلمس ، قد نظموا الشعر باللهجة المألوفة ، ولكونهم من المتنقلة الذين تنقلوا بين العرب ، وقضوا أكثر أوقاتهم خارج اليامة ، لم يدخلهم لذلك في شعراء اليامة ، لا جهلاً منه بأصلهم ، وإنما لما يئته من أسباب.

ولعل لكثرة وجود العبيد والموالي بها دخل في هذا الباب ، فاليامة أرض خصبة ذات مياه ، استقر أهلها وأقاموا في القرى وزرعوا واستعانوا بالموالي وبالعبيد وبأهل اليمن لاستغلال أرضهم ، فصاروا من أصحاب الزراعة في جزيرة العرب ، كما استغلوا معادنها ، واستعانوا في استغلالها بالأعاجم ، فذكر انه كان في معدن (شمام) ألف أو يزيد من المجوس ، لهم بيت ناري^٢ . ولعل (آل كرمان) ، و (الأحمر) في الحرملية ، هم من الأعاجم الذين كانوا قد ولجوا هذه المواضع للعمل بها قبل الاسلام^٣ ، أضف الى ذلك وجود عدد كبير آخر من الموالي في أكثر قرى اليامة ، شغلوا في الزراعة وفي استغلال المعادن وفي تصنيعها ، وهي أمور يأنف منها الأعرابي ويزدريها . ولهذا قيل لهم أهل (ريف) ، وقد وصفهم جرير بقوله :

١ طبقات (٧٠) .

٢ الصفة (١٤٢) .

٣ لغدة (٣٠٢ وما بعدها ، ٣٥٩) .

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من موالها^١

وذلك تعبيراً عن كثرة من كان في اليمامة من العبيد والموالي الذين لعبوا دوراً كبيراً في اقتصاد اليمامة ، حيث شغلوا في الزراعة وفي الرعي وفي استغلال المعادن والصناعة ، وانشاء القرى ، حتى صارت أرضها بين قرى وأرض استغلت بزرعها سيحاً ، أي على مياه الأمطار . وأما القرى ، فقد أقيمت على الآبار والعيون والمياه الجارية وعلى حافات الأودية. وقد حفر الرقيق أكثر هذه الآبار، كما استغلت الآبار العادية ، أي الآبار القديمة التي تنسب الى ما قبل مجيء قبائل (ربيعة) الى اليمامة . ونجد في الكتب التي وصفت اليمامة ذكراً لمواقع كثيرة ، توفرت بها المياه ، فصارت أرضين خصبة ، موّنت اليمامة وغيرها بالحنطة والتمور والخضر .

وكان جلّ أهل (اليمامة) عند ظهور الإسلام من (بكر بن وائل) ، وبكر ابن وائل من (ربيعة) ، فهم ليسوا من (مضر) اذن ، الذين أخذ عنهم علماء العربية اللغة في الإسلام . فقوم الأعشى ، وهم (بنو قيس بن ثعلبة) من بكر بن وائل ، وبنو حنيفة ، وهم قوم (مسيلمة) من (بني لحيمة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل)^٢ ، فلم يريعة كانت الغلبة في هذا العهد ، وأما بطون (تميم) التي كانت تقيم في مناطق من اليمامة ، فلم تكن تكون الكثرة الى جانب ربيعة ، وتميم من مضر في عرف أهل الأخبار .

واليمامة اقليم مشهور عرف بعذوبة مياهه ، وبخصبه وبكثرة قراه ، وباشتغال أهله بالزراعة ، زراعة النخيل والأشجار المثمرة والحنطة ، كما عرف بتربيته للإبل والبقر والغنم ، ولذلك وفرت اللحوم به ، وقد استقر أهله ، وصاروا حضراً وأشباه حضر ، ولعلّ لصلتهم باليمن ولنزوح أهلها القدامى من اليمن ، وهم أهل زرع وضرع ، ثم توفر الماء والتربة الخصبة في اليمامة ، جعلت كل هذه الأمور أهلها حضراً على مستوى عالٍ من الحياة بالنسبة الى من كان يقيم في البوادي من القبائل ، اعتمدوا في الدفاع عن أنفسهم على الحصون والبثل التي لا تزال آثار بعضها قائمة الى هذا اليوم ، فكانوا إذا بوغثوا بهجوم ، أسرعوا الى بثلهم وقصورهم ، فتحصنوا بها . وهي من أهم ما يميز أهل الحضرة عن

١ الخزائن (٣٠٠/٢) ، (بولاق) .

٢ تاج العروس (٧٨/٦) ، (حنف) .

أهل الوير . ولهذا نجد مستوطنات أهل المدر ، مكوّنة من أطم كما تسمى في (يثرب) ، أو قصور كما تسمى في الحيرة وفي قرى عرب العراق ، وبتل كما عرفت في اليمامة ، وبفضل هذا النظام الدفاعي ، حوّا أنفسهم من هجمات الأعراب عليهم .

ولطابع الاستقرار الغالب على أهل اليمامة أثر في شعر شعراء اليمامة . يظهر في أساليب شعرائها السهولة وفي البحور التي نظموا بها شعرهم ، وهم يقربون بذلك من شعراء عرب العراق أو الشعراء الذين تأثروا بالشعر العراقي ، كما يظهر هذا الطابع في المعاني التي تطرقوا إليها ، وسبب قربهم في المعاني وفي الصياغة من أهل العراق ، هو تشابه الحياة بين عرب الحيرة مثلاً وبين أهل اليمامة . فأهل الحيرة حضّر أو أشباه حضّر ، وأهل اليمامة حضّر مثلهم أو أشباه حضّر ، لهم زراعة ، ولهم حرف قد احترفوها منذ أمد طويل ، ثم ان النصرانية كانت قد انتشرت بين عرب العراق ، وقد انتشرت بين أهل اليمامة كذلك ، وجنودها وإن لم تكن عريقة راسخة في المحيطين ، لكنها كانت قد تأثرت بعقلية أهلها على كل حال .

ومن شعراء اليمامة (المرقش) الأكبر ، وهو (ربيعة بن سعد بن مالك) ، ويقال : بل هو عمرو بن سعد بن مالك ، وقيل (عوف بن سعد بن مالك) من (بني قيس بن ثعلبة) من قبائل اليمامة المعروفة ، وكان أبوه سيد قومه في حرب البسوس ، وهو خال (عمرو بن قيثة) ، وله صهر مع طرفة والأعشى ميمون^١ . ذكر انه انما عرف بالمرقش بهذا البيت :

الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم^٢

وبعد (المرقش) الأكبر من الشعراء العشاق ، وله قصة عن حبه لابنة عمه ، وعن زواجها أثناء غيابه ، ثم بحثه عنها ، ونزوله كهفاً أسفل (نجران) ، ثم احتياله في الوصول إليها ، ووفاته بعد ذلك . وهي قصة نجد لها مثيلاً في قصص

-
- ١ بروكلمن (١٠٢/١) ، المزهر (٤٧٦/٢ وما بعدها ، ٤٨١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢٠١) ، الاغانى (١٩٩/٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (٨٨٩/٢) ، اللسان (١٩٥/٨) الاغانى (١٢٧/٦) ، المؤلف (١٨٤) ، المفضليات (١١١) ، رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠) ، البيان والتبيين (٣٧٤/١) .

وحكايات الأمم الأخرى^١ . وقيل ان صاحبتة (أسماء بنت عوف بن مالك) ، كان أبوها زوجها رجلاً من مراد ، والمرقش غائب ، فلما رجع أخبر بذلك ، فخرج يريد لها ومعه عسيف له من (غفيلة) ، فلما صار في بعض الطريق مرض ، حتى ما يحمل إلا معروضاً ، فتركه الغفيلي هناك في غار ، وانصرف الى أهله ، فخبّرهم أنه مات ، فأخذوه وضربوه حتى أقر ، فقتلوه ، ويقال إن أسماء وقفت على أمره ، فبعثت اليه فحمل اليها ، وقد أكلت السباع أنفه . فقال :

يا راكباً أما عرضتَ فبلغن أنس بن عمرو حيث كان وحرماً

وقد وصف في هذه الأبيات ما لاقاه في سفره، وهروب الغفيلي منه ، وذهاب السباع بأنفه . ويقال إنه كتبها على خشب الرحل بالحميرية ، وكان يكتب بها ، فقرأها قومه ، فلذلك ضربوا الغفيلي حتى أقر^٢ . وفي أكل السباع أنفه يقول :

من مبلغ الفتيان أن مرقشاً أضحى على الأصحاب عبثاً مثقلاً
ذهب السباع بأنفه فتركته ينهشن منه في القفار مجدلاً^٣

ونسب له قوله :

ومن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمره^٤ ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً
أخوك الذي إن أخرجتك ملمة^٥ من الدهر لم يبرح لها الدهر واجاً
وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك أمور ظلّ يلحاك دائماً^٦

وقد تعرض (المعري) لكلمة (المرقش) :

هل بالديار أن نجيب صمم ؟ لو كان حياً ناطقاً كلّم

وقال بعد ذلك : « على أن مرقشاً خلط في كلمته فقال :

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (١٣٨/١ وما بعدها) ، (الثقافة) .

٣ رسالة الغفران (٣٥٥) ، الاغاني (١٢٧/٦) .

٤ بلوغ الارب (١٠٧/٣ وما بعدها) .

ماذا علينا ان غزا ملك من آل جفنة ظالم مُرغم

وهذا خروج عما ذهب اليه الخليل^١

وتعرض بعد ذلك له ، بأن تصور نفسه وهو يقول له وقد زاره في أطباق العذاب: « ان قوماً من أهل الإسلام كانوا يسترون بقصيدتك الميمية التي أولها :

هل بالديار أن نجيب صمم لو كان حياً ناطقاً كلم

ولإنها عندي لمن المفردات . وكان بعض الأدباء يرى أنها والميمية التي قالها المرقش الأصغر ناقصتان عن القصائد المفضليات ، ولقد وهم صاحب هذه المقالة. وبعض الناس يروي هذا الشعر لك :

تخيرت من نعمان عود أراكة هند ، ولكن من يُبلغه هنداً ؟

خليلي جُورا بارك الله فيكما وإن لم تكن هنداً لأرضكما قصداً

وقولا لها : ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنّا لنلقاكم عمداً

ولم أجدها في ديوانك فهل ما حُكي صحيحٌ عنك ؟

فيقول : لقد قلت أشياء كثيرة ، منها ما نُقل اليكم ، ومنها لم ينقل . وقد يجوز أن أكون قلتُ هذه الآيات ولكني سرّفتها لطول الأيد ولعلك تنكر أنها في هند ، وإن صاحبتني أسماء ، فلا تنفر من ذلك ، فقد ينتقل المشيب من الاسم الى الاسم ، ويكون في بعض عمره مستهتراً بشخص من الناس ، ثم ينصرف الى شخص آخر ، ألا تسمع الى قولي :

سفه تذكرُهُ خويلة بعدما حالت ذرانجران دون لقائها^٢

ومن القصيدة الميمية المنسوبة اليه قوله :

النشر مسك والوجوه دنّا نير^٣ ، وأطراف الأكف غمّ

١ رسالة الغفران (٣٣٧ وما بعدها) .

٢ رسالة الغفران (٣٥٥ وما بعدها) .

٣ رسالة الغفران (٥٦٠) ، أمالي المرتضى (٢٥٥/٢ ، ٢٥٧) .

وقوله :

ليس على طول الحياة نَدَمٌ^١ ومن وراء المرء ما يعلم^٢

ولم يبق من شعر المرقش الأكبر إلا (١٢) قطعة ، وفي بعض شعره اضطراب ، والقطعة (٥٤) من الأصمعيات من بحر عروض لم يهتد المتأخرون الى تحديده^٣ . ونجد بحر الخفيف عنده^٤ .

وأما المرقش الأصغر ، فهو (عمرو بن حرملة) ، وقيل : (ربيعة بن سفيان) ، وقيل (عمرو بن سفيان) وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد عشاق العرب المشهورين . وورد في رواية أنه أخو المرقش الأكبر ، ويقال إنه ابن أخيه . وقد اشتهر بقصة غرامه بفاطمة بنت المنذر الثالث ملك الحيرة^٥ وكانت لها خادمة تجمع بينها ، يقال لها (هند بنت عجلان) ، وكان للمرقش ابن عم^٦ يقال له (جناب بن عوف بن مالك) ، لا يؤثر عايه أحداً ، وكان لا يكتمه شيئاً من أمره ، فألح عليه أن يخافه ليلة عند صاحبته ، فامتنع عليه زماناً ، ثم انه أجابه الى ذلك ، فعلمه كيف يصنع اذا دخل عليها ، فلما دنا منها أنكرت عليه مسه ، فنحتة عنها ، وقالت : لعن الله سراً عند المعيدي ، وجاءت الوليدة فأخرجته ، فأتى المرقش فأخبره ، فعص^٧ على لإهامه فقطعها أسفاً وهام على وجهه حياءً . وخلد القصة في شعره^٨ .

وكان هرب من المنذر وأتى الشام ، فقال :

أبلغ المنذر المنقبَ غني غير مستعتب ولا مستعين
لاتَ هنا وليتني طرف الزج وأهلي بالشأم ذات القرون^٩

١ أمالي المرتضى (٧٨/٢) .

٢ بروكلمن (١٠٢/١) .

٣ غرونبوم (٢٧٩) .

٤ الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٠٥ وما بعدها) ، الاغاني (١٩٣/٥ وما بعدها) ، للمرزباني (٢٠١) ، بروكلمن (١٠٣/١) ، (٤ وما بعدها) ، (فراج) ، المؤلف (١٨٤) ، الفضليات (١١٤) ، الاغاني (١٣٦/٦ وما بعدها) ، رسالة الغفران (٣٥٧) .

٥ الشعر والشعراء (١٤٣/١) ، (الثقافة) .

٦ الشعر والشعراء (١٤٤/١) ، (الثقافة) .

وصاحبه بنت عجلان ، أمة كانت لبنت (عمرو بن هند) ، وفيها يقول :

يا بنت عجلان ما أصبرني على خطوب كنتِ بالقدم

ومن شعره المشهور هذا البيت :

ومن يلق خبراً يحمد الناس أمره^١ ومن يغور لا يعلم على الغي لائماً^٢

ويعد المرقش الأصغر أشعر من عمه ، ويغلب على شعره الغزل ، وهو أكثر صقلًا ، وأقرب مطابقة لأسلوب المتأخرين^٣ .

ومن شعراء اليمامة : (المتلمس) ، وهو (جرير عبد المسيح) ، وقيل (جرير بن عبد العزى) ، وقيل غير ذلك ، وهو من بني ضبيعة ، وأخواله (بنو بشكر) . وهو خال (طرفة) ، لقّب بالمتلمس لبنت قاله ، هو :

فهذا أوان العرض حيّا ذبابه زنابيره والأزرق^٤ المتلمس

وقيل ان اسم أبيه (عبد العزى) ، وهو من أسماء الوثنيين، ويظهر انه تنصر فسمى نفسه عبد المسيح^٥ .

وكان ينادم (عمرو بن هند) ملك الحيرة هو وطرفة بن العبد ، قبله، إنهما هجوا ، فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين ، أوهمها انه أمر لهما فيها بجواهر ، وكتب اليه يأمره بقتلها ، فاستراب (المتلمس) من الكتابين وعرض كتابه على غلام من أهل الحيرة ، فقرأه فإذا فيه أمر بقطع يديه ورجليه ، ودفنه حيّا ، فزقه ، ورماه في نهر الحيرة ، وقال لطرفة : ادفع اليه صحيفتك يقرأها ، فأبى وذهب الى البحرين فقتله عامل (عمرو بن هند) . وهرب المتلمس الى بصرى

١ الشعر والشعراء (١/ ١٤٣ وما بعدها) ، (فمن يلق خيرا) ، أمالي المرتضى (٢/ ٢٤٦) .

٢ بروكلمن (١/ ١٠٣) .

٣ بروكلمن ، تاريخ الآداب العربية (١/ ٩٣) ، الشعر والشعراء (١/ ١١٢ وما بعدها) ، الخزانة (٣/ ٧٣) ، (بولاق) .

فهذا أوان العرض جن ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس
السيوطي ، شرح شواهد (١/ ٢٩٨) ، الاشتقاق (١/ ١٩٣) ، البيان (١/ ٣٧٥) .

واستقر هناك الى أن مات بها . وضرب المثل بصحيفة المتلمس^١ .
و (المتلمس) من (ضبيعة أضجم) ، وقد نسبت الى (الحارث الأضجم) ،
وكان قديم السؤدد فيهم ، كانت تجيى اليه أناتهم^٢ .
وقد ذكر (العيني) أن البيت المنسوب الى (المتلمس) ، وهو البيت الذي
ضرب به المثل ، فقبل صحيفة المتلمس ، ونصه :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

ليس من نظم المتلمس ، ولم يقع في ديوان شعره ، وإنما هو لأبي مروان
النحوي ، قاله في قصة المتلمس حين فرّ من عمرو بن هند . وكان قد هجا
عمرو بن هند ، وهجاه أيضاً طرفة بن العبد ، فقتل طرفة وفرّ المتلمس . وبعد
البيت المذكور :

ومضى يظن بريد عمرو خلفه خوفاً وفارق أرضه وقلاها^٣

ويحتمل على رأي (بروكلمن) أن تكون قصة الصحيفة مختلفة ، وكذلك
القصيدة التي ورد فيها ذلك البيت^٤ .

قال الشريف (المرتضى) : « ويقال ان صاحب المتلمس وطرفة في هذه
القصة هر سيمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح

-
- ١ الشعر والشعراء (١١٢/١ وما بعدها) ، الاغاني (١٢٠/٢١) ، الخزائن (٤٤٦/١) ، (بولاق) ، الميداني ، أمثال (٢٧٠/١) ، أمالي المرتضى (١٨٣/١ وما بعدها) .
 - ٢ الاشتقاق (١٩٢/١) .
 - ٣ العيني ، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية (١٣٤/٤) ، (حاشية على خزائن الادب) .
 - ٤ بروكلمن (٩٤/١) .

طرفة النعمان ، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان^١.
وفي شعر المتلمس ما يتعلق بأخبار القبائل ، وفيه هجاء لعمر بن هند . وهو
من الشعراء المقلين . قال أبو عبيدة : واتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية
ثلاثة : المتلمس ، والمسيب بن علس ، وحصين بن الحمام المري^٢ . وذكر
أنه أخذ يهجو (عمرو بن هند) من منفاه ، ويحرض قوم طرفة على الطلب بدمه.
فن جملة ما قاله قصيدته :

إن العراق وأهله كانوا الهوى فإذا نأى بي ودهم فليعد

ولما تهدده (عمرو) ، وحلف أن وجده بالعراق ليقتلنه وإن لا يطعمه حب
العراق ، قال المتلمس :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق إذا ديس الكراديس^٣

وبقي ببصرى حتى هلك بها ، وكان له ابن يقال له : عبد المدان ، أدرك
الاسلام ، وكان شاعراً ، هلك ببصرى ولا عقب له^٤ .

وكان طرفة بن العبد وخاله المتلمس وفدا على (عمرو بن هند) ، فترلا منه
خاصة ونادماه ، ثم انهما هجوا بعد ذلك ، فكتب لهما كتابين الى البحرين وقال
لها : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصا لتقبضاها . فخرجا من عنده ، والكتابان
في أيديهما ، فرآ بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفاً يقضي حاجته ، وهو
مع ذلك يأكل ويتفلى ، فقال أحدهما لصاحبه : هل رأيت أعجب من هذا الشيخ ؟
فسمع الشيخ مقالته فقال : ما ترى من عجيبي ؟ أخرج خبيثاً ، وأدخل طيباً ،
وأقتل عدواً ، وإن أعجب مني لمن يحمل حتفه وهو لا يدري . فأوجس المتلمس
في نفسه خيفة وارتاب بكتابه . ولقيه غلام من الحيرة فقال : أنقراً يا غلام ؟

١ أمالى المرتضى (١٨٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (١١٥/١) .

٣ الخزائن (٧٥/٣) ، (بولاق) .

٤ الشعر والشعراء (١١٥/١) ، (دار الثقافة) .

قال : نعم . ففرض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه عليه ، فإذا فيه : إذا
أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حياً . فأقبل على طرفة فقال : تعلم والله ،
لقد كتب فيك بمثل هذا . فلم يلتفت الى قول المتلمس ، وألقى المتلمس كتابه
في نهر الحيرة وهرب الى الشام ، وأخذ يهجو عمرو بن هند^١ .

ورويت القصة بشكل آخر خال من التزيق والتنميق نوعاً ما . ذكرت ان
« المتلمس وطرفة بن العبد هجوا عمرو بن هند ، فبلغه ذلك ، فلم يظهر لهما
شيئاً ، ثم مدحاه فكتب لكل منهما كتاباً الى عامله بالحيرة (؟) ، وأوهم انه
كتب لهما فيه بصلة . فلما وصلا الحيرة ، قال المتلمس لطرفة : إنا هجوناه ،
ولعله اطلع على ذلك ، ولو أراد أن يصلنا لأعطانا ! فهل ندفع الكتابين الى من
يقرأهما ، فإن كان خيراً وإلا ندرنا . فامتنع طرفة ، ونظر المتلمس الى غلام قد
خرج من المكتب فقال : أنحسن القراءة ؟ قال : نعم . فأعطاه الكتاب ففتحه ،
فإذا فيه قتله . ففر المتلمس الى الشام وهجا عمراً هجاءً قذعاً . وأتى طرفة الى
عامل الحيرة بالكتاب فقتله^٢ . وقد حلت الحيرة في هذه القصة في محل البحرين ،
وصار العامل القاتل عامل الحيرة ، وخلت من ذكر الشيخ .

وطرفة هو القاتل في قصيدة له :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكان النبي إذا استراث الخبر يتمثل بعجز هذا البيت من هذه القصيدة^٣ .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وحفظ المال خير من بقاءه وجول في البلاد بغير زاد

وقوله :

ولا يقيم على ذل يُراد به إلا الأذلان : غير الحي ، والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (١/ ٢٩٥ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٥) ، (فراج) .
- ٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/ ٣٧١) ، الشعر والشعراء (١/ ١١٢) .
- ٣ المرزباني ، معجم (٦) .

وقوله :

ولو غير أخوالي أرادوا تقيصتي جعلت لهم فوق العرائن ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفته بكفٍ له أخرى فأصبح أجلما^١

وذكر أن النبي كتب لعينة بن حصن كتاباً ، فقال : يا محمد أتراني حاملاً
الى قومي كتاباً كصحيفة المتلمس . أي لا أحمل الى قومي كتاباً لا علم لي بما
فيه . وقد أشير الى (صحيفة المتلمس) في شعر الفرزدق^٢ ، وفي شعر شعراء
آخرين^٣ .

ونسب الى (المتلمس) قوله :

وأعلمُ علمَ حقٍ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العتادِ
لحفظ المال أيسرُ من بُغاهٍ وضربٍ في البلادِ بغير زادِ
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد^٤

وله شعر في الأقارب ذكره له الجاحظ في كتاب الحيوان^٥ .

والمسيب بن علس ، واسمه (زهير بن علس) ، وإنما لقب بالمسيب بقوله :

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق^٦

و (المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن قامة) ، هو من (جماعة) ،
وهم من (بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار) ، ويكنى (أبا الفضة) ، وهو
خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته . واسمه : (زهير بن علس) . وإنما
سمي (المسيب) لبيت قاله ، هو :

فإن سرّكم ألا تؤوب لقاحكم غزاراً فقولوا للمسيب يلحق

-
- ١ بلوغ الارب (١١٢/٣) وما بعدها .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٧/١) .
 - ٣ الحيوان (٨٥/٢) .
 - ٤ الحيوان (٤٧/٣) .
 - ٥ (١٣٦/٣) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١٠٨/١) .

وهو جاهلي لم يدرك الاسلام ، من شعراء بكر بن وائل المعدودين . وكان امتدح بعض الأعاجم ، فأعطاه ، ثم أتى عدواً له من الأعاجم يسأله ، فسمته فأت ، ولا عقب له^١ .

وقد ذكر (الحمداني) ان الأعشى يجتذي في شعره على مثال (المسيب) ، وكان الأعشى راويته^٢ .

وله قصيدة قالها في (القعقاع بن معبد بن زراراة) ، فيها :

فلأهدين مع الرياح قصيدة مني مغلفة الى القعقاع
أنت الذي زعمت معد أنه أهل التكرم والتدى والباع^٣

وقد أورد (الحمداني) له قصيدة زعم أنه قالها في مدح (زيد بن مرب) ، أو في مدح ابن ابنه (زيد بن قيس بن زيد) أولها :

كلفت بليلي خدين الشباب وعالجت منها زماناً خبالاً
لها العين والجيد من مغزل تلاعب في القفرات الغزلاً

وقد ذكر (الجاحظ) شعراً قال انه لغيلان بن سلمة الثقفي ، هو :

في الآل يخفضها ويرفعها ربيع كأن متونه السحل
عقلاً ورقاً ثم أردفه كليل على ألوانها الحمل
كدم الزعاف على مآزرها وكأنهن ضوامراً لاجل

وعقب عليه بقوله : « وهذا الشعر عندنا للمسيب بن علس »^٤ .

وقد نشر ديوان (المسيب بن علس) في سلسلة نشرات (ك ب) Gibb بلندن سنة (١٩٢٨م)^٥ .

١ الاشتقاق (٣١٦) ، الخزائن (٥٤٥/١) ، الشعر والشعراء (١٠٧/١) ، ابن

سلام ، طبقات (٣٦) ، القاب الشعراء (٣١٥) ، الخزائن (٩/٢) ، (بولاق) .

٢ الاكلیل (٣٠٧/٢) ، الشعر والشعراء (١٠٨/١) ، أمالي المرتضى (٥٦٠/١) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٣٦) .

٤ الاكلیل (٣٠٤/٢) وما بعدها .

٥ الحيوان (٣٣٥/٦) .

٦ بروكلمن (١٥١/١) . Gibb, Memorial, London 1928.

ومن شعراء اليامة : (ذو الكف الأشل) ، واسمه (عمرو بن عبد الله بن حنيفة) من بني قيس بن ثعلبة ، يكنى أبا جلان ، فارس شاعر جاهلي، توعده (بنو حنيفة) فقال فيها شعراً^١ .

و (الفند) ، هو (شهل بن شيان بن ربيعة بن زَمان بن مالك بن صعب) الزماني من شعراء الجاهلية. وله قصيدة في حرب البسوس^٢. وهو من (بني حنيفة): وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب، أي حرب البسوس، فكتب بنو بكر بن وائل الى بني حنيفة يستنصرونهم ، فأمدوهم بالفند الزماني في سبعين رجلاً ، وكتبوا اليهم إنا قد بعثنا اليكم ألف رجل^٣ .

ومن الشعر المنسوب اليه ، قوله :

كففتنا عن بني هند وقلنا : القومُ إخوانُ
عسى الأيام ترجعهم جميعاً كالذي كانوا
فلما صرح الشرُّ وأضحى وهو عريان
شددنا شدة الليث عدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع وتوهينُ وارنان
وطعن كفم الزرق وهى والزرق ملانُ

وقد وردت هذه الأبيات في (الخزانة) بشيء من الاختلاف^٤ .

و (عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرّ بن الدئل) الحنفي ، من بني حنيفة ، وهو شاعر جاهلي^٥ ، وكذلك كان (عمرو بن الذارع) الحنفي من الشعراء الجاهليين^٦ .

-
- ١ المرزباني ، معجم (١٤) .
 - ٢ الحماسة (٢١/١) ، الخزانة (٥٧/٢) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩٤٤/٢) ، الاغانى (١٤٣/٢٠ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٠٧) ، الحماسة ، للبحري (٧٤) الحماسة لابي تمام (٦/١) .
 - ٣ الخزانة (٥٧/٢ وما بعدها) .
 - ٤ الحيوان (٤١٥/٦ وما بعدها) ، الامالي ، للقالبي (٢٦٠/١) .
 - ٥ الخزانة (٥٨/٢) .
 - ٦ المعجم ، للمرزباني (٤٠) .
 - ٧ المعجم ، للمرزباني (٤١) .

ومن شعراء اليمامة أيضاً (موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد)
الحنفي اليمامي . وكان جاهلياً نصرانياً ، يلقب بـ (أزيق) اليمامة . ويعرف
بـ (ابن ليلى) ، وهي أمه . وهو شاعر كثير الشعراء ، وعرف أيضاً بـ (ابن
الفريرة)^٢ . وورد أنه كان من الشعراء الاسلاميين^٣ .

ومن شعراء اليمامة : (مجاعة بن مرارة بن سلمى^٤ بن زيد بن عبيد بن ثعلبة
ابن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة) الحنفي اليمامي ، وكان من رؤساء
حنيفة ، وأسلم ووفد ، وأعطاه الرسول أرضاً باليمامة يقال لها (العورة) ، وكتب
له كتاباً بذلك ، وكان بليغاً حكيماً ، وكان ممن أسر يوم القيامة ، فأشير على
(خالد) باستبقائه فأبقاه ، وكان قد انضم الى (مسيلمة)^٥ .

ومن شعراء اليمامة (ثمامة بن اثال) ، وكان من ساداتها ، ولما أسلم قطع
الميرة عن أهل مكة ، وكانوا قد عتبوا عليه لدخوله في الاسلام ، حتى شق عليهم
ذلك ، فكتبوا الى الرسول : انك تأمر بصلة الرحم ، وإنا قد هلكنا ، فكتب
الى ثمامة ان خل اليهم الحمل ، فخلاه اليهم . وكان قد ثبت على الاسلام ، ولم
يرتد مع مسيلمة . وتوفي سنة (١٢) للهجرة^٦ . وذكر من شعره قوله :

دعانا الى ترك الديانة والهدى مسيلمة الكذاب اذا جاء يسجع
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا له في سبيل الفبي والغبي أشنع^٧

وأشير الى شاعرة من شاعرات (بنى عجل) اسمها (حسينة) ، وكان
(عمرو بن الحارث بن أقيش) المكي ، قد أسرها ، في يوم العذاب في الجاهلية ،
وهو يوم أغارت فيه (بنو عبد مناة بن أد بن طابخة) على عجل وحنيفة بأرض

-
- ١ المرزباني (٢٨٥) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) .
 - ٢ الخزائن (١٤٦/١) ، (بولاق) ، المؤلف (١٦٥) ، الاغاني (١٠٧/١٠) ،
الحيوان (٢٨٠/٤) .
 - ٣ الحيوان (٢٨٠/٤) ، (حاشية ٥) .
 - ٤ وقيل سليم .
 - ٥ الاصابة (٢٤٢/٣) ، (رقم ٧٧٢٤) ، المرزباني ، معجم (٤٤٢) ، خليفة بن خياط
كتاب الطبقات (٦٦) .
 - ٦ الاصابة (٢٠٤/١) ، (رقم ٩٦١) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيـا
البغدادي (٢٨٣) .
 - ٧ الاستيعاب (٢٠٨/١) ، (حاشية على الاصابة) .

جو باليامة ، ففادها أخوها (أبحر بن جابر بن بجير بن شريط) العجلي بمائة من الإبل وخمسة أفراس^١ .

وإذا تجوزنا فأدخلنا (الحيرة) في جملة هذه القرى ، وجب اعتبار (عدي بن زيد) العبادي ممثلها الأول ، إذ لم يبلغ أحد مبلغه في الشعر من بين رجال هذه المدينة . فهو المقدم على جميع شعراء الحيرة التي كان يفد إليها الشعراء ، ولأكثرهم ذكريات مع ملوكها ، الذين كانوا يجزلون العطاء لمن يمدحهم ويكيل لهم بالثناء ، لا لمجرد حب الاستماع الى المدح والثناء والإطراء ، بل لما لشعر المديح ولشعر الهجاء من أثر كبير في حياة ذلك اليوم ، فالشعر هو من أهم وسائل الإعلام في ذلك الوقت ، وللدعاية والإعلام وجلب الناس نحو الممدوح أهمية كبيرة بالنسبة الى رجال الحكم والسياسة في كل زمان ومكان ، إن كذباً وإن صدقاً ، فالسياسي يريد تحقيق سياسته ، بأية وسيلة كانت ، حتى إن كانت بالكذب والغش والتزوير ، فالشعر من وسائل الخدمة السياسية التي استعان بها ملوك الحيرة في بسط نفوذهم في جزيرة العرب .

و (عدي بن زيد) العبادي هو ابن الحيرة ، فهو لسان هذه المدينة ، أما بقية الشعراء ، فقد كانوا يأتون هذه المدينة ، لنيل صلة أو لقضاء أمر ، ثم يعودون الى ديارهم ، ومنهم من كان يطيل المقام بها ، فيتأثر بثقافتها وبمحيطها حسب قابلياته وسرعة استجابته للمؤثرات الخارجية . وبظهر انه كان لأهل الحيرة ولعرب العراق عامة ذوق خاص في الشعر ، ولهم حب لتنوع البحور ، والتزام البحور السهلة المؤثرة ، وميل الى التنوع في الوزن ، والتعبير أحياناً عن بعض أفكار مستمدة من البداوة ، والظهور بلون محدد من التراث المحلي^٢ .

يقول (غرونيباوم) : « وليس من الغريب أن نجد التفنن في الأوزان الشعرية في العراق أغنى مما كان عليه في أي مكان آخر ، وذلك لأن أجيالاً كثيرة هي التي عاشت في المدينة وفي البلاط ، ونزعت بطبيعة وضعها الى التحسين في تلك الفنون ، ولكن الغريب المدهش حقاً ان نرى أبا ذؤاد يعرض علينا أغنى تنوع عروضي في الشعر العربي القديم ، لأن شعره جاء على اثني عشر بحراً . وإذا

١ المرزباني ، معجم (٣٧) .

٢ غرونيباوم (٢٦٤) .

عدينا أمر التنوع في الأوزان ، وجدنا هذه المدرسة قد أكثرت من بحر الرمل ، ولا يستعمل هذا البحر في الشعر القديم إلا أبو ذؤاد في ثلاث قصائد ، وطرفة في ثلاث قصائد ، وعدي في سبع قصائد ، والمثقب في واحدة ، والأعشى في اثنتين. ولا يستثنى من هذا الحكم أيضاً إلا امرؤ القيس ، القصيدة ١٨ . وأقول ان هذه الحقيقة تقوي الرواية التي تقول انه كان راوية لأبي ذؤاد ^١ .

وقد لفت نظره وجود هذا البحر : بحر الرمل في العراق ، ونمسه بالخير بصورة خاصة ، وعلى ذلك بقوله : « ان الرمل استعير من الوزن البهلوي الثماني مقاطع كما صورّه (بنفيسسته) (المجلة الآسيوية ٢ : ٢٢١ ، ١٩٣٠) ، وانه عدل على نحو يلائم العروض العربي . والحق ان ليس من عقبة داخلية تقف دون القول بوجود أثر فارسي في النسق الشعري العربي ، في المناطق المجاورة للدولة الفارسية والتابعة لها ، ولأؤيد هذه النظرية أحيل القارئ على بحر المتقارب ، فقد أثبت (بنفيسسته) انه مشتق من البحر البهلوي Hendekasyllabic ذي الأحد عشر مقطعا اثباتاً يكاد لا يقبل الشك ^٢ .

ولاحظ (غرونبوم) أن الخاصية العروضية الثانية لمدرسة الخيرة هي نزوعها الى بحر الخفيف ، وعند أبي ذؤاد منه خمس عشرة قصيدة ، وعند عدي سبع ، وعند الأعشى خمس ، ولم يستعمل هذا البحر عند الشعراء المعاصرين إلا على نحو عارض ^٣ . ولكننا نجد بحر الخفيف في شعر (عمرو بن قبيصة) ^٤ ، وفي شعر للمرقش الأكبر ^٥ ، والمرقش الأصغر ^٦ ، وفي شعر لعبيد ^٧ ، وفي شعر ينسب لعامر ابن الطفيل ^٨ ، ومعلقة الحارث بن حلزة ^٩ .

ويعتبر (شوارتز) بحري الرمل والخفيف نوعاً من الإيقاع الفارسي ، انتقل الى العربية . أما تأثير الشعر الساساني في الأعشى فيشهد به قطعة (بهلوية) طبعها

-
- ١ غرونبوم (٢٦٥ وما بعدها) .
 - ٢ غرونبوم (٢٦٥ وما بعدها) .
 - ٣ غرونبوم (٢٦٦) .
 - ٤ القصيدة ٦ و ٩ (لايل) .
 - ٥ المفضليات (٤٨) .
 - ٦ المفضليات (٥٩) .
 - ٧ عبيد (١١) و (٢٧) .
 - ٨ القصيدة (٥) ، والقطعة (١٤) ، (لايل) .
 - ٩ غرونبوم (٢٧٧) .

(بنفنيسته) وترجمها، وقطعة أبي دؤاد ١٤ ، و ١٨ ، وما فيها من إشارة الى اليزرة ، تدلان على أثر الحضارة الساسانية في العراق .

وقد تعرض (بروكلمن) لموضوع تأثير الشعر الجاهلي بمؤثرات أجنبية ، فأنكر ذلك ، إذ قال : « وأما ما زعمه بعض العلماء من أن مؤثرات أجنبية أثرت في فن الشعر القديم ، فليس هناك ما يؤيده ، نعم يريد بورداخ أن يرجع النسيب العربي الى شعر القصور اليونانية بالاسكندرية ، لأن أكثر النسيب العربي يقال في عشق النساء المتزوجات ، كما هو الحال عند شعراء ملوك الإسكندرية، ويتصور انتقال هذه الصناعة الى العرب عن طريق شعراء الملوك في الشام والعراق . ولكن مثل هذه الآيات الغزلية ، التي تشبه النسيب في مطلع القصائد وإن لم تبلغ بعد نمواً كاملاً ، يعرفها أيضاً شعر التكرية في أوائل القصائد المطولة وفي أواخرها .

ولا شك أنه من قبيل المصادفة والاتفاق أن يبدو في قصيدة للمسيب بن علس، يتكرر فيها ست مرات هذا الخطاب : ولأنت ، صدى ورنين لأسلوب الأنشودة القديم الذي يتميز به أكنوستوس تيوس . كما وضع ذلك الأستاذ نوردن^٢ .

ونرى في الشعر العراقي وفي شعر سواحل الخليج ، أي العربية الشرقية ، ذكراً للبحر وللسفين . وفي شعر طرفة قوله :

كأن حدوج المالكية غدوة خلایا سفین بالنواصف من دَدِ
عدولية أو من سفین ابن یامن یجورُ بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حَبَابَ الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقابل باليد^٣

وصف للبحر ولسفن رجل يظهر انه كان يهودياً صاحب سفن ، ولا نجد هذا الوصف أو الالتفاتة الى البحر في شعر الشعراء القاطنين البوادي، أو الذين لم يروا النهرين الكبيرين في العراق أو ساحل الخليج . فهذا الوصف هو من خصائص

١ فانتحي مثل ما انتحي باز دجن جوعته القناص للدراج

الاغاني (٩٥/١٥) ، من الخفيف .

٢ اذا شاء فارسه ضمه كما ضم باز اليه الجناح

غرونبوم (٣٠٢) .

٣ بروكلمن (٦٢/١) .

٤ البيت رقم (٣) وما بعده من معلقته .

البلاد التي تكون على سواحل البحار .

وليس وجود السهولة في الشعر العراقي مثل شعر (عدي بن زيد) ، أو في شعر أهل القرى ، بأمر غريب . وقد عبر عنها بالليونة كذلك . فالخضارة ، أي الحياة في القرية أو في المدينة ، أو حياة أهل المدر ، هي ليونة وسهولة في حد ذاتها بالنسبة الى حياة البوادي والبراري ، حيث الخشونة والغلظة في الحياة ، ومن ثم صار الأعرابي غليظاً فظاً خشناً ، يتكلم بعنجهية لا يفهمها أهل المدر والاستقرار ، فيتصورونها فظاظه منه وغلظة ، وانسان على هذا النحو من الطبع أو التطبع ، لا بد وأن يكون شعره خشناً مثله ، فالشعر تعبير عن احساس نفسي ، وعن انعكاس لثقافة المرء ولتربيته الناتجة عن محيطه ، ولهذا نجد شعر شعراء القرى يختلف عن شعر أهل البوادي ، بألفاظه وبأسلوب نظمه وبمعانيه وبروحه الحضري .

وقد وصف شعر (عدي) بالليونة ، ونسبوا ذلك الى سكنه الحضر . « وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكنائه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير ، وإلا فهو مقل »^١ . وقالوا عنه « وعدي من الشعراء مثل سهيل في النجوم : يعارضها ، ولا يجري معها . هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة في أيدي الناس ، ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها »^٢ . وقيل عن شعره : « والعرب لا تروي شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانياً من عباد الحيرة ، قد قرأ الكتب »^٣ . وقد أرادوا بالكتب ، الكتب المقدسة التوراة والأنجيل والكتب النصرانية الأخرى . ولم يشيروا الى لغتها ، والأغلب أنها كانت بالإرامية التي كانت شائعة في العراق وبين نصارى المشرق ، ولكني لا استبعد احتمال وجود بعض منها باللغة العربية ، لأن غالبية أهل الحيرة كانت تتكلم بها ، ولا سيما الطبقة الحاكمة التي هي من صلب عربي . فلا يستبعد احتمال ترجمة بعض الكتب لهم بالعربية ، للوقوف عليها .

قال (أبو عبيدة) « إن العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، فلا بد أن يكون أساس الشعر عندهم على صميم العربية

١ العملة (١٠٤/١) .

٢ العملة (١٠٤/١) ، الاغانى (١٨/٢) .

٣ الشعر والشعراء (١٠٤/١) ، (الثقافة) .

من لسان مضر ، وما عدا ذلك فهو مما تبعث عليه فطرة صاحبه ، ولكن العرب لا يبالون به ولا يروونه ، وعلى هذا مشى المتأخرون في الاحتجاج بالشعر العربي ، فالعلماء لا يرون شعر عدي بن زيد حجة ، لأنه كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف ، فثقل لسانه ؛ وهذا الاعتبار يحدد لنا منشأ الشعر^١ . ولكننا لو تصفحنا شعر الشواهد، نجد أن فيه شعراً من شعر عدي ، استشهد به في القواعد^٢ ، وقد ذكر (الجاحظ) أن (أبا إلياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دؤاد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي »^٣ .

والواقع ان شعر (عدي) أقرب إلينا من شعر أهل البادية ، وأسهل فهماً ، وفيه معان حضرية لا نعتز عليها في شعر شعراء أهل الوبر ، ونجد في شعره ألفاظاً معربة ، استشهد بها (الجواليقي) في كتابه المعرب ، وذلك دليل على تأثره بمحيطه وبلدته التي كانت عربية نبطية فارسية ، تلعب بها تيارات ثقافية متباينة ، وهو يخالف شعراء البوادي ، في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة ، وميله الى الأعاريض القصيرة ، ثم في أسلوب خرياته الشبيهة بخمريات الأعشى وحسان بن ثابت ، ثم يخالف شعراء نجد في أفكار الزهد والتصوف التي ترد في شعره ، والتي لا ترد ولا تخطر على بال الشاعر الأعرابي^٤ .

وعدي بن زيد العبادي ، هو (عدي بن زيد بن حماد بن أيوب) ، وقيل : (عدي بن زيد بن حمار (حماز) بن زيد بن أيوب بن مجروف (محروف) ابن عامر بن عصبه (عصبه) بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم) ، وقيل : عدي بن زيد بن أيوب بن حمار (حماد) (حماز) ، أحد بني (امرئ

١ الرافعي (٨/٢ وما بعدها) ، الاغاني (٩٧/١٥) ، الشعر والشعراء (١٥٠ وما بعدها ، ١٦٢) .

٢ شرح شواهد المفنى ، للسيوطي (٦٥٨/٢) .

٣ البيان والتبيين (٣٢٣/١) .

٤ كارلو نالينو (٩٠ وما بعدها) .

القيس بن زيد مائة بن تميم^١ . وكان كاتباً لكسرى على ما يجتبي من الغور ، وكان سبب ملك النعمان بن المنذر . وكان كسرى مكرماً له محباً ، وكان عدي أنبل أهل الحيرة وأجودهم منزلة ولو أراد أن يملكه كسرى على الحيرة ملكه ، ولكن كان يحب الصيد واللهو ، ولم يكن راغباً في ملك العرب^٢ . وعرف بـ (أبي سودة)^٣ .

وجدت عدي أول من سمي من العرب بأيوب ، وجده (جمار) (حماد) (حماد) أول من كتب من العرب ، لأنه نزل الحيرة فتعلم الكتابة منها . وذكره الجمحي في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، وقال : هم أربعة رهط ، فحول شعراء ، موضعهم من الأوائل ، وإنما أدخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة ، طرفة وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدي بن زيد^٤ . وذكر أن (حماد) ، كان أول من تعلم الكتابة (من بني أيوب) وكتب للنعمان الأكبر^٥ .

وكان لعدي بن زيد عدو من أهل الحيرة يقال له : (عدي بن أوس) من (بني مرينا) ، سبق أن تحدثت عنه ، أوغر صدر (النعمان) على عدي حتى حبسه بالصنمين ، سجن بظاهر الكوفة ، فقال عدي بن زيد شعره كله أو أكثره في الحبس حتى مات به^٦ . وكان موته من جملة أسباب القضاء على حكم النعمان^٧ .

- ١ وتجده اختلافاً بين النسخ المطبوعة في ضبط الاعلام ، في مثل « حماد » و « مجروف » و « عصبه » ، وذلك بسبب ، اختلاف النسخ الخطية الاصلية في ضبط هذه الاسماء لتحريف وقع بها من النساخ ، فاخذ كل محقق ما وجده في نسخته ، أو في النسخ ، وبسبب الأخطاء المطبعية ، راجع الشعر والشعراء (١٥٠/١ ، ١٥٣) ، (الثقافة) ، (حماد) ، و « حماد » في معجم الشعراء ، للمرزباني (٨٠) ، (اخراج عبد الستار أحمد فراج) ، (حماد) ، (كذا في اوهي احدى روايتين في اسمه ، وجعلها الشنقيطي « حماد » بالدال ، ويروي « حماد » و « حماد » ، أسماء المغتالين (١٤٠) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، طبقات ابن سلام (١١٧) ، الاغانى (١٧/٢) ، الخزائن (١٨٤/١) ، الموشح (٧٢) .
- ٢ المرزباني ، معجم (٨٠ وما بعدها) ، (فراج) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، رسالة الغفران (١٤٦ وما بعدها) .
- ٣ رسالة الغفران (١٨٦ ، ٢٠٣) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧١/١ وما بعدها) .
- ٥ الشعر والشعراء (١٥٣/١) .
- ٦ كتاب أسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، لمحمد بن حبيب (١٤٠ وما بعدها) ، (تحقيق عبد السلام هارون) .
- ٧ السيوطي ، شرح شواهد (٦٥٨/٢ وما بعدها) .

وقد ذكر عنه علماء الشعر ، انه كان نصرانياً هو وأهله ، وليس معدوداً من الفحول ، وعيب عليه أشياء . « وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم ، يعارضها ولا يجري معها. وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت . ومثلها عندهم من الاسلاميين الكميست والطرماس »^١ . وقيل عنه انه « كان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف ، فنقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة ، وله أربع قصائد غرر احداهن :

أرواح مودع أم بُكور لك ؟ فاعمد لأي حال نصير »

والثانية :

أتعرفُ رسم الدار من أم معبدٍ نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

والثالثة :

لم أرَ مثلاً للفتيان في غبن الد أيام ينسون ما عواقبها

والرابعة :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا^٢

ومن شعره :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فلإن القرين بالمقارن مقتدي

يقال ان رسول الله قال : كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر : إن القرين بالمقارن مقتدي^٣ .

ومن الأخباريين من نسب القصيدة التي مطلعها :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧١/١) ، الخزانة (١٨٤/١) ، (بولاق) .
 - ٢ الشعر والشعراء (١٥٠/١) وما بعدها ، (الثقافة) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (٨٢) ، (فراغ) .

الى (سودة بن عدي) ، غير أن معظمهم يرى أنها لعدي^١ .
وذكر (أبو العلاء) المعري ، أنه شاهد بعض الوراقين ببغداد ، يسأل عن
قافية (عدي بن زيد) العبادي ، التي أولها :

بكر العاذلات في غلس الصبر يح يعاتبه أما تستفيق

وأن (ابن حاجب النعمان) ، وهو أبو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم ، سأل
عن هذه القصيدة وطلبت في نسخ من ديوان عدي ، فلم توجد ، ثم سمع بعد
ذلك أن رجلاً من أهل (أستراباذ) ، يقرأ هذه القافية في ديوان (العبادي) ،
ولم تكن في النسخة التي في دار العلم^٢ . وقد أورد (المعري) قصائد من شعره
في رسالة الغفران^٣ ، وأشار الى بعض ما نحل عليه ، وإلى بعض ما نسب إليه ،
ونسب الى غيره^٤ .

وقال الأصمعي : كان عدي لا يحسن أن ينعت الخيل ، وأخذ عليه قوله في
صفة الفرس : فارهاً متتابعاً . وقال : لا يقال للفرس (فاره) إنما يقال له
جواد وعتيق ، ويقال للكوند والبعغل والحمار : فاره^٥ . ووصف الخمر بالخضرة ،
ولم يعلم أحد وصفها بذلك . وهو أول من شبه أباريق الخمر بالطباء^٦ . وقالوا
عنه انه ممن أقر على نفسه بالزنا . وأوردوا له أبيات شعر في ذلك^٧ .

وفي شعر (عدي بن زيد) ، زهد الرهبان وتصوف المتصوفين ، فيه تذكير
بالآخرة وتزهيد في الدنيا ، ووعظ بمصير محزن يلحق المفرورين العتاة المتجبرين
كالمصير الذي لحق الملوك الطففاة والأقوام الخالية ، ولا سيما في القصيدة التي
يقول فيها :

-
- ١ الخزانة (١/١٨٣ وما بعدها) .
 - ٢ رسالة الغفران (١٧٣ وما بعدها) .
 - ٣ (ص ١٨٦ وما بعدها) .
 - ٤ رسالة الغفران (٣٣٥) .
 - ٥ الشعر والشعراء (١/١٥٤) ، (الثقافة) .
 - ٦ الشعر والشعراء (١/١٥٥) ، (الثقافة) .
 - ٧ الشعر والشعراء (١/١٥٦) ، (الثقافة) .

أين كسرى كسرى الملوك أنوشتر^١ وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
 وبنو الأصغر الكرام ملوك السر وم ؟ لم يبق منهم مذكور
 وأخو الحضّر إذ بناءه وإذ دجلة تجبي إليه والخابور
 شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكسور
 لم يهبه ريب المنون فبان الملك عنه فبابه مهجور
 وتبين ربّ الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي تفكير
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
 فارعوى قلبه وقال فما غيطة^٢ حيّ إلى الممات يصير ؟
 ثم بعد الفلاح والملك والنعمة وارتهم هناك القبور
 ثم صاروا كأنهم ورق جف فالتوت به الصبا والدبور^٣

وورد أن (هشام بن عبد الملك) ، كان في مجلس فخيم ، فحدثه (خالد
 ابن صفوان) بحديث ملك الحيرة الذي اغتر بهذه الدنيا ، ثم أنشده قصيدة عدي
 ابن زيد) ، التي منها :

أيها الشامت المعير بالدهر أنت المبرأ الموفور ؟
 أم لديك العهد الوثيق من الأيام ، بل أنت جاهل مفرور

حتى أتم انشادها عليه ، فبكى وتأثر^٤ . وورد في رواية أخرى أن قائل هذا
 الشعر هو : أحد بني تميم (عدي بن سالم) المري العدوي . وقد ذكر ذلك
 (السهيلي) ، لكنه عاد بعد ذكره الشعر ، فقال : « والذي ذكره عدي بن
 زيد في هذا الشعر هو النعمان بن امرئ القيس جدّ النعمان بن المنذر . وأول
 هذا الشعر :

أرواح مودع أم بكور فانظر لأيّ ذاك تصير

قاله عدي وهو في سجن النعمان بن المنذر وفيه قتل^٥ . وروي أن (يونس

١ العقد الفريد (٣/١٩١) ، ابن هشام ، سيرة (١/٥٦) ، (حاشية على الروض) ،
 ٢ الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٤ وما بعدها) .
 ٣ الروض الانف (١/٥٨) .

النحوي) ، كان يقول : « لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذا »^١ ،
أي القصيدة المذكورة .

وفي شعره الذي قيل انه قاله للنعمان بن المنذر ، وكان قد نزل معه في ظل
شجرة موققة ليلهو النعمان هناك ، مثال على الحث على الزهد والابتعاد عن الدنيا
والافتناع ببندھا والترهب في هذه الحياة . يتحدث فيه على لسان الشجرة ، مخاطباً
الملك ، قائلاً له بعد أن أرى ما عليه من الأنس والحبور : أيها الملك ؟ أبيت
اللعن ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : وما الذي تقول ؟ قال : تقول :

من رآنا فليحدث نفسه انه مُوفٍ على قرن زوالٍ
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صُمُ الجبال
ربَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يمزجون الحمرَ بالماء الزلال

الى أن يقول :

ثم أضحوا عَصَفَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

قالوا : فتنقص النعمان ، ونزع ملكه ، وخلعه عنه ، وترهب. الى غير ذلك
من أشعار له ، فيها هذا المعنى من الترغيب في الزهد والابعاد عن لذائذ الدنيا^٢.

وه حكي عن النعمان بن المنذر، أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد العبادي
فر بأرام - وهي القبور ، فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام ؟
قال : لا . قال : إنها تقول :

أيها الركب المخفون ن على الأرض تمرون
لكمّا كنتم فكنّا وكما كنّا تكونون^٣

والشعر المنسوب الى (عدي) السلي أدى على حدّ قول علماء الأخبار الى

١ بلوغ الارب (١١٩/٣) .

٢ المبرد ، الكامل (٢٩٤/١) ، المعتمد (٢٢٣/١) ، الجمان في تشبيهات القرآن
(٣٠٨) ، المحاسن والاضداد (٣٦) .

٣ المحاسن والاضداد (٣٥) .

أعراض (النعمان) السائح عن ملكه، وهروبه الى البراري ليعيش فيها عيشة الرهبان، هو شعر لا يمكن أن يكون من شعر (عدي) ، لأن شاعرنا لم يكن كبير السن آنذاك حتى يصدر منه مثل هذا الشعر ، كما أنه لم يكن على اتصال وثيق بملك الملك في ذلك العهد . ولعلّه من الشعر المصنوع ، الذي وضع عليه . وهو شيء كثير . ولو قالوا إنه نظمه، وهو في سجنه حكاية عن قصة قديمة ، لكان كلامهم هذا أقرب الى العقل وأسهل للتصديق ، لأنه كان قد كبر في العمر ، وفي موقف يمكن أن يصدر منه مثل هذا الشعر .

وهو شعر سلس سهل جميل ذو معان عميقة لطيفة ، تتحدث عن تجارب رجل خبر الأيام ، وعاش في نعيم ورفاه ، حتى وصل مركزاً عالياً في بلده ، وإذا به يجد طريقه الى المقابر ، فيقبر بها وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فن رأى الثاوين فيها ، ومن نظر الى القبور ، فليحدث نفسه ، أنه سيكون مثلهم ، وانه موف على قرن زوال ، وصروف الدهر لا يبقى لها ، ولا تدوم حال على حال . وقد صار اسلوبه هذا نموذجاً لمن مال الى الزهد والتصوف في الإسلام ، وربما كان الشاعر (أبو العتاهية) ممن تأثر بهذا الشعر المنسوب الى (عدي) .

ولعلّ الأحداث التي وقعت له ، والأيام التي قضاها في سجنه ، حتى جاءته منيته ، وهو فيه ، قد أثرت في نفسيته فجعلته ، يكثر من الزهد في هذه الحياة ، ومن وعظ الإنسان ، بأن يغتر ويتجبر ويتكبر ، فالسعادة لا تدوم لأحد ، والملك لا يخلد للملك أو مالك ، والحياة مهما كانت سعيدة ناعمة ، فإنها قصيرة تمرّ البرق خاطفة ، فعلى المتجبر أن يتعلم العبر من حياة الماضين ومن الأمم العظيمة ، ومن الجبابرة ، من أمثال : الأكاسرة وملوك الروم ، وصاحب الحضرة ، ومن حياة من شاد القصور ، وإذا به يتركها لغيره ، ثم يدفن في حفرة ضيقة ، فيخاطب النعمان صاحبه والشامتين به ، الحساد الذين وشوا به حتى أصابه ما أصابه ، ويقول لهم جميعاً ، وهو قابع في سجنه :

أيها الشامت المعيرُ بالدهر سر أنت المبرأ المفسور
أم لديك العهد الوثيق من الأبر سام بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المتونَ خلدنَ أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى: كسرى الملوك أنوشر وان أين قبله سابور ؟

الى أن ينتهي منها ، بقوله :

ثم صاروا كأنهم ورق جـ فـ فألوت به الصبا والدبور

وهي قصيدة نظمت بالبحر الخفيف .

قال (الملاحظ) : « وقال عدي بن زيد العبادي ، وهو أحد من قد حُمل
على شعره الحمل الكثير ، ولأهل الحيرة بشعره عناية ، وقال أبو زيد النحوي :
لو تمنيت أن أقول الشعر ما قلت إلا شعر عدي بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيام عمره تروحُ له بالواعظات وتغتدي
فنفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تغو الذي بك يقتدي
فإن كانت النعماء عندك لامرئ فتلاً بها فاجز المطالب أو زد
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي
ستدرك من ذي الجهل حقك كله بحلمك في رفقٍ ولما تشدد
وظلم ذوي القربى أشدّ عداوة على المرء من وقع الحسام المهند
وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر اذا خطرت أيدي الرجال بمشهدٍ

ورود ان (عمر بن الخطاب) تمثل بشعر عدي :

كدمي العاج في المحاريب أو كالـ سبيض في الروض زهره مستنير^١

ومن شعراء الحيرة (ابن بقلّة) ، وله شعر ذكر فيه حال الحيرة بعد فتح
المسلمين لها ، إذ يقول :

أبعد المُتذَرِّين أرى سَوماً تروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرمي قلوصاً بين مرّة والحفير

١ الحيوان (١٥٠/٧) .

٢ البيان والتبيين (٤٥/١) .

فصرنا بعد هلك أبي قبيس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسّمتا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدي الحرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذلك الدهر دولته سجال فيوم من مساء أو سرورا

فهو يتأسف على ما وقع للحيرة ، من تسلط قبائل (معد) عليها ، ومن دخولهم في حكمهم ، بعد أن كانوا يحكمون تلك القبائل ، ويجبون الجبايات ، ويظهر من ذكر (قريظة) والنضير في هذا الشعر ، ان حكم الحيرة قد بلغ أرض هاتين القبيلتين ، وذلك إن صح بالطبع ان هذا الشعر هو من شعره ، وانه أصيل غير مصنوع .

وهو (عبد المسيح بن ببيعة) الغساني ، أو (عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن ببيعة) ، وببيعة اسمه (ثعلبة) ، وقيل : (الحارث) . وقد حشر في جملة المعمرين الذين عاشوا ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام ، فلم يسل ، وكان نصرانياً . وله حديث مع خالد ، حين طلب من أهل الحيرة لإرسال رجل من عقلائهم ليكلّمه في أمر المدينة ، فلما جاء اليه قال له : أنعم صباحاً أيها الملك . فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ، ثم سأله أسئلة أخرى ، ثم قال له . أعرب أنتم أم نبيط ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا^٢ ، في حديث منق ، يرويه أهل الأخبار ، وكأنهم كانوا مع خالد وابن ببيعة يسجلون حديثهما بالكلم والحروف .

وقد تطرق (الجاحظ) الى خبر التقاء (عبد المسيح) بخالد بن الوليد ، وروى حديثه منه^٣ . وذكر (المرتضى) أنه لما بنى قصره المعروف بقصر ابن ببيعة قال :

- ١ الطبري (٣/٣٦٢) ، وتجد هذه الأبيات في أمالي المرتضى مع بعض الاختلاف (١/٢٦٢) .
- ٢ الطبري (٣/٣٦٢) ، أمالي المرتضى (١/٢٦٠ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢/١٤٧ وما بعدها) .
- ٣ البيان والتبيين (٢/١٤٧ وما بعدها) .

لقد بنيت للحدثان حصناً لو أن المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح به حيناً^١

وروى (المرتضى) « أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج الى ظهرها بخط
ديراً ، فلما احتقر موضع الأساس ، وأمن في الاحتقار أصاب كهيشة البيت ،
فدخله فإذا رجلاً على سرير من رخام ، وعند رأسه كتابة : أنا عبد المسيح
ابن ببيعة :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أحفل بمعضلة كثود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لاسيل الى الخلود^٢

ومن شعره في الناس وفي تهاقهم والتفافهم حول الغني قوله :

والناس أبناء علات فن علموا ان قد أقل فنجفوا ومهجور
وهم بنون لأم إن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول أوس بن حجر :

بني أم ذي المال الكثير يرونه وإن كان عبداً سيد الأمر جمحفا
وهم لمقل المال أولاد علة وإن كان محضاً في العمومة مخولا^٣

ومن شعراء (تنوخ) عمرو بن عبد الجن بن عائذ الله بن أسعد بن سعد
ابن كثير بن غالب ، وكان فارساً في الجاهلية ، و (بنو عبد الجن) أسرة
معروفة ، كان لها بقية في الكوفة . ومن شعره :

أما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

١ أمالي المرتضى (٢٦٢/١) .

٢ أمالي (٢٦٣/١) .

٣ أمالي المرتضى (٢٦٢/١) وما بعدها .

ثم :

وما سبج الرحان في كل ليلة أيل الأيلين المسيح بن مريما^١

وأدخلوا في هذه الطبقة (جذيمة) الأبرش ، و (لجيم بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل) ، وهو القائل :

من كل ما نال الفتى قد نلتها إلا التحية^٢

وجذيمة الأبرش ، هو (جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو) ملك الحيرة ،
والأبرش لقب له ، ويقال له الوضاح^٣ ، وهو خال (عمرو بن عدي) ، وكان
يتادم عدياً ، وكان له نديمان هما : مالك ، وعقيل ، بقيا معه أربعين سنة ،
ثم قتلها وندم ، ويضرب بهما المثل لطول ما نادماه . وقد قتلت الزباء جذيمة^٤ .
وقد شاء أهل الأخبار عدة شاعراً من الشعراء وأوردوا له شعراً ، كما سبق أن
تحدثت عنه في أثناء حديثي عن مملكة الحيرة ، وعن اسطورة صلته بالزباء . ولو
جعلناه شاعراً : لوجب علينا تقديمه على كل الشعراء الجاهليين .

وقصة شعره اسطورة من أساطير أهل الأخبار ، فلو كان له شعر ، لوجب
أن يكون يعربية أخرى ، هي العربية التي دون بها شاهد قبر (امرئ القيس)
ملك الحيرة ، الذي توفي سنة (٣٢٨) للميلاد أي بعد (جذيمة) بأمد ، وشعره
هو من شعر تبابعة اليمن وآدم والجن من صنع الرواة وأهل الأخبار .

وترى في شعر الأعشى ، وأمية بن أبي الصلت ، و (عدي بن زيد) ،
وكلهم من شعراء القرى ، قصصاً ، لا تجده في الشعر المنسوب الى غيرهم من
الشعراء . قصصاً نصرانياً وقصصاً يرد عند اليهود ، وقصصاً من قصص الأساطير
والخرافات ، أو مما يتعلق بالأشخاص ، كالذي ينسب الى الأعشى من سرده
حكاية السموأل وقصره في قصيدته التي يقول فيها :

-
- ١ الخزانة (٣/ ٣٤٠ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٢ المزهر (٢/ ٤٧٦) ، أسماء المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، نوادر
المخطوطات (المجموعة السادسة) (ص ١١٢ وما بعدها) .
 - ٣ البيان والتبيين (١/ ٣٦٢) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٧٠ ، ٢٧٨) .

كن كالسموأل اذ طاف المهام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلى الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار^١

وقد وصف فيها سموأل وحصنه ، وقصة وفاته ، وما كان قد جرى من
حوار بينه وبين الملك الغساني المطالب بأدرع الكندي ، وترى من قراءتك لها ان
النظم نمط غير مألوف في شعر غيره من الشعراء ، الأبيات فيها مكملّة لما قبلها
متصلة بعضها ببعض ، بحيث لا يمكن أن تفصل بينها ، وإلا اختل المعنى ، وظهر
فراغ فيه . وهو شيء غير مألوف عند غيره . فالبيت على حد قول علماء الشعر
شعر مستقل قائم بنفسه ، لا يؤثر حذفه أو تقديمه أو تأخيرها على المعنى ولا على
ارتباط الأبيات بعضها ببعض ، أما في هذه القصيدة ، فكل بيت فيها تابع لسابقه ،
متصل بمعناه بمعناه ، لأنه جزء منه ، فلا يمكن حذف شيء من القصيدة دون ان
يؤثر في معناها .

ونجد في شعره قصصاً عن سد مأرب ، وعن تدمر وإغراقه من كان يسكن
عنده بالماء ، ذكر ذلك ليكون عبرة وأسوة للمؤتسى ، وهو قصص بني على
حادث تدمر ذلك السد^٢ .

وفي شعر الأعشى قصص إرم وعاد وطسم وجديس ، وأهل جو^٣ ، ووبار^٤ .
وهو قصص رصعه الأخباريون بشعر نسبوه الى (هزيلة) امرأة من (جديس) ،
والى (عميرة بنت غفار الجديسية) ، في قصص عن الملوك القدماء ، وكيف
أنهم كانوا يدخلون على العذارى قبل ادخالهم على أزواجهم ، في قصص ينسب
الى ملوك آخرين ، مثل ملوك اليمن^٥ . وهو قصص نجد له مشابه عند الأمم
الأخرى .

ومن شعراء (غسان) : (الشيخم بن الحارث) الغساني ، وهو من الأسرة
الحاكمة ، كان قد قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم

-
- ١ الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب (٤٣٦/١) .
 - ٢ راجع البيت (٦٧ فما بعده) من القصيدة رقم (٤) ، وديوانه (ص ٤٣) .
 - ٣ الخزانة (٢٧٠/٢) وما بعدها ، (هارون) .
 - ٤ الخزانة (٢٧١/٢) وما بعدها ، (هارون) .

فلحق بالحيرة ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوي الى خربة من خراب الحيرة ،
فبينما هو ذات يوم في تطوافه إذ سمع قائلاً يقول :

لما الله صعلوكاً إذا نال مذقة توسد إحدى ساعديه فهو ما
مقيماً بدار الهون غير مناكراً إذا ضم أغضى جفنه ثم برشما
يلوذ بأذراء الثاريب طامعاً يرى المنع والتعيس من حيث بما
يضم بنفس كدراً البؤس عيشها وجود بها لو صانها كان أحزما
فذاك الذي إن عاش عاش بدلة وإن مات لم يشهد له الناس مأتما
بأرضك فاعرك جلد جنبك إنني رأيت غريب القوم لحماً مؤضماً

فكانه نبيه من رقدة ، فتحايل الى صاحب خيل المتلتر ، وتقرب اليه ، وأظهر
له أنه رجل من أهل (خبير) ، أقبل الى هذه البلدة بتجارة فأصاب بها ، وله
بصر بسياسة الخيل ، فضمه الى بعض أصحابه ، حتى إذا وافق غرة من القوم ،
ركب فرساً جواداً من خيل المتلتر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض ، حتى نزل
بحي من بهراء فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورحلاً وسيفاً ، وخرج حتى أتى
الشام فصادف الملك متبدياً ، وكان إذا تبدى لا يُحجب أحد عنه ، فأتى قبلة
الملك فقام قريباً منه ، وأنشأ يقول :

يا صاحب الخيل الجياد المقربه وصاحب الكتيبة الموكبه
والقبّة المنيعه المحجبه وواهب المضمة المريبه
والكاعب البهكنه المؤنبه والمائة المدفأة المتخبه
والضارب الكبش فوق الرقبه تحت عجاج الكبّة المكتبه
هذا مقام من رأي مُطلّبه لديك إذ عمى الضلال مذهبه
ونخال أن حنّفه قد كربه

فأذن له الملك ، فدخل عليه ، وقص قصته ، ثم بعث الى أولياء المقتول
فأرضاهم عن صاحبهم^١ .

١ ذيل الاماني (١٧٩ وما بعدها) .

وفي شعر شعراء القرى ، ميزة امتازوا بها عن شعر شعراء أهل البوادي، هي ان أبيات القصيدة عندهم ليست على نحو أبيات القصيدة عند بقية الشعراء من استقلال الأبيات بنفسها ، وقيامها بذاتها بحيث يمكن رفع الأبيات من مواضعها وتقديمها أو تأخيرها ، أو حذفها ، دون أن يؤثر ذلك على وحدة القصيدة أو المعنى . ففي شعر (الأعشى) مثلاً ، ترابط بين الأبيات واتصال بين البيت المتقدم والبيت الذي يليه ، بحيث لا يمكن حذف أحدهما ورفع ، دون أن يؤثر حذفه على المعنى ، كذلك يتعذر علينا في بعض شعره نقل البيت عن موضعه ، وقد يأتي الأعشى بالفعل في بيت ثم يأتي بفاعله أو بمفعوله في البيت التالي ، أو يأتي بفعل الشرط في بيت ويأتي بخبره بعد بيت أو بيتين^١ . ويرد التضمين في شعره ، كما نجد (الاستدارة) فيه كذلك ، والاستدارة توالي مجموعة متلاحمة من الأبيات تجري على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه في معناه ، ولكن المعنى التام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها . وهو أسلوب يثير السامع ويشوقه ، ويجعله يتتبع الكلام حتى يبلغ منتهاه^٢ .

وأشعر شعراء (البحرين) الذين ذكرهم (ابن سلام) : المثقب العبدى ، والممزق العبدى ، والمفضل بن معشر^٣ .

و (المثقب العبدى) واسمه (عائد بن محصن بن ثعلبة) ، من (بني عبد القيس) ، من شعراء الجاهلية ، وإنما سمي مثقباً لقوله :

ظهرون بكلة وسدلتن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون^٤

وذكر (ابن قتيبة) ان اسمه (محصن بن ثعلبة)^٥ ، وقيل اسمه شأس بن عائد

١ ديوان الاعشى ، المقدمة (ص ظ) .

٢ ديوان الاعشى ، (غ) .

٣ طبقات (٦٩) .

٤ رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون
الشعر والشعراء (٣٥٦) ، طبقات الشعراء (٢٢٩) ، الخزائن (٤٣١/٤) ،
السيوطي ، شرح شواهد (١٩٠/١) وما بعدها .
٥ ظهرون بكلة وسدلتن رقما وثقبن الوصاوص للعيون
تابع العروس (١٦٦/١) ، (ثقب) ، القاب الشعراء (٣١٦) .
الشعر والشعراء (٣١١/١) ، (طبعة دار الثقافة) .

ابن محسن ، وقيل اسمه نهار بن شأس ، وكان يكنى أبا وائلة . وهو من شعراء البحرين^١ .

« وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة له ، ويقول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه ، وفيها يقول :

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني
ولا تعدي مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني
فلاني لو تعاند في شمالي عنادك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ولقلت بيني كذلك اجتوى من يجتويني
فلما أن تكون أخي محتي فأعرف منك غي من سميني
ولا فاطرحني واتخذني عدواً أتفك وتثقيني
فما أدري إذا محمت أرضاً أريد الخير أهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني^٢

وتحدث عنه (ابن قتيبة) ، فقال : « وهو قديم جاهلي ، كان في زمن عمرو بن هند ، وإياه عني بقوله :

الى عمرو ومن عمرو أتني أخي الفعات والحليم الرزين

وله يقول :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهي وأنت القتي في سورة المجد ترتقي
وأنجب به من آل نصر ممدع أغرت كلون الهندواني رونق^٣

ويرى (بروكلمن) ، ان (ابن قتيبة) إنما أخذ رأيه المذكور من البيت المتقدم المذكور في المفضليات ، ولكن الأصمعي يعارض ذلك ، فقد مدح المثقب أبا قابوس النعمان بن المنذر^٤ .

١ المرزباني ، معجم (١٦٧) ، الخزانة (٤ / ٤٢٩ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (١ / ٣١١ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١ / ٣١٢) ، المرزباني ، معجم (٣٠٣) .

٤ بروكلمن ، (١ / ١١٥) ، البيت ٤١ من القصيدة ٧٦ ، المفضليات .

فان أبا قابوس عندي بلاؤها جزاء بنعمي لا يحل كنودها
البيت ١٤ من القصيدة ٢٨ في المفضليات .

والمثقب العبدى ديوان مطبوع ، كما يوجد له شرح^١ . ومن شعره :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة فلا فابداً إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لها بنجاح القول إن الخلف ذم^٢
واعلم بأن الدم نقص للفتى ومنى لا تنقي الدم تلم
أكرم الجار وراع حقه إن عرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعاً في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم
إن شر الناس من يكشر لي حين يلقاني وإن غبت شتم
وكلام سيء قد وقرت عنه أذناي وما بي من صم
فتعديت خشة أن يرى جاهل أنى كما كان زعم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنى أبقي وإن كان ظلم^٣

وأما (الممزق) العبدى ، فاسمه (شأس بن نهار بن أسود) ، وإنما سمي
(الممزق) ببيت قاله :

فلان كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق^٤

وهو ابن أخي المثقب العبدى ، وكان معاصراً لأبى قابوس النعمان بن المنذر^٥ .
قال عنه (ابن قتيبة) : « وهو جاهلي قديم ، قال البيت المذكور في قصيدة
قالها لبعض ملوك الحيرة^٦ . وذكر انه قالها للملك عمرو بن هند ، حين هم يغزو
عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه^٧ . وقيل انه عرف بالممزق
ببيته :

- ١ حقه الشيخ محمد حسن آل يسين ، (بغداد ١٩٥٦ م) ، بروكلمن (١١٥/١) .
- ٢ الخزائن (٤٣١/٤) ، (بولاق) .
- ٣ بلوغ العرب (١٢٤/٣) .
- ٤ ابن سلام ، طبقات (٧٠) ، الاشتقاق (٣٣٠) ، الامدي ، المؤلف (١٨٥) ،
القاب الشعراء (٣١٦) ، الفضليات (٢٣٢/٢) .
- ٥ بروكلمن (١١٩/١) ، القاب الشعراء (٣١٦) ، المرزباني (٤٩٥) ، المزهر
(٤٣٥/٢ وما بعدها) ، الحيوان (٢٩٨/٢) ، (٤٤١/٥) .
- ٦ الشعر والشعراء (٣١٤/١) ، المرزباني ، معجم (٤٨١) ، الاصمعيات رقم (٥٠) .
- ٧ البيان والتبيين (٣٧٥/١ وحاشية رقم ٤) ، جمهرة ابن حزم (٢٨٢) .

فمن مبلغ النعمان ان ابن أخته على العين يعتاد الصفا ويمزق^١

وقد نسب (السيوطي) على هذه الصورة : (شأس بن نهار بن الأسود بن جبريل بن عباس بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه بن بكرة) العبدى ، ثم البكري^٢ . ومن شعره :

أحقاً أبيت اللعن إن ابن فرتنا على غير إجرامٍ بريقي مُشرقي
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق
فأنت عميد الناس مها نقل ققل ومها تضع من باطلٍ لا يحقق
أكلتني أدواء قومٍ تركتهم فألا تداركني من البحر أغرق
فإن يعمنوا أشتم خلافاً عليهم وإن يتهموا مستحقّي الحرب أعقي^٣

ومما ينسب إليه :

هل للفتى من بنات الدهر من واقٍ أم هل له من حمام الموت من واقٍ

وقوله :

هون عليك ولا تولع باشفاقٍ فإنما مالنا للوارث الباقي^٤

ونجده يذكر في شعره صراخ الديك ، ولا نجد للديك ذكراً عند الأعراب ، لأنهم لا يربون الدجاج ، وتربية الدجاج من خصائص الحضرة . تراه يقول :
وقد تخذت رجلاي في جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق
أنىخت بجوٍّ يصرخ الديك عندها وباتت بقاعٍ كادىء الثبت سملق^٥

وذكر (المرتضى) أن من شعره قوله :

ألا منّ لعينٍ قد نأها حميمها وأرقتني بعد المنام همومها

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| ١ | بلوغ الارب (١٢٤/٣) . |
| ٢ | شرح شواهد (٦٨٠/٢) وما بعدها . |
| ٣ | الشعر والشعراء (٣١٤/١) . |
| ٤ | بلوغ الارب (١٢٥/٣) . |
| ٥ | الحيوان (٢٩٨/٢) . |

فبانت لها نفسان شتى همومها فنفسٌ تعزبها ونفس تلومها
وذكر أن من العلماء من ينسبه لعقر بن حار البارقي^١ .

ومن شعراء (عبد القيس) : (سويد) و (يزيد) ابنا (خذاق) . قال
عنها (ابن قتيبة) : « وهما قديمان ، كانا في زمن عمرو بن هند . ويزيد القائل :

نعمانُ إنك غادرٌ خدعٌ يخفي ضميرك غير ما تُبدي
فلذا بدا لك نحتٌ أثلتنا فعليكها إن كنتَ ذا جدٍ
وهزئت سيفك كي تحاربنا فانظر بسيفك من به تردي

وله شعر في الموت وفي ذم الدنيا ، قال عنه (أبو عمرو بن العلاء) إنه
« أول شعر قيل في ذم الدنيا »^٢

وكان يزيد قد هجا (النعمان بن المنذر) فبعث اليهم النعمان كتيبته (الدوسر)
فاستباحتهم ، فقال أخوه سويد :

ضربت دوسرٌ فينا ضربة أثبتت أوتاد مُلك فاستقر
فجزاك الله من ذي نعمة وجزاه الله من عبد كفر^٣

ومن شعره قوله في (عمرو بن هند) :

أبى القلبُ أن يأتي السديرَ وأهله وإن قيل عيشٌ بالسدير غزير
به البق والحُمى وأسدُ خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور

وهو القائل أيضاً :

جزى الله قابوسَ بن هند بفعله بنا وأخاه غدره وأثاما
بما فجّرنا يوم العطيف وفرقا قبائل أحلافاً وحيّاً حراما
لعلّ لبّون الملك تمنع درها ويبعث صرف الدهر قوماً نياما
ولا تغاديني المنية أغشكم على عدوّاء الدهر جيشاً لهما^٤

١ امالي المرتضى (٣٢٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٢/١) .

٣ الاشتقاق (٢٠٠/٢) .

٤ الشعر والشعراء (٣٠٢/١ وما بعدها) .

وكانت عبد القيس ونعيم على اتصال بملوك المناذرة الذين كان يفوذهم يمتد الى البحرين واليمامة في بعض الأحيان ، فكانت جيوش الحيرة في نزاع مستمر مع هذه القبائل التي كانت تنفر من دفع الإتاوة ومن الخضوع لآل لحم . ونجد أخبار هذا النزاع في شعر شعرائها ، وهي أخبار لا نجدها في كتب التواريخ المألوفة ، التي لم تحفل بالشعر ، فضاع عليها قسط كبير من تأريخ الحيرة ، حصلنا عليه لحسن حفظنا من كتب الشعر والأدب التي دونت أخبار الشعراء ودونت المناسبات التي قيل فيها ذلك الشعر .

الفصل الثاني والستون بعد المئة

شعراء قریش

ويزعم أهل الأخبار أن العرب كانت تقرر لقریش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقرر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها^١ . وذكر أن قریشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الاسلام . ويؤيد هذا الرأي أننا نجد أكثر من ذكر الرواة أسماءهم وأشعارهم من الشعراء الجاهليين إنما هم من غير قریش^٢ .

وذكر أهل الأخبار ان المنافسة التي كانت بين قریش والأوس والخزرج ، أهل يثرب ، دفعت أهل مكة على صنع الأشعار لتغلب بها على الأنصار . « يروي الناس لأبي سفيان بن الحارث قولاً يقوله لحسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
وان أحق الناس ان لا تلومه على اللوم من ألقى أباه كذلكا

أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا محمد بن سلام ، قال : وأخبرني أهل العلم من

١ الاغانى (٢٥/١) ، ابن سلام ، طبقات الشعراء (١٠) .
٢ مجلة المجمع العلمي العراقي ، جواد علي ، لهجة القرآن الكريم (المجلد الثالث)
(الجزء الثاني ١٩٥٥ م) ، (ص ٢٧٨) .

أهل المدينة ان قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مطعون الجمحي قالها ونحلها
أبا سفيان . وقريش تزيد في أشعارها تزيد بذلك الأنصار والرد على حسان ^١ .
وهناك أخبار أخرى في هذا المعنى تفيد نحل الشعر وضمه الى شعراء مكة، لتباهي
به على يثرب .

ولا نجد بين الشعراء البارزين من أصحاب المعلقات شاعراً واحداً هو من قريشة
كذلك لا نجد من بين شعراء الطبقات المتقدمة من فحول الشعراء الذين قدمهم
علماء الشعر على غيرهم شاعراً هو من أهل مكة . . وهذا هو تفسير قول أهل
الأخبار المتقدم ، الدال على تأخر قريش بالنسبة الى بقية العرب في قول الشعر ،
أما لو أخذنا قولهم المذكور ، وصرفناه على أهل القرى ، فلأننا نجد مكة متقدمة
فيه ، لأنها انجبت عدداً لا بأس به من الشعراء بالقياس الى الطائف، التي اشتهرت
بشعر شاعرها (أمية بن أبي الصلت) ، ولكنها لا تداني مكة في عدد من
ظهر بها من الشعراء ، وبالقياس الى (نجران) والى قرى اليمامة . أما بالنسبة الى
يثرب ، فقد برز يثرب شعراء ، هم أكثر عدداً وشهرة من شعراء مكة .

وقد وصف (ابن سلام) شعر قريش بقوله : « وأشعار قريش أشعار فيها
لينٌ يشكل بعض الأشكال » ^٢ . وذلك حين تحدث عن شعر (أبي طالب)
وعن شعر (الزبير بن عبد المطلب) ، وعما وضع الناس من شعر عليهما .

ويذكر أهل الأخبار ، ان قريشاً كانت في الجاهلية دون غيرها من العرب ،
تعاقب شعراءها اذا هجا بعضهم بعضاً ، كما كانت ترمي من يروي المثالب ويقع
في أعراض الناس بالحق ، فتسقط منزلته بين الناس، ولهذا قلّ فيها شعر الهجاء ^٣ .
ويذكرون ان أهل مكة لما أصبحوا يوماً وعلى باب الندوة مكتوب :

ألمى قصياً عن المجد الأساطيرُ ورشوة مثل ما ترشى السفاسيرُ
وأكلها اللحمَ بحثاً لا خليط له وقولها رحلت عير أنت عير

أنكر الناس ذلك ، وقالوا ما قالها إلا (ابن الزبيري) ، وأجمع على ذلك

١ ابن سلام ، طبقات (٦٢) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٠ وما بعدها) .
٣ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٤١٣/١) .

رأيهم ، فمشوا الى (بني سهم) ، وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاً ، فقالوا لبني سهم : ادفعوه الينا نحكم فيه بحكمنا . قالوا : وما الحكم فيه ؟ قالوا قطع لسانه ، قالوا : فشأنكم . واعلموا والله انه لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا به مثل ذلك . وكان (الزبير بن عبد المطلب) يومئذ غائباً نحو اليمن ، فخاف بنو قصي أن يقول شيئاً من هجاء ، فيؤتى اليه مثل ما أتى الى ابن الزبير ، وكانوا أهل تناصف ، فأجمعوا على تخليته فخلوه^١ .

وقد أحصى (جرجي زيدان) عدد الشعراء الجاهليين بنحو من (١٢٠) شاعراً على اختلاف القبائل والبطون . وقد وجد أن عشرة شعراء منهم هم من قريش^٢ . معظمهم ان لم نقل كلهم كان ممن عاش عند ظهور الإسلام ، وقد اشتهر بالشعر وعرف به لموقفه المعادي من الإسلام ، ولاضطرابه على مهاجسة النبي والمسلمين دفاعاً عن عقيدته ، ولهذا كان معظم شعره في هجاء المسلمين ، وفي الرد عليهم وفي الفخر بقومة وتعدد مآثرهم ومناقبهم والدفاع عنهم .

قال (ابن سلام) : « وبمكة شعراء ، فأبرعهم شعراً عبدالله بن الزبير ابن قيس بن عدي بن ربيعة بن سعد بن سهم ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، شاعر ، وأبو سفيان بن الحارث ، شاعر ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية ، شاعر ، وضرار بن الخطّاب ، شاعر ، وأبو عزة الجمحي ، شاعر ، واسمه عمر بن عبدالله ، وعبدالله بن حذافة السهمي المزرق ، وهبيرة بن أبي وهب ابن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم »^٣ .

ونجد في كتب السيرة والأخبار شعراً لعبد المطلب ، من جملته قوله :

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم غدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك^٤

١ ابن سلام ، طبقات (٥٧ وما بعدها) .

٢ تاريخ آداب اللغة العربية (٢٧٥/١) وما بعدها) ، (شعراء العصر الاموي) .

٣ طبقات (٥٧) .

٤ ابن هشام ، سيرة (٤٤/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الحيوان (١٩٨/٧ وما بعدها) ، ويختلف النص في الموارد .

ومن شعراء قريش (أبو لييد بن عبدة بن جابر) ، وكان أحد فرسانها في الجاهلية^١

و (أبو طالب) ، عم النبي . وقد أدخلناه في عداد الشعراء ، لوجود شعر ينسب إليه ، ورد أكثره في سيرة (ابن اسحاق) ، ولوجود ديوان مطبوع نسب إليه . واسمه (عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي) ، وقيل اسمه (عمران) ، وقيل اسمه كنيته^٢ . قال عنه (ابن سلام) : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل»^٣

ولد قبل النبي بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات (عبد المطلب) وصي بالنبي إليه ، فكفله ، وسافر به الى الشام، وهو شاب ، ولما بُعث الرسول كان لا زال حياً ، وقد اختلف في اسلامه^٤ ، وتوفي في السنة العاشرة من المبعث^٥ .

وقد ذكر (ابن هشام) قصيدة لأبي طالب ، قال انه قالها في (المطعم بن عدي) يعرض به ، ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش منها قوله :

ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه يرش على الساقين من بوله قطر^٦

وأورد (ابن هشام) له قصيدة أخرى ، ذكر انه قالها في مدح قريش ، لما رأى (أبو طالب) من قومه ما سره في جهودهم معه وحديثهم عليه . فقال :

- ١ الاشتقاق (٧١) .
- ٢ الاصابة (١١٥/٤) وما بعدها ، (رقم ٦٨٥) .
- ٣ ابن سلام ، طبقات (٦٠) .
- ٤ الخزائن (٧٥/٢) ، (عبد السلام محمد هارون) ، (٢٥١/١) وما بعدها ، (بولاق) .
- ٥ الخزائن (٢٦١/١) ، (بولاق) .
- ٦ سيرة ابن هشام (١٧١/١) ، (حاشية على الروض الانف) .

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها^١

ونسبت له قصيدة^٢ ذكر أنه قالها لما خشي (أبو طالب) دهاء العرب أن
يركبوه مع قومه ، تعوذ بها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها لأشراف قومه ،
وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم الرسول ولا تاركه
أبداً حتى يهلك دونه . إذ يقول :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمر العدو المزابل^٣

وهي قصيدة طويلة ، قال (ابن هشام) في آخرها : « هذا ما صح لي من
هذه القصيدة وبعض أهل العلم ينكر أكثرها »^٤. ويظهر أنها وردت بصورة أطول
في سيرة (ابن اسحاق) ، إلا أن (ابن هشام) طرح منها ما شك في أصله
وما لم يثبت عنده أنه من شعر (أبي طالب) ، واكتفى بهذا القدر الذي دونّه
في سيرته .

وفي جملة ما جاء في القصيدة المذكورة قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقد ذهب (ابن سلام) إلى أن الرواة زادوا في قصيدة أبي طالب وطولوها
فأبعدوا آخرها عن أولها . وتعرض لها (الرافعي) فقال : « وقد يزيدون في
القصيدة ويبعدون بآخرها متى وجدوا لذلك باعثاً ، كقصيدة أبي طالب التي
قالها في النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مشهورة أولها :

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل^٥

-
- ١ سيرة ابن هشام (١٧٢/١) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ سيرة ابن هشام (١٧٣/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الخزائن (٥٧/٢) وما بعدها ، وقد دون القصيدة وشرح أبياتها (عبد السلام محمد هارون)
 - ٣ سيرة ابن هشام (١٧٨/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٤ طبقات ، (٦٠) .

قال ابن سلام : زاد الناس في قصيدة أبي طالب وطولت بحيث لا يدرى أين متنهاها ، وقد سألتني الأصمعي عنها فقلت صحيحة ، فقال: أتدري أين متنهاها قلت لا ، قلنا : وإنما طُوِّلت هذه القصيدة معارضة للطوال المعروفة بالمعلقات حتى لا يكون من شعر الجاهلية ما هو خير مما قاله عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن في أصلها أبياتاً هاشمية نفي بكثير من الطوال ^١ .

وقد تعرض (ابن سلام) - كما قلت - لهذه القصيدة فقال : « وقد زيد فيها وطولت . رأيت في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة : وقد علمت أن قد زاد الناس فيها ، فلا أدري أين متنهاها . وسألني الأصمعي عنها ، فقلت صحيحة . قال : أتدري أين متنهاها ؟ قلت لا أدري ^٢ . ونسب أهل الأخبار لأبي طالب شعراً زعموا أنه قاله لأبي لبب يحرضه فيه على نصرته ونصرة الرسول ، فيه :

ان امرأ أبو عتية عمه لفي روضة ما ان يسام المظالم ^٣

ونسبوا له قصيدة (دالية) ذكروا انه نظمها لما مزقت (الصحيفة) : صحيفة قريش ، التي كتبوها في مقاطعة (بني هاشم) ، أولها :

ألا هل أتى بحرنا صنع ربنا على نايهم والله بالناس أورد
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وان كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد ^٤

وقد أورد (الزبير) منها هذه الأبيات :

جزى الله رهطاً من لؤي تنابعوا على ملا يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى جنب الحطيم كأنهم مقاوله ، بل هم أعز وأجدا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً فسر أبو بكر بها ومحمد
ألم يأتكم ان الصحيفة مزقت وإن كان ما لم يرضه الله يفسد

١ الرافعي ، تاريخ آداب العرب (٣٨٤/١ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٠ وما بعدها) .

٣ سيرة ابن هشام (٢٣٠/١) ، (حاشية على الروض) .

٤ سيرة ابن هشام (٢٣٣/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض الانف) .

أعان عليها كل صقر كأنه شهاب بكفتي قابس يتوقد
جري على حل الأمور كأنه إذا ما مشى في رفرع الدرع أجودا
وهي من الشعر المصنوع .

ونسبوا له قوله :

ودعوتني وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا^١
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

وقوله :

ألا أبلغا غني على ذات بيننا لؤيا وخوصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيأ كموسى خطا في أول الكتب
وان عليه في العباد مودة وخير فيمن خصه الله بالحب^٢

ولأبي طالب شعر ، رثى به (أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن
غزوم) ، وكان قد خرج تاجرا إلى الشام ، فمات في موضع يقال له : «سرو
سحيم» . وكان (أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله) من (أزواد الركب) في
قريش ، وهم ثلاثة : هو و (مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس) ،
و (زمعة بن الأسود بن عبد المطلب) ، وكانوا إذا سافروا لم يتزود معهم
أحد^٣ . وله شعر في رثاء (مسافر)^٤ .

وفي الديوان المطبوع شعر يمكن أن يكون صحيحا ، ولكن أكثره شعر منقول ،
ولا سيما القصيدة (اللامية) الطويلة . فإن القسم الأكبر منها ، لا يمكن أن يكون
من الشعر الأصيل . ويرى (بروكلمن) أن سبب الوضع ، هو رغبة من وضعه
على تزيين سيرة الرسول بمكة ، وفي أوائل عهد النبوة ، بكثير من الأشعار ،

-
- ١ نسب قريش (٤٣١) .
 - ٢ الروض الأنف (٢٢١/١) ، الخزانة (٥٧١/١) وما بعدها ، (بولاق) ، (ودعوتني
وزعمت أنك ناصح) .
 - ٣ الروض الأنف (٢٢١/١) ، الخزانة (٧٦/٢) ، (عبد السلام محمد هارون) .
 - ٤ الخزانة (٤٤٦/٣) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٥ الخزانة (٣٨٦/٤) وما بعدها ، (بولاق) .

بعد أن كثرت الأشعار في سيرته بالمدينة . كما أن للشبعة يدأ في وضع هذا الشعر على لسان (أبي طالب) لإظهاره بمظهر المعاون للنبي المؤيد له ، المؤمن بدعوته في قلبه ولسانه ، تأييداً للإمام (علي) ، الذي هو ابن (أبي طالب)^١ .

ونسب (الجاحظ) له قوله :

أمن أجل حبلٍ لا أباك علوته بمنسأة قد جاء حبل وأحبل^٢

ويروى لعلي بن أبي طالب شعر كثير^٣ . ولا يوجد شك في ان علياً كان مطبوعاً على قول الشعر ، وانه كان ذا شاعرية ، وله مواهب تؤهله لنظمه، كما كان من الحفاظ للشعر ، وقد أورد له أهل الأخبار والأدب شعراً ذكروه في المواضع المناسبة ، كما جمع بعض الأدباء شعره في ديوان ، فهو صاحب شعر ، نظم في المناسبات ، غير انه لم يكن شاعراً بمعنى انه اتخذ الشعر صناعة له ، وانما كان يقوله في المناسبة ، ثم ان في المنسوب اليه ، شعراً كثيراً ، هو موضوع . صنع وحمل عليه . وأكثر ما جاء في الديوان الذي يحمل اسمه هو من هذا القبيل^٤ .

ونظراً الى ما لعلي بن أبي طالب من المكانة في نفوس المسلمين ، ولوجود شبعة له ، فقد اهتم الناس بأمر ديوانه ، وشرحوه شروحاً عديدة ، وترجموه الى لغات مختلفة ، وطبع جملة طبعات ، بحيث نستطيع ان نقول دون مبالغة ، ان ديوان (علي) نال من المكانة والتقدير ما لم ينله أي ديوان آخر ، ليس لما فيه من شعر أو من بلاغة ، بل لحرمة ولمكانة صاحبه . ففي هذا الديوان غث كثير ، وفيه ما لا يمكن ارجاعه الى (علي) أبداً^٥ . قال (أبو عثمان) المازني : « لم يصح عندنا ان علياً تكلم من الشعر إلا هذين البيتين » :

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربك ما برّوا وما ظفروا
فإن هلكتُ فمنّهم ذمتي لهم بذات رواقين لا يعفو لها أثر^٦

-
- ١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) .
 - ٢ البيان والتبيين (٣٠/٣) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (١٣٠) ، (عبد الستار أحمد فراج) .
 - ٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) وما بعدها .
 - ٥ راجع التفاصيل في بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٥/١) وما بعدها .
 - ٦ الفائق (٥١٢/١) .

ونسبوا لعلّي قصيدة في الأيام السبعة منها :

أرى الأحد المبارك يوم سعد لغرس العود يصلح والبناء
وفي الإثنين للتعليم أمن وبالبركات يعرف والرخاء
وإن رمت الحجامة في الثلاثاء فذاك اليوم إهراق الدماء
وإن أحبيت أن تسقي دواء فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس طلاب رزق لإدراك الفوائد والغناء
ويوم الجمعة التزويج فيه ولذات الرجال مع النساء
ويوم السبت إن سافرت فيه وقيت من المكاره والعناء

وقد رويت القصيدة بروايات أخرى^١ .

ونسبوا (لورقة بن نوفل) شعراً ، زعموا أنه قاله حين رآهم يعذبون بلالاً^٢ على إسلامه . منه :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلاهاً غير خالقكم فإن دعيتم فقولوا دونه حدد
سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد^٣

ورقة ، هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، يجتمع مع النبي في جدّ جدّه . ذكر أنه كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب ، وأنه كان حنيفاً على ملة إبراهيم ، وذكر أنه كان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ، ومات في فترة الوحي قبل نزول الفرائض والأحكام ، وروى بعضهم أنه آمن بالرسول وجعله من الصحابة ، وشدد الإنكار على من أنكر صحبته ، وجمع الأخبار الشاهدة له بأنه في الجنة . وهكذا نجد الروايات تجمع على نبذه عبادة الأوثان ، ثم تختلف في أنه كان حنيفاً على ملة الأحناف ، أو نصرانياً . أما زعم إيمانه بالرسول ، وما رواه من الشعر من ذكره اسم الرسول وإيمانه به ، ومن أخباره عنه ، فإنه من الشعر الموضوع المصنوع ، الذي وضع على لسان غيره أيضاً ، بزعم اثبات نبوة الرسول . وفي أكثره ركة .

١ نزهة الجليس (٢٥١/١) .

٢ الخزائن (٣٧/٢) ، (بولاق) ، نسب قريش (٢٠٨) .

وقد نسب بعضه مثل قوله :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغركم أحد

الى غيره . فقليل إنه لأمية بن أبي الصلت ، وقيل انه لزيد بن عمرو بن نفيل .
غير أن (السهيلي) ، و (أبا الربيع) الكلاعي ، والبغدادى يرون أنه له ^١ .
ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

ارفع ضعيفك لا تحرج بك ضعفه يوماً فتسدركه العواقب قد نعى
يجزئك أو يثني عليك وإن من أننى عليك بما فعلت كمن جزى

وقد نسباً أيضاً لزهير بن جناب ^٢ .

ولزيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد الأحناف شعر ، وهو من المتألمين الذين
حاربوا عن مكة طلباً للعلم والمعرفة والدين ، ذهب الى بلاد الشام . وهناك احتك
بالنصارى ، فتعلم منهم أمور الدين . ولعله تعلم السريانية والرومية بها ونظر في
كتب النصرانية ، لما يذكره أهل الأخبار من تعلمه للغتين . وفارق شأن بقية
الأحناف قومه ، وعاب الأصنام والأوثان ، ونسب أهل الأخبار اليه انه كان
يسند ظهره الى الكعبة ثم يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسي بيده ما أصبح
منكم أحد على دين ابراهيم غيري . وكان مثل بقية الأحناف أمثال ورقة بن نوفل ،
وعثمان بن الحويرث ، وعبيد بن جحش وغيرهم ، قد خالفوا قريشاً ، وقالوا :
انكم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع من الأصنام وعابوا عليهم ما هم عليه من التقرب
الى الحجارة . وقد أورد من ترجم حياته شيئاً من شعره ، واستشهدوا ببعضه في
الشواهد ^٣ .

ومن شعر (زيد بن عمرو بن نفيل) في الأصنام قوله :

تركتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتغيها ولا صنمي بني غم أزور

١ الخزانة (٣٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ نسب قريش (٢٠٧ وما بعدها) .

٣ الخزانة (٩٧/٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

ولا هبلاً أزور وكان ربّاً لنا في الدهر إذ حلّمي صغيراً

و (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) ، المعروف بـ (أبي الأعور) ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الصحابة الذين أسلموا قديماً ، من الشعراء وهو ابن (زيد بن عمرو) المذكور . وكان إسلامه قديماً وقبل عمر ، وكان إسلام (عمر) عنده في بيته ، لأنه كان زوج أخته فاطمة ، وقد توفي سنة خمسين ، أو إحدى وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين^١ . ومن شعره قوله :

تلك عرساي تنطقان على عمّدي لي اليوم قول زورٍ وهتر
سالتاني الطلاق ان رأنا ما لي قليلاً قد جثمتاني بنكرٍ
فلعلّي أن يكثر المال عندي ويعرى من المغارم ظهري
وترى أعبدٌ لنا وأواقٍ ومناصيف من خوادم عشر
ونجر الأذيال في نعمة زوٍ ل تقولان ضع عصاك لدهر
ويّ كان من لم يكن له نسبٌ مُحَبَّبٌ ومن يفتقر يعيش عيش ضرٍ
ويجنب سرّ النجي ولكن أخا المال محضر كل سرّ^٢

وكان (نبيه بن الحجاج بن عامر بن حليفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب) شاعراً ، وكان هو وأخوه (منبه) من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم ، وقتلا بيدل كافرين ، وكانا من المطمئنين يوم بدر . وقد رثاهما (الأعشى بن نباش بن زرارة) التميمي ، حليف بني عبد الدار . وكان مداحاً لنبيه بن الحجاج^٣ .

وقد أورد (الزبير) له شعراً منه قوله :

تلك عرساي تنطقان بهجر وثقولان قول زورٍ وهتر
تسالن الطلاق إذ رأتاني قل مالي قد جثمتاني بنكر

-
- ١ الخزانة (٢٤٤/٣) ، (بولاق) .
 - ٢ الاصابة (٤٤/٢) ، (رقم ٣٢٦١) .
 - ٣ البيان (٢٣٥/١) ، الخزانة (٩٩/٣) ، الشمنتري (١٧٠/٢) ، عيون الاخبار (٢٤٢/١) .
 - ٤ الخزانة (١٠١/٣) ، (بولاق) .

فلعلي أن يكثر المال عندي وتخلي من المغام ظهري
وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من ولائد عشر^١

وقال (الزبيري) إن له أشعاراً كثيرة^٢ . وقد رأينا أن هذا الشعر الذي نسب
لنبيه ، قد نسب أيضاً لزيد . وقد نسب صاحب (الحزاة) الشعر لزيد ، ثم
عاد فنسبه لنبيه .

وكان (أبو العاصي) المعروف بـ (الأمين) من حكماء وشعراء قريش ،
وما نسب اليه من شعر قوله :

أبلغ لديك بني أمية آية نصحاء مبينا
أنا خلقنا مصلحين وما خلقنا مفسدين
إني أعادي معشراً كانوا لنا حصناً حصينا
خلقوا مع الجوزاء إذ خلقوا ووالدهم أبونا^٣

وهو العاصي بن وائل ، وكان من أشرف قريش ، وفيه يقول ابن الزبيري :

أصاب ابن سلمى نخلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك راقق^٤
فأوى وحياً إذ أتاه نخلة وأعرض عنه الأقربون الأصادق
فلما أصب يوماً من الدهر نصرة^٥ أتتك وإني بآبن سلمى لصادق
ولا تكن إلا لساني فإنه بحسن الذي أسديت عني لناطق
ثمال يعيش المقترون بفضلهم وسيب ربيع ليس فيه صواعق^٦

وعبدالله بن الزبيري بن قيس بن علي بن ربيعة بن سعيد بن سهم القرشي
السهمي ، من « أشعر قريش »^٧ ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم في الفتح .
وذكر أنه لما فتح رسول الله مكة ، هرب الى (نجران) ، ثم أسلم ومدح النبي ،

١ الاغانى (٦٢/١٦) ، نسب قريش (٤٠٣) وما بعدها .

٢ نسب قريش (٤٠٤) .

٣ نسب قريش (٩٩) .

٤ نسب قريش (٤٠٨) وما بعدها .

٥ تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زبير) ، العملة (٢٣/١) .

فأمر له بحملة^١. وكان يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك . وذكر أنه وكان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه. وكان من أشعر الناس وأبلغهم . يقولون إنه أشعر قريش قاطبة . قال محمد بن سلام : بمكة شعراء فأبرعهم شعراً عبدالله بن الزبير ، قال الزبير : كذلك يقول رواية قريش انه كان أشعرهم في الجاهلية . وأما ما سقط الينا من شعره وشعر ضرار بن الخطاب ، فضرار عندي أشعر منه ، وأقل سقطاً^٢ .

كان (ابن الزبير) من المؤذنين للرسول ، قام يوماً فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ، فافقتل النبي من صلاته ، ثم أتى (أبا طالب) عمه فقال : يا عم ألا ترى الى ما فعل بي ؟ فأخذ (أبو طالب) فرثاً ودماً فلطخ به وجوه القوم الذين كان (ابن الزبير) بينهم . وبقي على عداوته هذه للرسول وفي هجائه له وللمسلمين الى عام الفتح ، فأسلم^٣ .

وقد أشرت الى ما ذكره (ابن سلام) من أمر البيتين اللذين وجدا مكتوبين على باب الندوة ، وهما :

ألمى قصيًّا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحمُ بحثاً لا خليط له وقولها رحلت عيرٌ أنت عير

وما كان من إجماع أهل مكة على انها من قول (ابن الزبير) ليس غير. وذلك بما أهاج أولاد قصي خاصة ، فمشوا الى (بني سهم) رهط (ابن الزبير) طالبين منهم تسليمه لهم ليحكموا فيه حكمهم^٤ .

وفي البيتين ، هجاء مرّ لقصي ولآل قصي ، الذين ألهمهم الأساطير عن المجد، وكانوا يرشون ويرتشون مثل ما ترشى السفاسير ، وهم السامسة ، أولئك الذين يأكلون اللحم . ولا يعرفون إلا كلام : رحلت عيرٌ ، أنت عيرٌ . كلام التجار. فلا يفهمون قولاً غير هذا القول .

-
- ١ الاصابة (٣٠٠/٢) ، (رقم ٤٦٧٩) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٠٠/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، كتاب نسب قريش (٢٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٨ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير القرطبي (٤٠٦/٦) وما بعدها .
 - ٤ طبقات (٥٨) .

ومن شعر (ابن الزبيرى) قصيدته وفي رقعة أحد ، ومطلعها :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

قال وهو مشرك ، فلما أسلم قال :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت^١ إذ أنا بور^٢

وقد أشار في قصيدته في يوم أحد، الى انتصاف أهل مكة من المسلمين بقوله :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
حين ألفت بقاء بركها وعدلنا ميل بدر فاعتدل^٣

وقصيدته في (أحد) من القصائد الجيدة ، وقد دوّنها (ابن هشام) في جملة ما دوّن من الشعر الذي قيل في هذه المعركة . وقد ردّ عليه (حسان بن ثابت) بقصيدة دوّنها (ابن هشام) بعدها^٤ .

وله شعر في مدح النبي ، فيه :

منع الرقاد بلايل^٥ وهموم والليل معتلج^٦ الرواق بهيم
مما أتاني ان أحد لأمني فيه فبت كأنني محموم
ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين رسوم
إني لمعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة سهم^٧ وتأمرني بها مخزوم
فاغفر فدى لك والدي^٨ كلاهما ذنبي فإنك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة^٩ نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم^{١٠}

وهي أبيات نظمها معتزلاً فيها عما كان منه من هجاء الرسول والمسلمين ،

١ السيوطي ، شرح شواهد (٥٤٩/٢) وما بعدها .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥٨) .
٣ سيرة (١٥٧/٢) ، (حاشية على الروض) .
٤ ابن سلام ، طبقات (٥٩) وما بعدها .

ومن وقوفه مع المشركين في مواقفهم المعروفة ، بعد أن سمع بما حل بغيره ممن هجا الرسول من قتل .

ويذكر أهل الأخبار أن (عبدالله بن الزبير) و (ضرار بن الخطاب) القهري ، قدما المدينة أيام (عمر بن الخطاب) ، فأتيا (أبا أحمد بن جحش) الأسدي ، وكان مكفوفاً ، وكان مألفاً يُجتمَع إليه ويتحدث عنه ، ويقول الشعر ، فقالا له : أتيناك لنرسل الى حسان بن ثابت فتناشده ونذاكره ، فإنه كان يقول في الإسلام ويقول في الكفر ، فأرسل اليه ، فجاء فقال : يا أبا الوليد أخواك تطرباً إليك : ابن الزبير وضرار يذكرا نك ويناشدنا . قال : نعم إن شئنا بدأت وإن شئنا فابدأ . قال : نبدأ . فأنشده حتى اذا صار كالرجل يفور قعدا على رواحلهما . فخرج حسان حتى لقي عمر بن الخطاب ، وتمثل بيت ذكره ابن جعدة لا أذكره . فقال عمر : وما ذاك ؟ فأخبره خبرهما . فقال : لا جرم والله لا يفوتناك . فأرسل في أثرهما فرُدّا . وقال لحسان أنشد . فأنشد حسان حاجته . قال له : اكتفيت ؟ قال : نعم . قال شأنكما الآن ، ان شئنا فارحلا وان شئنا فأتيا ^١ .

ومن شعره قوله :

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم
هشام وأبو عبيد مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشبال على القوة والحزم
فلئن أحلف وبيت الله لا أحلف على لثم
لما أن اخوة بين قصور الروم والروم
بأزكى من بني ربيعة أو أوزن في حلم^٢

وكان (الزبير بن عبد المطلب) من فرسان قريش ومن شعرائها ^٣ ، وقد روى (ابن كثير) له شعراً ، ذكر انه قاله فيما كان من أمر الحية التي كانت

١ ابن سلام ، طبقات (٦٠) .

٢ نسب قريش (٣٠٠) .

٣ الاشتقاق (٣٠) .

قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، هو :

عجبت لما تصوبت العقاب الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قننا الى التأسيس شددت تهيننا البناء وقد تهاب
فلما ان خشينا الرجز جاءت عقاب تثلث لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه وليس على مساوينا ثياب
أعز به الملك بني لؤي فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا الملك بذلك عزاً وعند الله يلتبس الثواب^١

وقد وردت هذه الأبيات في سيرة (ابن هشام)^٢ ، أخذت من سيرة (ابن اسحاق) . وهي ولا شك من ذلك الشعر المصنوع الذي انتحل على الشعراء ، وأعطى الى (ابن اسحاق) فأدخله في سيرته ، أسلوبها يتحدث عن نفسه ، ونظمها بعيد عن نظم شاعر عاش في ذلك الوقت .

وقد تعرض (ابن سلام) لشعر (الزبير) ، فقال عنه : « وأجمع الناس على أن الزبير بن عبد المطلب شاعر ، والحاصل من شعره قليل . فا صح عنه قوله :

ولولا الحبش لم يلبس رجال^٣ ثياب أعزة حتى يموتوا ،

ويقال ان :

إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حليأ ولا توصه

للزبير^٣ .

١ تفسير ابن كثير (١/ ١٨١) .
٢ سيرة ابن هشام (١/ ١٣٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
٣ طبقات (٦١) .

وكان (الزبير) شاعراً مقلداً شديد المعارضة مقدح الهجاء ، ولما جاء (عبدالله ابن الزبير) السهمي (بني قصي) رفعوه برمته الى (عتبة بن ربيعة) خوفاً من هجاء (الزبير) فلما وصل (عبدالله) اليهم أطلقه (حمزة بن عبد المطلب) وكساه ، فدحه . وكان (الزبير) غائباً بالطائف أو باليمن ، فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر قال :

فلولا نحن لم يلبس رجالٌ ثياب أعزة حتى يموتوا
ثيابهم سمالٌ أو طمارٌ بها ودكٌ كما دسم الحميت
ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيت^١

وقد كان الخلاء يتزلون على (الزبير بن عبد المطلب)، ومنهم (أبو الطمحان) القيني ، وكان فاسقاً ومن الشعراء^٢ .

وكان (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي) الهاشمي ، ابن عم الرسول وأخيه من الرضاعة من شعراء قريش المطبوعين . وكان ممن يؤذي النبي والمسلمين ، ويهجو رسول الله ، وقد عارضه (حسان بن ثابت) ، ثم أسلم . وكان إسلامه يوم الفتح قبل دخول رسول الله مكة^٣ . قال (ابن سلام) : « ولأبي سفيان بن الحارث شعر ، كان يقوله في الجاهلية فسقط ، ولم يصل إلينا منه إلا القليل ، ولسنا نعدّ ما يروي ابن اسحاق له ولا غيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم . قال أبو سفيان :

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلبُ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدٍ
أنا المدلجُ الحيرانُ أظلم ليلُهُ بعيد أرجى حين أهدى واهتدي
هداني هادي غير نفسي وقادني الى الله من طردت كل مطرد^٤

١ العمدة (٦٦/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٠٤/١) ، (دار الثقافة) .

٣ الاصابة (٩٠/٤) ، (رقم ٥٣٨) ، الاستيعاب (٨٣/٤) ، (حاشية على الاصابة) الاشتقاق (٢٦٠/٢) .

٤ ابن سلام ، طبقات (٦١) ، المرزباني ، معجم (٢٧١) ، ابن سعد ، طبقات (٥١/٤) ، (صادر) ، وتجد فيه بعض الاختلاف في الشعر .

وروي له شعر قاله يوم تعرض المسلمون بقافلة (أبي سفيان) ، ويوم أحد ، وفي المناسبات الأخرى^١ . وله شعر في يوم أحد ، وقد رد عليه حسان بن ثابت^٢ وبقية شعراء المسلمين حيث كانت بينهم وبين شعراء مكة مساجلات . وكان نديماً لعمر بن العاص السهمي ، وكان الحارث بن حرب بن أمية ، نديماً للحارث بن عبد المطلب^٣ ، وكان الحارث بن عبد المطلب من المؤلفة قلوبهم^٤ . ولما توفي الرسول رثاه (أبو سفيان بن الحارث) بقصيدة مطلعها :

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فسيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتزبل فینا يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كريت تسيل
نبي " كان يجلو الشك عنا بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً^٥ علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك غدر وان لم تجزعي ذاك السيل
فقبر أبيلك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول^٦

وقد وضعت أشعار على لسان (أبي سفيان) في هجاء (حسان بن ثابت) . فقد هجا (قتادة بن موسى) الجمحي حسان بن ثابت بأبيات ونخلها (أباسفيان) . و قتادة من الشعراء المخضرمين^٦ .

وضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري من ظواهر قريش ، وكان لا يكون بالبطحاء إلا قليلاً .

- ١ ابن سلام ، طبقات (٦١ وما بعدها) .
- ٢ ابن سلام (٦٢) ، أمالي المرتضى (٦٣٢/١) .
- ٣ المحبر (١٧٧) .
- ٤ المحبر (٤٧٣) .
- ٥ الروض الانف (٣٧٩/٢ وما بعدها) .
- ٦ الاصابة (٢١٧/٣) ، (رقم ٧٠٧٧) .

وكان أبوه رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه . وقد قدمه بعض رواة الشعر من قريش على (عبدالله بن الزبيري) ، وعدّوه من الشعراء المطبوعين المجودين . قاتل المسلمين في الوقائع أشد القتال ، ثم أسلم في الفتح^١ . وهو من الأشراف^٢ . وذكر انه « كان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم .. قال الزبير بن بكار : لم يكن في قريش أشعر منه ومن ابن الزبيري . قال الزبير : ويقدمونه على ابن الزبيري ، لأنه أقل منه سقطاً ، وأحسن صنعة^٣ . وكان من فرسان قريش يوم الخندق .

ولضرار شعر قاله في يوم (بدر)^٤ ، وشعر في رثاء (أبي جهل)^٥ . وأشعار أخرى في أحد وفي الوقائع الأخرى تجدها في سيرة (ابن هشام) .

وكان ضرار جمع من حلفاء قريش ومن مُراق كنانة ناساً ، فكان يأكل بهم ويغير ويُسبي ، ويأخذ المال . وكان خرج في الجاهلية في ركب من قريش فرّوا ببلاد دؤس ، وهم يطالبون قريشاً بدم (أبي أزيهر) ، قتله (هشام ابن المغيرة) ، فثاروا بهم وقتلوا فيهم ، فقاتلهم ضرار ، ثم لجأ الى امرأة منهم ، يقال لها : (أم غيلان) مقيمة تقين العرائس ، فساعدته وساعده بنوها وبناتها ، فلم . ولقي ضرار يوم أحد (عمر بن الخطاب) ، فضربه بعارضة سيفه ، وقال : انج يا ابن الخطاب ، لأنه كان قد آلى أن لا يقتل يومئذ قرشياً ، فلما ولي (عمر) الخلافة ، وسمعت (أم غيلان) بذكر (ابن الخطاب) ظنته ضراراً ، فقدمت المدينة ، فتوسط لها (ضرار) عند الخليفة فأثابها^٦ .

-
- ١ الاصابة (٢٠١/٢) ، (رقم ٤١٧٣) ، الاستيعاب (٢٠١/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، تاج العروس (٢٣٤/٣) ، (زبير) ، كتاب نسب قريش (١٢٦ ، ٢٦٤ ، ٤٣٣ وما بعدها) .
 - ٢ تاج العروس (٣٥٠/٣) ، (ضرر) .
 - ٣ الاستيعاب (٢٠١/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٤ سيرة ابن هشام (١٠٩/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٥ سيرة ابن هشام (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٦٣) .

وكان من مسلمة الفتح ، ومن شعره في يوم الفتح ، قوله :

يا نبيّ الهدى اليك لجأ حي قريش وأنت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إلّٰه السماء
والتقت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلحاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيب حظ رمانا بالنسر والعواء
وغير الصدر لا يهم بشيء غير سفك الدماء وسبي النساء
قد تلفى على البطاح وجاءت عنه هنس بالسوءة السواء
إذ تنادى بذلّ حيّ قريش وابن حرب بدا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت اليه من نهم الخز رج والأوس أنجم المهيّجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في كف الإماء
فأنينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يدير لنا الأمر سر سكوناً كالحية الصماء^١

ومن الشعراء الذين هجوا الرسول والإسلام (هيرة بن أبي وهب) المخزومي .
من فرسان قريش وشعرائها ، وكان مثل (ابن الزبيري) ممن يؤذون الإسلام، فهدر
النبي دمه ، فهرب الى (نجران) حتى مات بها كافراً . وكانت عنده (أم
هانيء) ابنة (أبي طالب) فأسلمت عام الفتح، فقال حين بلغه إسلامها قصيدة
من بينها هذه الأبيات :

أشأقتك هند أم ناكّ سؤاها كذاك النوى أسبابها وانفتاها
وقد أرقّت في رأس حصن ممرّد بنجران يسري بعد نوم خياها
وإن كنت قد تابعت دين محمد وعطفت الأرحام منك حباها

وهي قصيدة رويت في موارد متعددة مع شيء من الاختلاف^٢ .

١ . الاستيعاب (٢/٢٦ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ . كتاب نسب قريش (٣٩ ، ٣٤٤) ، الشعر والشعراء (٨٠) ، الاشتقاق (٩٥) ،
البيان والتبيين (٢/٢٠٣) ، العملة (١/٢٣) .

وأورد (ابن هشام) قصيدة لـ (هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ)
المخزومي ، في معركة (أحد)^١ . وذكر (ابن سلام) أن (هبيرة) ، كان
شاعراً من رجال قريش المعدودين ، وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، فاخله الله
ودحه ، وهو الذي يقول يوم أحد :

قدنا كنانة من أكتاف ذي يمن عرض البلاد على ما كان يُزجىها
قالت كنانة أني تذهبون بنا قلنا النخيل فأموها وما فيها

وله شعر كثير وحديث^٢ .

و (الحارث بن هشام بن المغيرة) المخزومي ، أخو (أبي جهل) وابن
عم (خالد بن الوليد) ، كان من أشرف قومه ، وقد مدحه (كعب بن
الأشرف) اليهودي . وكان فيمن شهد بدرًا مع المشركين ، وفرّ حينئذ وقتل
أخوه أبو جهل ، فعبر بفراره ، فما قيل فيه قول حسان بن ثابت :

إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وجام

فأجابه الحارث :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
فعلمت أني إن أقاتل واحداً أقتل ولا يبكي عدوي مشهدي
ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يومٍ مرصد

ويرى علماء الشعر ان هذه الأبيات أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار^٣ .

١ ابن هشام ، سيرة (١٥٥/٢) ، (حاشية على الروض) .

٢ طبقات (٦٥) .

٣ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) ، « فاعتذر اليه الحارث بن هشام من فراره
يومئذ ، بما زعم الاصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك من فراره » ،
الاستيعاب (٣٠٨/١) ، (حاشية على الاصابة) ، نسب قريش (٣٠١) وما بعدها ،
وقد روى الشعر بصور مختلفة .

وكان الحارث يضرب به المثل في السؤدد حتى قال الشاعر

أظننت ان أباك حين تسبتي في المجد كان الحارث بن هشام
أولى قریش بالمكارم والندی في الجاهلية كان والاسلام^١

وله أشعار في بدر وفي المناسبات الأخرى التي وقعت مع المسلمين ، وله شعر في رثاء أخيه (أبي جهل) . وذكر (ابن هشام) أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر بعض هذا الشعر^٢ .

وقد شهد (أحد) مشركاً حتى أسلم يوم فتح مكة ، وكان من المؤلفات قلوبهم ، وشهد مع النبي حيناً فأعطاه مائة من الإبل كما أعطى المؤلفات قلوبهم ، وكان من المطعمين بمكة . وخرج الى الشام في زمن (عمر) ، فقبضه أهل مكة ليكون فراقه . وتوفي هناك بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة في رواية ، أو بيوم اليرموك رجب سنة خمس عشرة في رواية أخرى^٣ .

ومن شعراء قریش : (مالك بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي) القرشي ، وهو جاهلي ، من معاصري (هشام بن المغيرة) المخزومي^٤ .

ومن شعراء قریش الذين أدركوا الاسلام وصاروا عليه ، (ابن خطل) (عبدالله بن خطل) ، أو (آدم) القرشي الأدرمي . وهو من ولد (تميم بن غالب) . وكان ممن يهجو الرسول والاسلام ، ويأمر قيتتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول . فأهدر النبي دمه ولو وجد تحت أستار الكعبة . وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً ، ثم ارتد مشركاً ، وكانت له قيتتان : فرتني وأخرى معها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ، فأمر بقتلهما معه . فقتله (أبو برزة) الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة^٥ .

١ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) .

٢ ابن هشام ، سيرة (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض) .

٣ الاصابة (٢٩٣/١) ، (رقم ١٥٠٤) ، الاستيعاب (٣٠٧/١) ، (حاشية على الاصابة) ، ابن سلام ، طبقات (٣٣ وما بعدها) .

٤ المرزباني ، معجم (٢٥٥) .

٥ الطبري (٥٩/٣) ، (فتح مكة) ، العمدة (٢٣/١) .

ومن شعراء قريش (أبو العاصي بن أمية الأكبر بن عبد شمس) ، كان يقال له (الأمين) ، وكان من حكماء قريش . وينسب إليه قوله :

أبلغ لديك بني أمية آية نصحا مينا
إنا خلقنا مصاحين وما خلقنا مفسدين
اني أعادي معشراً كانوا لنا حصناً حصينا
خلقوا مع الجوزاء إذ خلقوا ووالدهم أبونا^١

وكان (أبو عزة) واسمه (عمرو بن عبد الله بن عمرو) ، شاعراً ، وكان مملقاً ذا عيال، فأسر يوم بدر كافراً ، فن عليه الرسول على أن لا يهجو المسلمين ، فعاهده وأطلقه . فلما كان يوم أحد، أطمعه (صفوان بن أمية بن خلف الجمحي) ، وكان محتاجاً ، والمحتاج يطمع ، فأخذ يحرض الناس على الإسلام ، فقتل . وقيل إنه برص بعد ما أسن ، وكانت قريش تكره الأبرص ، وتخاف العدوى ، فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه ، فكبر ذلك عليه ، فصعد جبل حراء ، يريد قتل نفسه ، فطعن بها في بطنه ، فسال ماء أصفر ، وذهب ما كان به ، فقال في ذلك شعراً^٢ . وذكر (الزبير) أنه أسر يوم (بدر) وكان ذا بنات ؟ فقال : « دعني لبناتي » فرحمه ، وأخذ عليه ألا يكثر عليه بعدها ، فلما جمعت قريش لرسول الله لتسير إليه ، كلمه (صفوان بن أمية) وسأله أن يخرج الى (بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة) ، وهم حلفاء قريش ، فيسألهم النصر ، فأبى عليه ، وقال : « إن محمداً قد من علي وأعطيته ألا أكثر عليه » ، فلم يزل صفوان يكلمه حتى خرج الى بني الحارث ، يحرضهم على الخروج مع قريش والنصر لهم ، فقال في ذلك :

أنتم بنو الحارث والناس إلهام أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكم حام لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني لا يحل لإسلام

١ كتاب نسب قريش (٩٨ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٣ وما بعدها) .

فلما انصرفت قريش من أحد ، تبعهم رسول الله حتى بلغ (حمراء الأسد) ، فأصاب بها (عمراً) ، فقال له : « يا محمد ! عفوك ! » فقال له الرسول ، « لا تمسح سبلتك بمكة ، تقول : خدعتُ محمداً مرتين ! » لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين ، وقتله صبراً ^١ .

ومن شعراء قريش (حرب بن أمية) ^٢ ، وهو من بني أمية ^٣ ، وكان رئيساً بعد المطلب ^٤ ، وهو والد (أبي سفيان بن حرب) ، وقد زعم ان الجن قتلته ، وأنشدوا في ذلك شعراً ذكروا ان الجن قالته ، هو :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر ^٥

وقد زعموا ان الجن خففته ^٦ . وقد نسبوا له هذه الأبيات :

أبا مطرٍ هلُمَّ الى صلاحٍ فتكفيك الندامى من قريش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطرٍ هديت لخير عيش
وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمن أن يزورك رب جيش

قالوا انه قالها مخاطباً بها (أبا مطر) الحضرمي ، يدعوهُ الى حلفه ونزول مكة ^٧ .

ومن شعراء قريش الذين أدركوا الاسلام : (أبو زمعة) ، واسمه (الأسود ابن المطلب) . له شعر رثا به من قُتل بيدر ، منه :

تُبَكِّي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهود

١ نسب قريش (٣٩٧ وما بعدها) .

٢ نسب قريش (١٥٧) .

٣ المحبر (١٣٢) :

٤ المحبر (١٦٥) .

٥ الحيوان (٢٠٧/٦) ، معاهد التنصيص (١٢/١ وما بعدها) ، المعارف (٣٢) .

٦ الحيوان (٣٠٢/١) .

٧ الحيوان (١٤١/٣) .

فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الحدود
على بدرٍ سراة بني مُصَيِّصٍ وغزومٍ ورهطٍ أبي الوليد
وبكّي إن بكيت على عقيلٍ وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكّي إن بكيتهم جميعاً وما لأبي حكمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجالٌ ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا^١

١ نسب قريش (٢١٨ وما بعدها) .

الفصل الثالث والستون بعد المئة

شعراء يثرب

قال (ابن سلام) : « شعراؤها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فمن الخزرج ، من بني النجار حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة ، كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، ومن الأوس : قيس بن الخطيم من بني ظفر ، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف^١ . وهناك شعراء آخرون لكنهم لم يبلغوا مبلغ هؤلاء في الشعر ، منهم : (أحيحة بن الجلاح) و (سويد بن الصامت) ، و (أبو قيس مالك بن الحارث) وآخرون . ونسبوا لأبي آمنه جدّ النبي قوله :

وإذا أتيت معاشرأ في مجلسٍ فاختر مجالسهم ولما تقعد
ولكل أمر يستعاد ضراوة فالصالحات من الأمور تعوّد^٢

ويعد (مالك بن العجلان) الخزرجي في جملة شعراء يثرب ، ذكر انه القائل للربيع بن أبي الحقيق اليهودي من أبيات :

لاني امرؤ من بني سالم كريم وأنت امرؤ من يهود

١ طبقات (٥٢) .
٢ المصون (١٨٩) .

فأجابه الريح من أبيات أولها :

أنسفه قيلة أنحلامها وحان بقيلة عثر الجدود^١

وفيه يقول الشاعر (عمرو بن امرئ القيس) من بني الحارث بن الخزرج ،
من شعراء الجاهلية :

يا مالَ والسيد المعمم قد يبطره بعد رأيه السرفُ
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف^٢

وهو من مشاهير سادة (يثرِب) ، وله ذكر في نزاع أهل يثرِب مع اليهود ،
وفي حرب (سمير) بين الأوس والخزرج . وهو قاتل (الفطيون)^٣ .

وعمر بن الإطنابة من شعراء (يثرِب) ، وهو من الخزرج ، وهو شاعر
فارسي قديم ، خرجت الخزرج معه وخرجت الأوس وأحلافها مع (مُعاذ بن
النعمان) في حرب كانت بين الأوس والخزرج . وذكر ان حسان بن ثابت جعله
أشعر الناس ، لقوله :

لاني من القوم الذين اذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنا جيرانهم والحاشرين على طعام النازل
والخاططين فقيرهم بغنيهم والباذلين عطاءهم للسائل
لا يطبعون وهم على أحسابهم يشفون بالأحلام داء الجاهل
القائلين ولا يعاب خطيئهم يومَ المقامة بالكلام الفاصل

ومن شعره :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيع
ولا كراهي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

١ المرزباني ، معجم (٢٥٦) .

٢ والشعر يختلط أبياته بأبيات قصيدة أخرى لقيس بن الخطيم ، وأخرى لمالك بن
العجلان ، البيان والتبيين (٣ / ١٠٠) ، جمهرة أشعار العرب (١٢٧ وما بعدها) ،
الجمهرة (١٢٢) ، ديوان قيس بن الخطيم (١٦ وما بعدها) .

٣ الاشتقاق (٢ / ٢٧٠) .

ويقال إن معاوية قال : « لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار ، فما منعني من ذلك إلا قول ابن الإطنابة « الشعر المذكور » .

ونسب (أبو الفرج) الأصبهاني الى (أحبحة بن الجلاح بن الحريش « الجريش » ؟) ابن جحجي بن كلفة (الأوسي قوله :

لتبكي قنيسة ومزمرها ولتبكي قهوة وشاربها
ولتبكي ناقة إذا رحلت وغاب في سربخ مناكبها

وهي أبيات قبلها :

يشتاقي قلبي الى مليكة لو أمست قريباً لمن يطالبها
ما أحسن الجيد من مليكة والد لبات إذ زانها تراثيها

وقد نسبها بعض آخر لعدي بن زيد العبادي، ونسبها بعض آخر لبعض الأنصار^١. و (أحبحة بن الجلاح) ، من سادات الأوس . وكان سيدهم في زمانه . وكان شاعراً . وكانت عنده (سلمى بنت عمرو) من بني النجار ، وأولاده منها اخوة (عبد المطلب)^٢ وهو من أصحاب المذنبات^٣ .

وقد ذكر (ابن الشجري) ، أنه وجد في كتاب لغوي أن الشعر المذكور منسوب الى (عدي بن زيد) ، وقد تصفح نسختين من ديوان عدي فلم يجد فيهما ، وإنما وجد له قصيدة على هذا الوزن وهذه القافية أولها :

لم أرَ مثل الأقوام في غيب الأيام ينسون ما عواقبها

وذكر (البغدادي) أن (الأصبهاني) اقتبس في (الأغاني) لأحبحة^٤ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (أحبحة) كان في أيام التبع (أبو كرب بن حسان بن تبع بن أسعد) الحميري ، وأن هذا التبع لما عاد من العراق يريد

١ المرزباني ، معجم (٨ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤١٧/١) .

٣ الاشتقاق (٢٦٢) .

٤ الأغاني (١١٩/١٣) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٤٩/١) .

٥ الخزائن (٢٠/٢ وما بعدها) .

(يثرب) لقتل أهلها ابناً له بها ، وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذرية ، نزل بسفح (أحد) فاحتفر بها بشراً ، عرفت بـ (بثر الملك) ، ثم أرسل الى أشرافها ليأتوه ، فكان ممن أتاه (زيد بن ضبيعة) وابن عمه (زيد بن أمية بن عبيد) ، وكانوا يسمون (الأزياد) ، و (أحبيحة بن الجلاح) . فلما جاء رسول التبّع ، ذهب الأزياد اليه ، وكان (أحبيحة) له تابع من الجن ، أخبره أنه يريد قتلهم جميعاً ، وكان لا يقول إلا صواباً ، فلما قابل التبّع تحدث معه عن أمواله وعن أموال المدينة ، ثم خرج من عنده ودخل خبائه ، وكان (تبّع) قد أوكل حراساً به ، فشرب وقرض أحياناً مطلعها :

يشتاق قلبي الى مليكة أمسى قريباً لمن يطالبها

وأمر قيته أن تغنيه حتى استغفل الحرس ، فقر منهم الى أطمه (الضحيان) ، وقيل (المستظل) ، فجرد الملك كتيبة عليه ، ثم حاصر المدينة ، فلم يتمكن منها ، إذ اعتصم أهلها من الأوس والخزرج واليهود بأطمهم ، ثم أقنعه (حبران) من أحبار يهود بكف الحصار عنها ، فرجع^١.

وكان (أحبيحة) سيد الأوس في الجاهلية ، وكان كثير المال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بغيراً كلها ينطح عليها ، وكان له أطمان ، أطم في قومه يقال له (المستظل) ، وأطم يقال له (الضحيان) بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة ، بناه بحجارة سود ، ويزعمون انه لما بناه هو و غلام له أشرف ، ثم قال : لقد بنيت حصناً حصيناً ما بنى مثله رجل من العرب أمنع منه ، ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع وقع جميعاً . فقال غلامه : أنا أعرفه . قال : فأرنيه يا بني ؟ قال : هو ذا ، وصرف اليه رأسه . فلما رأى أحبيحة انه قد عرفه دفعه من رأس الأطم ، فوقع على رأسه فات^٢ . وهي قصة تشبه قصة (سنار) ، ولها شبه عند اليونان . ويذكرون انه لما بناه قال :

بنيت بعد مستظل ضاحيا بنته بعصبة من ماليا

١ الخزانة (٢١/٢ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغانى (١١٩/١٣) .

٢ الخزانة (٢٣/٢) ، (بولاق) .

للسر مما يتبع القواضيا أخشى ركياً أو رجلاً غادياً^١

وينسب لأحيحة قوله :

استغن أومت ولا يغرك ذو نسب من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
لاني مقيم على الزوراء أعمرها إن الحبيب الى الإخوان ذو المال

وقوله :

وما يلدي الفقير متى غناه ولا يلدي الغني متى يعيل^٢

و (سويد بن صامت) أخو (عمرو بن عوف) من الأوس ومن (الكلمة) ومن الأشراف أصحاب النسب ، ومن الشعراء . وكانت له أشعار كثيرة . وهو الذي ذهب اليه النبي يوم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ليدعوه الى الإسلام ، فلما كلمه النبي قال له (سويد) فلعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال له رسول الله وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . فقال له رسول الله : اعرضها عليّ ! فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى عليّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه الى الإسلام ، فلم يبعد منه . وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه . فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج^٣ . ويشك في إسلامه^٤ .

و (أبو قيس بن الأسلت) (أبو قيس بن عامر بن جشم) و (عامر) هو الأسلت ، شاعر من الأوس . اختلف في اسمه ، فقيل (صيفي) وقيل (الحرث) (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل (صرمة) ، واختلف في إسلامه . ذكر انه كان يدعى (الحنيف) لتحنفه . ولم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفة ولا أكثر مساءلة عنها منه . وكان يسأل من اليهود عن دينهم ،

١ الخزانة (٢٣/٢) ، (بولاق) .

٢ بلوغ الأرب (١٢٧/٣) .

٣ الروض الأنف (٢٦٥/١) وما بعدها ، ابن هشام ، سيرة (٢٦٥/١) وما بعدها ، (حاشية على الروض) ، الاغانى (١٦٩/٢) .

٤ الاصابة (١٣٢/٢) ، (رقم ٣٨١٨) ، الاستيعاب (٥٩٣/٢) ، رسالة الغفران (١٣٧) .

فكان يقاربهم ، ثم خرج الى الشام فتزل على (آل جفنة) فأكرموه ووصلوه ،
وسأل الرهبان والأخبار ، فدعوه الى دينهم فامتنع ، ثم خرج الى مكة معتمراً ،
فبلغ (زيد بن عمرو بن نفيل) فكلّمه ، فكان يقول ليس أحد على دين ابراهيم
إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل . ولما قدم النبي الى المدينة جاء اليه فقال : لا
تدعو ؟ فذكر له شرائع الاسلام . فقال : ما أحسن هذا وأجمله ! فلقبه (عبدالله
ابن أبيّ بن سلول) ، فقال : لقد لذت من حزبتنا كل ملاذ ، تارة تخالف
قريشاً ، وتارة تتبع محمداً . فقال : لا جرم لأتبعنه الى آخر الناس . وقد اختلف
في اسلامه ، والأغلب انه لم يسلم^١ . وذكر انه كاد أن يسلم ، لما اجتمع برسول
الله ، ولكن كلام (عبدالله بن أبيّ) أثر عليه ، فقال : والله لا أسلم سنة .
ثم انصرف الى منزله ، حتى مات قبل الحول ، وذلك في ذي الحجة على رأس
عشرة أشهر من الهجرة^٢ .

وفي سيرة (ابن هشام) قصيدة نسبت الى (أبي قيس بن الأسلت) زعم
أنه وجهها لقريش ينهى فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ،
ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله ، ويذكرهم بلاء الله
عندهم ودفعه عنهم الغيل وكيده عنهم . وأول القصيدة :

يا راكباً اما عرضت فبلغن مغلفة عني لؤي بن غالب
رسول امرىء قد راعه ذات بينكم على النائي مخزون بذلك ناصب^٣

وهو من أصحاب المذاهبات ، ومطلع مذهبه :

قالت ولم تقصد لقول الخني مهلاً فقد أبلغت أسماعي^٤

ونسب له قوله :

ولو شا ربنا كنّا يهوداً وما دين اليهود بلدي شكول

-
- ١ الاصابة (٤/١٦٠ وما بعدها) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (٤/١٥٩ وما بعدها) ،
(حاشية على الاصابة) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٤/٣٨٥) .
 - ٣ سيرة ابن هشام (١/١٨٠) ، (حاشية على الروض) .
 - ٤ الاغانى (١٥/١٦٠) ، الجمهرة (١٢٦) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية
(١/١٣٩) .

ولو شا ربنا كنّا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنّا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسفاً مذعنات تكشف عن مناكبها الجلول^١

وكان (أبو قيس بن الأسلت) الأنصاري بهاجي حسان بن ثابت . وهو
من الأوس ، وحسان من الخزرج ، فكانا يتهاجيان . وكان بين الحيين هجاء ،
فكان شعراء كل حي ، يهاجون شعراء الحي الثاني ، عصبية ، لما كان بينهما من
تحاسد وتنافر^٢ .

والأسلت لقب (عامر بن جشم بن وائل بن يزيد) والد الشاعر المتقدم من
الأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس قد أسندت أمرها في
يوم (بعثت) الى (أبي قيس بن الأسلت) ، فقام في حربهم وآثرها على كل
أمر آخر ، حتى أنهكته وشحب لونه . وقال (ابن حجر) ان اسم (أبي قيس
ابن الأسلت) (صيفي) ، وقيل (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل
(صرفة) ، وقيل غير ذلك . واختلف في اسلامه . فمنهم من صيره مسلماً ،
وجعله في عداد الصحابة ، ومنهم من جعله متألفاً حنيفاً على دين ابراهيم ، وكاذ
يقول : ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من
زعم انه قال : والله لا أسلم الى سنة ، فبات قبل الحول على رأس عشرة أشهر
من الهجرة بشهرين ، وذكر انه هرب الى مكة فأقام بها مع قريش الى عام الفتح^٣ .
وللعصبية دور في هذه الروايات ، ترد في رجال آخرين من أهل يثرب ومن أهل
مكة ، تقدم روايات منها رجالاً في الاسلام ، وتؤخرهم أخرى ، وتنتفي عنهم
بعضها الدخول في دين الله ، لما لهذا التأخير أو التقديم ، أو البقاء على الشرك من
أهمية كبيرة بالنسبة لهم في ذلك الوقت .

وذكر أن (أبا قيس بن الأسلت) كان يعدل (بقيس بن الخطيم) في
الشجاعة والشعر^٤ . وقيس بن الخطيم ، شاعر فارس من الأوس . معلود من

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٨٥/٤) .
 - ٢ الخزائنة (٦٨/٤) ، (بولاق) .
 - ٣ الخزائنة ٤٧/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٤ الاصابة (١٦١/٤) ، (رقم ٩٤٤) ، « واسم الاسلت عامر . فهو لقب له » ، تاج
العروس (٥٥٤/١) ، (سلت) .

أصحاب (المذہبات) . وتبدأ مذهبه بقوله :

أُتَعرِف رِسمًا كاطِراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكبٍ

وكان يلاحى الخزرج ، قتل أبوه وهو صغير . قتل رجل من الخزرج، وعلم أن جدّه قتل رجل من (عبد القيس) . فتعقب القاتلين ، حتى ظفر بقاتل والده يثرب ، وظفر بقاتل جده بلدي المجاز فقتله^١ . أدرك الإسلام ، ولكنه لم يسلم . ذكر أنه قدم على النبي بمكة قبل الهجرة ، فعرض النبي عليه الإسلام، فقال : إني لأعلم أن الذي تأمرني به خير مما تأمرني به نفسي ، وفيها بقية من ذلك ، فاذهب فاستمتع من النساء والخمر وتقدم بلدنا فأتبعك . فقتل قبل أن يتبعه. أصابه سهم وهو راكب أمام أطم لرجل من الخزرج^٢ .

وهو الذي يقول في حرب كانت بينهم وبين الخزرج :

قد حصت البيضة رأسي فما أطمع نوماً غير تهجاع
أسمى على جلّ بني ملكٍ كل امرئ في أمره ساعي^٣

وذكر (المرزباني) أن قيس بن الخطيم ، شاعر مجيد فحل ، من الناس من يفضلهُ على حسان شعراً . وقال حسان : إنا إذا نافرنا العربُ فأردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم^٤ . وله ديوان مطبوع^٥ . وهو الذي يقول في يوم بعث :

أُتَعرِف رِسمًا كاطِراد المذاهب لعمرة قفر غير موقف راكبٍ

وله أشعار جيدة أخرى^٦ .

-
- ١ الاشتقاق (٢٦٤) ، الاغانى (١٥٩/٢ وما بعدها) ، الخزائنة (١٦٨/٣) ، المرزباني ، معجم (١٩٦) .
 - ٢ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ديوان الحماسة (١٠٤/٣) ، بروكلمن تاريخ الادب العربي (١١٤/١ وما بعدها) .
 - ٣ ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٤ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
 - ٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٥/١) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٥٦ وما بعدها) .

وذكر انه كان مقيماً على شركه ، وأسلمت امرأته ، وكان يقال لها (حواء) ، وكان يصدها عن الاسلام ، ويعيث بها . وكان رسول الله وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمور الأنصار ، وعن حالهم فأخبر بإسلامها وبما تلقى من قيس ، فلما كان الموسم ، وحضر مكة ، أتاه النبي في مضربه ، فلما رأى النبي رجب به وأعظمه ، فأخبره النبي بما تلاقى امرأته منه بسبب اسلامها ، وقال له : أحب أن لا تعرض لها ، فكف عن أذاها^١ ، ويقال ان النبي دعاه الى الاسلام وتلا عليه القرآن ، فقال : اني لأسمع كلاماً عجباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود اليك فأت قبل الحول^٢ .

وذكر انه كان سيداً شاعراً ، فلما هدأت حرب الأنصار ، تذكرت الخرج قيس بن الخطيم ونكايته ، فتذا مروا وتواعدوا قتله ، فلما مر بأطم (بني حارثة) ، رمي بثلاثة أسهم ، فصاح صيحةً أسمعها رهطه ، فجاءوه فحملوه الى منزله ، فلم يروا له كفواً إلا (أبا صمصعة بن زيد) النجاري ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه ، وجاء برأسه ، ووضع أمام (قيس) وكان به رمق ، فما لبث أن مات^٣ .

وله قصيدة متينة ، قالها حين ظفر بقاتل أبيه وقاتل جده ، فقتلها ، من أبياتها:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ناثرة لها نقذُ لولا الشعاع أضواءها
ملكنتُ بها كفي فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
يهون علي أن ترد جراحها عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها
وكننتُ امرأ لا اسمع الدهر سببة أسب بها إلا كشفت غطاءها
فاني في الحرب الضروس موكل بإقدام نفسي ما أريد بقاءها
متى يأت هذا الموت لا تلتف حاجة لنفسي إلا قد قضيت قضاءها
ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع ولاية أشياخ جعلت إزاءها^٤

- ١ ابن سلام ، طبقات (٥٧) .
- ٢ الاصابة (٢٦٦/٣) ، (رقم ٧٣٥٠) .
- ٣ أسماء القتالين ، (المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات) ، (٢٧٤) .
- ٤ حماسة أبي تمام (٩٤/١ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغانى (٦٠/٢) ، ديوانه (٣ وما بعدها) ، (طبعة لايبزك ١٩١٤) .

وله غزل ، نابع من غزل أهل الحضر ، تغزل فيه بعمرة بنت رواحة^١ .
و (أبو قيس) (مالك بن الحارث) ، وقيل « صرمة بن أبي أنس بن مالك » من بني النجار، شاعر كذلك . كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً فاتخذ مسجداً لا يدخل عليه طامث ولا جنب . وقال : أعبد رب إبراهيم ، فلما قدم الرسول يثرب أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير . وكان قوَّالاً بالحق معظماً له . يقول في الجاهلية أشعاراً حسناً . وقد ذكر (ابن اسحاق) أشعاراً له ، في الوصايا ، وفيها حث على مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف وفي انصاف اليتيم وغير ذلك من شعر المواعظ^٢ .

ومن شعراء يثرب : (عمرو بن امرئ القيس) ، الذي سبق أن ذكرته ، وهو جدّ (عبدالله بن رواحة) وهو شاعر خزرجي جاهلي . وله شعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج بسبب (سمير) الذي عدا على (بجير) مولى (مالك بن العجلان) فقتله ، فوقعت الحرب من أجل ذلك بين الحيين، فحكموا (عمرو بن امرئ القيس) ، فحكم بدية المولى للمالك ، فلما رفض الحكم هاجت الحرب . فلما طالت حكموا فيها (ثابت بن المنذر) والد حسان وبذلك انتهى النزاع^٣ .

وحسان بن ثابت من المخضرمين ، من شعراء الخزرج ، واسمه حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . وهو شاعر رسول الله وشاعر الاسلام . وأمه (الفريعة) بنت (خالد بن حيش بن لؤذان) . وهي من الخزرج أيضاً . أدركت الاسلام أيضاً فأسلمت ، وقيل هي أخت (خالد) لا ابنته ، ويكنى (أبا الوليد) ، وأبا المضرب ، وأبا الحسام ، وأبا عبد الرحمن . « قال أبو عبيدة : فضل حسان ابن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . وكان مع

١ كارلو نالينو (٩٣) .

٢ الاستيعاب (١٥٧/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١٧٩/٢) ، (رقم ٤٠٦١) .

٣ الخزائة (١٨٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

ذلك جباناً^١ . ولم يشهد مع النبي مشهداً لأنه كان يجبن^٢ . وذكر انه كان لستاً شجاعاً ، فأصابته علة أحدثت فيه الجبن ، فكان بعد ذلك لا يقدر أن ينظر الى قتال ولا يشهده^٣ . وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف . وعلى ان أشعر أهل المدر حسان بن ثابت » . وقال الأصمعي : حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء . فقال له أبو حاتم : تأتي له أشعار لينية . فقال الأصمعي : تنسب له أشياء لا تصح عنه^٤ .

وورد ان رسول الله قال : « ليس شعر حسان بن ثابت ، ولا كعب بن مالك ، ولا عبدالله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمة^٥ . وذكر ان (الحارث المرتي) ، قال للنبي : « اني أعوذ بالله وبك من هذا ، إن شعر هذا لو مزج بماء البحر لمزجه » . وكان حسان قد رآه جالساً مع الرسول ، فقال فيه شعراً مطلعته :

يا حار من يغدر بلمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر^٦

ويروى أنه كان إذا عالج شعراً ، وعصي عليه ، ثم أحكمه وأعجبه ، طرب به وربما صاح من الطرب ومن فرحة الانتهاء من الشعر . قال أحدهم : « سمعت حسان بن ثابت في جوف الليل وهو ينوّه بأسمائه ويقول : أنا حسان بن ثابت ؛ أنا ابن الفريضة ، أنا الحسام . فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له : سمعتك البارحة تنوّه بأسمائك ، فما الذي أعجبك ؟ قال : عاجلت بيتاً من الشعر ، فلما أحكمته نوّهت بأسمائي ! فقلت وما البيت ؟ قال : قلت :

- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، المحاسن والاضداد (٤٨) .
- ٢ الشعر والشعراء (٢٦٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٣/١) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن فاقيا البغدادي (١٩٢ ، ٣٤٣) ، (بغداد ١٩٦٨) .
- ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) .
- ٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، الاغاني (١٣٤/٤) ، المؤلف (٨٩) ، المرزباني ، معجم (٤٠١) .
- ٥ المصدر نفسه (٣٣٥/١) .
- ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٥/١) .

وإنّ امرأً يمسي ويصبحُ سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد^١

وروي أيضاً أنه قام من جوف الليل فصاح : يا آل الخزرج ، فجاءوه وقد
فرعوا ، فقالوا : مالك ؟ قال : بيت قلته فخشيت أن أموت قبل أن أصبح
فيلهب ضيعة خلدوه عني ، قالوا : وما قلت ؟ قال : قلت :

ربّ حلم أضاعه عدم الما لـ وجهلٍ غطّى عليه النعيم^٢

وقد حمل على (حسان) شعر كثير ، بسبب تحامله على قريش ، فأرادت
قريش النكايه به ، فوضعت شعراً على لسانه ليحط من مكانته . قال (ابن سلام) :
« وأشعرهم حسان بن ثابت ، هو كثير الشعر جيده . وقد حمل عليه ما لم يحمل
على أحد . لما تعاضهت قريش واستبّيت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »^٣.

وأكثر علماء الشعر ان شعر (حسان) في الجاهلية أقوى منه في الاسلام ، قال
(الأصمعي) : « الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل ، فإذا دخل في الخير ضعف
ولان . هذا حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره . وقال
مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . وقيل لحسان لان شعرك
أو هرم في الاسلام يا أبا الحسام ! فقال للقاتل : يا ابن أخي ان الاسلام يحجز
عن الكذب ، أو يمنع من الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب . يعني ان شأن
التجويد في الشعر الإفراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب »^٤ .
وقال (الثعالبی) : « من عجائب أمر حسان انه كان رضي الله عنه يقول الشعر
في الجاهلية فيجيد جداً ويغير في نواصي الفحول ويدعي ان له شيطاناً يقول الشعر
على لسانه كمادة الشعراء في ذلك ... فلما أدرك الاسلام وتبدل الشيطان الملك تراجع
شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم ان الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في
طريقه من الملك »^٥ . وما قوة شعر (حسان) في الجاهلية ، إلا بسبب قوة شبابه

١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٥/١) وما بعدها .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٦/١) .

٣ طبقات (٥٢) .

٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) وما بعدها ، أسد الغابة (٥/٢) ، الشعر والشعراء

(٢٢٤/١) ، بروكلمن (١٥٣/١) .

٥ خاص الخاص (٨٠) ، الموشح ، للمرزباني (٦٥) .

آنذاك ، واندفاعه على الشراب وسماع القيان ، فلما كسبر وشاخ ، وذهبت قوة شبابه ، وامتنع من الشرب بسبب تحريم الاسلام له ، لم تبق له قريحة الشباب ، واندفاع ذلك الوقت ، فضعف شعره لذلك ، وللسن دخل في حيوية الانسان وفي نتاجه العقلي ، ومنه الشعر .

ونسب الى (الخطيئة) قوله : « أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقال عبد الملك بن مروان : أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا ^١ . وكان حسان قد أدرك النابغة وأنشده ، وأنشد الأعشى ، وكلاهما قال له إنك شاعر ^٢ . وله حديث مع النابغة .

وصيف بأنه كان صاحب لسان طويل ، « وكان يضرب بلسانه روثه أنفه ، من طوله ، ويقول ، ما يسرني به مقول أحد من العرب ، والله لو وضعت على شعر حلقة ، أو على صخر لفلقه ^٣ . وكانت له ناصية يسد لها بين عينيه ^٤ .

وكان أبوه (ثابت بن المنذر) من سادة قومه وأشرفهم ، وكان (المنذر) الحساکم بين الأوس والخزرج في يوم (سميحة) ، وكانوا حكموا في دمائهم يومئذ (مالك بن العجلان بن سالم بن عوف) ، فتعدى في مولى له قتل يومئذ ، وقال : لا آخذ إلا دية الصريح ، فأبوا أن يرضوا بحكمه ، فحكموا (المنذر ابن حرام) . فحكم بأن أهدر دماء قومه الخزرج ، واحتل دماء الأوس ^٥ .

وكان حسان في أول أيامه ينتقل في الأرض طلباً للمال والعطايا والهبات ، فكان يراجع ملوك الحيرة ، ويعاود آل غسان . وكان هواه مع الغساسنة أقوى منه مع آل لحم ، حتى أنه كان يذكرهم بخير ويمدحهم وهو في الإسلام . وقد أكرموه كثيراً ، وأنعموا عليه أكثر مما أنعم ملوك الحيرة عليه . والظاهر أن لبعد الشقة

-
- ١ الاستيعاب (٣٣٩/١) .
 - ٢ الاستيعاب (٣٤٢/١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) ، الفائق (٥١٢/١) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) .
 - ٥ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .

التي تفصل يثرب عن الحيرة ، ولكثرة ما كان يفد من الشعراء على آل نحم ، وفيهم من هو أشعر من حسان ، وأكثر منه مكانة في الشعر بين العرب ، دخل في انصرافه الى مدح آل غسان وذهابه في الأكثر اليهم طلباً للمال في مقابل مدحه لهم.

ويروى عن (حسان) ان السعالى نصحته بمداواة الشعر ، فقد روي عنه انه قال : « خرجت أريد عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما كنت في بعض الطريق وقفت على السعلاة صاحبة النابغة ، وأخت المعلقة صاحبة (علقمة ابن عبدة) ، فقالت واني مقترحة عليك بيتاً ، فإن أنت أجزته شفعت لك الى أخي ، وإن لم تجزه قتلتك . فقلت هات . فقالت :

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هو

قال : فتبعها من ساعتي ، فقلت :

فإن لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لاهوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فحيناً أقول وحيناً هو

فقالت : أولى لك ، نجوت ، فاسمع مقالتي واحفظها عليك بمداواة الشعر ، فإنه أشرف الآداب وأكرمها وأنورها ، به يسخو الرجل ، وبه ينتظرف ، وبه يجالس الملوك ، وبه يخدم ، ويتركه يتصنع . ثم قالت : إنك إذا وردت على الملك وجدت عنده النابغة ، وسأصرف عنك معرفته ، وعلقمة بن عبدة ، وسأكلم المعلقة حتى تردّ عنك سورته . قال حسان فقدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص عليّ الوصول إليه فقلت للحاجب ، بعد مدة : إن أذنت لي عليه ، وإلا هجوت اليمن كلها . ثم انتقلت عنها . فأذن لي عليه ، فلما وقفت بين يديه وجدت النابغة جالسة عن يمينه ، وعلقمة جالسة عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريعة ، قد عرفت عيصك ونسبك في غسان ، فارجع فلأني باعث اليك بصلة سنينة ، ولا أحتاج الى الشعر ، فلأني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحك ، وفضيحتك فضيحتي ، وأنت اليوم لا تحسن أن تقول :

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحيتون بالريحان يوم السبابس

فقلت : لا بد منه . فقال : ذاك الى عميك فقلت : أسألكما بحسب الملك ،

الجواب : الا ما قدمنا عليكما ؟ فقالا : قد فعلنا ، هات ، فأنشأت أقول والقلب وجل :

أسألتَ رسم الدار أم لم تسألَ بين الجرابي فالبيض فحومل

حتى أتيت على آخرها . فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً حتى شاطر البيت ، وهو يقول : هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح ، هذا وأبيك الشعر ، لا ما تعللاني به منذ اليوم . يا غلام ألف دينار مرجوحة ، فأعطيت ألف دينار ، في كل دينار عشرة دنائير . ثم قال : لك عليّ مثلها في كل سنة ، ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد بني ذبيان فهات الثناء المسجوع ، فقام النابغة فقال :

ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالداي فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكام وزراؤك ، والعلماء جلساؤك ، والمقاول سمارك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والصدق رداؤك ، واليمنُ حداؤك ، والبيرُ فراشك ، وأشرف الآباء آباؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأعف النساء حلائلك ، وأعلى البنات بنياتك ، وأكرم الأجداد أجدادك ، وأفضل الأخوال أخوالك ، وأنزه الحداثق حدائقك ، وأعذب المياه مياهك ، وحالف الإضرير عاتقك ، ولاءم المسك مسكك ، وجاور العنبر تراتبك ، العسجد قواريرك ، واللجين صحائفك ، والشهد إدامك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مستراحك ، والعنبر بنواسك ، والخير بقنائك ، والشر في ساحة أعدائك ، والذهب عطاؤك ، وألف دينار مرجوحة لإعماؤك ، وألف دينار مرهوجة ابتائوك ، والنصر منوط بلوائك ، زين قولك فعلك ، وطحططح عدوك غضبك ، وهزم مقابهم مشهدك . وسار في الناس عدلك ، وسكن تباريح البلاد ظفرك . أيفاخرك ابن المنذر اللخمي ؟ فوالله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولصمكتك خير من كلامه : ولأملك خير من أبيه ، ولخدمك خير من عليه قومه . فهب لي أسارى قومي ، واسترهن بذلك شكري ، فإنك من أشرف قحطان وأنا من سروات عدنان .

فرجع عمرو بن الحارث رأسه الى جارية كانت علي رأسه قائمة ، فقال :

مثل ابن الفريفة فليمدح الملوك ، ومثل ابن زياد فليئن على الملوك ^١ . وهكذا
دبج أهل الأخبار هذا الثناء في كتبهم ، وكان رواهم قد سجلوه ساعة وقوعه
على شريط مسجل .

وتعد قصيدة (حسان) :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

من جيد شعره ، وأشهر قصائده ، فهي لينة الألفاظ أسهل فهماً من قصائد
شعراء الصنف الأول ، وفيها من المديح ما يليق بملوك أهل المديح ، المتتمين
بأنواع الترف والرفاهية ، ثم إن أطناب الشاعر في وصف الخمر يبعد عن أسلوب
شعراء أهل البادية ، كما يبعد عنه أيضاً الافتخار بقومه المقصور في بلاغة خطابهم
ووفدهم على أبواب الملوك . وقد أبدع فيها في وصف معيشة ملوك غسان ، وفي
حياتهم الحضرية التي كانوا يحبونها ، كما افتخر فيها بعشيرته الخزرج ^٢ .

وخير شعر حسان هو ما قيل في مدح ملوك غسان .. وكان هواه فيهم ،
وكانوا هم يقدون عليه العطايا والأموال ، ولا يؤخرونه من الدخول الى مجالسهم ،
ويؤثرونه بالمودة ، فخصص جيد شعره بهم . وقد مدح ملوك الحيرة أيضاً ،
غير أن مدحه لهم ، هو دون مدحه لمنافسيهم الغساسنة ، الذين كان يكثر التردد
عليهم ، على حين لم يكن يقصد المناذرة إلا للحاجة شديدة ولطلب . ولعل ذلك
بسبب بعد الحيرة عن يثرب ، وكثرة ذهاب الشعراء الى ملوك الحيرة ، واستدراج
هؤلاء الملوك للشعر واغداقهم عليهم ، للاستفادة منهم في نشر الدعاية لهم بين
الأعراب .

ومن جيد شعره في ملوك الغساسنة قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيل السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

١ الاغاني (١٢٣/١٥ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٧٩/١ وما بعدها) .

٢ كارلو نالينو (٨٧ وما بعدها) .

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني ، وكان أثيراً عندهم ،
ولذلك يقول :

قد أراني هناك حق مكين عند ذي التاجِ مقعدي ومكاني^١

وذكر أنه دخل يوماً على (جبلة بن الأيهم) الغساني ، فأذن له ، فجلس
بين يديه وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل ، وكان الأول هو
النابعة ، وكان الثاني ، هو (علقمة بن عبدة) . فاستشهدهم جبلة ، فأنشد
النابعة قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب

قال حسان فذهب نصفني . ثم قال لعلقمة أنشد ، فأنشد :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قال حسان ، فذهب نصفني الآخر . ثم قال (جبلة) لحسان ، أنت أعلم
الآن إن شئت سكت ، وإن شئت أنشدت ، فأنشد :

أبناء جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيل السلسل

فأدناه منه ، ثم أمر له بثلاثمائة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد . وقال :
هذا لك عندنا في كل عام . وذكر (أبو عمرو الشيباني) هذه القصة لحسان مع
(عمرو بن الحارث) الأعرج^٢ . ونجد الرواة يختلفون في مثل هذه القصص ،
بسبب ركونهم الى رواية مختلفين ، لم يدونوا الأخبار وإنما سمعوها سماعاً ، وأكثرها
من المخترعات .

ويظهر انه قد تمكن من جمع ثروة مكنته من السكن في حصن حصين يثيرب

١ الشعر والشعراء (٢٢٤/١) .

٢ الخزائن (٢٤٠/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

عرف بـ (فارح)^١ . وكان الرسول اذا خرج لغزوة أو معركة أودع أهله حصن حسان ، لأنه كان حصناً حصيناً . وتذكر (صفية بنت عبد المطلب) ، ان حسان كان في حصنه مع النساء والصبيان فر يهودي به ، وجعل يطيف حوله ، فقالت (صفية) لحسان إن هذا اليهودي لا آمنه أن يدل على عوراتنا فانزل اليه فاقتله ! فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، فترلت صفية وأخذت عموداً وقتلت اليهودي . فقالت : يا حسان انزل فاسلبه ! فقال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب^٢ . وقد دفع بعض العلماء الجبن عن حسان ، بحجة انه لو كان جباناً على نحو ما يقولون لما سكت عن تعبيره به خصومه ممن كان يهاجمهم كضرار وابن الزبيري ، وعللوا عدم نزوله من حصنه لقتل اليهودي بحجة انه ربما كان معتلاً في ذلك اليوم . وأنكر بعضهم أن يكون هذا الخبر صحيحاً^٣ . على كل ، صح هذا الخبر أم لم يصح فلانا لا نجد لحسان ذكراً في مغازي الرسول ولا في سراياه . بل نجد العلماء مجمعين على انه « لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً ، لأنه كان جباناً »^٤ .

ولحسان شعر في رثاء (المطعم بن عدي) والد (جبير بن مطعم) ، مات ولم يسلم . وكان (مطعم) أجاز النبي حين قدم الطائف لما دعا ثقيفاً الى الإسلام، وهو أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب . وكان فيما قاله في رثاء (المطعم) :

فلو كان مجدداً يخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لي مهلاً وأحرماً

ومن شعره :

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المفرد الفرد

- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، (فارح حصن بالمدينة ، يقال انه حصن حسان بن ثابت) ، تاج العروس (٤٤٩/٥) ، (فرع) .
- ٢ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، سيرة ابن هشام (١٩٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، (الروض الانف (١٩٣/٢) .
- ٣ الروض الانف (١٩٤/٢) .
- ٤ الشعر والشعراء .
- ٥ السيوطي ، شرح شواهد (٨٧٥/٢) .

ذكر ان بعض أهل المدينة كان يقول : ما ذكرت بيت حسان هذا إلا عدت في الفتوة^١ .

وذكر أن الناس كانوا يتمثلون بـ « فشر كما لخبر كما الفداء » ، وهو عجز بيت لحسان . هو :

أنهجو ولسـت له بند فشر كما لخبر كما الفداء^٢

وهو من قصيدة يقول بعض الرواة إن مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء الى عناء مترها خلاء

هجا فيها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) . « قال مصعب الزبيري : هذه القصيدة ، قال حسان صدرها في الجاهلية وآخرها في الإسلام »^٣ .

وينسب الى (حسان) قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أينا فصرتم معربين ذوي نفر

وهو بيت تليه أبيات أخرى في الفخر بيعرب ، وبفضله على العرب ، لأنه هو صاحب العربية ، ومنه تعلم العرب عربيتهم . وقد دوت هذه الأبيات في كتاب : تأريخ ملوك العرب الأولية للأصمعي^٤ . وقد دوت هذا الكتاب أبياتاً من قصيدته الشهيرة في مدح الفساسة^٥ . وأبياتاً في مدح (جبلة بن الأيهم) الذي فرّ الى بلاد الروم ، وواصل مع ذلك بره لحسان^٦ . وهو شعر أراه مصنوعاً ، ولا يتفق مع مذهب (حسان) في النظم .

وقد ذكر (حسان) قصر دومة ، أي دومة الجندل في شعره ، إذ قال :

١ الشعر والشعراء (٢٢٥/١) .

٢ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) ، « أنهجو ولسـت له بكف » الاستيعاب (٣٣٦/١) .

٣ الاستيعاب (٣٣٦/١) .

٤ (ص ٨) .

٥ (ص ١٠٢) .

٦ (ص ١١٣) .

أما ترى رأسي تغير لونه شمطاً فأصبح كالثغام المجول
فلقد يراني صاحبائي كأنني في قصر دومة أو سواء الهيكلي

وورد ان الرسول لما قدم المدينة ، فهجته قريش ، وهجوا الأنصار معه ،
فأتى المسلمون كعب بن مالك (٩) فقالوا : أجب عنا ، فقال : استأذنوا لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوه ، فأتى حسان ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اني أخاف أن تصيبن معهم تهجو من بني عمي ، فقال
حسان : لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين ، ولي مقول ما أحب ان لي به
مقول أحد من العرب ، وانه ليفري ما لا تفريه الحرب . ثم أخرج لسانه فضرب
به أنفه كأنه لسان حية بطرفه شامة سوداء ، ثم ضرب به ذقنه ، فأذن له رسول
الله ^٢ . وورد « ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، تناولته قريش
بالهجاء ، فقال لعبدالله بن رواحة : ردّ عني . فذهب في قديمهم وأولهم ، ولم
يصنع في الهجاء شيئاً . فأمر كعب بن مالك » ، ولم يصنع في الهجاء شيئاً ، فدعا
حسان بن ثابت فقال : اهجههم ، واثبت أبا بكر يخبرك بمعايب القوم . فأخرج
حسان لسانه حتى ضرب به على صدره ، وقال : والله يا رسول الله ، ما أحب
ان لي به مقولاً في العرب ، فصبّ على قريش منه شأبيب شر . فقال رسول
الله : اهجههم ، كأنك تنضحهم بالنيل ^٣ .

وروي أن الرسول لما هجاه (عبدالله بن الزبير) ، و (أبو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب) ، و (عمرو بن العاص) ، و (ضرار بن الخطاب)
قال : « ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بسلاحهم
أن ينصروه بالسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله
ما يسرنني به مقول يعن بصرى وصنعاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي ؟ فقال :
والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فقال له : اثبت أبا بكر فإنه
أعلم بأنساب القوم منك . فكان يمضي الى أبي بكر ليقلقه على أنسابهم . وكان

١ الاصابة (١٣٢/١) ، (رقم ٥٤٩) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) ، « كعب بن مالك » ، « هكذا » ، بينما الحال
يستدعي ذكر « حسان بن ثابت » .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٤/١) وما بعدها .

يقول : كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم .
فلما سمعت قريش شعر حسان ، قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة ،
أو متى شعر ابن أبي قحافة .

فن شعر حسان في أبي سفيان بن الحرث :

وإن سنام المجد في آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن لثيم لا يقوم له زند
وان امرأ كانت سمية أمه وسمراء مغمور اذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة^١ .
وذكر ان الرسول جعله شاعره الناطق باسمه اذا جاءته الوفود ، وتبارى الشعراء
أمامه ، قام هو للرد عليهم . فحين قدم وفد (بني تميم) بخطيبهم وشاعرهم ،
ونادوه من الحجرات ان اخرج الينا يا محمد ، وخطب خطيبهم مقتخراً ، ثم قام
شاعرهم وهو (الزبرقان بن بدر) ، فقال :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع

قال رسول الله لحسان : قم ، فقام وقال :

إن اللوائب من فهر واخوتهم قد بينوا ستة للناس تتبع

الى آخر الأبيات . و فقال التميميون عند ذلكم : وربكم إن خطيب القوم
أخطب من خطيبنا ، وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا ، ويعمد شعره هذا من
جيد شعره^٢ .

وقد روي أن النبي كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو

١ الاستيعاب (٣٣٤/١) وما بعدها .

٢ الاستيعاب (٣٤١/١) .

الذين كانوا يهجون النبي^١ . وقد شك (كيتاني) وكذلك (بروكلمن) في صحة هذا الخبر . ولكن الروايات تؤكد أن الرسول كان يستدعيه أحياناً للرد على شعراء الوفود ، وأنه كان يجلس في المسجد ينشد الشعر ، والرسول يسمعه . وأن (عمر) مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ، ثم قال : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت^٢ . أو أن (عمر) مرّ على (حسان) ، وهو ينشد الشعر في المسجد ، فقال أفي مسجد رسول الله تنشد الشعر ؟ فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك . أو ما أشبه ذلك^٣ . وروي أن (عمر) ، نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الانصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحمي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام^٤ .

وذكر أن أول شعر قاله (حسان بن ثابت) في الإسلام ، هو قوله :

فانا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرأ الى أهل خير^٥

ولما أسرت (هذيل) بعض المسلمين وباعتهم من قريش ، هجاهم (حسان) هجاءً مرأ ، وصفهم فيه باللؤم ، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات ، إذ قال فيهم :

لو خلقت اللؤم انساناً يكلمهم
تري من اللؤم رقاً بين أعينهم
تبكي القبور اذا ما مات سيدهم
مثل القنائف تخزي أن تفاجئها
لكان خير هذيل حين يأتيها
كما لوى أذرع العانات كاويها
حتى يصيح بمن في الأرض داعيها
شد النهار ويلقى الليل ساريها^٦

-
- ١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى (١١٤) .
 - ٢ العملة (٢٨/١) .
 - ٣ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) .
 - ٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) .
 - ٥ تاج العروس (٢٧٨/٥) .
 - ٦ ديوان حسان (٦٧) ، (لندن ١٩١٠) .

وهي أبيات شديدة الهجاء ، موجعة ، تفنن فيها الشاعر وأبدع في وصف من هجأهم باللؤم وبالأمر المخزية الأخرى .

ويشك بعض المستشرقين في صحة الشعر المنسوب الى (حسان) الوارد في التفضيع على مقتل (عثمان) وفي الحث على الأخذ بثأره . وذلك لأن هذا الشعر شعر ملتهب فيه قوة وحيوية ونفس شباب ، فيبعد أن يكون من شعر شيخ قد تقدمت به السن^١ .

وروي « عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج وقد فرش حسان فناء أطمه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سباطين وبينهم جارية لحسان يقال لها (شرين) ومعها مزهر تغنيهم ، وهي تقول في غنائها :

هل عليّ ويحكم إن لهوت من حرج

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا حرج^٢ .

و (شرين) لفظة فارسية بمعنى (حلوة) و (جميل) ، فيكون اسم الجارية من الأسماء الفارسية ، معناه في العربية (حلوة) و (جميلة) . ولا يستبعد أن تكون من أصل فارسي ، وإن نص أهل الأخبار على أنها قبطية .

و (شرين) ، هي (سبرين) جارية أعطاها رسول الله لحسان لذبه بلسانه عنه في هجاء المشركين ، وقيل لضربة (صفوان بن المعطل) له بالسيف . وهي أخت (مارية) القبطية . وذكر أن الرسول أعطى حسان الموضع الذي بالمدينة ، وهو قصر بني (جديلة)^٣ .

وقد اختلف الناس في سنة وفاة (حسان) الذي كان قد عمي لما تقدمت به السن . فقبل : توفي قبل الأربعين ، وقيل سنة أربعين ، وقيل خمسين ، وقيل أربع وخمسين من سني الهجرة ، والجمهور على انه عاش مائة وعشرين سنة ، ولكن منهم من ذهب الى انه عاش دون المائة أو ما بين المائة والمائة والعشرين .

١ بروكلمن (١٥٣/١) ، Th. Nöldeke, Die Ghassan., S. 41.

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٤/١) وما بعدها .

٣ الاستيعاب (٣٤٠/١) .

وقد قال (ابن سعد) انه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين ، ومات وهو ابن عشرين ومائة^١ . وذكر انه مات في أيام معاوية^٢ .

وقد كان حسان ممن مشى بين الناس بحديث الإفك ، وهو ممن نزلت بحقه الآية : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم . لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم »^٣ ، لأنه مشى بالإفك مع من مشى به . وهم (عبدالله بن أبي) رأس المنافقين بالمدينة ، ومسطح ، وحنمة بنت جحش . وقال بعضهم إن الذي تولى كبره منهم (حسان بن ثابت) . قيل لعائشة ، وقد دخل عليها (حسان بن ثابت) : « أليس الله يقول : والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم . أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف^٤ » . وروي انه جلد مع (مسطح) بسبب الإفك^٥ .

واعتمر (حسان) من قوله في الإفك بقوله :

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليّ أنا ملي

ثم يقول :

فإن الذي قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئ بيّ ماحل^٦

وقد أسرف (حسان) في افكه بحديث الفك ، حتى آلم النبي ، ويظهر أنه لم يكن من أولئك الأشخاص الذين كانوا يتخرجون من الهجوم على أقرب الناس إليهم ، في حالة تسرعه وتأثره ، فهو شاعر ، ومن عادة الشعراء عدم الاستقرار . وكان عليه أن يدافع عن (عائشة) ، باعتباره شاعر نبيّه ، لا أن يساهم مع

١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (١٧٠٤) ، الاستيعاب (٣٤٢/١) .

٢ الشعر والشعراء (٢٢٣/١) ، (الثقافة) .

٣ سورة النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ١١ .

٤ تفسير الطبري (٦٨/١٨ وما بعدها) ، تفسير الألوسي (١٨٠/١٨) ، تفسير ابن كثير (٢٧١/٣) .

٥ رسالة الغفران (٢٣٥) .

٦ العمدة (٢٤/١ وما بعدها) .

من استغل الحادث لإيلاام الرسول من المنافقين والذين لم يكن الإيمان قد دخل قلوبهم ، وان يمعن في الإفك وفي إيلاام الرسول ، وقد اعتذر بعد ذلك كما رأينا بعلر بارد ، حاول أن يتصل فيه عما قاله في الإفك ، مع أنه كان صنواً لعبدالله ابن أبي في ذلك الحديث .

ولما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى ، قال حسان قصيدته :

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تغفوا الرسوم وتهمد^١

وقال قصيدة أخرى مطلعها :

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمذ
جزعت على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

وقال قصائد أخرى في رثائه^٢ .

وكان حسان من المتعصبين ليثرب على مكة ، ونجد في شعره عصبية لليمن ، وتفانراً شديداً بالأزد ، والأزد من اليمن ، وبنو غسان من الأزد . وهي عصبية قديمة ، تعود الى ما قبل الاسلام . يظهر ان سببها اختلاف ما بين المدينتين في الطباع وفي الطبيعة والأحوال الاقتصادية والزراعة ، وقد فرح ولا شك حين كلفه الرسول بالرد على شعراء قريش ، وهو حاقد عليهم منذ أيام الجاهلية . وقد بقيت هذه العصبية كامنة في نفسه حتى في الاسلام ، وكاد أن يؤجج نارها مراراً بين الأنصار والمهاجرين ، وقد ناه عمر من التعرض لأمر الجاهلية وأيامها ومن إنشاد ما كان قد قيل من شعر في الجاهلية بين أهل يثرب وقريش ، حذر الفتنة ، وعودة العصبية الجاهلية الأولى . وكان (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحسي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام^٣ . ويظهر انه لم يكن مثالياً بدليل هذه النزوات التي صلت منه وهو في الإسلام وكادت تثير فتن الجاهلية :

١ ابن هشام ، سيرة (٣٧٨/٢) ، (حاشية على الروض) .
٢ سيرة ابن هشام (٣٧٩/٢) وما بعدها .
٣ الاستيعاب (٣٣٧/١) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

وكان حسان يهاجي (أميّة بن خلف) الخزاعي . وكان خلف قد هجا حسان بقوله :

أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات، فسلا في الحفاظ؟
يمانياً يظل يشدّ كبراً وينفخ دائباً لهب الشواظ^١

وكان قد قال :

ألا من مبلغ حسان عني مغلفة تدب الى عكاظ ؟

فأجابه حسان :

أتأني عن أمية زور قول وما هو في المغيب بلني حفاظ
سأنشر إن بقيت لكم كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ
قواني كالسلاح إذا استمرت من الصم المعجرفة الغلاظ
تزورك إن شتوت بكل أرض وترضخ في محلك بالمقاز
بنيت عليك أيباناً صلاباً كأمر الوسق قعص بالشواظ
مجللة تعممه شناراً مضرمة تأجج كالشواظ
كهزمة ضيغم يحمي عريناً شديد مغارز الأضلاع خاظمي
تغض الطرف ان ألقاك دوني وترمي حين أدبر باللاحاظ^٢

وقد هاجى (حسان بن ثابت) النجاشي ، واسمه (قيس بن عمرو) من رهط (الحارث بن كعب) ، وكان قد هجا الأنصار فردّ عليه (حسان بن ثابت) ، ثم أمر بأن يكتب رده غلمان الكتاب ، ليوزع على الناس . وقد كان النجاشي قد هاجى (عبد الرحمن بن حسان) ، واشتد هجاؤه عليه فأعانه والده عليه^٣ . وكان مما قاله حسان في (الحارث بن كعب) رهط النجاشي قوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عرض جسم البغال وأحلام العصافير^٤

-
- ١ اللسان (٤٤٦/٧) ، (شوط) ، تاج العروس (٢٥٣/٥) ، (تشاوط) .
 - ٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .
 - ٣ الخزانة (١٠٥/٢) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٤ ديوان حسان (٢١٤) ، رسائل الجاحظ (٣٤٣/٢) ، (كتاب البغال) .

ويلاحظ ان أهل الأخبار نسبوا الى ابنه (عبد الرحمن) ، والى حفيده (سعيد ابن عبد الرحمن) مثل هذا الذي نسبوه الى (حسان) . إذ ذكروا ان (عبد الرحمن) أوقد ناراً حتى اجتمع اليه الحي ، ثم قال : قد قلت بيتاً ، فخفضت أن يسقط يحدث يحدث عليّ فجمعتكم لتسمعه ، وان ابنه (سعيد) فعل فعله^١ . ويلاحظ ان الأبيات التي ذكروها هي على وزن واحد وعلى قافية واحدة . وقد تكون من وضع الرواة .

وأم (عبد الرحمن بن حسان) ، أخت مارية القبطية أم ابراهيم ابن الرسول . وكانت تسمى (سيرين) (شيرين) (شرين) . وكان عبد الرحمن شاعراً كذلك . ذكر ان والده أشار اليه بقوله :

فن للقواني بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت^٢

ونسب الى حسان أو ابنه عبد الرحمن قوله : قلت شعراً لم أقل مثله ، وهو :

وان امرأ أسمى وأصبح سالماً من الناس ، إلا ما جنى ، لسعيد^٣

وكانت لحسان بنت شاعرة ، أرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت أخذنا القروع واجتثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئاً ، فقالت له بته : كأنك قد أجبلت يا أبه ! قال : أجبل ، قالت ، فهل لك أن أجيز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ! قالت : نعم ، قال : فافعلي ، قالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الحنا كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي حسان فقال :

وقافية مثل السنان رزقتها تناولت من جو السماء نزولها

١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٦/١) .

٢ الاصابة (٦٧/٣ وما بعدها) ، رقم (٦٢٠٥) .

٣ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) .

فقلت :

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

فقال حسان : لا أقول بيت شعر وأنت حية ، قالت : أو أومنك ؟ قال :
وتفعلين ؟ قالت نعم ، لا أقول بيت شعر ما دمت حياً^١ .

ولحسان ديوان شعر مطبوع . طبع جملة مرّات . وقد شرح أيضاً ، وطبعت
الشروح كذلك^٢ .

وكعب بن مالك من شعراء يثرب كذلك . ويكنى أبا عبدالله وقيل أبا عبد
الرحمن ، وهو ممن شهد العقبة ، وكان أحد شعراء رسول الله الذين كانوا يردّون
الأذى عنه ، وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر . وذكر
انه كان أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض^٣ » ، وهم كعب بن مالك الشاعر هذا ، وهلال
ابن أمية ، ومرارة بن ربيعة تخلفوا عن غزوة (تبوك) فتاب الله عليهم وعذرهم ،
وكانوا كلهم من الأنصار^٤ .

وكعب بن مالك من أسرة أظهرت جملة شعراء ، فمالك والد كعب كان
شاعراً ، وعمه قيس كان شاعراً كذلك . وكان أولاد كعب وأحفاده شعراء
« يجيئون مقدمون في الشعر »^٥ .

وقد ذكر (ابن سيرين) ان كعباً قال بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما :

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيوف
تخبرنا ولو نطق لقلت قواطعهن دوساً أو ثقيفاً

١ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) .

٢ للوقوف على مواضع طباع الديوان والشروح راجع بروكلمن ، تاريخ الادب
العربي (١٥٣/١ وما بعدها) .

٣ التوبة ، الآية ١١٨ .

٤ تفسير الطبري (٤١/١١) ، الاصابة (٢٨٥/٣ وما بعدها) ، (رقم ٧٤٣٥) ،
السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٧/١) ، الخزائن (٢٠٠/١) ، (بولاق) ، البيان
والتبيين (٢٦/٣) .

٥ الاغانى (٣٧/١٥) .

فلما بلغ ذلك دوساً ، قالوا : خلووا لأنفسكم لا يتزل بكم ما نزل بثقيف^١ .
 وقال (ابن سيرين) أيضاً : « كان شعراء المسلمين : حسان بن ثابت ،
 وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك . فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبدالله
 يعبرهم بالكفر ، وكان حسان يقبل على الأنساب » ، وأما شعراء المشركين :
 فعمر بن العاص ، وعبدالله بن الزبيري ، وأبو سفيان بن الحارث ، وضرار بن
 الخطاب^٢ .

ولكعب شعر في يوم أحد ، فيه :

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطِهِ أَحْيَيْشُ مِنْهُمْ حَسَّاسٌ وَمَقْنَعُ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَضِيَّةٌ ثَلَاثُ مِائَةٍ إِنْ كُنَّا أَوْ أَرْبَعُ
 فَرَاخُوا مِرَاعًا مُرْجَعِينَ كَأَنَّهُمْ جِهَامٌ هَرَّاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مَقْلَعُ
 وَرُحْنَا وَأَخْرَانَا بَطَاءُ كَأَنَّنَا أَسْوَدَ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٍ ظَلَعُ

وله شعر في أيام الخندق ، وفي يوم بدر وفي المعارك الأخرى^٣ .
 ومن شعر كعب بن مالك قوله :

زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَجُهَا فليَغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَالِبِ

وفي رواية :

جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَيْ تَغَالِبَ رَجُهَا فليَغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَالِبِ^٤

وكانت العرب تعبر قريشاً بها ، لأنهم كانوا يكثرُونَ من أكلها ، ولذا كانت
 تعبر به . والسخينة حساء يؤكل في الجذب . مازح (معاوية) الأحنف بن قيس
 فقال : ما الشيء الملقف في البجاد ؟ فقال : هو السخينة يا أمير المؤمنين .
 والملقف في البجاد وطب اللبن يلف به ليحمى ويدرك ، وكانت تميم تعبر به .

١ الاصابة (٢٨٦/٣) ، (رقم ٧٤٣٤) .

٢ الاستيعاب (٢٧٢/٣) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٥٣) وما بعدها ، الخزائن (٢٠٠/١) وما بعدها ، (بولاق) .

٤ الاستيعاب (٢٧٤/٣) .

فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه ، مازحه الأحنف بمثله^١ . وروي أن رسول الله قال لكعب : أنرى الله نسي قولك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن^٢ مغالب الغلاب^٣

وجاء في رواية يضعفها العلماء ، ان (حسان بن ثابت) وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، دخلوا على (علي) فناظروه في شأن (عثمان) وأنشده كعب شعراً في رثاء عثمان ، ثم خرجوا من عنده ، فتوجهوا الى معاوية فأكرمهم . وروي أنه كان ممن رثى عثمان ، ولم يرد في الأخبار أنه ساهم في حرب علي ومعاوية^٤ . وذكر أنه فقد بصره في آخر عمره ، وتوفي في زمن معاوية سنة خمسين ، وقيل ثلاث وخمسين^٥ .

و (عبدالله بن رواحة) من الخزرج ، وهو أبو محمد ، ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو ، وكان من شعراء يثرب المعروفين : وهو أحد الثقباء ليلة العقبة وشهد بدرأ ، وكان ممن يكتب للنبي ، وكان ممن يكتب في الجاهلية ، وهو الذي جاء ببيشارة وقعة بدر الى المدينة ، وبعثه رسول الله في ثلاثين راكباً الى (أسير ابن رقرام) (يسير بن رزام) اليهودي بخيبر فقتله . وقد استشهد بمؤتة سنة سبع^٦ . وليس له عقب . وهو خال (النعمان بن بشير) الأنصاري . وكان عظيم القدر في قومه ، سيداً في الجاهلية ، ليس في طبقة أسود منه . وكان في حروبهم في الجاهلية بناقض قيس بن الخطيم^٧ .

وهو يختلف عن حسان في كونه محارباً ، اشترك مع الرسول في معاركه ، ومات قتيلًا محارباً^٨ .

١ تاج العروس (٢٣٢/٩) ، (سخن) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٥٤) .

٣ الاصابة (٢٨٦/٣) ، (رقم ٧٤٣٤) ، الاغاني (٢٨/١٥) وما بعدها .

٤ الاستيعاب (٢٧٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٥ الاصابة (٢٩٨/٢) وما بعدها ، (رقم ٤٦٧٦) ، شرح شواهد ، للسيوطي (٢٨٨/١) ، اعلام النبلاء (١٦٦/١) ، ابن حبيب ، كنى الشعراء (٢٨٩) ، « أسير بن رزام » ، المحبر (١١٩) .

٦ ابن سلام ، طبقات (٥٤) ، الخزانة (٣٠٤/٢) وما بعدها ، (هارون) .

٧ المحبر (١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٤٢١) .

وأكثر ما روي من شعره ، هو من الشعر الذي قاله في الإسلام . ولا سيما في معركة (مؤتة) . وروي أن الرسول قال له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك . فانبعث مكانه يقول :

لاني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ان ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وفي رواية ابن هشام :

لاني تفرست فيك الخير قافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنت النبي ومن يحرم نوافله والوجه منه ، فقد أزرى به القدر

وروي ان الرسول دعاه ، فقال له : كيف تقول الشعر اذا قلت ؟ قال أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين . فأنشده :

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فظهرت الكراهة في وجه الرسول ، ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأننا ليس يغلبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ما له غير
لاني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فتبسم الرسول وسراً به^١ .

وروي هـ هشام بن عروة عن أبيه . قال : ما سمعت بأحد أجراً ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، يوم يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ الاستيعاب (٢٨٧/٢) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .

قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك ، ثم أبدته بصره ، فانبعث عبدالله بن رواحة يقول :

لاني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ما إن خاني بصره^١

وروي أن الرسول قال « لعبدالله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل ، فيخرجه على لسانه شعراً »^٢ . وقد ذكر (ابن سلام) البيت المذكور وما بعده في قصيدة مطلعها :

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطارق أو دانت لكم مضر

ذكره في ضمن القصيدة ، ولم يجعله مطلعها^٣ .

ولما دخل رسول الله مكة في عمرة القضاء ، وابن رواحة بين يديه وهو يقول :

خلّوا بني الكفّار عن سيّله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر ؟ فقال النبي : خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل^٤ . وقد كانت عمرة القضاء سنة ست من الهجرة^٥ .

وقد روي هذا الرجز بزيادة واختلاف^٦ . وقد ذكر (ابن هشام) ، بعد إيراد هذه الأبيات هذه الملاحظة : « نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات : لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل »^٧ .

١ شرح شواهد ، للسيوطي (٢٩٣/١) .

٢ المصدر نفسه (٢٨٩/١) .

٣ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩٠/١) .

٥ ابن هشام ، سيرة (٢٥٤/٢) ، (حاشية على الروض) .

٦ ابن هشام ، سيرة (٢٥٥/٢) ، (حاشية على الروض) ، ابن سيد الناس

(١٤٩/٢) ، اعلام النبلاء (١٦٩/١) ، ابن سعد ، طبقات (٣ القسم الثاني ٨٠) ،

الروض الانف (٢٥٥/٢) .

٧ ابن هشام ، سيرة (٢٥٥/٢) .

وكان (النعمان بن العجلان) الزرقى لسان الأنصار وشاعرهم ، وكان رجلاً
أحرّ قصباً تردّيه العين ، وكان سيّداً ، وله شعر يفخر بقومه على قريش من
جملته :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر

* * *

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم وأملأً وسهلاً قد أمنت من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أسار الجزور على الشطر

ثم تعرض لموضوع الخلافة ، وقصة انتخاب (سعد) لها ، وتعين قريش
أبا بكر خليفة ، ثم تعرض لحق علي فيها ^١ .

وكان (علي بن أبي طالب) استعمل (النعمان) هذا على البحرين ، فجعل
يعطي كل من جاء من (بني زريق) ، فقال فيه (أبو الأسود) الدؤلي :

أرى فتنة قد ألهت الناس عنكم فندلا زريق المال ندل الثعالب
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم يبدد مال الله فعل المناهب ^٢

١ الاستيعاب (٥٢١/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الاصابة (٥٣٢/٣) ، (رقم ٨٧٤٨) .

الفصل الرابع والستون بعد المئة

شعراء ثقيف

وثقيف من القبائل التي لم تنجب عدداً يذكر من الشعراء . وشاعرهم الوحيد الذي نال شهرة ، وظهر أمره هو (أمية بن أبي الصلت) الثقيفي . وقد علل (ابن سلام) قلة الشعر بالطائف بقوله : « وبالطائف شعراء ، وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم فائز ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُثمان وأهل الطائف »^١ .

وقد عرفت ثقيف بفصاحة لسانها ، وبمقدرتها في الكتابة ، ولهذا ورد ذكرها في حادث تدوين القرآن .

ومن شعراء ثقيف (أبو الصلت بن أبي ربيعة) ، وهو والد (أمية بن أبي الصلت) ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل^٢ ، وأبو محجن الثقيفي . وكانت زوجة (أبي الصلت) : (رُقِيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف) ، فهي من قريش . وهي والدة (أمية)^٣ .

ونسبت الى (أبي الصلت) قصيدة زعم أنه مدح فيها أهل فارس حين

١ ابن سلام ، طبقات (٦٥ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٦٦) .

٣ الشعر والشعراء (٣٦٩/١) .

قتلوا الحبشة ، ومدح (سيف بن ذي يزن) ، وهنأه فيها لتوليهِ الملك^١ ، وقد أشار فيها الى قصة (سيف) ، وكيف ذهب الى (هرقل) يستنجده على الحبشة ، فلم يجد عنده ما طلب ، ثم كيف ذهب الى (كسرى) ، وبقي عند بابه تسع سنوات حتى أمدّه بالجنود وعلى رأسهم باذان ووهرز ، الى آخر القصة التي ترد في كتب الأخبار والتواريخ . وقد نسبها بعض الرواة الى ابنه (أمية) .

وأمية بن أبي الصلت من الشعراء الذين رغبوا عن عبادة الأوثان وآمنوا بالله وبالبعث ، ووقف على كتب أهل الكتاب فتأثر بها ، وكان يجالسهم ويختلط بهم . وكان أبوه شاعراً ، روى رواية الشعر شيئاً من شعره ، وكان ابنه (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شاعراً كذلك وله صحة . وذكر ان العرب انفقت على ان (أمية) كان أشعر ثقيف^٢ .

ذكر انه كان في الجاهلية نظر الكتب وقرأها وليس المسوح وتعيد أولاً يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرّم الخمر وتجنب الأوثان . ولما ظهر الاسلام حسد النبي ، فلم يسلم ، لأنه كان طمع في النبوة ، أو انه أراد أن يسلم ، فلما سمع يقتل بدر ، توقف ورثى قتلى المشركين ، وذهب الى الطائف فات بها . وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل انه توفي سنة تسع من الهجرة ، وقيل قبل ذلك وورد في رواية انه مات في الجاهلية ولم يدركه الاسلام . وقد صدقه النبي في بعض شعره ، وقال : قد كاد أمية أن يسلم^٣ . وقد كان يكنى بـ (أبي عثمان) وبـ (أبي القاسم)^٤ .

وورد في بعض الروايات ان في حقه نزلت الآية : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين »^٥ . ويرجع سند القائلين بذلك الى (عبدالله بن عمرو) والى (ابن الكلبي)^٦ .

- ١ ابن سلام ، طبقات (٦٦) ، ابن قتيبة ، الشعر (١ / ٣٧١) .
- ٢ الإصابة (١٣٤ / ١) ، (رقم ٥٥٢) ، الاغانى (١٧٩ / ٣) وما بعدها ، (١٦ / ٦٩) ، خزائن (١١٨ / ١) ، بروكلمن (١١٣ / ١) وما بعدها .
- ٣ الإصابة (١٣٤ / ١) ، (رقم ٥٥٢) ، الخزائن (١١٩ / ١) وما بعدها ، الجمان في تشبيهات القرآن (٨٤ ، ٣٨٤)
- ٤ كنى الشعراء ومن غلبت كنيته عليه (٢٨٩) ، (نواذر المخطوطات) .
- ٥ سورة الاعراف ، الآية ١٧٥ .
- ٦ تفسير الطبري (٨٢ / ٩) ، تفسير الألوسي (٩٨ / ٩)

وروي أن النبي سأل (الرشيد بن سويد) أن ينشده من شعر أمية ، فأنشده
إياه ، فقال : كاد ليسلم . وأن النبي أنشد قول أمية :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال : صدق ، وهذه صفة حملة العرش . وذكر أن معظم شعر أمية كان
في الآخرة ، كما كان معظم شعر عنترة بذكر الحرب^١ .

وقد دون (ابن هشام) قصيدة (أمية) التي نظمها يرثي من أصيب من
قريش يوم بدر ، ومطلعها :

ماذا يبدر بالعقد قل من مرازية جمحاجح
ألا بكيت على الكرام م بني الكرام أولى للمدائح
كبكا الحمام على فرو ع الأليك في الغصن الجوانح^٢

وذكر أن النبي نهى عن روايتها لما ورد فيها من رثاء قتلى بدر^٣ ، ولكني
أشك في صحة صدور هذا النهي من الرسول ، إذ لو كان الرسول قد نهى عن
إنشادها ، فكيف دونها (ابن هشام) وغيره ، ولا تزال مدونة ، وقد قال
(ابن هشام) أنه دون القصيدة إلا بيتين نال فيها من أصحاب الرسول^٤ .

ودون (ابن هشام) قصيدة أخرى لأمية قالها يرثي ويبيكي (زمعة بن الأسود)
وقتل (بني أسد)^٥ من أبياتها :

عينُ بكى بالمسيلات أباالعا صبي ولا تذكرني على زمعه
لبي مسلم لهم خرت الجو زاء لا خاة ولا خدعه
وهم الهامة الوسيطة من كعب ومن هم كثروة القمعه

١ الخزانة (١٢٠/١) وما بعدها .

٢ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، البيان والتبيين
(٢٩١/١) .

٣ الحيوان ، للجاحظ (٢٩١/١) ، (عبد السلام محمد هارون) ، بروكلمن ، تاريخ
الأدب العربي (١١٣/١) .

٤ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) .

٥ ابن هشام ، سيرة (١١٤/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

أنبأوا من معاشر شعر الرأس وقد بلغوهم المنع
وهم المطعمون إن قحط القطر وأصحت فلا ترى قزعه
أمسى بنو عمهم إذا جلس النا دي عليهم أكبادهم وجعه^١

ومن شعره الذي قاله في التحريض على رسول الله قوله :

لله درّ بني عليّ أيتّم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارة شعواء تحجر كلّ نابج
بزهاء ألف أو بألف بين ذي بدن ورامح^٢

وروي انه كان يحكي في شعره قصص الأنبياء ، ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها
العرب ، يأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب^٣ .
وكان يسمي السماء في شعره : (صاقورة) و (حاقورة) ، و (بريقع) .
ويقول في الله عز وجل :

هو السليط فوق الأرض مقتدر

ويقول : وأبدت الثغوروا ، يريد الثغر^٤ .

وفي شعر (أمية) إشارة الى قصة أصحاب الفيل ، إذ قال :

إن آيات ربنا بينات لا يماري بهنّ إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يمشي كأنه معقور^٥
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور^٦

ونسبت الى (أمية) قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتاً ، ذكر فيها شيئاً
من قصص الأنبياء : داوود ، سليمان ، ونوح ، وموسى ، وذكر قصة إبراهيم

-
- ١ نسب قريش (٢٠٦) .
 - ٢ نسب قريش (١٠ وما بعدها) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٣٦٩/١) ، (دار الثقافة) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٣٧١/١) .
 - ٥ الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن نايقا البغدادي ، (٣٨٤) .
 - ٦ رسالة الغفران (٥٤٢) .

واسحاق ، وزعم أنه هو الذبيح ، وقد وردت في ديوانه الذي جمعه (محمد بن حبيب) ، وفي أبياتها بيت هو :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال^١

وقد وجد هذا البيت في قصيدة رواها (الأصمعي) لأبي قيس اليهودي ، وقيل هي لابن صرمة الأنصاري مطلعها :

سبحوا للمليك كل صباح طلعت شمسهُ وكل هلال

ووجد أيضاً في أبيات لحنيف بن عمير البشكري ، قالها لما قتل محمّد بن الطفيل يوم اليمامة في أبيات هي :

يا سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلى بفتنة الرجال
أنها يا سعاد من حدث الدهر عليكم كفتنة الدجال
إنّ دين الرسول ديني وفي القوم م رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم محمّد بن طفيل ورجال ليسوا لنا برجال
ربما يجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال^٢

وقد نحدث (أمية) في قصيدته اللامية عن الخلق وعن كيفية تكون الأرض وظهور الأنهار والعيون ، ثم عن الموت والبعث والنشر ، وهي قصيدة أرى أنها منحوّلة ، وهي لا يمكن أن تكون من شعر تلك الأيام ، وقد نحل على لسان (أمية) وأظن أن ذلك في أيام الحجاج ، الذي كان يتعصب له لكونه شاعر ثقيف ، وهو منها^٣ .

ومما نسب إلى أمية هذا الشعر :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد

١ ربما تكره النفوس من الشر له فرجة كحل العقال .

٢ الخزائن (٥٤٣/٢ وما بعدها) ، (بولاق) ،

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال
أمالى المرتضى (٤٨٦/١) .

٣ راجع ديوان أمية طبعة « شولتس » « Shulthes » ، وطبعة بشير يموت .

وبها تلاميذ على قدّفاتهما حبسوا قياماً فالقرائن ترعد

وهذا الشعر :

صاغ السماء فلم ينخفض مواضعها لم يتقص علمه جهل ولا هرم
لا كشفت مرة عنا ولا بليت فيها تلاميذ في أقفانهم دغم

وهذا البيت ، الذي هو من الشعر الأول :

فضى وأصعد واستبد إقامة بأولى قوى فبتل ومتملدا

وروى أهل الأخبار قصصاً عنه ، هو من نوع القصص الذي يروى وقوعه
للأنبياء ، مثل تكليم الجن له ، ووقوع طير على صدره ، وشقه له ، لتنظيف
قلبه ، في قصة أخذت من خبر غسل قلب الرسول ولا شك . ثم حكاية شعوره
بدنو أجله ، ووفاته^٢ . وقد حاول وضاع هذا القصص تبجيل (أمية) واعطائه
قدسية خاصة وإظهاره بمظهر الصالحين حتى كاد الوحي يتزل عليه لولا ظهور
الرسول . وقد حاول بعض أهل الأخبار تخفيف أثر ما روي عن معارضة (أمية)
للإسلام ، ومنهم من أمانته قبل الإسلام ، وبذلك خلصه من تهمة اشتراكه مع
المشركين في محاربة الإسلام . وهي روايات يظهر أنها ظهرت في أيام الحجاج ،
وبتأثير منه .

وأكثر ما نسب إليه من شعره محمول عليه ، ونجد في كتاب (البدء والتاريخ)
لمظهر بن طاهر المقدمي شعراً فيه عبارات وألفاظ قرآنية، لا شك في أنها مصنوعة،
وقد حملت عليه . وقد ذهب (كليمان هوار) أن شعره كان من مصادر القرآن،
ومعنى هذا أنه شعر صحيح ، قاله (أمية) قبل الإسلام ، فتعلمه الرسول منه،
ونزل به الوحي . وقد عارضه (بروكلمن) وآخرون من طائفة المستشرقين ،
وهم يرون أن هذا الشعر قد صنع ونسب إليه في عهد مبكر ، ربما كان في القرن

١ رسالة التلميذ ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (٢٢٢ وما بعدها) ، من « نوادر
المخطوطات » ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، (المجموعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١م)

٢ الإصابة (١٣٥/١) .

الأول للهجرة . وقد أدخل فيه قصص أخذ من القرآن^١ .

وتعدّ قصيدة (أمية) التي مطلعها :

عرفتُ الدار قد أقوت سنينا لزنب إذ تحلّ بها قطينا
في المجمرات .

ونسب لأبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، والد أمية قوله :

لن يطلب الوتر أمثالُ ابن ذي يزن لجج في البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعماته فلم يجد عنده القول الذي قال
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة من السنين ، لقد أبعدت إغالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم انك عمري لقد أسرعت قلقالا
من مثل كسرى وبأذان الجنود له ومثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
لله درهم من عصبة خرجوا ما ان ترى لهم في الناس أمثالا
غلبا جحاجة ييضاً مراجعةً أسداً تربب في الغيصات أشبالا
يرمون عن عتلى كأنها غبط بيزخر يُعجل المرمى إعجالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلاّلا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
ثم أطل المسك إذ شالت نعماتهم واسبل اليوم من بُرديك إسبالا
تلك المكارم قعبان من لبنٍ شيئا بماء فعادا بعد أبولا^٢

وهي قصيدة زعم انه قالها في (سيف بن ذي يزن) ، وزعم انها لابنسه
(أمية بن أبي الصلت) . وقد رواها (الطبري) في تأريخه ، على هذه الصورة :

١ Cl Huart, in JA., Ser., X, I, IV, (1904), p. 125, Tor Andrae, Der ursprung d. Islam und d. Christentum, Stockholm, (1926), S. 48.

بروكلن ، تاريخ الادب العربي (١١٣/١) .

٢ الشعر والشعراء (٣٧١/١ وما بعدها) ، التيجان (٣٠٥) ، الاغانى (٧٣/١٦) ،
الروض الانف (٥٢/١) ، ابن سلام ، طبقات (٢١٨) ، البحترى ، حماسة (١٦) .

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
 أتى هرقل وقد شالت نعماتهم
 ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة
 حتى أتى ببني الأحرار يحملهم
 من مثل كسرى شهنشاه الملوك له
 لله درهم من عصبية خرجوا
 غرّ جحاجة ، بيض مرازية
 يرمون عن شدف كأنها غبط
 أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد
 فاشرب هنيئاً عليك التاج متكئاً
 وأطل بالمسك إذ شالت نعماتهم
 تلك المكارم لا قعبان من لبن
 ريم في البحر للأعداء أحوالا
 فلم يجد عنده بعض الذي قالا
 من السنين ، لقد أبعدت إغالا
 إنك لعمرى لقد أطولت قلقالا
 أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا
 ما إن ترى لهم في الناس أمثالا
 أسد تربب في الغيصات أشبالا
 في زجر يعجل المرمي إعجالا
 أضحي شريدهم في الأرض فلالا
 في رأس غمدان داراً منك محلالا
 واسبل اليوم في برديك إسبالا
 شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

وقد نسبها لوالد أمية .

وقد ذكر (ابن هشام) ، ان (ابن اسحاق) نسب هذه القصيدة لأبي الصلت
 ابن أبي ربيعة ، ويروي أنها لامية . وقد رواها على هذا النحو :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن
 بم قيصر لما حان رحلته
 ثم انثنى نحو كسرى بعد عشرة
 حتى أتى ببني الأحرار يحملهم
 لله درهم من عصبية خرجوا
 بيضاً مرازية غلباً أساورة
 يرمون عن شدف كأنها غبط
 أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد
 فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً
 وأشرب هنيئاً فقد شالت نعماتهم
 تلك المكارم لا قعبان من لبن
 ريم في البحر للأعداء أحوالا
 فلم يجد عنده بعض الذي سالا
 من السنين يهين النفس والمالا
 إنك عمرى لقد أسرعت قلقالا
 ما ان أرى لهم في الناس أمثالا
 أسداً تربب في الغيصات أشبالا
 بزجر يعجل المرمي إعجالا
 أضحي شريدهم في الأرض فلالا
 في رأس غمدان داراً منك محلالا
 واسبل اليوم في برديك إسبالا
 شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

١ الطبري (١٤٧/٢ وما بعدها) .

وقد ذكر (ابن هشام) ان « هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها ،
إلا آخرها بيتاً : تلك المكارم لا قعبان من لبن . فإنه للناطقة الجعدي »^١ .
وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج الى دليل ، وهو وضع
يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن صنعة الوضع جيداً ، ولا له إلمام بأمور التأريخ ،
فالقصيدة التي مطلعها :

لك الحمد والمنّ ربّ العبا د أنت المليك وأنت الحكم

هي قصيدة إسلامية ، لا يمكن أبداً أن تكون من نظم شاعر لم يؤمن بالإسلام
إيماناً عميقاً من كل قلبه ولسانه . خذ هذا البيت منها مثلاً :

محمدأ أرسله بالهدى فعاش غنياً ولم يهتضم

ثم خذ الأبيات التالية له وفيها :

عطاء من الله أعطيته	وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا أنه خيرهم	وفي بيتهم ذي الندى والكرم
يعيون ما قال لما دعا	وقد فرج الله إحدى البُهم
به وهو يدعو بصدق الحديد	ث إلى الله من قبل زيف القدم
أطيعوا الرسول عباد الإلّ	به تنجون من شرّ يوم ألم
تنجون من ظلمات العذاب	ومن حرّ نارٍ على من ظلم
دعائي النبي به خاتم	فن لم يحبه أسرّ الندم
نبي هدى صادق طيب	رحيم رؤوف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله	ومن بعده من نبيّ ختم
يموت كمات من قد قضى	يردّ إلى الله باري النسم
مع الأنبياء في جنات الخلود	هم أهلها غير حل القسم
وقدس فينا بحب الصلاة	جميعاً وعلم خط القلم
كتاباً من الله نقرأ به	فمن يعتره فقدماً أمّ

١ ابن هشام (٥٢/١ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٣٧١/١) ،
٢ ديوان أمية ، قصيدة رقم ٢٣ في طبعة « فردرش شولثيس » ، (ص ٢٣ وما بعدها) ،
و (ص ٥٥ وما بعدها) من (طبعة بشير يموت) ، الخزائن (١٢٢/١) ، (بولاق) .

اقرأ هذه المنظومة ، ثم أحكم على صاحبها ، هل تستطيع أن تقول انه كان شاعراً مغاضباً للرسول ، وانه مات كافراً ، وان صاحبها رثى كفار قريش في معركة بدر ، وانه قال ما قال في الاسلام وفي الرسول ؟ اللهم ، لا يمكن أن يقال ذلك أبداً ، فصاحب هذا النظم رجل مؤمن عميق الايمان ، هو واعظ ومبشر يخاطب قومه فيدعوهم الى الاسلام والى طاعة الله والرسول . انه مؤمن قلباً ولساناً ، مع انهم يذكرون ان الرسول قال فيه : آمن شعره وكفر قلبه ، أو آمن لسانه وكفر قلبه ، ولم يقصد الرسول ايمان أمية بالله وبرسوله ، وانما ايمان لسانه وشعره بالله ، وكفره برسوله ، إذ لم يؤمن به ، فأتى على كفره وعناده وبغضه للرسول : ثم ان صاحب المنظومة رجل يتحدث عن وفاة الرسول ، ويريد تثبيت الناس على الايمان به بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى ، فظهر من تزلزل ايمانه بسبب وفاته ، مع ان أمية ، كان قد توفي في السنة التاسعة من الهجرة ، أي قبل وفاة الرسول ، فهل يعقل أن يكون اذن هو صاحبها وناظمها ؟

أليست هذه المنظومة وأمثالها اذن دليلاً على وجود أيد لصناع الشعر ومنتجيهم في شعر أمية . نحمد الله على ان صناعتها لم يتقنوا صنعتها ، ففضحوا أنفسهم بها ، ودلّوا على مقاتل النظم .

وروي ان بعض الرواة نسبوا الى أمية بيتاً في قصيدة هو :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فتنسه ظمًا

وفي القصيدة ضروب من التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار غير أن العارفين بالشعر ينكرون أن تكون لأمية ، وإنما نسبوها الى النابغة الجعدي ، وذكروا أن هذا البيت هو من شعر النابغة الذي كان يتأله في الجاهلية وأنكر الحمر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان ، وذكر دين ابراهيم^٢ .

ثم أخذ قصيدة أخرى من القصائد المنسوبة لأمية ، وهي في وصف الجنة والنار استهلّت بهذا البيت :

١ « وكانت وفاة أمية بن أبي الصلت قبل ذلك بيقين سنة تسع من الهجرة » ،

الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) .

٢ ابن سلام (١٠٦) ، الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .

جهنم لا تبقي بقيّاً وعدن لا يطالها رجمٌ

ثم استمر في قراءتها ، وفي ما جاء فيها من وصف للجنة والنار ، ثم أنعم النظر في عبارات هذه الآيات :

فذا غسل وذا لبن وخرٌ وقح في منابته صريمٌ
ونخل ساقط الأكتاف عد خلال اصوله رطبٌ قيمٌ
وتفاحٌ ورمّانٌ وموزٌ وماء بارد عذبٌ سليمٌ
وفيهما لحم ساهرة وبحرٌ وما فاهوا به لهمٌ مقيمٌ
وحورٌ لا يترين الشمس فيها على صُور الدُمى فيها سُهومٌ
نواعمٌ في الأرائك قاصرات فهنّ عقائل وهنّ قرومٌ
على سرر ترى متقابلاتٍ ألا ، ثم النضارة والنعيم
عليهم سندسٌ وجيادٌ ريطٌ ودياج يرى فيها قنومٌ
وحلّوا من أساور من لّجينٍ ومن ذهب ، وعسجد كريمٌ
ولا لغوٌ ولا تأثيمٌ فيها ولا غولٌ ولا فيها ملّيمٌ
وكأس لا تصدع شاربها يلدّ بحسن رؤيتها النديمٌ
تصفّق في صحاف من لّجينٍ ومن ذهب مباركة رذومٌ

ثم احكم بعد ذلك على صاحب هذه الآيات . لقد حاول ناظمها إدخال بعض الكلمات الجاهلية فيها ، لإلباسها ثوباً جاهلياً ، ولإظهارها بمظهر الشعر الجاهلي الأصيل ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، بل صيرها في الواقع نظماً لوصف الجنة والنار في الاسلام. وما بقي حاجة الى أن أحييك على الآيات التي أخذ منها صاحب هذا الشعر وصفه من القرآن .

ومن الغريب ان بعض الباحثين اتخذ هذا النظم وأمثاله حجة لتبيان عقائد الجاهليين ، فذكر مثلاً ان العرب في جاهليتها كانت تؤمن بالجزاء ، وأن منهم

١ تجد اختلافًا في كلمات هذه القصيدة وأبياتها ، وكذلك في قصائد هذا الشاعر الأخرى ، فارجع في ذلك الى طبعات ديوانه والى كتب الادب لمعرفة مواضع الاختلاف، كتاب البده والتاريخ (٢٠٢/١ وما بعدها) ، ثم ديوانه .

من نظر في الكتب وكان مُقرأً بالجنة والنار. وحجته في ذلك هذه المنظومة المنسوبة الى أمية ، مع أنها من الشعر المزيف المصنوع !

ثم خذ قصيدته في (عيسى بن مريم) وحمل أمه به^١ ، وسائر قصائده الأخرى ، تجد عليها هذه المسحة الاسلامية بارزة ظاهرة ، ومن الممكن إدراك هذا المصنوع المزيف بدراسة ألفاظه وأسلوبه وأفكاره ، وبهذه الطريقة نتمكن من استخلاص الأصل من شعره من المهجين .

ولأمية شعر في الموت ، حيث يقول :

من لم يمت عبطة يمت هرمًا وللموت كأسٌ ، والمرء ذاتها^٢

ويروى له قوله في الله :

واشهد أن الله لا شيء فوقه علياً وأسمى ذكره متعالياً^٣

وزعم أن أمية ، قال عند موته :

إن تغفر اللهم تغفر جمًا وأيّ عبد لك لا آسا

وقد تمثل به النبي وصار من جملة الأحاديث . قالوا في ذلك : يجوز إنشاد الشعر للنبي ، وإنما المحرم انشاؤه . وقد زعم أن البيت لأبي خراش الهذلي ، وذكر أنه لا يعرف قائله ولا بقيته ، وقد أخذه أبو خراش وضمه الى بيت آخر ، وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة^٤ .

ومن شعر أمية قوله :

زعم ابن جدعان بن عمرو أنني يوماً مُدابر
ومسافرٌ سَفراً بعيداً ، لا يؤوب له مسافرٌ

-
- ١ ديوان أمية (٥٨) ، (بشير يموت) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٥٣٣/١) .
 - ٣ أمالي المرتضى (١٦٨/٢) .
 - ٤ الخزائن (٢٩٥/٢) ، (هارون) .
 - ٥ اللسان (٢٧٥/٤) ، (دبر) .

ومن ولد (أمية بن أبي الصلت) : عمرو ، وربيعه ، ووهب ، والقاسم .
وكان ربيعة والقاسم شاعرين^١ . وذكر انه نظم شعراً رد به على أبيه في انتسابه ،
منها :

ولنا معشر من جلد قيس فنسبتنا ونسبتهم سواء^٢

وهو القائل :

وإن يك حياً من إباد فلنا وقياً سواء ما بقينا وما بقوا
ونحن خيار الناس طراً بطانة لقيس ، وهم خير لنا إن هم بقوا^٣

ولا نعرف من أمر (القاسم بن أمية بن أبي الصلت) شيئاً يذكر . وقد
أورد له (المرزباني) شعراً في مدح (بني دهمان)^٤ . وذكر انه رثى (عثمان
ابن عفان) في قصيدة منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيت به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح^٥

وأورد له (ابن قتيبة) أربعة أبيات مطلعها :

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم تركوه ربّ صواهل وقيان^٦

ورويت له مرثية في عثمان بن عفان منها :

لعمري لبئس الذبح ضحيت به خلاف رسول الله يوم الأضاحي
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه سيسعى به الرحمن سعي نجاح^٧

-
- | | |
|---|--|
| ١ | رسائل الجاحظ (٢٥٨/١) . |
| ٢ | الاصابة (٤٩٣/١) ، (رقم ٢٥٩٠) . |
| ٣ | رسائل الجاحظ (٢٥٨/١) ، الاغانى (١٧٩/٣) وما بعدها ، « ربيعة بن ابي الصلت ، صاحب ربيعتان نهر بقرب الابلّة ، ومن ولده : كلدة بن ربيعة ، كان من رجال أهل البصرة » ، الاشتقاق (١٨٥/١) . |
| ٤ | الشعر والشعراء (٣٧٢/١) ، (دار الثقافة) ، المرزباني ، معجم (٢١٣) ، الاغانى (١٧٩/٣) ، الحيوان ، للجاحظ (٦٤/١) . |
| ٥ | الاصابة (٢١٣/٣) ، (رقم ٧٠٥٢) . |
| ٦ | الشعر والشعراء (٣٧٢/١) . |
| ٧ | الاصابة (٢١٣/٣) ، (٧٠٥٢) . |

وله موعظة في أسلوب يشبه أسلوب أعشى بني ربيعة ، نشرها (كابر) في ديوان الأعشى^١ .

ومن شعراء ثقيف (عوف بن عامر بن حسان بن مالك بن حطائط بن جشم ابن ثقيف) الكاهن ، وكان جاهلياً كاهناً شاعراً^٢ ، و (كنانة بن عبد ياليل ابن سالم بن مالك بن حطائط بن جشم بن ثقيف) ، وكان يمدح النعمان بن المنذر^٣ : و (كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُصَير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف) ، وهو شاعر ذكره (ابن سلام)^٤ .

ومسعود بن معتب بن مالك الثقفي من شعراء ثقيف ، وهو جاهلي . وابنه عروة بن مسعود ، الذي دعا قومه الى الاسلام ، فقتلوه . وكان (مسعود) غنياً ، وكان يخشى عليها من أن تباع الى قريش بعد وفاته ، وكانت قريش تشتري الأرض والأموال بالطائف ، فخشى أن يبيع ورثته ملكه لقريش^٥ .

و (أبو محجن الثقفي) واسمه مالك ، وقيل عبدالله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف ، وقيل اسمه كنيته ، هو من الشعراء المطبوعين ، وكان كريماً منهمكاً في الشراب لا يكاد يقلع عنه ، أسلم مع ثقيف . جلده (عمر) مرات ثم نفاه الى جزيرة ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص ، يوم القادسية فكتب عمر الى (سعد) أن يحبس فحبسه . فأرسل الى امرأة سعد من يقول لها : اطلقيني ولك عليّ ان سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد ، وان قتلت استرحم مني . فأطلقت ، فوثب على فرس لسعد ، ثم أخذ رماً ثم خرج يهاجم الفرس ، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون هذا ملكك ، لما يروونه يصنع ، فلما هزم الفرس ، رجع فوضع رجله في القيد ، وترك الخمر قائلاً : قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحد وأطهر منها ، فأما الآن

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٤/١) .

٢ المرزباني ، معجم (١٢٥) .

٣ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .

٤ المرزباني ، معجم (٢٤٦) .

٥ المرزباني ، معجم (٢٨٣) .

فلا والله لا أشربها أبداً^١ .

ومن شعره :

إذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في القلاة فلاني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
أباكرها عند الشروق وتارة يعاجلني عند المساء غبوقها
وللكأس والصهباء حق معظم فن حقها أن لا تضاع حقوقها

وحدث من رأى قبر (أبي محجن) أنه نبتت عليه ثلاثة أصول كرم وقد طالت وأثمرت وهي معرشة على قبره . ولكنهم عندما تحدثوا عن موضع قبره ، اختلفوا فيه ، فقال بعض منهم إنه في نواحي أذربيجان ، وقال قوم بـجرجان^٢ . ويظهر أنهم اختلفوا قصة ظهور الكرم على قبره من الشعر المتقدم .

وذكر بعض الرواة ان (أبا محجن) هوى امرأة من الأنصار ، يقال لها (شموس) فحاول النظر اليها ، فلم يقدر ، فأجر نفسه من بناء بيتاً بجانب منزلها فأشرف عليها من كوة فأنشد :

ولقد نظرت الى الشموس ودونها حرج من الرحمن غير قليل

فاستعدى زوجها عمر فتفاه ، وبعث معه رجلاً يقال له أبو جهراء ، فلما رأى (أبو جهراء) من أبي محجن سيفاً هرب منه الى عمر ، فكتب (عمر) الى (سعد) يأمره بسجنه فسجنه^٣ .

وذكر (بروكلمن) ان (أبا محجن) لم يزل يشرب الخمر حتى تفاه (عمر) الى (باصع) ، وهي مدينة (مصوع) على ساحل الحبشة . وتوفي بها بعد مدة

١ السيوطي ، شرح شواهد (١٠١/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٣٧/٢١) ، الخزائن (٥٥٠/٣) ابن سلام ، طبقات (٢٢٥) ، المؤلف (٩٥) ، الاصابة (١٧٣/٤) (رقم ١٠١٧) ، الشعر والشعراء (٣٣٦/١ وما بعدها) ، طبقات ابن سلام (٦٨ وما بعدها) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٠٣/١) ، (الى أصل كرمة) ، ديوانه (ص ١٤) ، (ليندن ١٨٨٧ م) ، (تحقيق Abol) ، عيون الاخبار ، لابن قتيبة (٣٨/١) ، (القاهرة ١٣٢٤) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٩) ، الاستيعاب (١٨١/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الاصابة (١٧٤/٤) ، (رقم ١٠١٧) .

وجيزة^١ . وهو خبر غريب ، يخالفه كل من تعرض لأمر هذا الشاعر . فقد ذكروا جميعاً انه ترك الخمر منذ يوم (القادسية) ولم يعد اليها ، ولم يذكر أحد انه عاد اليها ، حتى نفترض انه عاد بعد ذلك الى المدينة وعاد اليها فتناه ، وقصة نفيه الى جزيرة في البحر ، ترد قبل ذهابه الى العراق ، بعد أن فرّ منه حارسه ، وكان قد أحس انه يريد قتله ، فأمر (عمر) سعداً عندئذ بحبسه فحبس ، ثم نخرج فقاتل ، فلما انتصر المسلمون ، رجع الى محبسه ، ففك (سعد) قيوده وأطلقه .

وقد جمع شعر (أبي محجن) في ديوان ، طبع ، كما نجد له قطعاً من أشعاره في مختلف كتب الأدب ومن تعرض لسيرته من رجال الأخبار^٢ .

وكان (غيلان بن سلمة) من الأشراف ، ذكر (الجمحي) ، انه كان قسم ماله كله بين ولده وطلق نساءه ، فتناه (عمر) عن ذلك ، ففعل بما أمر به^٣ .

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٧/١ وما بعدها) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٦٩) .

الفصل الخامس والستون بعد المئة

الشعراء اليهود

لا نعرف نصاً جاهلياً جاء فيه خبر عن شعر يهودي ، أو عن شاعر يهودي عاش في بلاد العرب . وكل ما ورد إلينا عن شعر يهود ، مستقى من الموارد الإسلامية حسب . كذلك لا نعرف مصدراً عبرانياً أو غير عبراني ، تعرض لأمر شعر اليهود في جزيرة العرب . ولهذا فحديثي عن شعر يهود في أيام الجاهلية مستمد من الموارد الإسلامية وحدها .

ومن يلتقي نظرة على أشعار اليهود لا يجد فيها أي أثر لليهودية ، ولا أية مصطلحات تشعّر أن صاحبها يهودي . فلا نجد فيها شيئاً من قصص التوراة أو التلمود أو المشنا أو (الكهانة) أو أي شيء له صلة بعقيدة يهودية . مع أننا قد وجدنا شيئاً من قصص العهد القديم في شعر (أمية بن أبي الصلت) ، وهو غير يهودي . فهل يعني هذا أن شعراء اليهود لم يكن لهم ميل إلى التحدث في أمور الدين ، والنظر في أحكام الشريعة ، وفي التفكير في خلق السماوات والأرض والإنسان وفي الموت والفناء ، أو أنهم كانوا في جهل بها ، وكان أمرها عندهم إلى رجال دينهم ، هم يبحثون فيها ، ولهذا لم يحملوا أنفسهم مشقة التعرض لها والبحث فيها ، أو أنهم كانوا قد تطرقوا فعلاً إلى هذه الأمور ، وجاؤوا في شعرهم بأشياء مما يختص بدينهم ويميزهم عن غيرهم ، وتطرقوا إلى عاداتهم وأشادوا بذكر أنبيائهم ، غير أن الرواة المسلمين لم يحفلوا بشعرهم لأنه شعر يهودي ،

فضاع ، كما ضاع شعر الوثنيين إذ لم يرو منه القليل^١ .

وقد ذهب (ولفنسون) الى ان السبب في قلة ما وصل الينا من شعر اليهود في الجاهلية ومن أسماء شعرائهم ، انما يرجع الى ضعف إقبال اليهود على اعتناق الاسلام . والذي حافظ على القليل الذي وصل الينا هم اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ، ومن تناسل منهم تخليداً لما كان لأجدادهم من مجد أثيل وشرف عظيم . ولو لم يسلم بعض الأفراد من ذرية السموأل ، لكان من الجائز عدم وصول أي شيء من شعره الينا^٢ .

وذهب (الدكتور طه حسين) الى ان اليهود قالوا كثيراً من الشعر في الدين وهجاء العرب ، وانهم انتحلوا وصنعوا شعراً لإثبات وجود لهم في الشعر ، فنسبوه الى شعراء يهود ، ولكن الرواة العرب لم يحفلوا به فضاع^٣ .

وقد أدخل (كارلو نالينو) الشعراء اليهود مع الشعراء الوثنيين ، وجعلهم في الصنف الأول من أصناف طبقات الشعراء على حسب تصنيفه لهم الى أربع طبقات . وقال : « لا تستغربوا عدم الفرق بين الوثنيين واليهود من أهل البادية ووجوده بين الوثنيين والنصارى من أهل الحضر ، لأنكم اذا اطعتم على ما وصل الينا من أشعار اليهود قبل الاسلام ما ألفتتم فيها شيئاً أو عبارة يميزها من سائر أهل البادية . فن طالع مثلاً آيات السموأل بن عادياء (مع قطع النظر عن قصيدة واضحة التروير منسوبة اليه لم تعرف ولم تطبع إلا حديثاً) لما توهم ان صاحبها تابع لدين اليهود . والأمر كذلك أيضاً في سائر أشعار يهود جزيرة العرب مثل شعبة بن غريص ، والربيع بن أبي الحقيق وغيرهما التي اعتنى بجمعها (نولدكه) و (فرائز دلتش) ليس من المستحيل ان ما فقد من أشعارهم (وهو كثير بالإضافة الى ما حفظ) ، قد حوى أشياء مما يختص بدينهم وليس من المحال أيضاً ان الرواة المسلمين امتنعوا عن نقلها لهذا السبب ، ولكن لا يجوز لنا الحكم إلا في الموجود المعروف الذي لا يختلف عن شعر أهل البادية الوثنيين لا لغة ولا أسلوباً ولا مأخذاً ، كأن دينهم لم يؤثر في شعرهم البتة^٤ .

- ١ كارلو نالينو ، تاريخ الآداب العربية (٧١) .
- ٢ تاريخ اليهود في بلاد العرب (٢٤ وما بعدها) .
- ٣ المصدر نفسه .
- ٤ كارلو نالينو (ص ٧١) .

ولكنني أجد من مطالعتي لشعرهم نفساً يختلف عن النفس الذي نجده في شعر شعراء البادية، ذلك هو ميل هذا الشعر الى التحدث عن المثل الأخلاقية، كالإنصاف والحكم بالعدل ، والحلم ، والصدقة ، واحترام حق الصديق ، والاعتناظ بالموت وبحوادث الدهر ، وبوجوب الوفاء ، خذ الأبيات المنسوبة الى (الربيع بن أبي الحقيق) ، وهي :

سائل بنا خابِرَ أكائنا والعلم قد يُلقي لدى السائل
لسنا إذا جارت دواعي الهوى واستمع المنصت للقائل
واعتلج القوم بألبابهم بقائل الجود ولا القائل
إنا إذا نحكم في ديننا نرضى بحكم العادل الفاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل^١

ففيها إشارة الى دين يأمر بالعدل والإنصاف ، وبعدم مزج الباطل بالحق ، ينهى عن الظلم ويأمر بالحق وفيها - ان صح بالطبع أنها من شعرهم - منطق واستماع الى صوت متظلم ، يعتمد الى رفع شكواه الى المنصفين لإنصافه ، فينصف ، فأخذ الحق هنا هو بحكم الدين وقواعد العدالة لا بالسيف وبحكم العصبية والأخذ بالثأر ، ونجد مثل ذلك في بقية شعرهم ، وتحمل هذه الظاهرة المرء على التفكير في سبب ظهور هذا النوع من الشعر ، وهل هو شعر جاهلي يهودي أصيل ، أم أنه شعر مصنوع ، وضع عليهم في الإسلام ، لمآرب مختلفة ، مثل المآرب الذي حمل الرواة على نسبة القصيدة المشهورة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَهُ فكل رداء يرتديه جميل

الى السموأل ، وكذلك بعض الأشعار الأخرى !

وقد ذكر (ابن سلام) أسماء فحول شعراء يهود ، فجعلهم : السموأل بن الغريض بن عاديا ، والربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وشُرَيْح ابن عمران ، وشُعْبة بن غريض ، وأبو قيس بن رفاعة ، وأبو الذبّال ، ودرهم

١ ابن سلام ، طبقات (٧١) .

ابن زيد^١ . وأضاف غيره اليهم : أوس بن دنى، وسماك ، والغريص بن السموأل^٢
و (سلام بن مشكم) و (كنانة بن أبي الحقيق)^٣ .

والسموأل ، هو أشهر شاعر يهودي . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي
ثري شاعر ، عرف بـ (السموأل بن عاديا) ، وبـ (السموأل بن عاديا)
الأزدي ، وبـ (السموأل بن غريص بن عاديا « عاديا » اليهودي)^٤ ،
وبـ (السموأل بن حيان بن عاديا)^٥ ، وبـ (السموأل بن عاديا بن حيا)^٦ ،
وبـ (السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٧ ،
وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديا)^٨ ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديا بن
رفاعة بن جفنة) ، وبـ (السموأل بن غريص بن عاديا بن حبا) . واختلفوا
في نسب (عاديا) (عاديا) ، فقالوا : (عاديا بن حبا) ، وقالوا :
(عاديا بن رفاعة بن جفنة) ، وقالوا : انه من ولد (الكاهن ابن هارون بن
عمران)^٩ ، وقالوا انه من (بني غسان) ، ونسبه (دارم بن عقال) ، الى
(رفاعة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره
(أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك
شريح بن السموأل ، وأدرك الاسلام ، وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه
وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة ولا أكثر ... وقد قيل ان أمه كانت من
غسان »^{١٠} . ونسب السموأل أيضاً الى الأزدي^{١١} . وذكر (ابن دريد) ان السموأل

- ١ طبقات ، ابن سلام (٧٠) .
- ٢ الاغانى (٩٤/١٩ وما بعدها) .
- ٣ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ « عاديا » الاغانى (٩٨/١٩) ، ابن سلام ، طبقات (٢٣٥) ، « طبعة دار المعارف » ،
« تحقيق محمود محمد شاكر » ، تاج المروس (٣٨٢/٧) ، « سمل » ، شرح
شواهد المفنى (٥٣٥/٢) ، Ency. IV, p. 133.
- ٥ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣
آذار (ص ١٦٢) .
- ٦ المعرب ، للجواليقي (١٨٨) .
- ٧ ابن دريد ، الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٨ المشرق ، العدد المذكور (١٦٢) ، السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ،
الاغانى (١٢/٣) .
- ٩ معاهد التنصيص (١٣١/١) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ١٠ الاغانى (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ١١ المعرب (١٨٨) .

من (بني غسان) ، ولكنه ذكر أيضاً انه كان يهودياً^١ ، ونسبه (محمد بن حبيب) الى غسان كذلك ، ولم يشر الى تهوده^٢ . وقد جعل (ابن قتيبة) السموأل ملكاً على بنياء^٣ .

والسموأل جدّ (صفية بنت حيي بن أخطب) لأمها . وهي يهودية ، وقد تزوّجها الرسول^٤ . وقد نسبها (ابن عبد البر) على هذه الصورة : صفية بنت حيي بن أخطب بن سعة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النضير بن النحام بن نخوم من بني اسرائيل من سبط هارون بن عمران . وأمها (برة بنت سموأل)^٥ . وكانت عند (سلام بن مشكم) ، وكان شاعراً ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، وهو شاعر ، فقتل يوم خيبر ، وتزوجها رسول الله ، في سنة سبع من الهجرة .

وقد اشتهر السموأل بالوفاء ، أكثر من اشتهاره بالشعر ، ولا زال العرب يتبجحون بوفائه ويضربون به المثل في الوفاء . واشتهر بقصره الذي ضرب به المثل بالضخامة والجسامة ، وهو (الأبلق) بـ (بنياء) ، أو على مقربة منها . حتى زعم أهل الأخبار أنه من أبنية (سليمان بن داود) بناء بنياء ، واستشهدوا على صحة دعواهم ببيت شعر زعموا أنه من شعر الأعشى ، هو :

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله وورد بنياء اليهودي أبلق
بناء سليمان بن داود حقبنة له أزج حم وطى موثق^٦

لكنهم يذكرون أيضاً انه من بناء (عاديا) والد السموأل ، ويستشهدون على صحة روايتهم بشعر ذكروا انه للسموأل نفسه ، يقول فيه :

-
- ١ الاشتقاق (٢٥٩) .
 - ٢ المحبر (٣٤٩) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٦٠/١ ، ٦١) .
 - ٤ الاصابة (٣٣٧/٤ وما بعدها) ، (رقم ٦٥٠)
 - ٥ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٦ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) ، راجع قصيدة الاعشى رقم ٢٥ في ديوانه ، و له جندل صم وطى موثق ، (له أزج عال وطى موثق) ، الحيوان (١٨٨/٦) ، (تحقيق عبد السلام هارون) ، المشرق ، الجزء المذكور (١٦٣) .

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت
وأطماً تزلق العقبان عنه اذا ما ضامني أمر أبيت^١

وقد زعموا انه عرف بـ (الأبلق الفرد) . أخذوا ذلك من شعر نسبوه الى
السموأل ، هو :

هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول^٢

وذكروا انه انما عرف بالأبلق ، لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل لأنه
بني من حجارة مختلفة الألوان^٣ . وقد ذكر في شعر للأعشى :

وحصن بتياء اليهودي أبلق^٤

وفي شعر آخر له أيضاً هو :

بالأبلق الفرد من تياء منزله حصن حصين ، وجار غير ختار^٥

وزعم أهل الأخبار ، أن الزباء (ملكة الجزيرة) قصده فعمزت عنه وعن
مارد ، فقالت : « تمرد مسارد وعز الأبلق » ، فسيرته مثلاً^٦ . ولا أستبعد
كون حصن سموأل من الحصون أو القصور القديمة التي كانت بتياء . ورثه
(سموأل) من آبائه وأجداده ، فقد كان البابليون قد بنوا بها قصوراً وحصوناً ،
لما اتخذت عاصمة لهم ، وسكنها ملكهم ، ثم أنها كانت من المدن القديمة العامرة ،
وقد كانت الأسر الكبيرة الغنية تبني القصور الفخمة في المدن للتحصن بها من
الغزو ومن غارات الأعداء عليها ، كما كانت الحكومات ، ولا سيما حكومات
المدن تقيم الحصون القوية المنيعة في المدن ، للدفاع عنها ، ولتكون مقرأ للحكام ،
وتشاهد الى اليوم آثار القصور والأبنية الضخمة التي كانت في تياء . وما يؤيد

١ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٢ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٣ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

٤ اللسان (٢٦/١٠) ، (بلق) .

٥ « غير غدار » ، اللسان (٢٦/١٠) ، (بلق) .

٦ تاج العروس (٢٩٨/٦) ، (بلق) .

رأيت في أن قصر (السموأل) ، أى حصنه من الحصون القديمة هو ما ورد في شعر (الأعشى) من أنه من أبنية (سليان) ومن ورود لفظة (عاديا) في شعر الأعشى كذلك ، وفي شعر سموأل :

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وعيناً كلما شئت استقيت

ولفظة (عاديا) ، وإن صيرت اسم علم لرجل ، لكنني أعتقد أنها ليست علماً ، وإنما تعني القدم ، فالعادي عند العرب القديم جداً ، ولو كان (عاديا) جدّ (السموأل) ، فكيف نوفق بين الشعر المذكور المنسوب إلى الأعشى الذي يزعم أنه من أبنية سليان ، ثم قولهم أن (عاديا) من أجداد سموأل ، ثم قولهم أنه من الحصون القديمة ، وأنه تعزز على (الزباء) لما أرادت فتحه ، في الأسطورة التي يرويها أهل الأخبار ، والتي تدل على قدم الحصن . ولكن ليس من المستبعد أن يكون أحد أجداد سموأل ، قد جدد في بنائه ورممه لإصلاح ما أفسده الزمان منه ، وأما الحصن نفسه فربما كان من بقايا أبنية البابليين بتياء ، فقد كانت (تياء) معروفة في أيام (البابليين) ، وموجودة قبل أيامهم ، بدليل أن (نبونيد) ملك بابل جاء إليها فاتخذها أمداً عاصمة له .

وقصه وفاء سموأل قصة مشهورة ، وقد تحدثت عنها ، وذكر أن سموأل لما أبى دفع الدروع إلى الملك ، وشاهد منظر ذبح ابنه ، قال في ذلك :

وفيت بأدرع الكندي لاني إذا ما خان أقوامٌ وفيت
وقالوا عنده كنز رغب فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبشراً كلما شئت استقيت^١

وتعدّ قصيدة سموأل التي مطلعها :

إذا المرء لم يَدْتَس من اللُّثْمِ عِرْضُهُ فكلُّ رداءٍ يرتديه جميل

من أجمل القصائد السلسلة المنظومة في الوفاء وفي الفخر . وقد سجلت ثمانية أبيات منها في الكتاب المسمى : « تاريخ ملوك العرب الأولية من بني هود وغيرهم »

١ المحاسن والاضداد (٣٦ وما بعدها) .

المنسوب (لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي) ، رواية (أبي يوسف يعقوب بن السكيت) . وقد تم استنساخاً في عاشر شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين^١ . وهو كتاب لم يشر (ابن النديم) إليه ، لا في أثناء حديثه عن (الأصمعي) ولا في أثناء كلامه علي (ابن السكيت) .

وأول هذه الأبيات المدونة فيه :

تعرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل^٢

وقد اختلف العلماء في قائل القصيدة ، فمنهم من نسبها الى السموأل ، ومنهم من نسبها لابنسه (شريح)^٣ ، ومنهم من جعلها لديكين^٤ ، ومنهم من نسبها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي^٥ ، ومنهم من جعلها للجلاح الحارثي^٦ . ورجح (بروكلمن) نسبتها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وهو شاعر اسلامي^٧ . ويقول (التبريزي) في شرحه للبيت :

فإن بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وهو من أبيات هذه القصيدة ، يذكر انه لعبدالله الحارثي لا للسموأل^٨ . ويلاحظ ان (أبا الفرج الاصبهاني) ، قد نسب القصيدة المذكورة للسموأل ثم نسبها الى (شريح) ، الذي هو ابن السموأل في موضع آخر ، ثم نسبها الى

- ١ نشرة الشيخ محمد حسن ال ياسين ، بعنوان : تاريخ العرب قبل الاسلام (بغداد ١٩٥٩ م) ، وتجد القصيدة في ديوان الحماسة (ص ٣٩) ، (طبعة أوربة) ، وفي نزهة المجلس (١٤٩/٢ وما بعدها) .
- ٢ طبع ديوانه مرارا ، وطبع ببغداد سنة ١٩٥٥ م ، راجع عن شعره ، شرح شواهد المغني (٥٣١/٢ وما بعدها) ، الحماسة (١٠٨/١) ، الامالي (٢٦٩/١) ، البيان والتبيين (١٨٥/٣) ، ديوان الحماسة (٢٧/١) ، أمالي القالي (٢٦٩/١ وما بعدها) ، الاغاني (٧٦/٦ وما بعدها) ، عيون الاخبار (١٧٣/٣) .
- ٣ ديوان الحماسة (٣٩) ، (طبعة أوربة) ، الحماسة (١٠٨/١) ، الامالي (٢٦٩/١) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ، الاغاني (٢٥٣/٩) .
- ٥ شرح شواهد (٥٣١/٢) .
- ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) .
- ٧ بروكلمن (١٢١/١) .
- ٨ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٢٧) .

(دكين العنري) في موضع ثالث^١ ، مما يدل على انه أخذ من مصادر مختلفة ، اختلفت فيما بينها في نسبة القصيدة الى صاحبها^٢ . كما نجد الرواة يختلفون فيما بينهم في ترتيب أبيات القصيدة ، فمنهم من يقدم فيها ، ومنهم من يؤخر ، ويبعث هذا الاختلاف الريبة في صحة نسبة القصيدة الى السموأل^٣ .

ولما تحدث (ابن قتيبة) عن الشاعر (دكين بن رجاء) من بني فقيم الراجز ، وهو من شعراء العصر الأموي ، ومن المتصلين بـ (عمر بن عبد العزيز) ، قال عنه : إنه هو القائل :

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يضرع عن اللؤم نفسه فليس الى حسن الثناء سبيل^٤

ويرى (ونكلر) أن قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : (السموأل) ، و (امرؤ القيس)^٥ .

وإذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، إلا لأصحابها الشرعيين ، نجد أنها ترجع الى موردين رئيسيين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى .

وذكر (ابن سلام) ، ان للسموأل (كلمة له طويلة) ، يقول فيها :

إن حلمي اذا تغيب عني فاعلمي انني عظيماً رزيت^٦

وقد وردت في الأصمعيات^٧ ، وهي تتحدث عن نشأة الانسان وحياته وبعثه بعد

١ الاغانى (٦٧/٦) ، (١٥٥/٨) .

٢ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣١) .

٣ المصدر نفسه .

٤ الشعر والشعراء (٥٠٨/٢) وما بعدها .

٥ H. Winckler, Araabisch-Orientalisch., In Mittell. Vorder. Asai. Gesellschaft,

(1901) 6 Jahrgang, S., 112.

٦ طبقات (٧١) .

٧ الاصمعيات (٨٤) ، (دار المعارف) .

موته ، ويظن انها مصنوعة^١ . وفي جملة ما قاله :

ميتاً خلقت ولم أكن من قبلها شيئاً يموت فت حينَ حيث^٢

وقد طبع الأب (لويس شيخو) ديوان السموأل برواية (نفظويه) (٣٢٣هـ) ،
وقد ترجم (ابن النديم) نفظويه ، وذكر أسماء كتبه ، ولكنه لم يذكر من بينها
اسم هذا الديوان^٣ ، وترجمه غيره ، ولم ينسب له هذا الديوان^٤ . ويرى (بروكلمن)
احتمال كون الشعر المرقم (١ - ٦) من الديوان من الشعر الأصيل ، أي من
شعر السموأل ، أما الشعر الباقي المنشور في الديوان ، فهو لشعراء يهود متأخرين^٥ .
ويرى غيره أصالة قصيدتين فقط من شعر هذا الديوان. وذكر بعضهم ان القصيدة
رقم (٧) ليست للسموأل ، وانما لأحد يهود المدينة^٦ .

وقد تحدث المستشرقون عن شعر (السموأل) ولهم فيه كلام ، فمنهم من يؤيد
أصالة أكثره ، ومنهم من لا يعترف إلا بأصالة القليل^٧ منه . والواقع أن موضوع
وجود (السموأل) نفسه قضية فيها نظر ، ولا استبعد أن تكون هذه القصة من
وضع (دارم بن عقال) ، وهو من ولد (السموأل) ، أو من وضع أناس
آخريين رووا عنه . و (دارم) هو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة
الى (امرى القيس) المتعلقة بهذا الموضوع. وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني)
في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرى القيس) ، ابتداءها :

طرقتك هند بعد طول تجنب وهناً ولم تك قبل ذلك تطرق

- ١ العصر الجاهلي (٣٨٩) .
- ٢ البيان والتبيين (١٢٧/٣) .
- ٣ الفهرست (١٢٧) ، شيخو ، ديوان السموأل ، بيروت ١٩٠٩ م ، المشرق ، السنة
الثانية عشرة ، العدد ٣ اذار ١٩٠٩ م (ص ١٦١ وما بعدها) .
- ٤ نزهة الالباء في طبقات الادباء ، لاین الانباري (١٧٨ وما بعدها) ، (تحقيق :
ابراهيم السامرائي) ، ابن القفطي ، الانباء (١٨٠/١) .
- ٥ بروكلمن (١٢٢/١) .
- ٦ بروكلمن (١٢٢/١ وما بعدها) .
- ٧ Margoliouth, The Relations., p. 71, Ency., IV., p. 133, Fr. Delitzsch, Jüdisch-Arabische Poesien aus vor Muhammedanischer Zeit, Leipzig, 1874, Nöldeke, Beiträge, zur Kenntnis der Poesies der alten Araber, Hanover, 1864, M. Steinschneider, Die Arabische Literatur der Juden, Frankfurt am Main, 1900, Brockelmann, Geschichte der Arabischen Literatur, I, S. 28, Suppl., I, S. 60.

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بين ، وما دوتها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السمؤال ، ومما صنعه من روي عنه من ذلك فلم تكتب هنا »^١ .

ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السمؤال ، ومن شعره أخذ الأخباريون (نباء اليهودي)^٢ و (الأبلق الفرد) ، حيث يقول :

كن كالسمؤال إذ طاف الهام به في جحفل كقريع الليل جرّار
بالأبلق الفرد من نساء منزله حصن حصين وجار غير غدار
خبره خطي خسف فقال له مها تقولن فلاني سامع حار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما فاختر فافيهما حظ لمختر
فشك غير طويل ثم قال له اقتل أسيرك إنني مانع جاري^٣ .

ومن ولد السمؤال (شريح) و (الغريض بن السمؤال) ، وكانا شاعرين كذلك^٤ . و (برة) في رواية من جعلها ابنة للسمؤال ، ووالدة (صفية) زوج الرسول^٥ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السمؤال) (شريح بن السمؤال) . وقد ورد في قصيدته الرائية اسم ولدين للسمؤال ، هما : (حوط) و (منذر)^٦ . ولم يذكر الأخباريون اسم الولد الذي زعم أن (الحارث بن أبي شمر) ، أو (الحارث بن ظالم) قتله لرفض السمؤال دفع أدرع الكندي إليه ، على نحو ما يذكره الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في هذه القصيدة المذكورة للأعشى ، الموجودة في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة أنه قالها مستجيراً بـ (شريح بن

١ الاغانى (٧٠/٨) .

٢ البلدان (٤٤٢/٣) ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٧٢/٣) .

٣ نزهة الجليس (١٥١/٢) ، المحاسن والاضداد (٣٧) .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٥٣١/٢) ، بروكلمان ، تاريخ الادب العربي (١٢٢/١) .

٥ الاستيعاب (٣٣٧/٤) ، حاشية على الاصابة .

٦ المشرق ، العدد المذكور (١٦٣) .

(السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسره ، وهو لا يعرفه ، فترل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرت بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه القصيدة ، فجاء شريح الى الكلبي ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ، فأطلقه . وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له الأعشى : « ان تمام احسانك إليّ ان تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي ان الذي وهبه لشريح هو الأعشى ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه^١ .

وقد اختلف في اسم (شريح) الذي خلّص (الأعشى) من الأسر ، فقد ذكر انه (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل) ، وذكر انه (شريح بن عمرو الكلبي) لا كما دعاه بذلك (ابن قتيبة)^٢ .

وذكر (بروكلمن) اسم شاعر آخر من شعراء (آل عاديا) ، هو الشاعر (سعيد بن الغريص) (سعيد بن غريص) ، أخي السموأل . كما ذكر اسم (شعبة) حفيد السموأل^٣ . وقد ذهب (نولدكه) الى أن (الغريص) لم يكن أخاً للسموأل ، بل ابناً له ، وأن ما ذهب اليه (أبو الفرج الاصبهاني) ، من أن (غريصاً) كان أخاً له ، خطأ ، لأن (شعبة) ، كان قد اعتنق الإسلام وعاش الى زمن الخليفة (معاوية) ، أي الى زمن بعيد عن (السموأل) ، وهذا يجعل من الصعب تصور أن (شعبة) كان ابن أخي (السموأل) ، بل لا بد من أن يكون حفيداً له . أي ان الغريص كان ابناً للسموأل ، وقد جعله يعيش في حوالى السنة (٦٠٠) للميلاد ، وجعل أيام (السموأل) في حوالى السنة (٥٥٠) للميلاد^٤ .

١ الاغانى (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق رودلف كاير) ، (Rudolf Geyer) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م . محمد حسين) .

٢ الشعر والشعراء (١٨٢/١ وما بعدها) .
٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٢٢/١) ، تاريخ دمشق ، لابن عساكر (١٥٧/٤) .

٤ Th. Nöldeke, Beiträge Zur Kenntniss der Poesie der Alten Araber, S. 64, Hannouwer, 1864.

ونسبت لشعبة بن غريص بن السموأل قصيدة هي :

لباب يا أخت بني مالك لا تشتري العاجلَ بالآجل
لباب داويني ولا تقتلي قد فضل الشافي على القاتل
لباب هل عندك من نائل لعاشق ذي حاجة سائل
علته منك بما لم ينل يا ربما عللت بالباطل
إن تسألني بي فأسألني خابراً فالعلم قد يكفي لدى السائل
ينبيك من كان بنا عالماً عنا وما العالم كالجاهل
أنا إذا جارت دواعي الهوى وأنصت السامع للقاتل
واعتلج القوم بالبابهم في المنطق الفاصل والقاتل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلطف دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل^١

كما نسبت له أبيات أولها:

يا دار سعدى بمفضى تلة النعم حيت داراً على الاقواء والقدم^٢

ونسبوا له أبياتاً في الخلان هي :

أرى الخلان لما قل مالي وأجحفت النوائب ودعوني
فلما ان غنيت وعاد مالي أراهم لا أبالك راجعوني
وكان القوم خلاناً لمالي وإخواناً لما خولت دوني
فلما مرّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني^٣

وروى أهل الأخبار ان (شعبة بن غريص) ، عاش فأدرك أيام معاوية ،
وان معاوية لما حج رأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال:
من هذا ؟ فقالوا : شعبة بن غريص ، فأرسل اليه يدعوه ، فأتاه رسوله، فقال:
أجب أمير المؤمنين ! قال : أوليس قد مات ! قيل فأجب معاوية . فأتاه فلم
يسلم عليه بالخلافة . فقال له معاوية : ما فعلت أرضك التي تكسي منها العاري

Nöldeke, Beiträge, S. 65. f.

١ المصدر نفسه (ص ٦٦) .
٢ المصدر نفسه (ص ٦٧) .

ويرد فضلها على الجار ؟ قال : باقية . قال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال :
بكم ؟ قال بستين ألف دينار ولولا خلة أصابت الحمي لم أبعها . قال : لقد أغليت !
قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخلفتها بستائة ألف ، ثم لم تبال . قال :
أجل . قال : فإذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر أريك الذي يرثي به نفسه . قال :
قال أبي :

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ماذا تؤينني به أنواحي
أيقظن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بشجاعة وسمّاح
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير مُلاحٍ
وإذا دعيت لصعبة سهلتها ادعسي بأفصح مرة ونجاح^١

فقال : أنا كنت بهذا الشعر أولى من أريك ! قال : كذبت ولولا مت .
قال : أما كذبت فنعم . وأما لولا مت فكيف ولم ؟ قال : لأنك أنت ميت
الحق في الجاهلية وميته في الاسلام . أما في الجاهلية فقاتلت النبي صلى الله عليه
وسلم ، وكذبت الوحي حتى جعل الله تعالى كيدك المردود . وأما في الاسلام ،
فنتعت ولد النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة وما أنت وهي ! وأنت طليق . فقال
معاوية : قد خرف الشيخ فأقيموه . فأخذ بيده فأقيم^٢ .

وقد ذكر (ابن حجر) موجز هذه القصة ، أخذه من (ابن أبي طيء) ،
وقد رواها (عمر بن شبة) بسنده الى (الهيثم بن عدي) ، وذكر ان اسمه
(سعة بن عريض بن عاديا) التياوي ، نسبة لتياء ، وهو ابن أخي السموأل :
ثم قال : « وحكى الخلاف في سعة هل هو بالنون أو الياء ؟ ووردت له أشعار
في مجالس ثعلب ، وروي ان من شعره قوله :

معتقة كانت قريش تعافها فلما استحلوا قتل عثمان حلت^٣

وقد نسب (ابن نباته) في شرحه لرسالة (ابن زيدون) القصيدة المذكورة

١ تجد هذه الابيات بشكل اخر في طبقات ابن سلام (٧٢) .

٢ Th. Noldeke, Beiträge.

٣ الاصابة (٤١/٢) ، (رقم ٣٢٤٥) ، (١١٢/٢) ، (٣٦٨٦) .

للسموأل^١ . وأثبت (ابن سلام) الآيات المذكورة في طبقاته ، على أنها من شعر (شعبة بن غريض)^٢ .

و (شعبة) تصحيف (سبعة) ، و (سبعة) من أسماء يهود^٣ .
وأشير في حماسة (البحري) الى رجل من هذه الأسرة دعي (عريض بن شعبة) ، وذكرت له هذه الآيات :

ليس يعطى القوي فضلاً من الرزق ولا يحرم الضعيف الخبيث
بل لكلٍ من رزقه ما قضى الله ولو كدّ نفسه المستميت^٤

ومن شعراء يهود (الربيع بن أبي الحقيق) ، وهو من (بني قريظة) على ما جاء في كتاب الأغاني ، غير أننا نجد (ابن هشام) صاحب السيرة ، يذكر : (سلام بن أبي الحقيق) ، وهو شقيق (الربيع) ، و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) ، وهو أحد أبناء (الربيع) في جملة سادات (بني النضير)^٥ . مما يدل على أن (الربيع بن أبي الحقيق) هو من (بني النضير) . وقد قتل ابن أبي الحقيق بعد (الخندق) ، وذلك أن (الأوس) لما أصابت (كعب بن الأشرف) ، قالت الخرج ، والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، فاستأذنوا النبي في قتل (ابن أبي الحقيق) ، وهو بخير ، فأذن لهم فقتلوه^٦ . وقد جعله (ابن سلام) من بني النضير ، ونسب له أبياتاً دونتها في أول هذا الفصل^٧ . وذكر أن (الربيع بن أبي الحقيق) كان على رأس قومه يوم (بعث) . وذكر أنه كان قد التقى مع (النابغة) ، وقد تسابعا في نظم أنصاف الآيات^٨ .

١ شرح رسالة ابن زيدون (٥٤) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣١) .

٢ طبقات (٧٢) .

٣ Levi Della Vida, in Rivista degli Orientali, VIII Roma, 1919-1921, and Levi Della Vida, A Proposito di AS-Samaw'al, In Rivista degli Orientali, XIII, 1931-1932, p. 52.

٤ الحماسة (٢٣٢) . Th. Nöldeke Beiträge, S. 71.

٥ ابن هشام ، سيرة (١٧٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، الاغاني (٦١/٢١) ، البيان (٢١٣/١) ، (هارون) .

٦ ابن هشام ، سيرة (٢٠٩/٢) وما بعدها ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (٢٠٩/٢) وما بعدها .

٧ طبقات (٧١) ، (ليدن) .

٨ الاغاني (٦١/٢١) .

ونسب الى (الربيع بن أبي الحقيق) شعر ، هو :

سئمت وأسيت رهمن الفرا ش من جُرم قومي ومن مغرم
ومن سفه الرأي بعد النهى وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو أن قومي أطاعوا الحلي م لم يتعدّوا ولم يظلم
ولكنّ قومي أطاعوا الغوا ة حتى تعكس أهل الدم
فأوى السفيه برأي الحلي م وانتشر الأمر لم يبرم^١

وقد نسب (المرزباني) هذا الشعر الى (كنانة بن أبي الحقيق)^٢ ، من بني النضير ، وهو أخ الربيع .

ومن شعر الربيع قوله :

فلا تكثر النجوى وأنت محارب* تؤامر فيها كل نكسٍ مُقَصَّر

قاله يخاطب (أبا ياسر) النضيري ، وهو أخو حيي بن أخطب ، وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفي عبدالله بن صوريا ، ووهب بن يهودا ، نزل قوله :
« ومن الذين هادوا مِمَّا عاون للكلب »^٣ .

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

إذا مات منّا سيد قام بعده له خلف يكفي السيادة بارع
من أبنائنا والعرق ينصر فرعه على أصله والعرق للفرع فارع

وقوله :

يرمي إليّ بأطراف الهوان وما كانت ركابي له مرحولة ذللا
أنا ابن عمك إن نابتك نابتة ولست منك اذا ما لعبك اعتدلا

١ الاغاني (٩٢/٢١) ، وهناك بعض الاختلاف في الروايات .

٢ المرزباني ، معجم (٢٤٦) ، (فراج) .

٣ البيان والتبيين (١٤/٢) .

وقوله :

ترجو الغلامَ وقد أعياك والده وفي أرومته ما ينبت العود
وله أشعار أخرى في بني النجار^١ .

ولكعب بن الأشرف، وهو من سادة يهود الذين كانوا محرضون قريشاً وغيرهم على الرسول ، أشعار في الحث على الانتقام من المسلمين لما أوقعوه بأهل مكة من قتل يوم بدر . ذكرت في سيرة (ابن هشام)^٢ . وله أشعار أخرى افتخر بها بأهله وبماله وبنخيله التي تخرج التمر كأمثال الأكف ، جاء فيها :

رُبَّ خالٍ لي لو أبصرته	سبط المشية اباء أنف
لبن الجانب في أقربه	وعلى الأعداء كالسم الزعف
وكرام لم يشنهم حسب	أهل عزّ وحفاظ وشرف
يذلون المال فيما ناهم	لحقوق تعزيرهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى	غير أنكاس ولا ميل كسف ^٣

ومن شعره في رثاء قتلى بدر قوله :

طلحت رحي بدر لمهلك أهله ولثل بدر تستهل الأدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا إن الملوك تصرع^٤

ويشك (ولفنسون) في صحة نسبة هذه الأبيات الى (كعب) ويرى احتمال كونها من الشعر المحمول عليه^٥ .

Beiträge, S. 75. ff. ١

٢ ابن هشام ، سيرة (١٢٣/٢ وما بعدها) ، الاغانى (١٠٦/١٩) ، الجمان في تشبيهات القرآن (١٣١ ، ٣٣٣) ، ديوان المعاني (٣٩/٢) ، نهاية الارب (١٢٥/١١) ، ابن هشام (١٢٥/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٣ الروض الانف (١٢٥/٢) ، (الزعف) ، ابن سلام ، طبقات (٧١) ، وعلى الاعداد سم كالزعف) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٢) ، المرزباني ، معجم (٢٣١) ، ابن الاثير (٥٣/٢) .

٤ ابن هشام (٣٣٨/٢) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٣) ، ابن هشام (١٢٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٥ ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٣) .

وقد ردّ على شعر (كعب) هذا حسان بن ثابت ، وامرأة من المسلمين ،
قالت :

نحن هذا العبد كل نحنن يبكي على قتلي وليس بتناصب
بكت عين من بكى لبدر وأهله وعلت بمثلها لؤي بن غالب

إلى آخر الأبيات .

فأجابها كعب بن الأشرف بقوله :

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلموا عن القول يأتي منه غير مقارب
أتشتمني إن كنت أبكي بعبرة لقوم أأتاني ودهم غير كاذب
فلاني لبك ما بقيت وذاكر مآثر قوم مجدهم بالجباب^١

ويقال إن والده من (طيء) . أما أمه ، فن بني النضير ، وانه شبب بنساء
النبي ونساء المسلمين ، فأمر الرسول بقتله ، فقتله محمد بن مسلمة ورهط معه من
الأنصار^٢ . وله مناقضات وهجاء مع (حسان بن ثابت) وغيره في الأيام التي
وقعت بين الأوس والخزرج^٣ .

ومن شعره الذي شبب فيه بأم الفضل بنت الحارث قوله :

أراحل^٤ أنت لم تحلل بمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت من ذي القوارير والحناء والكم
يرتج ما بين كعبيها ومرققها إذا تأنت قياماً ثم لم تقم
أشبه أم حكيم إذ قواصلنا والحبل منها متن غير منجلم
أحلى بني عامل جنّ الفؤاد بها ولو تشاء شقّت كعباً من السقم
فرع النساء وفرع للقوم والدها أهل التحلة والإيفاء بالذم
لم أرَ شمساً بليل قبلها طلعت حتى تجلت لنا في ليلة الظلم^٥

-
- ١ ابن هشام (١٢٣/٢) ، (حاشية على الروض) .
 - ٢ ابن سلام ، طبقات (٧١) ، المرزباني ، معجم (٢٣١) ، المقرئ ، أمتاع الاسماع (١٠٧/١ وما بعدها) .
 - ٣ الاغانى (١٠٦/١٩) .
 - ٤ الطبري (٤٨٨/٢) .

ونسب له شعر في مدح (الحارث بن هشام) ، هو :

فبث أن الحارث بن هشام في الناس بيني المكرمات ويجمع
ليزور أثربَ بالجنوع وإنما بيني على الحسب القديم الأرفع^١

ومن شعراء يهود (أوس بن دنى) القرظي . ذكر أن زوجته اعتنقت الإسلام
في حياة الرسول ، وطلبت منه اعتناقه كذلك ، فقال :

دعني إلى الإسلام يومَ لقيتها فقلت لها لا بل تعالي تهودي
فنحن على توراة موسى ودينه ونعم لعمر الدين دين محمد
كلانا يرى أن الرشادة دينه ومن يهد أبواب المراشد يرشد^٢

وله أبيات أخرى ذكرها (نولدكه) في أثناء حديثه عن الشعراء اليهود^٣ .

ولا نعرف من أمر (شريح بن عمران) شيئاً يذكر ، وقد روى له (ابن سلام)
أربعة أبيات في المؤاخاة والصدقة ، والبخل والمال^٤ . وروى (نولدكه) له بيتين
من قافية أخرى في الصدقة والصديق وحفظ العهد ، هما :

آخ الكرام اذا وجدت الى اخائهم سيلا
واشرب بكأسهم وان تشرب به السم الثميلا^٥

وروى له قوله :

بجيلي منك اذا ما ختني ليس لي في وصل خوان ارب
لا أحب المرء إلا حافظاً ربة العهد على كل سبب^٦

١ نسب قريش (٣٠١) .

٢ الاغانى (٩٤/١٩) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٦٥/١) ،
Nöldeke, & Beiträge, S. 76.

Nöldeke, Beiträge, S. 77. ٣

ابن سلام ، طبقات (٧٢) . ٤

Nöldeke, Beiträge, S. 79. f. ٥

Nöldeke, Beiträge, S. 80. ٦

وروى (ابن سلام) أحياناً من قصيدة تنسب الى (أبي قيس بن رفاعه)^١ ،
قال (البكري) : اسمه دينار ، وقيل انه : (أبا قيس بن رفاعه) الأنصاري ،
فهو ليس من يهود . ومن شعره :

منا الذي هو ما إن طرّ شاربه والعانسون ومنا المرد والمشيب
ونسب لأبي قيس بن الأسلت الأوسي^٢ .

وروى (ابن سلام) قصيدة على قافية الدال مطلعها :

هل تعرف الدار خفّ ساكنها بالحجر فالمستوى الى التمسد
دارٌ ليهنانةٍ خدلجةٍ تبسم عن مثل بارد البردِ

ذكر أنها لأبي الذّيال^٣ . وأورد (البكري) له هذه الأبيات :

لم ترَ مثل يوم رأيتَه برعبل ما احمر الأراك واثمرا
وأيامنا بالكبس قد كان طوُّها قصيراً وأيام برعبل أقصرا
فلم أرَ من آل السماأل عُصبة حسان الوجوه يخلقون الملعرا^٤

ودرهم بن زيد الذي يقول :

هجرت الرباب وجاراتها وهمك بالشوق قد يطرح
يمانية نازح دارها تقيم بغمدان لا تبرح^٥

وأورد (ابن هشام) قصيدة لرجل من يهود سمّاه (سمال) اليهودي ، يذكر
فيها (بني النضير) مطلعها :

غداة غدوتم على حتفه ولم يأت غدراً ولم يخلف
بقتل النضير وأحلافها وعقر النخيل ولم تقطف

١ طبقات (٧٢) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٧١٦/٢) ، الامالي (٦٧/٢) .

٣ طبقات (٧٣) ، Nöldeke, Beiträge, S. 77. f .

٤ Nöldeke, Beiträge, S. 79.

٥ ابن سلام ، طبقات (٧٤) .

وقد ردّها على قصيدة نسبت لعليّ بن أبي طالب على رأي ابن اسحاق ،
أو غيره من المسلمين على رأي (ابن هشام) مطلعها :

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقاً ولم أضدأ^١

ولما قال (كعب بن مالك) شعراً في اجلاء (بني النضير) وقتل (كعب
ابن الأشرف) مطلعها :

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور

أجابه (سمال) اليهودي ، بقوله :

أرقت وضافني همّ كبير بلبيل غيره لبيل قصير
أرى الأحبار تنكره جميعاً وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم به التوراة تنطق والزبور
قلتم سيد الأحبار كعباً وقلماً كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمود أخيه ومحمود سريره الفجور^٢

وكان (مرحب) اليهودي من الشعراء ، ولما حاصر المسلمون (خيبر) خرج
من حصنهم قد جمع سلاحه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحزب
إن حمي للحمي لا يقرب^٣

ونسب الى أحد اليهود بيت شعر ، خاطب فيه (مالك بن العجلان) بقوله :

تسقيت قبله أخلافها فقيمن بقيت وفيمن تسود

فأجابه (مالك) بقوله :

إني امرؤ من بني سالم بن عوف وأنت امرؤ من يهود

١ ابن هشام (١٧٩/٢) ، (حاشية على الروض) .
٢ ابن هشام (١٨٠/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .
٣ ابن هشام (٢٣٨/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

ولما هرب اليهود الى بيعهم وكنائسهم ، قال مالك :

تحاني اليهود بتلعانها تحاني الحمير بأبوالها
فاذا عليّ بأن يلعنوا وتأتي المنايا بأذلالها^١

وفي المفضليات قصيدة لرجل يهودي لم يذكر اسمه مطلعها :

سلا ربة الخدر ما شأنها ومن أي ما فانتا تعجب
فلسنا بأول من فاته على رفقة بعض ما يطلب^٢

ومن شعراء يهود (أبو أثاية) القرظي^٣ ، و (أبو ياسر) النضيري^٤ ،
وأبو القرثع اليهودي^٥ . و (عمرو بن أبي صخر بن أبي جرثوم) اليهودي ،
(أبو حمزة) . وله شعر في الجيران^٦ ، و (كعب بن أسد بن سعيد) القرظي
اليهودي ، من بني قريظة ، جاهلي ، له مع قيس بن الخطيم في يوم (بُعث)
مناقضات^٧ ، و (مالك بن عمر النضيري) ، وهو جاهلي^٨ .

وذكر (المعري) اسم شاعر يهودي ، ذكر ان اسمه (بُسمير بن أدكن)
(سمير بن أدكن) ، من أهل خيبر ، قال شعراً لما أمر (عمر) باجلاء أهل
الكتاب من جزيرة العرب ، هو :

يصول أبو حفص علينا بدرّة رويك ان المرء يطفو ويرسب
كأنك لم تتبع حمولة ما قطّ لتشيّع ، إن الزاد شيء محب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم علينا ، ولكن دولة ثم تذهب

١ Th. Nöldeke, Beiträge, S. 83. ff.

٢ Th. Nöldeke, Beiträge, S. 84. f.

٣ المرزباني ، معجم (٥٠٧) .

٤ المرزباني ، معجم (٥١٥) .

٥ المرزباني ، معجم (٥١٣) .

٦ المرزباني (٥٩) .

٧ المرزباني ، معجم (٢٣٢) .

٨ المرزباني ، معجم (٢٦١) .

ونحن سبقناكم الى اليمن فاعرفوا لنا رتبة البادي هو أكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا^١

وذكر ان (جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد
غنم بن جحاش بن مجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان) الشاعر الديلمي
ثم الثعلبي ، كان يهودياً مع (بني قريظة) وكان قد رثى (جبي بن أخطب)
بأبيات منها :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

وقال بعض الناس انها لحبي بن أخطب نفسه . وذكر انه من ذرية (العطيون
ابن عامر بن ثعلبة) (الفطيون ؟) ، وكان يهودياً فأسلم ، وهو القائل لما فتح
النبي خيبر :

رمت نطاة من النبي بفيلق شهباء ذات مناقب وفقار

وذكر انه هو القائل :

ألا يا سعد سعد بني معاذ لما فعلت قريظة والنضير
تركتكم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تغور

وزاد المرزباني فيها :

ولكن لا خلود مع المنايا تحطف ثم تضمنها القبور
كانهم غنائم يوم عيسد تدبح وهي ليس لها نكير

فأجابه حسان :

تعاهد معشراً نصرُوا علينا فليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه فهم عمي عن التوراة بور
كذبتهم بالقرآن وقد أبيتهم بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير^٢

١ رسالة الغفران (٤٤١ وما بعدها) ، (بنت الشاطي) .

٢ الاصابة (٢٢٣/١ وما بعدها) ، (رقم ١٠٧١) .

وأورد (أبو الفرج الاصبهاني) أبيات شعر، نسبها الى شاعرة يهودية سمّاها
(سارة) القريظية ، ذكر أنها قالتها في رثاء قومها بعد أن قتل (أبو جيلة)
أشراف اليهود :

بنفسي أمة لم تغن شيئاً بندي حرّض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتها سيوف الخزرجية والرماح
رزقنا والرزية ذات ثقل يمر لأهلها الماء القراح
ولو أريّوا بأمرهم لجالت هنالك دونهم جأوى رداح^١

وذكر (الجاحظ) يتبن نسبها لشاعرة يهودية ، قالتها في نفث الرقية والعثار، هما:

وليس لوالدة نفثها ولا قولها لابنها دعدع
تداري غراء أحواله وربك أعلم بالمصرع^٢

وقد جمع (ديلتج) أشعار يهود وتحدث عن أصحابها^٣ .

١ الاغانى (٩٦/١٩) ، ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب (٣٤) ،
Nöldeke, Beiträge, S. 52. ff.

٢ الحيوان (٣٥٩/٦) .

٣ Delitzsch, Jüdisch — Arabische Poesien aus Vormuhammedanischer Zeit,
Leipzig, 1874.

الفصل السادس والستون بعد المئة

الشعراء النصارى

وحديثنا عن الشعر النصراني ، مستمد من الموارد الإسلامية . أما النصوص الجاهلية ، فليس فيها أي شيء عن هذا الموضوع . وأما النصوص الأعجمية ، فلم تحفل به أيضاً ، ولم تتطرق الموارد الإسلامية الى الشعر النصراني نفسه ، من حيث طبيعته ومادته ، وما امتاز به عن الشعر الوثني ، أو شعر الشعراء اليهود ، وما سنذكره عن الشعراء النصارى ، مستمد من أسماء آبائهم ومن أسمائهم التي تدل على كونهم من النصارى ومن الشعر المنسوب اليهم .

والشعراء النصارى الذين نص على نصرانيتهم أهل الأخبار ، مثل (عدي بن زيد) العبدي ، أو لم ينص على نصرانيتهم ، وإنما يفهم من شعرهم ومن مواطنهم أنهم كانوا نصارى ، هم من الحضر ، من سكان القرى ومن قبائل اشتهرت بتنصرها ، وقد وجدت النصرانية سبيلها الى مواطن الحضر والأعراب فأقامت (بيعاً) وكنائس للتبشير بالنصرانية ، ولتعليم أتباعها أمور الديانة، وللإشراف على ادارة شؤونهم الدينية ، وقد كان أكثر من قام بالتبشير من غير العرب في بادئ الأمر ، من روم ومن (بني لرم) ، ثم انضم اليهم رجال دين عرب ، كانوا قد تعلموا النصرانية في المدارس ، وأظهروا فهماً ونباهة فيها، فعينوا مبشرين ومعلمين لتعليم العرب والأعراب أصول النصرانية ، ولنشرها في جزيرة العرب ، وكان من المبشرين من يتنقل مع الأعراب ، لهم خيامهم ، يرتحلون بها من مكان الى مكان ، فعرفوا لذلك برهيان الخيام .

« وكانت تنوخ في المرتبة الأولى بين عرب البادية الذين عرفوا النصرانية قبل الإسلام بزمان طويل . وقامت جماعة تنوخ على أساس حلف عقده بنو فهم وبنو تيم اللات مع قبائل من التزاريين وغيرهم . ومن شعراء تنوخ أسد بن ناعسة التنوخي ، الذي كان معاصراً لعنزة ، وكان مولعاً بالاكتثار من الألفاظ الغريبة في قصائده ، حتى كان الخليل نفسه يتشكك في تفسيرها في كتاب العين ^١ .

وقد كانت النصرانية واسعة الانتشار على عهد الرسول ، في قضاة ، وربيعة وتميم ، وطيء ، وكان لها أتباع في القرى العربية ، وبين الأعراب ، وبواسطتهم عرف العرب شيئاً عن النصرانية وعن رجالها الذين كانوا يقيمون في البيع ، أو يسبحون في البلاد ، ويرتحلون مع الأعراب طمعاً في تنصيرهم ، وفي تعليم المنتصرين منهم أمور الدين . فقد كان بمكة نفر من التجار النصارى ، وجماعة من الرقيق الأسود والأبيض ، كانوا على النصرانية ^٢ ، وكان يثرّب بعض النصارى كذلك ، وكذلك بالطائف . أما نجران ، فكانت من مراكز النصرانية المهمة في ذلك العهد . وقد ورد أن (طلق بن علي بن طلق بن عمرو) السحيمي الحنفي ، وهو من سادة بني حنيفة باليامة ، كان نصرانياً ، فلما ذهب إلى المدينة وشاهد الرسول أسلم أمامه ، فلما أراد العودة أخبر رسول الله أن بأرضهم بيعة ، فقال له الرسول ولمن معه : « إذا قدمتم بلدكم فأكسروا بيعتكم وابنوها مسجداً » ، فكسروا بيعتهم واتخذوها مسجداً ، ونضحوها بماء فضل ظهور رسول الله ، وكانوا قد جاءوا به في اداة ، وكان يدير البيعة راهب من طيء ، فارتحل عنهم .

وإذا صح هذا البيت المنسوب إلى حسان :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد^٣

فإن فيه دلالة على وجود نصارى ويهود بالمدينة عند وفاة الرسول .

ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر التحدث عن مدى تغلغل النصرانية في قلوب

١ بروكلمن (١٢٤/١) .

٢ الاستيعاب (٢٣١/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، (طلق بن علي بن المنذر بن قيس) ، (٠٠٠) ، خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات (٦٥) ، ابن سعد ، طبقات (٤٠٢/٥) ، أسد الغابة (٦٣/٣) .

٣ ديوان حسان (٥٩) ، (هرشقلد) .

النصارى^١ العرب . ولكننا نستطيع أن نقول قياساً على ما نعرفه من أحوال الأعراب وأحوال أهل القرى ، أي الحضر ، أن النصرانية كانت أوضح وأعمق جذوراً في نفوس أهل المدر ، منها في نفوس أهل الوبر . أما الأعراب فكانت نصرانيتهم اسمية في الغالب شأنهم شأن أعراب هذا اليوم ، وأعراب كل زمان ، متدينون بدين ، ولكنهم لا يعرفون من دينهم إلا الاسم ، دينهم الصحيح ، الذي يقرب على نفوسهم هو دين الفطرة ، أعني العرف الذي ولدوا ونشأوا عليه . ولكن الرهبان ورجال الدين كانوا يتقلون بين القبائل لتنصيرهم ، حاولوا جهودهم لتعليمهم قواعد النصرانية وأصولها ، ومنها : عدم اغارة بعضهم على بعض ، والعيش بعضهم مع بعض بسلام ، حتى أنهم أثروا على بعض ساداتهم فحملوهم على الزهد والدخول في الرهبنة وكره الدماء ، فذكر مثلاً أنهم أثروا على (داود ابن هباله) سيد (بني سليج) ، من قضاة ، فأدخلوه في النصرانية ، وكره الدماء وبني دبراً ، فكان ينقل الطين على ظهره والماء ، فسمي اللشق ، فنسب الدير اليه ، وأنزله الرهبان ، واعتزل الغزو إلى أن أمره ملك الروم به ، فلم يجد بداً من أن يفعل^١ . وقد كانت العرب تتهم القبائل العربية المنتصرة بعدم قدرتها على القتال ، وتستهن بها إذا ما التحمت بها في قتال .

والشعر النصراني ، شعر سهل لين بالنسبة إلى شعر الشعراء الأعراب ، وقد علل علماء الشعر ذلك بكون هؤلاء الشعراء من سكنة القرى والأرياف ، ومن سكن القرية أو الريف لأن لسانه ورق كلامه ، ولهذا قالوا إن في شعر شعراء القرى لا مثل أهل مكة ويثرب ليونة ، لأنهم لم يثبتوا في البوادي ، ولم يقاسوا ما يقاسيه الأعراب من خشونة وشدة وضنك في الحياة ، بل عاشوا في استقرار وأمان في حياة ناعمة بالقياس إلى حياة الأعراب ، ولهذا لأن لسانهم ، وسهل شعرهم ، وصار من السهل على صناع الشعر ومزوريه صنع الشعر على ألسنتهم ، كالذي فعلوه من وضع شعر كثير على لسان (عدي بن زيد) العبادي النصراني ، وعلى شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو من شعراء ثقيف ، وعلى شعر (حسان ابن ثابت) ، وهو من شعراء يثرب .

ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء ، اللهم في تطرق

١ أسماء المغتالين (المجموعة السادسة من نوادر المخطوطات) (ص ١٢٧) .

شعر (عدي بن زيد) وأضرابه الى معان دينية ، والى إشارات الى بعض معالم نصرانية . اما فلسفة نصرانية ، أو حديث عن التثليث أو عن العقائد النصرانية الأساسية التي تميز النصراني المتدين عن غيره ، فلا نجد لها ولا لأمثالها موضعاً في هذا الشعر . نعم لقد تطرق (عدي بن زيد) ، وكذلك الأعشى الى قصص مستمد من أصول نصرانية ، كما تطرق الى أعياد نصرانية ، ولكننا نجد في شعر غيرهم إشارات الى الأديرة والكنائس والرهبان والرهبة ومصطلحات نصرانية وأشياء أخرى عرفوها من احتكاكهم بالنصارى ، ومن سماعهم شيئاً عن النصرانية من النصارى العرب ، تجعل من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين . ولهذا ذهب بعض المستشرقين الى ان من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الاسلام^١ .

ومن النصارى (العباد) ، وهم عرب تنصروا ، ولم يكونوا من قبيلة واحدة ، وانما كانوا من مختلف العرب . ولفظ (العباد) لفظة خصصت بنصارى الحيرة خاصة . ويذكر في « الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام : الروم والعباد »^٢ . ويظهر ان مرد ذلك ، هو ان الروم والعباد ، كانوا أصحاب ديانة ورجال دين ومؤسسات دينية منظمة ، ومدارس ، وثقافة ، فكان من الصعب عليهم وكلهم نصارى ، نبذ دينهم والدخول في الاسلام ، لا على نحو العرب الوثنيين ، الذين لم تكن لهم كتب دينية ، ولا منظمات دينية ، وكل ما كان عندهم عرف وعادات وتمسك بأصنام جبلوا على عبادتها ، ولهذا كان تحولهم عنها أسهل من تحول العباد عن دينهم . وفي جملة (العباد) (بنو امرئ القيس بن زيد مائة) واليههم ينسب (عدي بن زيد)^٣ .

وقد أدخل (كارلو نالينو) (أبا دؤاد) الإيادي في عداد الشعراء النصارى^٤ ،

١ George Graf, Geschichte der christlichen Arabischen Literatur, I, S. 32, Siegmund Fränkel, Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, Leiden, 1886, S. 267, Tor Andrae, Der Ursprung der Islams, S. 32. ff.

٢ الروض الانف (٥٣/١) .
٣ سيرة ابن هشام (٥٣/١) ، (حاشية على الروض الانف) ، الروض الانف (٥٣/١) .
٤ كارلو نالينو (٨٩) .

ولكني لم أجد في شعره الى ما يشير الى تنصره ، فلعلته أدخله في النصرانية ، لما عرف عن انتشارها بين إباد ، وهو (أبو دؤاد جارية بن الحجاج) ، ويقال : (جويرية بن الحجاج بن يجر بن عصام بن منبه بن حذافة بن زهر بن إباد بن نزار بن معد) ، وقيل : (حنظلة بن الشرقي) شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها . ذكر أهل الأخبار أن « ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد : طفيل ، وأبو دؤاد ، والنابعة الجعدي . فأما أبو دؤاد ، فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر ، وأما طفيل فإنه كان يركبها ، وأما الجعدي فإنه سمع من الشعراء فأخذ عنهم » . وقال (أبو عبيدة) : « أبو دؤاد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام ، وبعده طفيل الغنوي والنابعة الجعدي »^١ . وله شعر في المدح والفخر ، لكن شعره في الخيل أكثر^٢ . وما يلتفت النظر ، أن يكون أكثر شعر أبي دؤاد في وصف الخيل ، ثم يكون مدحه لقومه بأنهم (أهل البغال) . حيث ورد في شعر هو :

نشدتكم بالله يا أهل البلد هل سابق فيكم لمجد من أحد
إلا إباد بن نزار بن معد^٣ أهل البغال والقباب والعدد
ما سامهم في الدهر ملك بعقد^٤

ولاني أشك في هذا الشعر، فأسلوبه لا يدل على أنه من أساليب شعراء الجاهلية، ولا سيما الشطر الأول من البيت الأول ، ثم إن هذا النسب المسطور في الشطر لأول من البيت الثاني ، هو نسب ظهر في الإسلام ، وعرف في أيام الأمويين . وذكر ان (الحجاج) كان معروفاً بـ (حمران) . ولذلك قيل لأبي دؤاد : (جارية بن حمران) . وقيل له : (حارثة بن الحجاج) ، كما قيل له : (جريرة) ، و (حوثة) ، ويظهر ان مصدر هذا الاختلاف هو وقوع النسخ في أخطاء في أثناء تدوين الاسم ، فاختلط الأمر عليهم بين (جارية) و (حارثة) ،

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٩/١) ، تاج العروس (٣٤٧/٢) ، (داد) ، الاغانى (٩١/١٥) ، الخزائن (١٩٠/٤) ، المؤلف والمختلف (١١٥) ، الموشح (٧٣) ، الاغانى (٩١/١٦) وما بعدها ، (ساسي) ، الشعر والشعراء (١٦١/١) وما بعدها ، العيني (٣٩١/٢) .
 - ٢ الاغانى (٩٥/١٥) ، غرونيباوم (٢٦٢) .
 - ٣ غرونيباوم (٣٠٢) ، وهو من الرجز ، منقول من جمهرة ابن الكلبي ، الورقة ٣١ .

وبين (جويرة) ، و (جريرة) ، و (حوثة)^١ ، وهو اختلاف طالما نجده في أسماء وفي ألقاب الأشخاص الجاهليين ، يقع بسبب التصحيف .

وهو من (بني حذاقة) ، كما يظهر من شعر ينسب لطرفة ، وقد أشار (أبو دؤاد) في القصيدة الميمية التي تنسب إليه الى (حذاق) بقوله :

من رجال من الأقارب فادوا من حذاق، هم الرؤوس الكرام^٢

وحذاق قبيلة من إباد .

وكان شاعرنا من إباد ، وقد تزوج امرأة من قبيلته ، ماتت بعد أن تركت له صبياً اسمه (دؤاد) ، فتزوج امرأة أخرى ، طلقها لأنها كانت تمقت ابنه ، وكان ابنه شاعراً ، رثى والده يوم وفاته . وقد تزوج (أبو دؤاد) امرأة أخرى هي (أم حبر) لكنها طلقته لتبذيره وإسرافه ، وللخصومات التي كانت تقع بينها^٣ . ويظهر أنه ترك ابنة اسمها (دؤادة)^٤ .

وقد ذهب (بروكلمن) الى انه كان من المعاصرين للمنذر بن ماء السماء، الذي قدر وقته فيما بين حوالي (٥٠٦) و (٥٥٤) للميلاد^٥ . وذهب (فون غرونباوم) الى انه كان حياً من سنة ٤٨٠ الى حوالي (٥٤٠ - ٥٥٠) للميلاد^٦ .

وقد ورد اسم (أبو دؤاد) في شعر (طرفة) ، كما ذكره (الأسود بن يعفر) ، الشاعر نديم (النعمان بن المنذر) ، حيث يقول :

ماذا أؤمل بعد آلٍ محرق تركوا منازلهم ، وبعد إباد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

١ « وأبو دؤاد الايادي ، وهو حوثة بن الحارث بن الحجاج » ، اليعقوبي (٢٢٣/١) ، (طبعة التجف) ، العيني (٤٤٥/٣) ، غوستاف فون غرونباوم ، دراسات في الادب العربي (ص ٢٥٥) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٢/١) ، الخزائن (١٩١/٤) ، (بولاق) .

٣ الاغاني (٩٥/١٥ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨) ، الامدي ، المؤلف (١١٦) .

٤ الاغاني (٩٨/١٥ وما بعدها) ، غرونباوم ، دراسات (٢٥٨ وما بعدها) .

٥ بروكلمن (١١٨/١) .

٦ دراسات في الادب العربي (٢٥٦ وما بعدها) .

نزلوا بأنقرة يسيل^١ عليهم^٢ ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخبرها لطيب مقلها^٣ كعب بن مامة وابن أم دؤاد^٤

وكعب بن مامة من إباد، وابن أم دواد ، هو الشاعر أبو دؤاد (أبو دواد)
الإبادي . و (أنقرة) موضع بالعراق على مقربة من الحيرة^٥ . ويظهر من هذا
الشعر ، أن (إباداً) ، أو فرعاً منها ، نزلوا بأنقرة ، بزعامة كعب بن مامة
والشاعر أبو دؤاد .

وكان في عصر (كعب بن مامة) الإبادي ، الذي أثر بنصيبه من الماء
رفيقه (النبري) فأت عطشاً ، فضرب به المثل في الجود ، وبلغه عنه شيء
فقال :

وأتاني تقحيم كعب^٦ إلى المنطق^٧ إن النكيثة^٨ الأتحام^٩
في نظام ما كنت فيه فلا يحزنك قول^{١٠} ، لكل حسناء ذام^{١١}
ولقد رابني ابن عمي كعب^{١٢} إنه قد يروم ما لا يرام^{١٣}
غير ذنب بني كنانة مني^{١٤} ان أفارق فلأني مجدام^{١٥}

وكان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه ،
فضرب المثل بجار أبي دؤاد ، قال طرفة :

لأني كفاني من هم^{١٦} هممت به جار كجار^{١٧} الحذاقي الذي انتصفا^{١٨}

والحذاقي هو (أبو دؤاد) ، والحذاق قبيلة من إباد .

ويقال : إنما أجاره الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان ، وذلك ان
قباذ سرح جيشاً إلى إباد ، فيهم الحارث بن همام ، فاستجار به قوم من إباد
فيهم أبو دؤاد ، فأجارهم .

وذكر ان جار (أبي دؤاد) هو كعب بن مامة^{١٩} ، وكان (أبو عبيدة)

١ الشعر والشعراء (١٧٦/١) ، (الاسود بن يعفر) .

٢ تاج العروس (٥٨٢/٢) ، (نقر) .

٣ الشعر والشعراء (١٦١/١) وما بعدها ، الخزائنة (٤٠٨/١) وما بعدها ،

(بولاق) .

يلذكر ان جار (أبي دؤاد) ، هو (كعب بن مامة) ، وأنشد لقيس بن زهير
ابن جذيمة في ربيعة بن قُرط :

أحاول ما أحاول ثم آوي الى جارٍ كجارٍ أبي دؤاد^١

ويظهر أن (قباز) لما أرسل جيشاً على (إِيَاد) هربت من مواطنها فأجارها
(الحارث بن همام) . وورد في رواية أن جَدَّاباً حل بإياد ، فاضطرت بطونها
على الارتحال الى مواضع أخرى ، وكانت لهم ناقة اسمها (الزباء) ، كانوا
يتبركون بها ، فخرجت تلتبس لهم الخصب والمرعى ، حتى بركت بالحارث بن
همام ، فتزلت إياد عنده ، وأجارهم^٢ .

وتذكر رواية أن (الحارث بن همام) ودى ابناً لأبي دؤاد : غرق حين
كان أبو دؤاد في جواره ، فدحه . فحلف الحارث أنه لا يموت لأبي دؤاد
ولد ، إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه عليه^٣ .

ويرى (غرونيبوم) أن (أبا عبيدة) ، هو الذي صيّر (كعب بن مامة)
الإيادي جار (أبي دؤاد) ، وقد تابعه من جاء بعده على ذلك ، فصار (كعب)
بذلك مجير شاعرنا ، بينما هو (الحارث بن همام)^٤ . وسبب ذلك أن (كعباً)
كان قد اشتهر بالكرم والإيثار وتقديم الغريب على نفسه ، حتى أنه ضحى بنفسه
في سبيل صاحبه (النميري) حتى فضله بعض أهل الأخبار على (حاتم) الطائي
في الجود^٥ . ثم إن كعباً من إياد ، فرعاً بفضل بنو إياد أن يكون منهم أسخى
وأكرم رجل في العرب ، على أن يكون من غيرهم ، ولذلك افتخروا به ،
فنسبوا الجوار له ، وحذفوه من (الحارث بن همام) ، وهو من (بني شيبان) .

وهناك رواية تجعل (المنذر) جاراً لأبي دؤاد ، لأنه ودى أبناء (أبي دؤاد) ،
ودى كل ابن بمائتي بغير ، حينما قتلهم (رقبة بن عامر) البهراني ، وكان رقبة

١ الشعر والشعراء (١٦٢/١) .

٢ غرونيبوم ، دراسات (٢٥٩) .

٣ المصدر نفسه (٢٥٩) .

٤ غرونيبوم ، دراسات (٢٥٩ وما بعدها) .

٥ البخلاء ، للجاحظ (١٥٨ ، ٢١٨ ، ٣٨٢) ، ثمار القلوب (٩٨ وما بعدها) ،

المحاسن والاضداد (٥٤) ، الحيوان (٣٧/٢) ، البيان والتبيين (١١٢/١) .

في جوار المنلر^١ . وذكر (البغدادى) ، ان أحد الملوك أحسن الى (أبي دؤاد) وأجاره ، فضرب المثل بجار (أبي دؤاد) ، ولم يذكر اسم الملك . قال طرفة :

لاني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحداقي الذي انتصفا^٢

وقد ذكر (البغدادى) في الجزء الأول من الخزانة في تفسير بيت قيس بن زهير بن جذيمة :

أطوف ما أطوف ثم آوي الى جار كجار أبي دواد

« وأبو دواد ، هو أبو دواد الإيادي الشاعر المشهور ، وجاره كعب بن مامة الإيادي ، الجواد المشهور ، وقيل : بل هو الحارث بن همام بن مرة ، وكان أسر أبا دواد ناساً من قومه ، فأطلقهم وأكرم أبا دواد وأجاره فدحه أبو دواد وأعطاها ، وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له . ويقال ان ولد أبي دواد لعب مع صبيان في غدير فغمسوه فأت ، فقال الحارث : لا يبقى صبي في الحي إلا غرق . فودى ابنه بديات كثيرة^٣ .

ونسب بعض رواة الشعر اليه القصيدة التي أولها :

أعني على برق أراه وميض يضيء حياً في شمرايح يبيض

وهي قصيدة تنسب أيضاً الى (امرئ القيس)^٤ .

ونسب (الأصمعي) له قوله :

ويصيح أحياناً كما استمع المفضل دعاء ناشد^٥

وقد تمثل بشعره ، ومما تمثل به قوله :

أكل امرئ تحسبين امرأ وناراً تحرق بالليل نارا

-
- ١ الاغاني (٩٩/١٥) ، غرونبوم (٢٦٠) .
 - ٢ الخزانة (١٩١/٤) .
 - ٣ الخزانة (٤٠٨/١) ، (بولاق) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٠٣/١) .
 - ٥ رسالة الغفران (٤٠٩) .

وقوله :

الماء يجري ولا نظام له لو وجد الماء مخرقاً خرقه^١

ومن شعره :

ترى جارنا آمناً وسطنا يروح بعقد وثيق السبب
إذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج وعقد الكرب

أخذه الخطيئة ، فقال :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وكان الخطيئة من المقدرين لشعره . قيل له من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

لا أعد الإقتارَ حكماً ولكن فقدت من قد رزقته الأعدام

من قصيدة تعدت من أجود شعره^٢ .

ومن شعره قطعة هجا فيها رجلاً اسمه (امرؤ القيس بن أروى) ، إذ يقول فيه :

امراً القيس بن أروى مؤلياً ان رأني لأبوان^٣ بسبد
قلت بجلاً، قلت قولاً كاذباً إنما يمنعني سيفي ويد^٤

وقد وضع (غرونبوم) قبل هذين البيتين : بيتاً هو :

وفتر حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد^٤

١ الشعر والشعراء (١٦٣/١) ، (الثقافة) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٢/١) ، (الثقافة) .

٣ اللسان (٢٠٢/٣) ، (بحرا) ، (سبد) ، (بحرا) ، تاج العروس (٣٧٠/٢) ، (سبد) . وقد ورد البيتان على هذه الصورة : « قال أبو ذؤاد الأيادي :

امروء القيس بن أروى مقسم
قلت بجلاً قلت قولاً كاذباً
ان رأني لأبوان بفند
انما يمنعني سيفي ويد »

تاج العروس (٢٣١/٧) ، (بجل) .

٤ غرونبوم ، دراسات (٣٠٥) .

وقد ورد في (اللسان) وفي (التاج) على هذه الصورة :

في فتو حسن أوجههم من إيراد بن نزار بن مضر^١

وعندي ان هذا البيت من الشعر المصنوع ، لأن هذا النسب ، لم يعرف إلا في الاسلام ، ولا يوجد دليل يثبت وقوف الجاهليين عليه . وهو على الصورة التي ورد عليها في لسان العرب وفي تاج العروس خطأ ، لأن نزاراً ليس ابن مضر في عرف أهل الأنساب ، كما سبق أن تحدثت عن ذلك في باب العرب المتعربة .

وقد نسب هذا البيت الى (الحارث بن دوس الإيادي)^٢ .

ونجد الشاعر يرثي رجلاً اسمه (أبو بجاد) ، نعتنه بـ (أبي الأضياف في السنة الجداد) ، وهذا الوصف هو من الأوصاف الدالة على غاية الكرم ، إذ يلجأ الناس اليه في أيام الجوع وانحباس المطر وحصول القحط ، حيث يجب أن يمسك الانسان بماله من الإسراف في انفاقه ، أما هو فلكرمه لا يحفل بسنة المحل سنة الجداد ، بل يعطي وينفق على كل من يلجأ اليه مستجيراً . ولا نعلم من خبر (أبي بجاد) هذا شيئاً يذكر^٣ . وقد ورد في (تاج العروس) : « وأبو البجاد شاعر سمي بيت قاله :

فويل الركب إذ أبوا جيعاً ولا يدرون ما تحت البجاد^٤ »

ولكن هل توجد صلة بين (أبي بجاد) الممدوح ، وبين (أبي البجاد) الشاعر ؟ وجوابي : لا .

وقد أشار (أبو دؤاد) الى قتال وقع بين (بني شهران) وبين قوم آخرين لم يشر الى اسمهم ، وذلك في هذا البيت :

وَلَتَ رجال بني شهران تتبعها خضراء يرمونها بالليل من شمم^٥

١ اللسان (٧٧/٣) ، (أيد) ، تاج العروس (٢٩٣/٢) ، (آد) .

٢ العمدة (٧٩/٢) .

٣ تاج العروس (٩٩/٥) ، (هض) ، اللسان (١١٦/٩) ، (هض) .

٤ تاج العروس (٢٩٤/٢) ، (بجد) .

٥ غرونيباوم ، دراسات (٥٦) .

وينسب رواية الشعر له شعراً زعم أنه قال فيه :

ضربنا على تُبُع جزية جياذ البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هارباً وكان جباناً كثير الكذب
واتبعته فهوى للجبين وكان العزيز لها من غلب^١

وتبع ، لقب يطلقه العرب على ملك حمير ، فيقولون تبايعه اليمن ، يريدون ملوك اليمن . والتبع (أبو كرب) هو الملك : (أبو كرب أسعد) وهو ابن الملك (ملك كرب يهأمن) ، الذي حكم من سنة (٣٨٥) حتى السنة (٤٢٠) للميلاد^٢ . ولكن كيف ضربت (إباد) الجزية على (تبع) ، وكيف وصل الشاعر الى اليمن البعيدة عن إباد ؟ قد يقال إنه أشار الى غزو قام به أحد ملوك الحيرة على (أبي كرب أسعد) ، تبع اليمن ، انتصر فيه ملك الحيرة على التبّع ، وكان هو وقومه قد ساهموا فيه ، ولكننا لا نستطيع التأكد من ذلك ، إذ من يثبت لنا أن هذا الشعر هو شعر صحيح ، لم تصنعه العدنانية على لسانه في الإسلام حتى نصدق بصحة الخبر !

ونجد في شعره إشارة الى (قباذ) ، والى (الحضر) ، إذ يقول :

أين ذو التاج والسريّر قباذ خبته الأيام فبادَ احدى الخُبُون
ولقد عاش آمناً للدواهي ذا عتاد وجوهر غزون
وأرى الموت قد تدلى من الحضر على ربّ أهله الساطرون
صرعته الأيام من بعد ملك ونعيم وجوهر مكنون
ملك الحضر والقرات فما دجلة شرقاً فالطور من عابدين
ولقد كان في كئيب خُضر وبلاطٍ يشاد بالآجرون^٣

و (قباذ) ملك من الساسانيين حكم من سنة (٤٨٣ - ٥٣١) بعد الميلاد ، وأما (الساطرون) فقد تحدثت عنه في الجزء الثاني من هذا الكتاب^٤ .

- ١ غرونيباوم ، دراسات (٢٩١) .
- ٢ راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب (ص ٥٧٤) .
- ٣ حماسة البحري (٨٧) ، تاج العروس (٢ / ٢٦١) ، (٩ / ٢١٤) ، الامالي ، للشجري (١ / ١٠٠ ، ٣٦١) ، غرونيباوم ، دراسات (٣٤٥) .
- ٤ (٦١٥ وما بعدها) .

ولدينا قطعة من الشعر نسبت اليه ، وردت فيها أسماء مواضع مثل : (هضبة ذي الأسد) ، و (السيلحين) ، و (برقة الأتباد) ، ثم أشار الى معركة وقعت بين (إباد) قومه وبين (تنوخ) انتصفت فيها (إباد) من تنوخ ، إذ يقول :

ولقد صَبَّين على تنوخِ صَبَّةً فجزينهم يوماً بيوم قحادا^١

وكان علماء العربية لا يستشهدون بشعر (أبي دؤاد) ولا بشعر (عدي بن زيد العبادي) ، لأن ألفاظها ليست بنجدية^٢ .

ذكر (الجاحظ) ان (أبا إياس) النصري ، وكان أنسب الناس ، كان يقول : « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دواد الإيادي ، وعدي بن زيد العبادي »^٣ . ويروي (الأصمعي) ان الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لأن ألفاظها ليست بنجدية ، ولمخالفتها مذاهب الشعراء^٤ ، ولم يكن (الأصمعي) ممن يهوى اليه كثيراً ، بدليل انه جعل شعره صالحاً غير انه لم يجعله في عداد فحول الشعراء^٥ .

وورد في الأخبار ان (الخطيئة) ، كان يرى انه أشعر الناس . فقد ورد ان (سعيد بن العاص) سأل (الخطيئة) : أي الناس أشعر ؟ قال : الذي يقول :

لا أعد الإقتار علماً ولكن فقد من قد رزقته الأيام

وقاثل هذا البيت ، هو أبو دواد الإيادي^٦ .

وكان (أبو الأسود) الدؤلي ، وهو من الحذاق العالمين بالشعر ، يتعصب له^٧.

- ١ غرونيبوم (٣١٠ وما بعدها) ، وقد أشار الى الموارد التي أخذ منها تلك الابيات .
- ٢ الشعر والشعراء (١٢٠) ، الاغاني (٩١/١٦ وما بعدها) ، الموشح ، للمرزباني (٧٣) ، الجرجاني ، الوساطة (٤٧) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٩/١) ، (١٢٦) ، الشعر والشعراء (١٦٢/١) ، (دار الثقافة) .
- ٣ البيان والتبيين (٣٢٣/١) .
- ٤ الاغاني (٩٧/١٥) ، الخزانة (١٩١/٤) ، الموشح (٧٣) .
- ٥ غرونيبوم (٢٦١) .
- ٦ رسالة الغفران (٥٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (٣٦٠/١) .
- ٧ غرونيبوم (٢٦١) .

وكانت (إيراد) تفخر بشاعرها (أبي دؤاد) ، وتقول : منّا أجود العرب : كعب بن مامة ، ومنّا أشعر الناس : أبو دؤاد ، ومنّا أنكح الناس : ابن الغزّال . وقد ادعت إيراد أن الشعر بدأ بها ، لأنه بدأ بأبي دؤاد^١ .

وقد استشهد علماء شواهد النحو ببيت له ، هو :

ربما الجامل المؤيل فيهم وعناجيج بينهن المهار

وقد ذكر السيوطي أنه من قصيدة طويلة عدتها ثمانية وسبعون بيتاً^٢ .

وقد عدّه بعض أهل الأخبار في الشعراء المقلين^٣ . ونجد له شواهد في الاتعاض والأمثال وفي الشعر الجيد وفي أمور النحو ، وفي البديع^٤ . « ولدينا أحد عشر مطلعاً لإحدى عشرة قصيدة من قصائد أبي دؤاد وكلها مصرّعة^٥ » . ويرى (غرونيبوم) قلة ما في شعر (أبي دؤاد) من الإقواء ، فلم يقف في شعره إلا على اقواءين ، ووجد بيتين ، أحدهما من الرجز والآخر من الوافر ، يبدو فيها شيء من عدم الاستواء . وله مزايا خاصة استعملها في تفعيلات الخفيف . وأرى أن التشعيت الذي لاحظته (العيني) في الأصمعية (٧٢) ، « لا يعد خطأ » ، بل هو مظهر من مظاهر التطور الفني في هذا الوزن ، مظهر استنكر أو نسي مع الزمن حين ظهر علم العروض ، بعد حوالي قرنين من وفاة أبي دؤاد^٦ .

وقد شرح ديوان (أبي دؤاد) العالم (ابن السكيت) ، وقد نقل منه (البغدادى) في الخزانة^٨ . وقد ذكر (البغدادى) أن (لأبي دؤاد) ديواناً وقف عليه وأخذ منه ، غير أنه لم يذكر اسم جامع^٩ . وفي الشعر المنسوب إليه

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٥٩/١) ، الاغاني (٩٧/١٥) وما بعدها .
 - ٢ المزهري (٤٧٧/٢) ، (تنقل الشعر في القبائل) .
 - ٣ الخزانة (١٨٩/٤) وما بعدها ، (بولاق) .
 - ٤ المزهري (٤٨٦/٢) ، (المقلون من الشعراء) .
 - ٥ راجع البيت الخامس عشر من الأصمعية ٢٩ ، والبيت الثالث من القطعة (٤٨) ، غرونيبوم (٢٦٢) ، الباقلائي ، اعجاز (٧٩) ، النويري (١١٢/٧) .
 - ٦ غرونيبوم (٢٦٦) .
 - ٧ غرونيبوم (٢٦٧) وما بعدها .
 - ٨ الخزانة (١٩٠/٤) .
 - ٩ الخزانة (٩/١) .

شعر مصنوع ، وقد ذكر ان (خلف الأحمر) صنع على أبي دؤاد أربعين قصيدة^١ . ونجد في الشعر الذي جمعه (غرونيوم) لأبي دؤاد شعراً لا يصح انه من شعره ، كما ان في شعره ما نسب لغيره ، ومنهم شعراء من إياد ، مثل (أبي المنذر) الإيادي^٢ .

ومن شعراء (إياد) : (لقيط بن يعمر) ، وقيل (معمر) الإيادي . وإياد من قبائل (نزار) ، ومن أكثر قبائل هذا الحلف عدداً ، قيل انهم كانوا لقاحاً لا يؤدون خرجاً ، وهم أول معدي خرج من تهامة ، فنزلوا السواد ، وغلبوا على ما بين البحرين الى (سنداد) و (الخورنق) . وكانوا أغاروا على أموال لأنوشروان فأخلوها ، فجهز اليهم الجيوش ، فهزموهم مرة بعد مرة ، ثم ان إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة ، فوجه اليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفاً في السلاح ، وكان (لقيط) متخلفاً عنهم بالحيرة ، فكتب اليهم :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم ستون ألفاً يزجون الكتاب كالجراد

فاستعدت إياد لمحاربة جنود كسرى ، ثم التقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، أصيب فيه من الفريقين ، ورجعت عنهم الخيل ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فلمحت فرقة بالشام ، وفرقة رجعت الى السواد ، وأقامت فرقة بالجزيرة . ونسبوا له قصيدة أخرى ، ذكروا انه نظمها في هذه القصيدة^٣ . من جملة ما ورد فيها :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
هيهات ما زالت الأموال من أبد لأهلها إن اصبوا مرة تبعا

ومنها قوله في اختيار الرئيس وتدبير الحرب والانصياع للقائد :
وقلدوا أمركم لله دركم رجب النزاع بأمر الحرب مضطلعا

١ غرونيوم (٢٦٠) ، الموشح (٢٥٢) .
٢ غرونيوم (٢٨١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (١٢٩/١ وما بعدها) ، الاغانى (٢٣/٢٠) ، بروكلمن (١١٢/١) .

لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به جزعا
 ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
 حتى استمرت على شزر مريرته مستحکم السن لا قحجا ولا ضرعا^١

وأنا إذ أذكر (لقيط بن يعمر) في هذا الفصل ، فلا أريد بذلك إثبات أنه كان من الشعراء النصارى ، لأنني لا أملك نصاً بذلك ، إنما أدخلته هنا لمجرد أنه شاعر من شعراء إباد ، كما أدخلت (أبا دؤاد) الإيادي فيه لما ذهب (ناليانو) الى أنه من النصارى ، وقد كانت النصرانية متفشية في إباد وتغلب ، وقبائل أخرى من قبائل العراق وبلاد الشام ، والبادية التي بينها .

أما (عدي بن زيد) العبّادي ، فهو نصراني من غير شك ، فالعباديون ، نصارى ، وقد أطلقت اللفظة عند العرب على النصارى ، نصارى الحيرة ، كما نص أهل الأخبار على تنصره . وقد كان شعره سهلاً ليناً ، بعيداً عن شعر شعراء نجد ، قال (الأصمعي) : « كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد لمخالفتها مذاهب الشعراء »^٢ أو « لأن ألفاظها ليست بنجدية »^٣ . وقد روى (الجواليقي) له شعراً في كتابه (المعرب) ، وهو كتاب ألفه في المعربات ، وفي استشهاده بشعره دلالة على تأثره بالآرامية وبالفارسية التي درسها في (الكتاب)^٤ .

وإذا أخذنا بمذهب (الأصمعي) من أن الرواة كانت لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي بن زيد ، لمخالفتها مذاهب الشعراء ، وما ذكره غيره لأن ألفاظها ليست نجدية ، ولأن عدياً سكن الريف ، فلان شعره وبان ذلك على لسانه ، ولأنه تأثر بلغة أهل الحيرة ، واستعمل ألفاظهم ، وما شاكل ذلك من حجج ، وجب علينا رفض الاستشهاد بشعر (أمية بن أبي الصلت) كذلك ، فقد كان من أهل قرية ، وقد استعمل في شعره ألفاظاً لم تعرفها العرب ، وقرأ الكتب ، كما يجب لإدخال (الأعشى) معها أيضاً ، لأنه خالط أهل الريف ، واتصل بالخصر وبالأعاجم ، واستعمل في شعره ألفاظاً معربة ، كما اختلف مذهبه في الشعر عن

- ١ بلوغ الارب (١١٤/٣ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (١٣٠/١) .
- ٢ الاغانى (١٨/٢) ، (٩١/١٥ وما بعدها) .
- ٣ الشعر والشعراء (١٦٢/١) .
- ٤ كارلو ناليانو ، تاريخ الاداب العربية (٩٠) .

مذهب شعراء البادية الأعراب ، فضلاً عن كونه من أهل اليامة ، وأهل اليامة
من اختلط لسانهم بلسان أهل اليمن ، وتأثر بهم .

ويخالف شعر (عدي) شعر شعراء نجد في ابتعاده عن الأعاريض الطويلة
وميله إلى الأعاريض القصيرة ، كما يخالفهم في أسلوب خمرياته ، فهو في وصفه
الخمر قريب من أسلوب (الأعشى) في الخمريات . وله أوصاف بديعة للخمر ،
تعبّر عن معان حضرية ، نابعة من طبيعة القرى والريف ، وبهذا الوصف يختلف
عن وصف امرئ القيس أو غيره من الشعراء للخمر . كما امتاز بوصفه القيّان
ومجالس الشرب ، وما كانت تولده له من نشوة وطرب ، واتخذ (عدي) من
الخمر ، فلسفة دفعته إلى الزهد ونبد الغرور ، لأن الدنيا زائلة ، وكل شيء
فيها لا بد وأن ينتهي إلى زوال . وهو شعر انبثق من طبيعة (عدي بن زيد)
ثم من الأحوال التي مرت عليه ، والتي انتهت به إلى السجن ، بعد أن وصل
أعلى ما يصل إليه إنسان في زمانه وفي مكانه .

واتخذ (عدي) من القصص القديم عبراً وجهها من سجنه إلى (النعمان) وإلى
الشامتين به ، الحاسدين له ، الذين كانوا سبب نكبته ، بأن قال :

أبها الشامت المعير بالدهـ	ر أنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيدـ	أم بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من	ذا عليه من أن يضام خفيـ
أين كسرى كسرى الملوك أنوشـ	وان أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ	روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضرم إذ بناه وإذ دجـ	سلة تجبي إليه والخارـ
شاده مرمرأ وجله كلـ	سأ فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ	ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ شـ	سرف يوماً وللهدى تفكير
سرّه ماله وكثرة ما يدـ	ملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبـ	سطة حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأـ	مة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـ	سف فألوت به الصبأ والدبور

١ الشعر والشعراء (١٥٠/١ وما بعدها) .

وله شعر آخر أوله :

أنعرف رسم الدار من أم معبد نعم ، فرماك الشوق قبل التجلد

قال فيه :

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد
ذريني فلاني انما لي ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودي
وحمت لميقات إلي منيتي وغودرت قد وسدت أولم أوسدا

وهو شعر نبع من واقع حاله الذي صار اليه ، فهو لا يدري متى وفي أية ساعة ستأتيه منيته . ومن زج في سجن مثل سجنه ، وصار في حال مثل حاله ، يكون قلقاً لا يدري ما الذي سيكون مصيره ، فهو شعر يعبر عن شعور انساني يتاب الانسان في مثل هذه المواقف ، ليس له علاقة بنصرانية أو بدين .

والشعر المذكور إن صح انه من شعر (علي) ، وانه غير مصنوع ولا معمول عليه ، يكون قد قدم لنا قصصاً قديماً من قصص أهل الجاهلية ، وحكايات كانوا يروونها من حكايات التاريخ ، ويكون بذلك شاهداً على ان أهل الخبرة ، والمثقفين منهم بصورة خاصة كانوا يعرفون تأريخ الماضين ، وقد وقفوا على تأريخ الفرس وتأريخ الروم ، والحضر ، وتأريخ غيرهم من شعوب معاصرة لهم ، ومن شعوب غابرة ، وردت أخبارها في الكتب القديمة ، ولا سيما في الكتب المقدسة وفي كتب التواريخ . فنحن نجد له قصيدة أشار فيها الى خطيئة آدم ، وهذه الخطيئة تلعب دوراً خطيراً في كل الأديان السماوية المعروفة التي أقرت بالكتب المقدسة ، وقد صاغ قصتها على هذا النحو :

قضى لستة أيام خليقته وكان آخرها أن صور الرجل
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا
”ثمت“ أورثه الفردوس يعمرها وزوجه صنعة من ضلعه جملا
لم ينهه ربّه عن غير واحدة من شجر طيب: أن شتم أو أكلا
فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت كما ترى ناقة في الخلق أو جملا
فعمدا للتي عن أكلها نهيا بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا
كلاهما خياط إذ بزّ لبوسها من ورق التين ثوباً لم يكن غزلا

فلاطها الله إذ أغوت خليفته طول الليالي ولم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عميرت والترب تأكله حزناً وإن سهلاً
فأتعبا أبوانا في حياتهما وأوجدا الجوع والأوصاب والعلا
وأوتيا الملك والإنجيل نقرأه نشفى بحكمته أحلامنا علا
من غير ما حاجة إلا ليجعلنا فوق البرية أرباباً كما فعلا^١

والشعر هذا مذكور في كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وفي ذكره له ، دلالة
على أنه قد كان معروفاً في أيامه ، وهو يستند على ما ورد في (سفر التكوين)
السفر الأول من أسفار التوراة ، وفيه قصة الخليفة ، ونجد قصة (الحية) في
في شعر (أمية بن أبي الصلت) ، حيث يقول :

كلدي الأفعى ترَبَّبتْها لديه وذئ الجنى أرسلها تساب
فلا رب البرية يأمنها ولا الجنى أصبح يستتاب

وقد دوّن هذين البيتين (الجاحظ) كذلك في كتابه : (الحيوان) ، مما
يدل على أنهما كانا معروفين ، وهما من قصيدة ذكرها الجاحظ قبلها في رطوبة
الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق ، ثم عن مناداة الديك الغراب ، واشترط
الحمامة على فوح^٢ :

وقصة (عدي) قصة أوضح وأقرب إلى الأصل المذكور في الاصحاحات الثلاثة
الأولى من سفر التكوين ، من القصة المذكورة في الشعر المنسوب إلى (أمية) .
يظهر أن ناظمها قد صاغها عن مطالعة وعن إلمام عام بها . فهي في الواقع قصيدة
شملت قصة دينية ، ضمت أسطورة الخلق كما جاءت في الاصحاحات المذكورة ،
مع بعض (الرتوش) والإصلاحات التي اقتضتها طبيعة نظم الشعر ، وقد تلخصها
تلخيصاً حسناً قريباً من الأصل ، يدل على إحاطة به . ولعلّ من وضع شاعر
أحب صوغ هذه القصة في شعر ، فنظمها ونسبها إلى (عدي بن زيد) .

وقد ظل العباد يتغنون بخمريات وبشعر (عدي) أمداً طويلاً بعد وفاته . وقد
كان (القاسم بن الطويل) العبادي ، أحد ندماء (الوليد) الثاني ممن يروون

١ الحيوان (١٩٧/٤) وما بعدها .

٢ الحيوان (١٩٧/٤) .

شعره ، وجنّده الى الخليفة ، الذي كان شاعراً يحب الخمر ، وينظم الشعر فيها ،
مما صار باب من أبواب الخمريات في الشعر الإسلامي^١ . ومن شعره قوله :

أيها القلب تعلل ببدن إنّ همي في سماع واذن^٢

ومن الشعراء النصارى الذين نص أهل الأخبار على تنصرهم : (موسى بن
جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد) الحنفي اليامي ، المعروف بـ (أزيرق اليمامة) ،
وبابن ليل ، وهي أمه ، وكان نصرانياً . قال عنه (المرزباني) انه شاعر كثير
الشعر ، وقد أورد له نثراً من شعره^٣ ، ويمتاز ما ذكره بالبساطة والسهولة والليونة
وهو يختلف بأسلوبه عن شعر الأعراب .

أما (الأعشى) ، وقد تحدث عنه ، فهو من اليمامة ، وقد كان معظم أهل
اليمامة على النصرانية عند ظهور الاسلام ، ولذلك فقد يكون على النصرانية ، غير
اننا لا نستطيع أن نأتي بدليل مقبول يثبت تنصره ، وقد رأينا ان أهل الأخبار
كانوا قد جعلوه في عداد (القدرية) و (أهل العدل) ، زعموا انه أخذها من
(الحيرة) ، وكانوا عبّاداً ، وكان يزورهم يشرب الخمر عندهم ، كما كان
راويته (يحيى بن متى) نصرانياً ، ولكن النصرانية لا تعني القدرية ، وكون
راويته نصرانياً ، لا يعني انه كان نفسه نصرانياً ، وأما ما جاء في شعره من
قصص وأمر معروفة عند النصارى ، فلا يكون دليلاً على تنصره ، فقد وردت
مثل هذه الأمور في شعر غيره ، ولم ينص أحد على تنصرهم ، ثم ان شعره
لا ينم على تعمق في نصرانية^٤ ، لكنني لا أريد أن أثبت انه كان وثنياً ، فوثنية
الأعشى أو نصرانيته تخصه وحده ، وأنا لا أريد أن أنقص عدد النصارى ، وأن
أزيد في عدد الوثنيين ، وإنما هو رأي واستنتاج ليس غير .

ومن شعره الذي تطرق فيه الى أمور نصرانية قوله :

فا أيلى على هيكَل بناه وصلّب فيه وصارا

-
- ١ بروكلمن (١٢٥/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٣/١) .
 - ٣ المعجم (٢٨٥) ، (فراج) ، شرح الحماسة ، للمرزوقي (٣٢٦) ، (عبد السلام محمد
هارون) ، الاغانى (١١٣/١٠) ، الخزانة (١٢٦/١) .
 - ٤ G. Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, I, S. 33.

يرواح من صلوات المليك طوراً سُجوداً وطوراً جُوراً
بأعظم منك بقي في الحساب اذا النسبات تفضن الغبارا

وهي من قصيدة مدح فيها (قيس بن معد يكرب) الكندي . وقد اتخذ (المعري)
هذا الشعر دليلاً على إيمان الأعشى بالله وبالحساب وبالبعث ، مما استوجب إدخاله
في الجنة^١ .

وهناك أفكار نصرانية نجدها في شعر (النابغة) وفي شعر (زهير) ، و (ليبيد) ،
غير أننا لا نستطيع أن نقول إنهم كانوا نصارى ، لوجود هذه الأفكار في شعرهم ،
فن الجائر أن يكون ورودها في شعرهم نتيجة لاختلاطهم بالنصارى ، وقد كانوا
يكثر من الذهاب الى الحيرة ، لمدح ملوكها طمعاً في نيل عطاياهم ، فاحتكوا
بذلك بنصارها ، وورد قصص نصراني في شعر أو نثر لا يدل حتماً على تنصر
الناثر أو الشاعر ، كما أن وقوف شخص على دين من الأديان ، لا يسدل حتماً
على اعتناقه للدين . ومن هنا أخطأ الأب (لويس شيخو) في دعواه بتنصر
أكثر الشعراء الجاهليين^٢ .

ونجد في شعر امرئ القيس إشارات الى معالم نصرانية، مثل الرهبان وصلواتهم
وسهرهم ، والى مصاييحهم ، مثل قوله :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصاييح رهبان تشب لقفال^٣

ولكننا لا نستطيع إثبات أنه كان من النصارى .

و (حاتم الطائي) من شعراء طيء ، وقد مات قبل الاسلام ، وقبر
ب (عوارض) جبل فيه قبره ببلاد طيء^٤ . وهو (حاتم بن عبدالله بن سعد
ابن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي) ، ويكنى (أبا سفانة) بابنته ، وابنه
(عدي بن حاتم) من الصحابة . واليه ينسب المثل « لو غير ذات سوار لطمنتي » .
وسبب قوله اياه - كما يقول ذلك الرواة - ان حاتم الطائي كان أسيراً في (عنزة) ،

١ رسالة الففران (١٨١) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٢٧/١) ، (الطبعة الثانية) .

٣ الخزائن (٣٣/١) ، (بولاق) .

٤ تاج العروس (٤٨/٥) ، (عرض) ، الحيوان (٢٢٩/١) .

فقلت له امرأة يوماً : قم فافصد لنا هذه الناقة ! وكان الفصد عندهم ان يقطع عرقاً من عروق الناقة ، ثم يجمع الدم فيشوى . فقام حاتم الى الناقة فنحرها ، فلطمته المرأة . فقال حاتم : « لو غير ذات سوار لطمتني » فلذهب قوله مثلاً^١ . وروي أيضاً انه قال : « هذا فصدي » ، يريد انه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام . وقد نسب هذا المثل لكعب بن مامة ، وذلك انه كان أسيراً في عترة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره اياها ، فقال : هكذا فصدي^٢ .

ويلاحظ ان (الجاحظ) وغيره يقدمون (كعب بن مامة) على حاتم الطائي في الجود ، « لأن كعباً بذل نفسه في أعطية الكرم وبذل المجهود فساوى حاتماً من هذا الوجه ، وبإينه يبذل المهجة »^٣ . كما نلاحظ ان بغض أخبار الجود المنسوبة الى (حاتم) تنسب الى (كعب بن مامة) كالذي رأيت في تفسير المثل : « هكذا فصدي » .

ولما بلغ حاتم قول المتلمس :

قليل المال يصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال خير من فناء وعسف في البلاد بغير زاد

قال قطع الله لسانه ، حمل الناس على البخل فهلا قال :

فلا الجود يفني المال قبل ذهابه ولا البخل في مال الشيخ يزيد
فلا تلتبس مالاً بعيش مُقْتَر لكل غدٍ رزق يعود جديد
ألم تر أن الرزق غادر ورائح وأن الذي أعطاك سوف يعيد^٤

وذكر أن (زيد الخيل) عبر حاتماً الطائي في خروجه من طيء ومن حرب

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٩/١) ، الخزائن (٤٩٤/١) ، لاغاني (٩٦/١٦) ، الشعر والشعراء (١٦٤/١) وما بعدها ، الامالي ، للقالبي (١٥٤/٣) وما بعدها ، بروكلمن (١١١/١) وما بعدها .
 - ٢ الميداني ، أمثال (٣١٧/٢) ، الحيوان (٢٧٤/٤) ، الاغاني (١٠٢/١٦) ، الحيوان (٣٣/٥) ، البخلاء (١٥٨) ، ٣٨٢ وما بعدها ، ثمار القلوب (٩٨ وما بعدها) .
 - ٣ الحيوان (١٠٧/٢) وما بعدها .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٩/١) ، وتجد بعض الاختلاف في الروايات الاخرى ، المحاسن والاضداد (٤١) .

الفساد التي وقعت بين جديلة والغوث الى (بني بدر) حيث يقول :

وفرّ من الحرب العوان ولم يكن بها حاتم طبياً ولا متطبياً
ورب حصناً بعد أن كان آيياً أبوة حصن فاستقال واعتباً
أقم في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ما تقضت حربنا أن تطرباً^١

وقد أسره (ثوب بن شحمة) العنبري ، وكان شريفاً في قومه ، وكان يقال
له (مجبر الطير) ، لأنه أجاز الطير في أرضه ، فكان لا يثار ولا يصاد بأرضه^٢.
فقال حاتم :

إذا ما نجيل الناس هرت كلابه وشقّ على الضيف الغريب عفورها
فلاني جبان الكلب يني موطاً جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها
ولكن كلابي قد أقرت وعودت قليل على من يعتريها هريرها^٣

وظل (حاتم) أسيراً عنده زماناً ، وقد عُيّر (ثوب بن شحمة) بأنه
وقومه أكلوا لحم المرأة ، فقال شاعر :

عجلتم ما صادكم علاج من العنوق ومن الدجاج
حتى أكلم طفلة كالعاج

وقد وصفت ابنته أباها للرسول ، وكان قد سألها عن أبيها على هذه الصفة :
« كان أبي يفك العاني ويحكي الذمار ، ويقرّي الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج
عن المكروب ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط » .
ووصفه (ابن الأعرابي) بقوله : « كان جواداً يشبه شعره جوده ، ويصدق
قوله فعله ... إذا غمّ أنهب وإذا سئل وهب ... وإذا أسر أطلق »^٤ . ويجب أن
تكون وفاة (حاتم) غير بعيدة عن ظهور الإسلام .

١ الحيوان (٣٢٩/١) .

٢ الحيوان (٢٦٩/١) .

٣ الحيوان (٣٨٣/١) .

٤ البخلاء (٢٣٥ ، ٣٧٤) .

٥ الاغانى (٩٧/١٦ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (٧٩) ،

الخزائن (٤٩٤/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٨/٢) .

ولأهل الأخبار قصص عن جود حاتم وكرمه ، ويبدأون به غلاماً ، يرعى لإبل والده ، فرت به (عبيد الأبرص) ، و (يشر بن أبي خازم) ، و (النابتة الديباني) ، وهم يريدون (النعمان) فنحر لهم ثلاثة من الإبل ، وهو لا يعرفهم ، ثم سألهم عن أسمائهم ، فسموا له ، ففرق فيهم الإبل كلها ، وبلغ أباه ما فعل ، فاعتزله . ثم يروون انه ذبح فرسه ، لما جاءت جارة له ، فشوى لحمها لها ولولادها الجوع ، ثم استدعى بقية جيرانه فأطعمهم ، وبقي هو وأهله جوعاً ، ولم يكن لديه آنذاك غير فرسه هذه . ثم يروون قصصاً آخر مشابهاً ، يمتد الى ما بعد وفاته ، حيث يذكرون قصة رجل اسمه (أبو خيري) ، ذكروا انه مرّ بقبر (حاتم) ، وأخذ يناديه : « يا أبا عدي أقر أهياك ! فلما كان في السحر وثب أبو خيري يصيح : وارحلتاه ! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ فقال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر اليه ، فنظروا الى راحلته فإذا هي لا تنبث ، فقالوا : قد والله قرأك ، فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فيبناهم كذلك في مسيرهم ، طلع عليهم (عدي بن حاتم) ومعه جمل أسود قد قرنه يبيعه ، فقال : ان جاتماً جاءني في المنام فذكر لي شتمك اياه ، وانه قرأك وأصحابك راحلتك ، وقد قال في ذلك أبياتاً ، ورددتها عليّ حتى حفظتها :

أبا خيريّ وأنت امرؤٌ حسود العشيرة لوأمها
فإذا أردت الى رمة بدأوية صخب هامها
تبغني أذاها وإعسارها وحولك عوفٌ وأنعامها

وأمرني بدفع جمل مكانها اليك ، فخذها ، فأخذها .

ولأهل الأخبار قصة في كيفية تزوج (حاتم) (ماوية بنت عفزر) ، وكيف وجد عندها (النابتة) ، ورجلاً من النبيت ، يريدان الزواج منها ، لما وصل اليها ، وكيف امتحتهم بقولها لهم : انقلبوا الى رحالكم ، وليقل كل رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فلاني متزوجة أكرمكم وأشعركم ، ثم تذكر القصة تفصيل ما وقع بأسلوب منق «قروناً بشعر وقرار (ماوية) بتفصيل حاتم

الشعر والشعراء (١٧٠ / ١) ، الخزائنة (٤٩٤ / ١) وما بعدها ، (بولاق) ، المحاسن والاضداد (٤١ وما بعدها) .

عليها^١ . وتذكر قصة أخرى ان (ماوية) كانت ابنة من بنات ملوك اليمن ، وكانت ذات جمال وكمال ومال ، فآلت ألا تزوج نفسها إلا من كرام الناس ، فقدم عليها حاتم ، وزيد الخليل ، وأوس بن حارثة لأم ، فقدم كل واحد يخطبها ، فقالت ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ، فلما أنشدوا فضلت (حاتم) الطائي عليها ، فزوجت نفسها منه . وذكر ان (معاوية) كان يهوى حديث (ماوية)^٢ .

وهم يذكرون أن جود (حاتم) جاء اليه من أمه (عنبه) ، التي كانت سخية الى حد الإسراف ، حتى حبسها اخوتها سنة في بيت لعلها تكف عما كانت عليه ، إذا ذاق طعم البؤس وعرفت فضل الغنى ، ثم أخرجوها ودفعوا اليها صرمة من مالها ، فأنتها امرأة فسألته ، فقالت لها : دونك الصرمة ، فقد والله مسني الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً شيئاً ! ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عضني الجوعُ عضه قأليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقلوا لهذا اللامي الآن أعفني وإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
ولا ما ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي ، يا ابن أم ، الطائعا^٣

ونسب لحاتم قوله :

واني لاستحي حياء يسرني إذا اللؤم من بعض الرجال تطلعا
إذا كان أصحاب الإناء ثلاثة حياء ومستحيا وكلباً مجشعا
فلاني لأستحي أكيلي أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعا
أكف يدي من أن تمس أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجتنا معا
وإنك مها تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى اللم أجمعا^٤

وتنسب له قصيدة طويلة هي :

وعاذلتين هبتا بعد هجمة تلومان متلافاً مفيداً ملوما
تلومان لما غور النجم ضلة فتي لا يرى الاتفاق في الحمد مغرما

- ١ الشعر والشعراء (١٦٧/١ وما بعدها) ، الخزائنة (١٦٤/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٢ الخزائنة (١٦٤/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٣ الشعر والشعراء (١٦٥/١ وما بعدها) .
- ٤ البيان (٣٠٧/٣ وما بعدها) .

الى أن يقول :

ولن يكسب الصعلوك حداً ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظماً
لحا الله صعلوكاً مناه وهمته من العيش أن يلقي لبوساً ومغنياً
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى تنبه مثلجوج الفؤاد مورماً
مقيماً مع المثزين ليس يبارح إذا نال جدوى من طعام ومجماً
ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً
ففى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شعبة إن نالها عدّ مغنياً
يرى الخمص تعديباً ولم يلق شعبة بيت قلبه من قلّة الهم ميبها^١

وهي أبيات أرى أنها من هذا الشعر الذي يشك في أكثره ، مثل الشعر المقلد
على لسان عروة والصعاليك ، يظهر أن الظروف الاجتماعية جعلت الأدباء ينظمون
على لسانهم ، يتشكون فيها من ظلم الأغنياء ، لما كانوا يرونه من قسوة أصحاب
المال على المعدمين والبائسين .

ويشك في كثير من شعر حاتم . وقد صار حاتم بالقصص الوارد عنه من
الأبطال المعروفين عند غير العرب أيضاً ، فنجد له ذكراً في الفارسية وفي التركية ،
وألف فيه في اللغات الأوروبية ، وطبع ديوانه جملة طبعات^٢ . وكان يشبه شعر
النمر بن تولب بشعر حاتم الطائي ، وكانا يشتركان في الجسود وإتلاف الأموال
وأرجمية الطبع والتغني بملك في الشعر^٣ .

وكان (حاتم) على النصرانية على ما يظن ، وقد كان ابنه (عدي) عليها^٤ .
و (جابر بن حنّية بن حارثة بن عمرو بن بكر) من شعراء تغلب . وله
قصيدة مطلعها :

ألا يا لقومي للجديد المصرم وللحم بعد الزلّة ، المتوهم
وللمرء يعتاد الصباية بعدما أتى دونها ما فرط حول مجرم

١ الخزائن (٤٩٢/١) .

٢ بروكلن (١١١/١) وما بعدها .

٣ البخل (٣٨٤) .

٤ الاصابة (٤٦٠/٢) ، (رقم ٥٤٧٧) .

ذكر ان سبب قوله لها ، ان (المنذر بن ماء السماء) كان يبعث (عمرو بن مرثد بن سعيد بن مالك) ، و (قيس بن زهير) الجشمي ، على إتاوة ربيعة ، وكانت ربيعة تحسدهما ، فجاء (عمرو) يوماً ، فقال جلساء الملك حسداً له : انه يمشي كأنه لا يرى أحداً أفضل منه ! فجاء فحياً الملك بتحية ، فقال جابر هذه القصيدة ^١ . وقد أدخله (بروكلمن) في عداد الشعراء النصاري ^٢ .

ويذكر انه هو (جابر) المذكور في البيت المنسوب لامرئ القيس ، وهو :

فإما تريني في رحالة جابر على حرج كالقمر تخفق أكفاني ^٣

وكان امرؤ القيس آنذاك مريضاً ، فكان (جابر) و (عمرو بن قيثة) ، يحملانه على الرحالة ، وهي خشبات ، وهي الحرج .

١ السيوطي ، شرح شواهد (٥٦٢/٢ وما بعدها) ، الآتي (٨٤٢) ، المفضليات (٢٠٨) .

٢ بروكلمن (٧٣/١) .

٣ من قصيدة :

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
ديوان امرئ القيس (٨٩ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٧٤/١) ،
الشعر والشعراء (٥٣/١) .

الفصل السابع والستون بعد المئة

آراء الشعراء الجاهليين

والشعر الجاهلي مادة مهمة تعيننا في الوقوف على آراء الجاهليين ، على الرغم من كون أكثره قد ورد في أمور لا صلة مباشرة لها بالرأي ، أعني بالتفكير في خلق الكون وفي الانسان نفسه ، لم جاء ولم يموت ، وما هي الغاية من ظهوره على هذه الأرض ، وعن الخلق والخالق ، من إثبات أو عدم ، وعن النظم وأصول الحكم والمجتمع والمعرفة والثقافة وما شاكل ذلك من أمور لها صلة بالتأمل والتفلسف . ومع ذلك فإن في هذا الشعر المذكور ، ما يكفي لاستنباط شيء منه عن الرأي عند الجاهليين .

لقد حمل خلو الشعر الجاهلي من العاطفة الدينية ، بعض المستشرقين على الحكم بأن الجاهليين لم يكونوا مملكون حساً دينياً ، وان دينهم سنتهم ، وستهم ما ألفوه عن آبائهم وأجدادهم وأعراف قبيلتهم ، وهي أعراف ورثوها وحافظوا عليها ، محافظتهم على حياتهم ، وقاوموا كل من كان يخرج عليها أو يتناول عليها. ونجد الشعراء يمجّدونها ويذكرونها على حين لا نشعر بوجود حس ديني في شعرهم ، اللهم إلا في شعر عدد قليل من الشعراء^١ .

والشعر الجاهلي خلو من الشعر الديني الذي يجب أن ينظم في المناسبات الدينية ، مثل الحج . ولما كان الحج من المناسبات المؤثرة المثيرة ، التي تجمع الناس ،

Goldziher, History of Classical Arabic Literature, p. 25.

فتشير في الشاعر شعوراً بروعة المناسبة وبروعة الاجتماع ، فلا بد وأن ينظم الشعراء شعراً فيه ، لإنشاده على المتجمعين حول الصنم ، غير أننا لا نملك أي شعر قيل فيه ولا في المناسبات الدينية الماثلة التي تدفع الإنسان إلى إظهار شعوره فيها . وهو أمر يلفت إليه النظر حقاً ، ويجعلنا نفكر في الأسباب التي أدت إلى عدم ظهور الروح الدينية في هذا الشعر ، هل هي طبيعة العربي في عدم اهتمامه بأمور الدين أم هي بسبب كره الإسلام رواية وحفظ ذلك الشعر الوثني !

لقد نسب بعض المستشرقين خطأ الشعر الجاهلي من الوثنية ، إلى ترك المسلمين تعمداً رواية ذلك الشعر ، بسبب دخولهم في الإسلام واجتثاث دين الله لمعالم الشرك فلم يجد المسلم أن من الهين عليه ، حفظ شعر فيه تنويه بما أبطله وحرمه كتاب الله ، فرموا منه ما كان ثقیل الوثنية ، وهذبوا منه ما كان خفيف الوزن ، بأن رفعوا أسماء الأصنام ، وأحلوا محلها اسم الله إن ناسب الاسم المعنى ، أو شذبوا فيه وأضافوا شيئاً عليه لإزالة معالم الوثنية منه . لأن من الصعب تصور إعراض الشاعر الجاهلي عن ذكر أصنامهم في شعره ، بينما هو يتوسل ويتقرب إليها ، وينذر لها. فالوثني مهما كان رقيق الدين ، بعيداً عن التفكير فيه ، فإنه لا بد وأن يلجأ إليه ساعة الشدة وأيام المحن ، حيث يبحث عن يساعده للخروج من محنته ، شأنه في ذلك شأن أي إنسان آخر ، حين تنزل به النوازل ، فيلجأ حينئذ إلى إلهه أو آلهته وأصنامهم وإلى القوى الطبيعية يستمد منها المساعدة والعون .

وأنا لا أستبعد احتمال موت هذا النوع من الشعر الوثني بسبب الاسلام ، فليس من المعقول إبقاء الاسلام له ، وفيه ما فيه من أمر الأصنام والوثنية المناهضة لدين الله . وعندني ان الجاهلي ، مهما قيل عنه من إعراضه عن الدين ومن عدم احتفاله به ، ومن بعده عنه ، إلا انه كان مع ذلك شديد التمسك به في الأمور التي تمس حياته ، مثل التوسل إلى الآلهة بأن تبارك في إبله ، وأن تمنحه الغيث ، وأن تشفيه من مرضه ، إلى غير ذلك من أمور ، ذات صلة بالمصالح الشخصية للإنسان . ودليل ذلك ، هو أن معظم ما نجده في نصوص المسند من كتابات ، خللت أسماء الأصنام ، انما دونت فيها الأسماء لمثل هذه الأمور . فإذا كان الأمر كذلك فنحن لا نستطيع استثناء الشعر الجاهلي من ذكر الأصنام في أمثال هذه المناسبات

على الأقل ، فالشاعر مثل أي انسان آخر ، لا بد وأن يشعر في يوم ما بعجزه وبحاجته الى مخاطبة أربابه وأن يتوسل اليها لتنتفعه أو لتمنّ عليه بالصحة والعافية وبالمال ، يتوسل اليها شعراً ، فيمدحها ويشيد بذكراها ، ويسترضيها ، اقتداءً بفعله مع الملوك وسادات القبائل ، حيث يكيّل المدح لهم شعراً لأنهم أحسنوا اليه .

وقد ورد اسم (الله) في الشعر وفي النثر الجاهليين ، على نحو ما ذكرت في الجزء السادس من هذا الكتاب . لقد ذكرتُ هناك أن غالبية المستشرقين شكّت في صحة ورود اسم الله في-هذا الشعر ، ورأت أن رواة الشعر وحملته في الإسلام هم الذين أدخلوا اسم الجلالة في هذا الشعر ، وذلك أنهم حذفوا منه أسماء الأصنام ، وأحلّوا محلها اسم الله . فما جاء فيه اسم (اللات) حل محله اسم الله وهكذا^١ . وذلك لاعتقادهم أن الوثنيين لم يكونوا يؤمنون بالله ، فلا يعقل ورود اسمه في شعرهم . وهو رأي لا أقرهم عليه ، لأن الجاهليين كانوا يؤمنون بالله ، ولم يكونوا ينكرون وجوده أبداً ، بدليل ما نجده في القرآن من تأكيد بأنهم كانوا يؤمنون به ، وانهم كانوا إذا سألهم سائل من خلق الكون ليقولون الله . وقد ذكرت في حينه كل الآيات الواردة في القرآن الكريم عن هذا الموضوع^٢ . وبينت أن أهل مكة وغيرهم من العرب الشماليين ، كانوا يؤمنون بإله واحد هو الله ، ولم يكن بينهم وبين الإسلام خلاف فيه ، وخلافهم معه هو في تقربهم الى الأصنام والأوثان ، لتشفع لهم ، بزعمهم ، الى الله زلفى . مع أنها أجسام جامدة وأحجار لا حياة فيها ، فمن هنا حل الإسلام عليها ، واعتبرها شركاً بالله ، لأنهم بتقربهم اليها يكونون قد أشركوها مع الله في ألوهيته ، وهذا هو الكفر والضلال في نظر الإسلام . ولذلك أمر بالابتعاد عنها وبنبذها وبنبذ كل ما يتصل بها من عبادة ، كما أمر بطمس الصور ، ومحوها لأنها من دلائل هذه الوثنية ومن معالمها .

وقريش نفسها لم تنكر على الرسول تعبدته لله ، ولم تمنعه من الصلاة في بيت الله ، ومن ذكره وحده له ، لأنها لم تختلف معه في عبادته ، وإنما اختلفت معه ، فيما هو دون الله من أصنام وأوثان ، وذلك حين عابها وسفه أحلامهم بتقربهم اليها وهي جامدة مخلوقة مصنوعة ، عندئذ هاجت وماجت واشتكت الى أعمام رسول

١ (ص ١٠٢ وما بعدها) .

٢ (ص ١٠٣ وما بعدها) .

الله والى ذوي رحمه ، ومن هنا كان عناد قريش وكفرها وعداوتها للرسول .
كما نص على ذلك صراحة في القرآن وفي كتب السرا^١ . وأخلت تؤذيه وتؤذي
المسلمين كلما ازداد هجوم الإسلام على الأصنام والأوثان .

ويشبه هذا النزاع ما وقع في النصرانية من هجوم على تقديس التماثيل والصور
التي تمثل (الثالوث) ، و (المسيح) ، حيث اعتبرها البعض شركاً ، مما سبب
وقوع شقاق في الكنيسة . فقد اعتبر بعض رجال الدين ال (ايقونات) شركاً ،
ولذلك حاربوا التماثيل والتصاوير . وقد كانت هذه المشكلة قد بدأت في الكنيسة
نتيجة الصراع الذي وقع بين رجال الدين حول طبيعة المسيح .

ولو أخذنا بصدق ما نسب الى الجاهليين من شعر ورد فيه اسم الله ، وجب
إدخال عدد من شعراء الجاهلية في المتألمين ، القائلين بوجود إله ، هو (الله) .
ففي شعر ينسب الى (عروة بن الورد) ، نجد اسم الله مذكوراً فيه ، إذ يقول:
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعلمرا^٢

ويجب عدّ (امرئ القيس) من المتألمين أيضاً ، فقد زعموا ان العرب كانت
لا تعدّ الشاعر فحلاً ، حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره ، فلما قال :

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقية الرجل

عدّوه فحلاً^٣ . وهكذا أدخلوه بهذه الحكمة في جملة الفحول .

وقد ورد اسم الله في معلقته ، في البيت :

فقال يمين الله ما لك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^٤

ونجده يحلف بالله ، فيقول : « يمين الله » ، و « حلفت لها بالله » ، وتقول

١ ابن هشام ، سيرة (١٧٠/١) ، (حاشية على الروض)

٢ ديوان عروة (١٩١)

٣ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦١)

٤ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٨٢)

له صاحبتة : « سبائك الله »^١ ، مما يدل على انه كان مؤمناً معتقداً به . ونجده يذكر الله في أشعاره الأخرى^٢ .

وزعم أهل الأخبار ان (الأفوه بن مالك) الأودي ، كان من المتألهين كذلك ، وانه لما شعر بدنو أجله ، أوصى قومه : ملحج ، بتقوى الله ، وصلة الأرحام ، وحسن التعزي عن الدنيا بالصبر^٣ .

وورد في معلقة (عبيد بن الأبرص) قوله :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا ينجب^٤

ويجب إدخال زهير في جملة المتألهين أيضاً ، فقد ذكر انه كان يتأله ويتعفف في شعره ويؤمن بالبعث ، ونسبوا له قوله :

فلا نكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومها يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم^٥

وهو يقسم في معلقته بالبيت ، فيقول :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجهرهم^٦

فهو مؤمن بالله العلام بما في نفوس الناس ، فلا تخفى عليه خافية ، ومها حاول الانسان كتمان سره في قرارة نفسه ، فإن الله لا يخفى عليه سره ، ولا يفوته أبداً^٧ .

وتنسب لزهير قصيدة مطلعها :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا لي
بدا لي ان الناس تفى نفوسهم وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٤١/١)
- ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٧٥/١)
- ٣ المزهر (١٦٤/١)
- ٤ رسالة الغفران (١٨٦)
- ٥ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٢٨ وما بعدها ، ١١٦)
- ٦ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١١٤)
- ٧ الخزائن (٤٣٦/١) وما بعدها

وهي قصيدة ذكر فيها أنه عاش أكثر من مائة سنة ، ثم ذكر الله ، وأنه حق ، وأنه كان مؤمناً به ، وأن أيامنا معدودات ، ولا يدوم ويبقى إلا الله الذي أهلك تبعاً ولقمان بن عاد وعاديا ، وأهلك ذا القرنين ، وفرعون ، ثم ذكر النعمان ، وكيف حكم ، ثم جاء يوم غير كل شيء . وقد قال الأصمعي ، أنها ليست لزهير ، ويقال هي لصرمة الأنصاري ، ولا تشبه كلام زهير^١ . وربما كانت من المصنوعات ، صنعها من صنع من أمثالها من شعر الوعظ والإرشاد ، فنسبه الى الجاهليين .

ونجد (أبا طالب) يقسم بالله في شعره ، فيقول في قصيدة له ، يخاطب بها الرسول ، انك جئت بدين سمح ، هو من خير أديان البرية ديناً ، ولولا الملامة ، أو حذار سبّة ، لوجدتني سمحاً بذلك مبيناً^٢ .

وروي ان (ليبد بن ربيعة) الشاعر المخضرم ، كان من المتألمين في الجاهلية وأنه نظم قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكسل نعيم لا محالة زائل

قبل الاسلام ، أو عند ظهوره . وان الرسول قال : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليبد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل^٣ .

وروي ان له ألياناً تشير الى التوحيد والصلاح ، والخير ، هي :

إن تقوى ربنا خيرُ نَقْل وبإذن الله ربّي وعجل

وقوله :

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ، ما شاء فعل

وقوله :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضلّ

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الخزانة (٥٨٨/٣ وما بعدها) ، (بولاق) |
| ٢ | لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا |
| | السيوطي ، شرح شواهد (٦٨٦/٢ وما بعدها) |
| ٣ | الشنقيطي ، شرح المعلقات (٣٥ ، ٣٨) |
| ٤ | رسالة الغفران (٢٦٧) |

و (النابغة) الديباني من المتألهين كذلك ، فقد نسبوا له شعراً ، ذكر أنه اعترف فيه بوجود الله ، إذ قال :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب^١
ونجده في معلقته يقول :

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن القند^٢
ونراه يذكر مكة في شعره :

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد^٣
وورد اسم الله في قوله :

أبى الله^٤ : إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

أي ما يريد الله إلا عدل النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجور ولا أن يغدر ، فلا النكر يعرفه النعمان ، ولا الجميل يضيع عنده^٥ . ومعنى هذا أن النابغة كان يرى أن الله هو الذي يقدر الأمور للناس ، وأن الإنسان مسير بأمر الله .

و (الحارث بن حلزة) اليشكري من هذا الفريق كذلك ، لقوله :
فهداهم بالأسودين وأمر الله بلخ^٦ تشقى به الأشقياء^٦
ولقوله :

وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للحائنين دماء^٦

-
- ١ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦٤)
 - ٢ الشنقيطي ، شرح المعلقات (٢٠٨)
 - ٣ كذلك (ص ٢١٣)
 - ٤ الخزانة (٤٦٨/٢) ، (هارون)
 - ٥ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١٧٧)
 - ٦ الشنقيطي ، شرح المعلقات (١٧٩)

واذا صدقنا بمعلقة (عبيد بن الأبرص) ، وأخذنا بصدق الأبيات :

من يسأل الناس بحرموه وسائل الله لا ينجب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب^١

بل يجب عدّه من الأحناف الموحدين ، الذين آمنوا بإلّٰه واحد لا شريك له .
وهو في نظري شعر اسلامي ، ويبعد أن يكون من نظم ومن نفس شاعر جاهلي .
وقد ذهب (ابن الأعرابي) ، الى ان البيت الأول هو لشاعر آخر ، هو :
يزيد بن ضبة النخعي^٢ .

و (عمرو بن الإطابة) سيد الخزرج في أيامه من هذا الرعيل الذي ذكر اسم
الله في شعره ، إذ ذكره بقوله :

لاني من القوم الذين اذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل

وانتدوا : جلسوا في النادي . فهو يبدأ بذكر الله ، وبحقه ، اذا ما جلس
في النادي^٣ .

وورد اسم (الله) في شعر الخدّاش بن زهير :

تقوه أيها الفتيان لاني رأيتُ الله قد غلب الجلودا^٤

ونجد ذكر الله في شعر (صريم بن معشر بن ذهل) التغلبي ، وكان قد لقي
كاهناً ، فسأله عن موته ، فقال له : انك تموت في موضع يقال له (إلاهة) ،
فكثّ زماناً ثم سار الى الشام في تجارة ثم رجع في ركب من (بني تغلب) ،
فضلّوا الطريق ، ثم أتوا موضعاً اسمه (إلاهة) قارة بالسماء ، فلدغته حية ، ثم
تذكر قول الكاهن ، فقال :

- ١ شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٥٤١ وما بعدها) ، البيت (١٨ وما بعده)
من المعلقة ، الحيوان (٨٩/٣)
- ٢ الشنقيطي ، شرح المملكات (٢٢١) ، السيوطي ، شرح الشواهد (٢٦٦/١)
الشنقيطي (٢٢١) ، الخطيب التبريزي ، شرح القصائد العشر (٥٤١) .
- ٣ المرزباني ، معجم (٨) ، (فراج)
- ٤ العمدة (٢٧١/٢)

لعمرك ما يلدي امرؤ كيف يتقي اذا هو لم يجعل له الله واقيا
كفى حزناً أن يرذل الحي غلوة وأصبح في أعلى الإلاهة ثاويا^١

وهو شعر إن صح انه له ، دل على ان صاحبه كان يؤمن بأن لكل انسان
أجل ، وانه اذا جاء الأجل ، فلا مرد له ، وانه لا مرد لقضاء الله وقدره .
وفي شعر (قيس بن الخدادية) ، إيمان بالله ، وأن الله هو الذي يقدر
الأمر ، إذ يقول :

فقلت لها والله يلدي مسافر* اذا أضمرت الأرض ما الله صانع
ويروى :

فقلت لها والله ما من مسافر يحيط يعلم الله ما الله صانع^٢
وفي شعر (النمر بن تولب) ، وهو من المخضرمين قوله :
سلام الإله وربحانه ورحمته وسما* درر
و (العرب تقول : « سبحان الله وربحانه ، أي : واسترزاقه »^٣ .
ونجد في شعر للأعشى أنه كان يؤمن بالرحمن ، اذ يقول :
وما جعل الرحمن بيتك في العلى بأجساد غربي الصفا والمحرم^٤
ويقول :

وإن تقي الرحمن لا شيء مثله فصبراً إذا تلقى السحاق الغراثيا
ثم يبين بعده إيمانه بإله واحد لا شريك له ، اذ يقول :
وربك لا تشرك به ان شرکه يحط من الخيرات تلك البواقيا

-
- ١ الخزانة (٤٦٠/٤) ، (بولاق)
 - ٢ المرزباني ، معجم (٢٠٢)
 - ٣ انجمان في تشبيهات القرآن (٣٨٣)
 - ٤ القصيدة رقم ١٥ ، البيت ٣٦ ، ديوانه (١٢٣)

بل الله فاعبد لا شريك لوجهه يكن لك فيما تكدح اليوم راعيا
وإياك والميتات لا تقربنها كفى بكلام الله عن ذاك ناهيا^١

ونجده في القصيدة رقم (١٥) التي فيها البيت الأول ، يحلف ، برب الراقصات
الى منى ، ثم يذكر (ماء زمزم) ، أي مكة ، بينما نجده في القصيدة الثانية
مؤمن بالرحمن ، مؤله له ، موحد ، لا يشرك بربه أحداً . وهو شعر روي عن
(أبي عمرو الشيباني) ، ركيك ضعيف ، موضوع عليه^٢ .

وروي ان (الشنفرى) كان ممن آمن بالرحمن ، وذكره في شعره ، إذ قال :

لقد لظمت تلك الفتاة هجينها ألا بتر الرحمن ربي يمينها

ولكنه بيت يشك في صحته ، ولم ينقله الثقات^٣ .

وقد سبق لي أن تحدثت في الجزء السادس من هذا الكتاب عن عبادة الرحمن ،
وقلت ان قريشاً قالت للرسول لما نزل الوحي بـ « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » :
« أتندرون ما الرحمن الذي يذكره محمد ، هو كاهن باليامة »^٤ ، وانها قالت :
« دق فوك » ، انما تذكر مسيلمة رحمن اليامة ، وكان قد تسمى بالرحمن قبل
مولد عبدالله والد الرسول^٥ .

وقد زعم أهل الأخبار ان الأعشى كان قدرياً ، وانه أخذ رأيه هذا من أهل
الحيرة . واستشهدوا على رأيه بالقلدر بقوله :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجال^٦

-
- ١ القصيدة رقم ٦٦ ، البيت رقم ٨ وما بعده ، ديوانه (ص ٣٢٩)
 - ٢ ديوانه (٣٢٨)
 - ٣ الاشتقاق (٣٧)
 - ٤ الاشتقاق (٣٧)
 - ٥ الحيوان (٨٩/٤) ، تفسير الطبري (٥٧/١) ، مغازي ، الواقدي (٨٢/١) ،
ابن كثير ، البداية (٣٢٦/٦) ، تابع العروس (٣٠٧/٨) ، (رحم) ، الروض
الانف (٣٤٠/٢) ، ابن سعد ، طبقات (ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٩)
 - ٦ راجع ديوان الاعشى (١٥٥) ، امالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي) ،
شرح ديوان الاعشى (٢٣٣) ، (القصيدة رقم ٣٥) ، وورد (وبالحمد) بدلا من
« وبالعدل » ، الاغاني (٧٦/٨)

وأبي الشريف (المرتضى) إلا أن يجعله على مذاهب أهل العدل^١ ، أي على مثل ما ذهب إليه (المعتزلة) والشيعية الإمامية الاثني عشرية في الاسلام . وعلل بعض أهل الأخبار سبب تحول الأعشى الى القدرية ، انه كان يأتي أهل الحيرة في الجاهلية ، وكانوا نصارى ، يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك^٢ . ورد في كتاب (الأغاني) : « قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عبادياً ، وكان معمرأ ، قال : كان الأعشى قدرياً ، وكان ليبد مثبأ . قال ليبد :

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالك عدل وولى الملامة الرجال

قلت : فن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى الحيرة ، وكان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقنوه ذلك^٣ .

والبيت المذكور هو من قصيدة مدح فيها (سلامة ذا فائش) مطلعها :

إن تحلّا وإن مرتحلّا وإن في السفر ما مضى مهلاً
استأثر الله بالوفاء وبالك عدل وولى الملامة الرجال^٤

شك في صحتها (ابن قتيبة) ، فقال : « وهذا الشعر منحول »^٥ ، والصنعة في الواقع بينة على القصيدة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فيجب أن يكون القدرى صاحبها ، ذلك الرجل الذي نحلها الأعشى ، لا الشاعر الأعشى .

ويذكر أهل الأخبار أن الأعشى كان ممن أقر بالملكين الكاتبين في شعره ، إذ يقول :

-
- ١ أمالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي)
 - ٢ الأغاني (٧٦/٨)
 - ٣ الأغاني (٧٩/٨)
 - ٤ « وبالحمد » ، ديوان الاعشى ، القصيدة رقم (٣٥) ، (ص ٢٣٣) ، ابن قتيبة ، الشعر (١٥/١)
 - ٥ ابن قتيبة ، الشعر (١٥/١)

فلا تحسبني كافراً لك نعمة على شاهدي يا شاهد الله ، فاشهد

وشاهدي ، يعني لساني ، ويا شاهد الله ، يريد الملك الموكل به . وكان هذا من إيمان العرب بالملكين . وقد نسبوا هذه العقيدة الى بقية من دين اسماعيل^١ ، وزعموا أن العرب من أقام على دين اسماعيل ، إذا حلفت تقول : وحق الملكين ، فكان الأعشى ممن أقام على دين اسماعيل والقول بالأنبياء . « والأعشى ممن اعتزل وقال بالعدل في الجاهلية »^٢ .

ونسب الى (ليبد) العكس ، أي القول بالجبر ، واستدل من نسبه الى الجبر ، بقوله :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ربّي والعجل
أحمد الله فلا ندد له بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل^٣

وقد قال بعض العلماء : ان هذه الأبيات لا تشير حتماً الى مذهب ليبد في الجبر ، وانها لا تكون سبباً في نسبة الجبر اليه ، وقد تأولها ، وأوجد لها مخرج في ابعاد القول بالجبر عنه . ثم قال : « اللهم إلا أن يكون مذهب ليبد في الاجبار معروفاً بغير هذه الأبيات ، فلا يتأول له هذا التأويل ، بل يحمل على مراده على موافقة المعروف من مذهبه »^٤ .

وينسب الى (زهير بن أبي سلمى) قوله :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم^٥

-
- ١ الشعر والشعراء (١٨٦/١) ، الشنقيطي ، شرح المعلقات (٦١)
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٤١/١)
 - ٣ أمالي المرتضى (٢١/١) ، (دار الكتاب العربي) ، ديوان ليبد (١٧٤) ، (رقم ٢٦) ، وورد :
 - من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
 - الآلغاني (٧٦/٨) ، ديوان ليبد (١٣) ، (رقم ٣٩) ، رسالة الغفران (٢٦٧)
 - ٤ الخزائن (٣٠/٢) ، (بولاق) ، الأمالي للمرتضى (٢١/١)
 - ٥ ديوان زهير (١٨)

وذكر انه كان يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره المذكور على إيمانه بالبعث
وبالحساب وبالثواب وبالعقاب^١.

ومن رأي الجاهليين ان الموت مكتوب على جبين الانسان ، ولا بد له من أن
يواجهه في يوم محتوم مكتوب عليه . ومن لم يمت عبطة ، مات هرمًا . وفي ذلك
يقول أمية :

من لم يمت عبطة يمت هرمًا وللموت كأس ، والمرء ذاتقها^٢

ويقول الأعشى :

ولو كنت في جب ثمانين قامه رُسقت أسباب السماء بسلم^٣

ونجد رأي الجاهليين في الروح واضحاً في أشعارهم وفي أقوالهم عن الموت ،
فالموت — كما سبق أن تحدثت عنه — في نظرهم مفارقة الروح للجسد ، فإذا
فارقت هامة تفرغ فوق قبر صاحبها . هذا (عروة بن الورد) ،
يذكر الموت ، ثم يذكر ما سيقوله الناس عنه ، بقوله :

أحاديث تبقى ، والفتي غير خالد اذا هو أمسى هامة فوق صير^٤

وقد أشير الى (العتائر) التي تقدم في (رجب) ، في شعر (طرفة) :

عتاً باطلاً وظلماً كما تعترعن حجرة الربيض الظباء^٥

وكان الرجل من العرب ينذر نلراً على شائه اذا بلغت مائة أن يلبيح عن
كل عشرة منها شاة في رجب، وكانت تسمى تلك اللبائح الرجبية ، وهي العتائر .

١ الشعر والشعراء (٧٨/١) ، الخزائن (٣٧٦/١) ، (بولاق)

٢ أمالي المرتضى (٥٣٣/١)

٣ رسالة الغفران (٥٧١)

٤ ديوانه (٦٤) ، قال أبو عمرو : بالهز الف صير ، يعني قبورا من قبور أهل
الجاهلية ، اللسان (٤٧٧/٤) ، (صير) ، تاج العروس (٣٤٦/٣) ، (صير)

٥ مجالس العلماء (١٨ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٤٦٣ وما
بعدها)

وكان الرجل منهم ربما يخل بشائه فيصيد ظباءً فينبجها عن غنمه في رجب ليوفي نلره^١ .

ومن الشعراء من غلبت عليهم نزعة التبرم من هذه الدنيا ، وذكر الموت ، والاتعاظ به ، وعلى رأس هؤلاء (عدي بن زيد) العبادي ، النصراني ، وهو خير من يمثل هذه النزعة التصوفية ، التي ترى أن اللذة لا تدوم ، وأن السعادة موقته زائلة ، وإن على الإنسان أن يتعظ بمن عاش قبله من الملوك العظام ، والأمم القوية ، ومن نزع هذا المترع وإن كان دون (عدي) بكثير (الأسود بن يعفر) ، في قوله :

ماذا أؤمل بعد آل محرق مرحوا منازلهم ، وبعد إباد
أهل الحورند والقصر ذي الشرفات من ستداد

إلى أن قال :

أين الذين بنوا فطال بناؤهم وتمتعوا بالأهل والأولاد
فلذا النعم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد

وآخرها :

فلذا وذلك لا نفاد للذكره والدمر يعقب صالحاً بفساد^٢

غير أن هذه النزعة ، لم تكن ناتجة عن رأي وعن فلسفة ودراسة تأمل لهذه الحياة ، وإنما هي نزعة نجيدها عند من أصيب بنكبة وعند من حلت به مصيبة ، وعند المسنين الذين غلب العمر عليهم ، فجعلهم حطاماً وكومة عظام ، لا يستطيعون الوقوف على أرجلهم ، فهم متعبون لا يجدون من يصغي إليهم أو من يعطف عليهم ، أو من يساعدهم في الخروج من المأزق التي وقعوا فيها ، فتمرموا لذلك من الحياة ، وأخذوا يلتمونها ، وإنما هم يلتمونها لأنهم صاروا في حال لا يتمكنون

١ مجالس العلماء (٢٠)

٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٣٨/١) ، (٥٥٢/٢) وما بعدها ، المفضليات (٢١٦)
الافغاني (١٢٩/١) ، ابن سلام (١١٩) ، الشعر والشعراء (١٧٦/١) وما بعدها
الجمان في تشبيهات القرآن (٣٠٨)

فيها من التلذذ بها ومن التمتع بنعم الحياة التي هي لا تتغير وإنما الذي يتغير هو الشخص ، الذي كبر وعجز فصار يذم الدنيا ، لأنه لم يعد قادراً على فعل ما كان يفعله أيام كان شاباً قوياً يحب الدنيا ، فتقبل الدنيا عليه .

ونجد في شعر ينسب للأعشى إشارة الى التطير ، إذ يقول :

ما تعيف اليوم في الطير الروح من غراب البين أو تيسن برح^١

وكان (النابغة) الديلمي من المتطيرين . خرج مرة مع (زبان بن منظور) الفزاري غازياً ، فسقطت عليه جرادة ، فتطير منها ، فرجع من الغزو ، ومضى زبان فظفر وغنم ، فقال :

تعلم أنه لا طيرَ إلا على متطير ، وهي الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحاييناً ، وباطله كثير

وقال خرز بن لوزان ، ويقال مرقش السدوسي :

لا يمنعنك من بغا ء الخير تعقاد التائم
لا ، والتشاؤم بالعطا من ، ولا التيامن بالمقاسم
ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
وإذا الأشائم كالأيام من ، والأيامن كالأشائم
قد خط ذلك في الزبو ر الأوليات القدائم^٢

وفي شعر (عبيد بن الأبرص) القائل :

نبئت أن بني جديلة أوعبوا نفراء من سلمى لنا ونكتبوا
ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس^٣ قعيد كاهراوة أعضب
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متنكب إبط الشماثل يتعب
طعنوا بمران الوشيج فما ترى خلف الأسمنة غير عرق يشجب
وتبدلوا اليعسوب بعد لهم صنماً ففروا يا جديل وأعدبوا^٤

١ العملة (٢٦٠/٢)

٢ العملة (٢٦١/٢) وما بعدها

٣ الحيوان (١٠٠/٣) ، العملة (٢٠٢/٢) ، الخزانة (٢٥٦/٣)

كلام عن العياقة ، فأشار الى تيس قعيد من الظباء ، والقعيد الذي يأتي من الخلف ، والأعضب المكسور القرن ، وهو مما يتشاءم به العرب . وأبو القراخ غني به الغراب ، واليعسوب صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط (عبيد بن الأبرص) ، فتبدلوا اليعسوب بدله .

وقد أشير الى التشاؤم بالغراب في شعر ينسب لعلمقة الفحل :

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم^١

ونجد في شعر (أبي ذؤيب) الهللي ، وهو من الشعراء المخضرمين ، إشارة الى تشاؤم العرب بطير الشمال ، إذ يقول :

زجرت لها طير الشمال فإن تكن هواك الذي تهوى يُصيبك اجتنابها^٢

والعرب تتشاءم من (طير الشمال) ، على نحو ما تحدثت عن ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب .

وكان (خرز بن لوزان) السدوسي على مذهب من ينكر الطيرة ولا يعتقد بها ، وينسب اليه قوله :

لا يمنعك من بُغيا الخير تعقاد التائم
ولقد غدت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيام من والأيام كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو ر الأوليات القدائم^٣

وفي شعر (عبيد بن الأبرص) إشارة الى رأي العرب في الحمامة ، فالعرب تقول : « أخرج من حمامة » ، وعبيد يقول في ذلك :

عيوا بأمرهم كما عيت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامة

١ رسالة الغفران (٤٧٨)

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٧/١)

٣ المؤلف والمختلف (١٠٢) ، تاج العروس (٣٤/٤) ، (خرز) ، الخزائن (١١/٣)

قال ذلك تعبيراً عن حقها . فالنشم شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي ،
والهامة نبت قصير يضرب به المثل في الضعف ، وذلك حقها : أن تجمع بين
ضعيف وقوي ، فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر^١ .

وقد تطرق (العباس بن مرداس) الى ذكر (الغول) ، فقال :
أصاب العام رِعلاً غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان
وهو يشير بذلك الى تلون الغول^٢ .

وفي شعر (زيد الخيل) اشارات الى عادة تعليق الحلي ، وخشخشة الخلاخيل
على السليم ، ليبراً ويشفى ، اذ يقول :
أيم يكون النعل منه ضجيجعه كما علّقت فوق السليم الخلاخل
ونجد مثل ذلك في أشعار شعراء آخرين^٣ .

ومن مذاهب أهل الجاهلية المذكورة في الشعر ، أنهم كانوا يستسقون السحائب
لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبئون لمواقع حفرهم الزهر والرياض ، قال
النايفة :

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي طلّ ووابل
فينبت حوْذاً وعرفاً منوراً سأتبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام^٤ .

وفي شعر بعض الشعراء أن الحياة لا تدوم ، وأن المال وإن كان أساس هذه
الحياة ، لكنه متاع أيام وكل ذاهب . فبينما هو يجمعه ويحرص عليه ، إذا به
يعيث همج هامج ، وما المال إلا عارة فاخلف وأتلف ، فكله مع الدهر ذاهب ،
هذا (الحارث بن حلزة) اليشكري ، يقول :

-
- ١ الحيوان (١٨٩/٣) ، حاشية رقم ٤ ، أدب الكاتب (٥٥) ، ثمار القلوب (٣٦٩)
الميداني ، أمثال (٢٣٤/١) ، عيون الاخبار (٧٢/١)
 - ٢ الحيوان (١٦١/٦) ، المعارف (٣٦)
 - ٣ الحيوان (٢٤٧/٤) وما بعدها
 - ٤ أمالي المرتضى (٥٤/١)

بيننا الغنى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
يرك ما رقق من عيشه يعيث فيه همج هامج
لا تكسح الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

وهذا تميم بن مقبل يقول :

فاخلف واتلف انما المال عارة وكله مع الدهر الذي هو آكله^١

ونجد في شعر الشعراء الجاهليين ، ذم للأغنياء الذين يملكون ولا يعطون شيئاً
منه للفقير والبائس والمحتاج ، وللذين يكبرون من شأن الكبير لماله ، ويتعدون
عن الفقير لفقره ، ويعظمون الغني على كثرة عيوبه ونواقصه ، لا لشيء إلا لماله
وغناه ، فرى (عروة بن الورد) ، يقول :

ذريني للغنى أسعى فلاني رأيتُ الناس شرَّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وان أمسى له حسب وخير
يباعده الندى وتزدريه حليته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جم ولكن الغني رب غفور^٢

وللشعراء الجاهليين رأي في النساء . رأى أغلبهم ان المرأة متعة للرجل ، يلهو
بها ، ويقضي حاجته منها ، خلقت للبيت وللولادة ، وهي دون الرجل . وهي
تحب الشاب القوي ، والغني الكثير المال . ونجد هذا الرأي عند أكثر الشعراء
اتصالاً بالمرأة ، وعند أكثرهم لهواً بها مثل (امرئ القيس) حيث يقول :

فيا رب يومٍ قد أروح مرجلاً حبيباً الى البيض الأوانس أملسا
أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا^٣

-
- ١ البخله (١٦٤ وما بعدها)
 - ٢ أمالي المرتضى (٥٠/١) ، ديوان عروة (١٩٨) ، العقد (٢١٢/١) ، (ولكن للغنى) ، وتجد اختلافا في الالفاظ وفي ترتيب الابيات حسب المراجع ، البيسان (٢٣٤/١) ، (عبد السلام محمد هارون)
 - ٣ ديوانه (١٠٦ وما بعدها) ، رسائل الجاحظ (٩٨/١ ، ١١٤) (مفاخرة الجواري والغلمان)

ونجد الأعشى يقول :

وأرى الغواني لا يواصلن أمرآ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا^١

وفي شعر علقمة بن عبدة ترديد لرأي امرئ القيس وزيادة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودّهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب^٢

١ ديوانه (١٥١) ، رسائل الجاحظ (٩٨/١) ، (مفاخرة الجوّاري والغلمان) .
٢ ديوانه (١٣١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٩/٣) ، المفضليات (١٣١ وما بعدها) ، رسائل الجاحظ (٩٩/١ ، ١١٤) ، (مفاخرة الجوّاري والغلمان)

الفصل الثامن والستون بعد المئة

شعر المخضرمين

المخضرم هو الذي أدرك الجاهلية والإسلام^١ . والشعراء المخضرمون هم الذين عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام ونظموا الشعر في العهدين : الجاهلية والإسلام . والمخضرم من يدرك عهدين متناقضين .

والشائع بين الناس أن الإسلام قد سبب في انصراف الناس عن الشعر وعن روايته ، بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم يتزل الوحي في تحريم الشعر وحظره . وسمعه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه^٢ . وقد نسب إلى (عمر) قوله : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته^٣ ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمن صار راجعوا رواية الشعر ، فلم يثلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم

١ تاج العروس (٢٨١/٨) ، (المخضرم) ، الخزائن (١٢٩/١) ، (بولاق)

٢ مقدمة ابن خلدون (٥٨١) ، كارلو فالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٣)

٣ ابن سلام ، طبقات (١٠) ، المزهر (٤٧٣/٢) ،

كثير^١ . والشائع بينهم أيضاً أن الشعر قد أصيب بسبب ما تقدم بنكسة ، فذبل وضعف وذهبت عنه قوة وسورة وجزالة وشدة الشعر الجاهلي ، وأعرض بعض الشعراء مثل (لييد) عن الشعر ، اذ رأوا أن في كلام الله ما يغنيهم عنه ، وقلّ بذلك عدد الشعراء ولا سيما الشعراء الفحول بالنسبة الى أيام الجاهلية ، وغلبت الليونة على الشعر الجديد ، فصار شعر (حسان) الذي قاله في الإسلام ضعيفاً ليناً بالنسبة الى شعره الجزل المتين الذي قاله في جاهليته .

وجوابي على هذه الدعاوى : صحيح ان الشعر الجاهلي قد نقص حجمه وضاع قسم كبير منه ، ولكن ضياعه ذلك لم يكن بسبب الاسلام ، وانما بسبب الأحداث والتطورات التي طرأت على جزيرة العرب ، بسبب دخولها في الاسلام ، كحروب الردة مثلاً والفتوح ، وانفتاح أرض الله الواسعة أمام المسلمين ، وفرار الكثير من أهل جزيرة العرب نحو الخارج بحثاً عن أرض أخصب وماء أوفر ، وجوّ أطيب وثراء وعيشة راضية . أما حروب الردة ، فقد أكلت من المسلمين ومن المرتدين جماعة عرفت برواية الشعر وحفظها له ، وبنظم الشعر أيضاً ، فقلّ بهلاكهم عدد حفاظ الشعر ، كما قلّ في الوقت نفسه عدد حفاظ القرآن . وأما الفتوح ، فقد قتل فيها قوم من الشعراء ومن حفاظ الشعر ، فهلك بموتهم شطر من الشعر الجاهلي ، وتقلص عدد العلماء به . كما ألهمت الناس عن الشعر ، بما فتحت لهم من آفاق الأرض وبما درّت عليهم من أموال وأشغال ، قلصت من فراغهم الذي كان يكون معظم حياتهم في البوادي ، فجعلتهم في الأرضين الجديدة يصرفون معظم وقتهم في استغلال الأرضين التي صارت من نصيبهم ، وفي إحياء الموات ، وفي تربية المواشي ، والاشتغال بالزراعة ، وهي أشغال تستبد بوقت الانسان ، وتصرف ذهنه اليها لمعالجتها ، فلا يشعر في مثل هذه الحالة بما كان يشعر به يوم كان في بواديه فارغ البال ، يقضي وقته بالتعبير عن نفسه بشعر يقتل به فراغه ، ويسلي به نفسه بالتغني به لأصدقائه ، ثم هو قد يتعيش منه ، بما يناله من قبيلته من مال واحترام ، وبما قد يحصل عليه من مدحه للملوك وللسادات من عطايا وهبات ثمناً للمدح . ومحيط فيه شغل وعمل ، وفيه تعب جسماني وعقلي لا يساعد على نمو الشعر فيه ، ومن هنا كان إقبال أهل الحضرة مثل أهل مكة وأهل يثرب

وأهل الطائف وأهل اليمامة على الشعر ، ونبوغهم فيه أقل من إقبال أهل البوادي عليه ، بسبب انشغال أهل القرى والحضر عامة بتدبير أمور الحياة ، وبالحرف وباستغلال الأرض والمال والاتجار ، وبسبب تكتلهم وتجمعهم وتلاصق بيوتهم بعضها ببعض ، مما يجعلهم يطلعون على أحوال جيرانهم وعلى عوراتهم ، ويقفون على أسرار حياتهم في الشعب وفي القرية ، فلا يكون للهجاء عندهم لهذا الأثر السلبي يكون له عند الأعراب ، ولا يكون للمدح عندهم ما يكون له من أثر عند أهل البادية . ومن هنا نجد دولة الشعر وقد قلّت نفوذها في العالم العربي في هذا اليوم عما كان عليه نفوذها قبل ثلاثين سنة أو أكثر ، بسبب التطور الحضاري الذي أخذ يفرضه العالم العربي ، وهو تطور يقلص من فراغ الإنسان ، ويستبد به ، جاء له بهجوم وبمشاكل نفسية وبأمراض الحضارة التي تريد المزيد من التمتع بمتع الحياة من جنسية ومادية ، ليتمتع بها الإنسان في هذه الحياة التي لن يعود اليها مرة ثانية ، فصار يفكر في الحصول على المادة جهد طاقته ، ولو عن طريق إمالة أعصابه ، ليستمتع بأقصى حد ممكن باللذة الحسية ، التي صار يراها أنها سبب هذا الوجود ، وذلك قبل فواتها منه ، بموت يحترمه منها ، فزاد الإقبال على المتعة ، وعلى رأسها الاستمتاع باللذة الجنسية ، وبلذة الشرب والتدخين ، وقلّ الإقبال على الاستمتاع بالذات النفسية ، وفي جملتها الشعر ، فلا نجد اليوم له في أوروبا ما كان له من مكانة قبل عشرات السنين ، وغلب النثر عليه ، وقلّ عدد من كان يحفظ شعر الشعراء الماضين والمعاصرين ، وعلى هذا النحو صار حالنا اليوم ، فتناقص عدد حفاظ الشعر في النجف مثلاً تناقصاً كبيراً من حيث العدد والكم ، والنجف في الشعر والأدب كوفة العراق بالأمس أيام الأمويين والعباسيين . فالإعراض الذي لاقاه الشعر في صدر الإسلام ، لم يكن بسبب كره الإسلام له ، وإنما بسبب التطور الذي طرأ على حياتهم ، فغيرها من جميع الوجوه ، نتيجة لخروجهم من جزيرتهم ، واختلاطهم بأمم أعجمية ذات نظم أخرى ، ونظرات متباينة مع نظرات العرب الى مفهوم الحياة .

أما إعراض (ليد) عن قول الشعر بعد اعتناقه الإسلام ، فليس مرده اعتقاده بكره الإسلام للشعر ، وإنما هو في رأيي بسبب تقدمه في السن ، والإنسان متى تقدم في العمر خفت مواهبه وبرد احساسه ، ووهنت عواطفه التي تكون متقدمة في أيام المراهقة والشباب ، أو قد يكون هذا العامل وعامل آخر ، هو سلطان

الدين الذي استولى عليه وهو في سن الشيخوخة ، بحيث صيره يشعر بوجوب الإنصراف نحو العبادة وحفظ ودراسة كتاب الله ، ومع ذلك فهناك روايات روت أن معظم شعره الذي فيه تدين وزهد وحث على العمل الصالح ، هو شعر قاله في الإسلام ، وإن ما زعم من أنه ترك الشعر ، وانكب كلية على قراءة القرآن زعم غير صحيح .

وأما اعراض (بشار بن عدي بن عمرو بن سويد) الطائي عن الشعر، فيظهر أنه عن وازع نفسي ديني ، حمله على التفرغ لدراسة كتاب الله ، وعلى الزهد، وقد يكون ذلك بسبب تقدمه في السن . وفي تركه الشعر يقول :

تركت الشعر واستبدلت منه كتاب الله ليس له شريك
وودعت المدامة والندامى اذا داعى منادي الصبح ديك^١

وأما إعراض (مالك بن عمير) السلمي عن الشعر^٢ ، فهو حادث فردي كذلك، لا يعلم مبلغ درجته من الصحة ، ومع ذلك ، فإن كل من ترك الشعر من الشعراء لا يصل عددهم الى عشرة ، وهم قلة بالنسبة الى عدد الشعراء المخضرمين اللذين استمروا في نظمهم في الإسلام .

وأما ما قالوه عن الضعف الذي ألمّ بشعر (حسان) الذي قاله في الإسلام ، وعن متانة شعره وجزائته في الجاهلية ، فلا يعقل لإرجاع سببه إلى الإسلام ، فقد اتخذ الرسول (حساناً) شاعراً له ، يجب عنه وعن الإسلام المشركين ، كما شجع غيره في الردّ على شعراء الشرك ، وكان الرسول يستصوب الشعر الصلبد الجزل المتين ذا المعاني الجيدة العميقة ، ومصدر ضعف (حسان) في شعره في الاسلام ، هو بسبب تقدمه في السن ، والتقدم في السن — كما سبق أن قلت — يضعف المواهب ، ومنها الشاعرية ، ويخمل العواطف ، فقد كان حسان في جاهليته شاباً ورجلاً ، قوي الجسم ككل رجل ، متقيد الحس ، متألق الحس ، متألق العاطفة ، ذا شاعرية حساسة ناثرة ، يشرب ويلهو ويسمع الغناء ويحضر مجالس الطرب ، فلما جاء الاسلام ، ودخل فيه مع من دخل ، كان قد تقدم في السن،

١ الاصابة (١٧٤/١) ، (رقم ٧٦٧)

٢ الاصابة (٣٣١/٣) ، (رقم ٧٦٧٢)

فرد حسه ، وضعف شعره في المتاني التي قاطها في الجاهلية ، وفي الدروب التي سلكها من دروب الشعر الجاهلي ، ولكنه تألق في معان أخرى تنسجم مع عمره ومع المثل التي اعتنقها ، فن ثم صار شعره يختلف عن شعره في الجاهلية . ولم يقع ذلك لحسان وحده ، وإنما وقع هذا الحادث لكل شاعر هجم عليه العمر ، واستبدت به الأعوام .

ومما وقع للشعر في الاسلام ، ان الزعامة انتقلت فيه من البوادي الى الحواضر ، فبعد أن كان شعر الأعراب ، بجزالته وبخشونته وبصلادته ، هو المقدم عند علماء الشعر والمحبين له ، وبعد أن كانت القبائل هي التي تنجب الفحول ، صارت الحواضر هي التي تنبت الفحول ، لتبدل الزمن ، ووقوع تغير في الذوق ، ولتغلب الحضارة على البداوة ، ولاهتمام الناس بالمعاني ، أكثر من اهتمامهم بالشكل وبمظهر القوالب فقل شعر الشعراء الأعراب الفصحاء ، ثم انحسر الشعر من موطنه ، كما انحسر أكثر سكان البوادي عن بواديهم ، ليلحقوا بخير الحضر ، وصار الشعر العربي الفصيح من حصة الحضر في هذه الأيام . كما حلت الكوفة ثم (دمشق) ثم بغداد فبقية الحواضر محل (الحيرة) وقصور الغساسنة ومضارب سادات القبائل في استقبال الشعراء وفي الانعام عليهم بالهدايا والألطاف . ولتغير الذوق بتغير المجتمع ، تغير الشعر كذلك ، ولا سيما في أيام بني العباس .

وفي شعر المخضرمين شعر قيل في الرسول وفي حوادث الاسلام ، وفي الرد على المشركين وتسفيه مقاتلهم في دينهم ونيلهم من دين الله . قاله الشعراء بعد دخولهم في الاسلام . وعلى رأس هؤلاء من ذكرت من شعراء يثرب ، يتقدمهم (حسان ابن ثابت) شاعر الرسول ، الذي كان يستدعيه الرسول في المناسبات ليجيب على شعر الشعراء الوافدين عليه ، كالذي كان من أمره مع شاعر وفد (تميم) الزبرقان ابن بدر .

وكان لرد شعراء يثرب على شعراء قريش ومن لف لفهم ، أثر كبير في نفوس المشركين . يروى ان النبي قال لحسان بن ثابت : اهجمهم ، يعني قريشاً ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ، في غلس الظلام ، اهجمهم ومعلك جبريل روح القدس^١ . وقد كان هجاؤه شديداً عليهم ، له وقع في نفوسهم أشد

١ العمدة (١٢/١) ، الاغانى (٧/٤) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١٠٧)

من وقع شعر بقية الشعراء عليهم . فقد كان لسانه حاداً قاطعاً ، لا سيما اذا ما تناول ناحية الهجاء وما يتعلق منه بالوقائع والأيام والتزاع القديم الذي كان بين أهل مكة ويثرب . فيجيد في ذلك كل الإجادة ، ويتفوق بهذه الناحية على شعراء قريش .

وكان حسان وكعب يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعبرانهم بالمثالب . وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم الى الكفر ، ويعلم انه ليس فيهم شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ^١ .

وأما شعر شعراء مكة الى عام الفتح ، فكان في إبداء الرسول والاسلام ، وفي هجاء المسلمين ، وتمجيد قريش وورثاء من قتل من المشركين وتعظيم أمر الجاهلية وسنة الآباء وما ألفوه عن آبائهم من أمور . وقد حفظت كتب السير والمغازي والتواريخ شيئاً من شعرهم ، من النوع الذي لم يتضمن قلعاً شديداً بالاسلام ، ولا شتماً عنيفاً وهجاءً غليظاً بالرسول وبالمسلمين . أما النوع الثاني الذي أفحش فيه أولئك الشعراء ، وجاءوا فيه بشتائم وسباب ، فقد أنف أصحاب السير والمغازي والتاريخ من روايته ، فتركوه ، ولو جمع الباقي من شعرهم مع ما ردّ عليه ، لكوّن منه ديواناً ثميناً في المعارضة التي كانت بين المشركين والمسلمين في مبدأ ظهور الاسلام ، ولكان سجلاً قيماً لتأريخ ذلك الصراع ، ولكيفية تغلب الاسلام على الشرك . فهو وثائق تاريخية من الدرجة الأولى ، على أن يغربل ويفحص فحصاً علمياً للتيقن من درجة صفائه ونقاائه بالطبع .

ونوع آخر من أنواع الشعر كان عند المخضرمين ، هو شعر القتال . القتال الذي وقع بين المسلمين والمشركين واليهود ، الى أن انتصر الإسلام . فاختفى صوت الشرك وصوت يهود ، وبقي صوت الإسلام وحده ، لا يعارضه أحد ، ولا يجابهه صوت . فقد كان من عادة العرب ، أنهم اذا تقاتلوا أنشدوا شعراً يفتخرون فيه بأنفسهم وبقبيلتهم وبشجاعتهم ، ولا سيما حين يخرج فارس لمبارزة فارس آخر ، وقد يقف الشعراء في صفوف المحاربين يحرضونهم على القتال والاستبسال :

١ الاغانى (٢٩/١٥)

ونجد في بطون كتب السير والمغازي والتواريخ ، نماذج طيبة من هذا الشعر :
شعر القتال . قال المحاربون عند خروجهم من صفوف المقاتلين لمقابلهم من سيخرج
لمبارزتهم من الجانب الثاني .

وتولد من هذا النوع من الشعر شعر آخر قيل في معارك الفتوح . في المعارك
التي وقعت مع عرب الحيرة ، ثم مع الفرس ، وفي المعارك التي حدثت بين
المسلمين وبين الفساسنة ، وبين المسلمين والروم ، ثم في الفتوحات الأخرى . فقد
ساهم في هذا القتال شعراء مخضرمون ، حاربوا في الجاهلية ، وحاربوا في الاسلام .
وحافظوا على تقاليدهم وأعرافهم القديمة التي كانت لهم في الجاهلية عند القتال ،
من التحمس في القتال والاندفاع من الصفوف الى الأمام لمبارزة من قد يبرز لهم
لمقاتلتهم ، ومن التغني بالقتال ومبارزة العدو . ونجد في كتب الفتوح والتاريخ
والأخبار ، نماذج من هذا الشعر . ونجد في شعر (قيس بن مكشوح) المرادي
وصفاً ليوم القادسية ، وفخراً بسيره مع جمع من قومه من (صنعاء) الى وادي
القرى فديار كلب ، الى اليرموك ، فالشأم ، ثم القادسية بعد شهر ، ثم مقابلته
جمع كسرى وأبناء المرازبة ، وهجومه على رأس الفرس^١ . ولو جمعنا هذا الشعر
الذي قيل في هذا القتال لكوّنا منه ديواناً^٢ ، يصور هجرة القبائل العربية من
مواطنها الى البلاد المفتوحة ، ويتحدث عن الأبطال الذين ساهموا في جمع هذا
الديوان، والملحمة الشعرية التي تروي قصص الفتوح ، وما قام به المحاربون الشجعان
في حروب الفتح^٣ .

وهناك شعراء أسلموا ، لكن قلوبهم بقيت على ما كانت عليه قبل الاسلام ،
من عدم الاهتمام بأمور الدين ، فلم يحفلوا بالاسلام ، ولم يذكروا الرسول ، وهم
شعراء أهل البادية الأعراب .

وطالما كان يأتي الشعراء الى (يثرب) على طريقتهم في الجاهلية في إنشاد
شعرهم أمام رجل منهم عظيم ، مثل ملوك الحيرة أو الفساسنة ، أو سادات القبائل .
فيقف الشاعر أمام الرسول لينشده شعره الذي أعده لهذه المناسبة ، أو ليقول شعراً

١ الاصابة (٢٦١/٣) ، (رقم ٧٣١٥) ، الاستيعاب (٢٣٥/٣)

٢ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١٦)

٣ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١)

بالمناسبة . ولما قدم وفد (تميم) ، المدينة ، ودخلوا المسجد ، وقالوا : « يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل ، فخطب : (عطار بن حاجب) ، فلما انتهى قال الرسول لثابت بن قيس بن شماس ، أجبه ، فأجابه . ثم قالوا : يا محمد ، ائذن لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزبير بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حي^١ يعادلنا منّا الملوك وفينا تنصب البيع^٢

فلما انتهى منها ، أجابه حسان ، فحكموا ان خطيب المسلمين أخطب من خطيب تميم ، وان شاعر الرسول أشعر من شاعرهم^٣ .

وعادة التفاخر في مجالس الملوك وسادات القبائل ، وإنشاد الشعر في ذلك ، وردّ الشعراء بعضهم على بعض ، دفاعاً عن قومهم ، من العادات الجاهلية القديمة ، التي بقيت في الاسلام كذلك ، ولما أخذت الوفود تفد على الرسول بعد فتح مكة ، كان في أعضائها من يخطب على طريقته في الخطابة ، ومنهم من ينشد الشعر ، ثم يعلنون إسلامهم ، ومنهم من يشترط شروطاً ، وكان من بين المسلمين من يتولى الردّ عليهم ، وقد يجيبهم الرسول بنفسه .

وقد كره الاسلام من الشعر الجاهلي الشعر الذي يتعرض بالأعراض ويتحرش بعورات الناس ، والشعر الذي يهيج الفتن ، ويلقي البغضاء بين الاخوة ، فيعيد لها فتنة جاهلية ، ومن هنا جاء النهي عنه في قوله : « لأن يمتلىء جوف رجل قبحاً يرريه خير^٤ » له من أن يمتلىء شعراً^٥ ، ولم يأت في عامة الشعر . وأخذ الخلفاء الشعراء الهجائيين متى اقلعوا في شعرهم ، وتحاملوا فيه على الناس ، تحاملاً يغض منهم . وهنا حبس (عمر) الخطيئة ، وكان يقف بالمرصاد لمن يفعل فعله في نهش أعراض الناس . ولذلك تخوف المخضرمون في شعرهم من شعر الهجاء واحترسوا فيه امتثالاً للمثل الإسلامية التي تأمر بالابتعاد عن ذكر المثالب والامتناع عن إيذاء الناس ، وخوفاً من تأديب الخلفاء لهم إن نهشوا أعراض المسلمين .

١ الطبري (١١٥/٣) ، (قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات)
٢ البخاري ، (كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى : لا يسألون الناس الحافا) ، وفي أبواب أخرى ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/٩ وما بعدها) ، (حاشية على ارشاد الساري) ، زاد المسلم (٣٥٠/١ وما بعدها) .

والقديم من شعر المخضرمين ، ولا سيما شعر المتقدمين منهم في السن ، هو استمرار في الواقع للشعر الجاهلي ، نظم على طريقة أهل الجاهلية وأساليبهم في نظم الشعر وعلى معانيهم التي كانوا يتطرقون إليها في شعرهم في الغالب ، فقد ولدوا في الجاهلية وقضى بعض منهم أكثر سني حياته فيها ، ونظموا أكثر شعرهم في تلك الأيام وفي الأحداث التي وقعت فيها . ولذلك صار شعرهم يختلف عن شعر الشعراء الاسلاميين ، لأنهم لم يشهدوا الجاهلية ولم يدركوها ، وهم من ثم لم يتأثروا بعقليتها كثيراً ، ومن هنا يجب علينا أن نوجه لشعر الشعراء المخضرمين المسنين الذين قضوا أكثر أيام حياتهم في الجاهلية عناية خاصة ، وأن نقوم بدراسته دراسة نقد دقيقة ، إذ نتمكن بها من الوقوف على تطور الشعر الجاهلي ومكانته عند ظهور الاسلام .

ومن الشعراء المخضرمين من لقي الرسول وصحبه ومدحه وروى عنه ، ومنهم من صحبه ، لكنه لم يرو عنه ، ومنهم من لم يره لكنه دخل في الإسلام . وقد ذكر بعض العلماء أسماء الشعراء الذين صحبوا الرسول ورووا عنه ، منهم (حسان ابن ثابت) ، و (كعب بن مالك) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (عدي ابن حاتم) الطائي ، و (عباس بن مرداس) السلمي ، و (أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) ، و (حميد بن ثور) الهلالي ، و (أبو الطفيل عامر ابن وائلة) ، و (أيمن بن خريم) الأسدي ، و (أعشى) بني مازن ، و (الأسود بن سريع) ، و (الحارث بن هشام) ، و (عمرو بن شاس) ، و (ضرار بن الأزور) ، و (خفاف بن ندبة) ، و (ليبد بن ربيعة) ، و (ضرار بن الخطاب) ، و (عبدالله بن الزبيري) ، ولم تكن لليبد ، ولا لضرار ولا لابن الزبيري رواية عنه . وكذلك (أبو ذؤيب) الهللي ، و (الشماخ ابن ضرار) ، وأخوه (مزد بن ضرار) ^١ .

وقد عدّ (ابن سلام) (النابعة) الجعدي ، والشماخ بن ضرار ، وليبد ، وأبو ذؤيب الهللي طبقة ، وقال : وكان الشماخ أشد متوناً من ليبد ، وليبد أحسن منه منطقاً ^٢ .

١ الاستيعاب (٣/٥٦١) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ الاستيعاب (٣/٥٦١) ، (حاشية على الاصابة) .

و (الناطقة) الجعدي ، هو : (أبو ليلى عبدالله بن قيس) ، أو (قيس بن عبدالله بن عدس) ، وقيل : (حبان بن قيس) ، (حيان بن قيس) ، وغير ذلك . قيل له (الناطقة) ، لأنه كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ، ثم عاد اليه بعد أن أسلم ، فقيل : نبخ : قيل انه كان قديماً شاعراً مفلقاً طويل العمر في الجاهلية وفي الاسلام ، حتى زعم انه كان أسن من الناطقة الديباني ، واستدلوا على طول عمره بأبيات زعموا انه قالها هي :

ألا زعمت بنو أسد بآني أبو ولد كبير السن فاني
فن يك سائلاً عني فلاني من الفتيان أيام الختان
أنت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
وقد أبقت صروف الدهر مني كما أبقت من السيف الباني^١

وذكر (السجستاني) في كتاب المعمرين ، انه عاش مائتي سنة . وهو القائل :

قال (٩) أمانة كم عمرت زمانه وذبحت من عترة على الأوثان
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أعد من الفتيان
والمندر بن محرق في ملكه وشهدت يرم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى وقوارع تسلى من القرآن
ولبست في الإسلام ثوباً واسعاً من سيب لا حرم ولا منان^٢

وهو عند الأخباريين أسن من الناطقة الديباني وأكبر ، واستدلوا على أنه أكبر من الناطقة الديباني ، بأن الناطقة الديباني كان مع النعمان بن المنذر ، وكان النعمان ابن المنذر بن محرق . وقد أدرك الناطقة الجعدي المنذر بن محرق وناداه ، ولكن الناطقة الديباني مات قبله ، وعمر بعده عمراً طويلاً . ذكر بعضهم أنه عمر مائة وثمانين وذكر بعضهم أنه عمر أكثر من ذلك حتى ذكر بعض منهم انه عمر مائتين

١ تختلف هذه الابيات في النظم وفي الترتيب في كتاب الاصابة عنها في الاستيعاب وفي الكتب الاخرى ، الاصابة (٥٠٨/٣ وما بعدها) ، (رقم ٨٦٤١) ، الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، ابن هشام (٥٣/١) ، (حاشية على الروض) ، الروض الانف (٥٣/١) .
٢ الاصابة (٥٠٨/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، البخلاء (٢٠٢ وما بعدها ، ٢٠٨ وما بعدها ، ومواضع أخرى راجع ص ٦١٢) .

وعشرين سنة . وذكروا أن (عمر) قال له : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال ستين سنة . وأنشده قوله :

لقيت أناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناساً
ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستأسأ

وجعل بعضهم عمره (٢٤٠) سنة ، وكان أكثرها في الجاهلية^٢ .

وهو من (الفلج) جنوب نجد ، وكان يزور بني لحم في الحيرة . وكان شاعراً مغلباً ، ما هاجى قط إلا غلب ، هاجى أوس بن مغراء ، وليل الأخيلية ، وكعب بن جميل فغلبوه جميعاً . وذكر انه مكث الى أيام (عبدالله بن الزبير)^٣ . وذكروا انه كان يذكر في الجاهلية دين ابراهيم والخنيفية ويصوم ويستغفر . وقال في الجاهلية كلمته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبي الصلت ، وقد قيل ان هذا الشعر له ، ولكنه قد صححه علماء العشر مثل : يونس بن حبيب ، وحامد الراوية ، ومحمد ابن سلام ، وعلي بن سليمان الأخفش للناطقة الجعدي^٤ .

وروي انه كان ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان وذكر دين ابراهيم^٥ .

-
- ١ الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الاغاني (١٢٨/٤) ، الخزائن (٥١٢/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٢٠٨) ، الموشح (٦٤) ، ابن سلام ، طبقات (٢٦) ، مجالس ثعلب (٦٦٣) ، الاشتقاق (٣٣٨) .
 - ٢ الروض الاتف (٥٣/١) ، (لبست أناساً) ، أمالي المرتضى (٢٦٤/١) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٦١٤/٢) وما بعدها ، الاغاني (١/٥) وما بعدها ، (دار الكتب) ، الجمحي ، طبقات (٢٦) وما بعدها ، الشعر والشعراء (١٥٨) وما بعدها ، المعجم ، للمرزباني (٣٢١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٦١٤/٢) ، المعمرن ، للسجستاني (٦٦) ، الخزائن (٥١٢/١) ، أسد الغابة (٢/٥) وما بعدها ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٣٢/١) ، البخلاء (٢٤٣) .
 - ٤ الاستيعاب (٥٥٢/٣) ، (حاشية على الاصابة) ، الخزائن (٥١٤/١) وما بعدها ، رسالة الفقرا (٢٠٢) .
 - ٥ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .

وذكر ان (النابعة) قدم علي (عثمان) يستأذنه في السفر الى البادية ، لأن نفسه اشتاقت اليها ، ليشرب من ألبانها ، وليشرب من شبح البادية ، فقال له عثمان : أما علمت ان التعرب بعد الهجرة لا يصلح ؟ قال : لا والله ما علمت وما كنت لأخرج حتى استأذئك ، فأذن له ، وضرب له أجلاً . ثم دخل علي (الحسن بن علي) فودعه ، فقال له : أنشدنا من بعض شعرك ، فأنشده :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظمًا

فقال : يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت ؟ قال : يا ابن بنت رسول الله ، والله اني لأول الناس قالها وان السروق من سرق أمية شعره ^١ .

وذكر أنه كان من أصحاب (علي) وحارب معه يوم صفين ، وله مع (معاوية) أخبار . ومات معمرًا بأصبهان سنة (٦٥ هـ) (٦٨٤ م) . وكان معاوية سيره اليها مع (الحارث بن عبد الله بن عوف بن أصرم) . وكان ولي أصبهان من قبل علي ^٢ .

وقد وفد النابعة على النبي وأنشده قصيدته الرائية التي فيها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً بالمجرة نيرا

الى أن بلغ قوله :

بلغنا السماء مجلدنا وجدودنا وإنا نرجو فوق ذلك مظهرًا^٣

فقال رسول الله : إلى أين أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال رسول الله : نعم إن شاء الله ^٤ .

-
- ١ ابن سلام ، طبقات (٢٧) .
 - ٢ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٢٣٢/١) ، الاصابة (٥١٠/٣) .
 - ٣ تختلف الروايات في ضبط هذه الابيات ، ولعلماء الشعر روايات مختلفة عنها ، رسالة الغفران (٢٢٨) ، أمالي المرتضى (٢٦٦/١) ، الاغانى (٥٣٩/٤) .
 - ٤ الاصابة (٥٠٩/٣) ، (رقم ٨٦٤١) ، الاستيعاب (٥٥٢/٣) وما بعدها .

ولما أنشدته :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكسدا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فاستحسنه الرسول وقال : لا يفضض الله فاك . وذكر أن كلمة النابغة هذه قصيد مطوّل نحو مائتي بيت أوله :

خيلني غضبا ساعة وتهجرا ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا

وهو من أحسن ما قيل من الشعر في الفخر بالشجاعة سباطة ونقاوة وجزالة وحلاوة^١ . وقد تعرض فيها بأمور الجاهلية والاسلام .

وأسلم وحسن إسلامه وكان يرد على الخلفاء ورد على عمر ثم على (عثمان) .
ويظهر ان القصيدة قد طوّلت على (النابغة) فيما بعد ، وانها لم تكن على هذا النحو من الطول لما أنشدتها على الرسول . وقد روى بعض العلماء منها أربعة وعشرين بيتاً^٢ ، لعلها هي الأبيات التي أنشدتها أمام النبي .

وذكر انه كان بالبصرة ، فرعت (بنو عامر) في الزرع ، فبعث (أبو موسى) الأشعري في طلبهم ، فتصارخوا يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعدي ومعه عصبة له . فضربه أسواطاً . فقال النابغة في ذلك :

رأيت البكر بكر بني ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا
فإن تك لابن عفان أميناً فلم يبعث بك البر الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه ألا يا غوثنا لو تسمعونا
ألا صلى إلهكم عليكم ولا صلى على الأمراء فينا^٣

وقد مدح (النابغة) الجعدي عبدالله بن الزبير ، ويظهر انه كان في ضيق وعسر ، إذ يقول فيها :

- ١ الاستيعاب (٥٥٥/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، وتجد أبياتاً منها في الاستيعاب ، الاغانى (٨/٥) .
- ٢ الاصابة (٥١٠/٣) ، (رقم ٨٦٤١) .
- ٣ الاستيعاب (٥٥٦/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

أناك أبو ليلى تجوب به الدجى دجى الليل جَوَّابُ الفلاة عرمرم
لتجبر منه جانباً دعدت به صروف الليالي والزمان المصمم
فأعطاه قلائص سبعا وفرساً وخيلاً ، وأوقر له الركاب برأ وتمراً وثياباً^١ .
ومن جيد شعره قوله :

ففى كملت خبراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا
ففى تمّ فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا^٢

قال العلماء في شعر (النابغة) : « خمارٌ بواف ، ومطرفٌ بآلاف . يريدون
أن في شعره تفاوتاً ، فبعضه جدّ مبرّزٌ وبعضه رديء ساقط »^٣ . ونسب الى
(الفرزدق) قوله في النابغة الجعدي : « صاحب خُلُقَان ، يكون عنده مطرف
بألف دينار ، وخمار بواف »^٤ .

وقد ذكر (أبو العلاء) المعري قصيدة النابغة التي يقول فيها :
ولقد أغدو بشرب أنف قبل أن يظهر في الأرض ريش
فقال على لسان (النابغة) الجعدي : « ما جعلت الشين قسط رويأ ، وفي
هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قط »^٥ .
وروى (المعري) له قصيدة ، استحسنت منها قوله :
طيبة النشر ، والبداهة ، والـ مِلَات ، عند الرُقَاد والنسم^٦
ومن شعره قوله في (زياد بن الأشهب بن أدد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة)
العامري الجعدي :

مقام زياد عند باب ابن هاشم يريد صلاحاً بينكم ويقرب

-
- ١ الاستيعاب (٥٥٨/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٢ الاستيعاب (٥٥٨/٣) ، (حاشية على الاصابة) .
 - ٣ الشعر والشعراء (٢١٠/١) ، (دار الثقافة) ، البيان والتبيين (٢٠٦/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٢٦٩/١) .
 - ٥ رسالة الغفران (٢٠٩) .
 - ٦ رسالة الغفران (٢١٩ وما بعدها) ، تهذيب الالفاظ (٦٣١) ، السمط (٤٣١) .

وكان قد مشى في الصلح بين علي ومعاوية . وكان من أشرف أهل الشام
ومن المقربين الى معاوية^١ .

و (الطفيل بن عمرو بن عمرو بن طريف) الدوسي ، من الشعراء الأشراف . كان
شاعراً لبيباً . تذكر رواية انه أسلم حين كان الرسول بمكة ، وانه لما أتى مكة
ذكر ناس من قريش أمر النبي ، وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ،
فتلا النبي الاخلاص والمعوذتين فأسلم في الحال وعاد الى قومه . وتذكر رواية انه
عاد مرة أخرى الى مكة ، ثم عاد الى قومه حتى هاجر الرسول الى المدينة فجاء
على رأس وفد من دوس ممن أسلم ، فوصل والرسول محاصر (خيبر) ، فكث
بالمدينة حتى اذا فتحت مكة ، بعثه الرسول الى (ذي الكفين) صم (عمرو بن
حمة) حتى أحرقه . وقد أورد (المرزباني) شيئاً من شعره^٢ .

وأعشى بن مازن ، أو الأعشى المازني ، هو (عبدالله بن الأعور) ، وقيل
ان اسم (الأعور) (ربيعة بن فزارة بن غضبان بن حبيب بن سفيان بن مكرز
ابن الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم) . يكنى (أبا شعيفة) . « وقال أهل
الحديث : يقولون المازني وانما هو الحرمازي ، وليس في بني مازن أعشى » .
وذكر انه أتى للنبي فأنشده :

يا مالك الناس وديان العرب اني لقيت ذربة من اللرب

وفيه قصة امرأته وهربها^٣ .

فكتب النبي الى (مطرف بن نهشل) ، وكانت امرأته عنده ، ان يعيدها
اليه ، فأعادها ، فقال :

-
- ١ الاصابة (٥٦٢/١) ، (رقم ٢٩٨٥) .
 - ٢ الاصابة (٢١٦/٢) وما بعدها ، (رقم ٤٢٥٤) ، الاستيعاب (٢٢١/٢) وما
بعدها ، (حاشية على الاصابة) ، سيرة ابن هشام (٢٣٤/١) وما بعدها .
 - ٣ الاصابة (٢٦٧/٢) وما بعدها ، (رقم ٤٥٣٥) . ورويت الابيات على هذا النحو :
يا سيد الناس وديان العرب أشكو اليك ذربة من اللرب
كالذبة السلاء في ظل السرب خرجت أبغيها الطعام في رجب
فخالفتني بنزاع وهرب أخلفت العهد ولطمت بالذنب
وهن شر غالب لمن غلب .
الاستيعاب (٢٥٧/٢) ، (حاشية على الاصابة) ، (١٢٢/١) .

لعمرك ما حيي معاذة بالذي يغيره الواشي ولا قدم المهسد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزله غواة رجال إذ ينادونها بعدي^١

وذكر صاحب (الاستيعاب) ، ان اسم والد (أعشى) مازن ، هو (الأطول).
وقيل اسم الأطول أو الأعور : (عبدالله)^٢ .

وروى ان اسمه (عبد بن لبيد) الأعور . وقيل : (الأعور بن قراد بن
سفيان) . وكان قد خرج في (رجب) يدير أهله من هجر ، فهربت امرأته
بعده ناشراً عليه ، فعاذت برجل منهم . فجاء (الأعشى) الى الرسول وعاذ به .
وأنشأ يقول قصيدته^٣ .

ومن شعره :

يا حكم بن المنذر بن الجارود سراق المجد عليك ممدود
أنت الجواد ابن الجواد المحمود نبت في الجود وفي بيت الجود
والعود قد ينبت في أصل العود^٤

و (الحطيطه) ، وهو (جروول بن أوس بن مالك بن « حيوه » جؤيه بن
مخزوم بن مالك) العبسي ، ويكنى (أبامليكة) « من فحول الشعراء ومقدميهم
وفصحائهم ، وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسب
ويجيد في جميع ذلك . وكان ذا شر وسفه ، وكان اذا غضب على قبيلة انتمى
الى أخرى ، زعم مرة انه ابن عمرو بن علقمة من بني الحارث بن سدوس .
وانتمى مرة الى ذهل بن ثعلبة ، وأخرى الى بني عمرو بن عوف . وله في ذلك
أخبار مع كل قبيلة وأشعار مذكورة في ديوانه . وكان كثير الهجاء حتى هجا
أباه وأمه وأخاه وزوجته ونفسه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . وكان
أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ثم أسمر وعاد الى

١ الاستيعاب (٢/٢٥٨) ، (حاشية على الاصابة) .

٢ الاستيعاب (٢/٢٥٦) ، (حاشية على الاصابة) .

٣ الفائق (١/٤٢٢ وما بعدها) .

٤ الاصابة (٢/٢٦٨) ، (رقم ٤٥٣٥) .

الاسلام^١ . وكان ملحظاً شديد البخل ، لا يقف إلخافه في السؤال عند حد ، ولا ينجل من التصريح في الاستكداء وفي إذلال نفسه في الحصول على مال . طاف في الآفاق يمتدح الأماثل ويستجديهم . وقد عدّ في البخلاء . « قيل بخلاء العرب أربعة : الخطيئة ، وحيد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان »^٢ . وقيل عنه انه كان « دنيء الطبع ، لئيم النفس ، كثير الطمع ، جعل الشعر متجراً ، فكان له من الهجاء معاش ومكسب^٣ لأن الناس كانوا يهدون له الهدايا خوفاً من شره . فقال الأصمعي : كان الخطيئة جشعاً سؤولاً ملحظاً دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر ، رث الهيئة مغموز النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في شعر شاعر ما من عيب إلا وجدته فيه ، وقلما تجد ذلك في شعره »^٤ ، كان لا يبالي من هجو من سبق أن مدحه وأثنى عليه ، لاغداقه المال عليه ، بل يظهر انه كان من ذلك الفريق من الناس المرضى النفوس الذين كانوا يسيئون الى من أحسن اليهم ، بل كانوا أول من يسيء الى من أحسن اليه ، لعقدة مستعصية في النفس .

وكان قصير القامة ، ولقصره هذا لقب بالخطيئة . وكان ذمياً ، قبيح الوجه ، سيء الهيئة ، ولعل هذه الأمور هي التي صيرته سيء الطبع ، هجاء لكل أحد ، فلا يسلم من لسانه أحد . فلما هجا أباه ، بأبيات قاسية شديدة منها :

فنعم الشيخ أنت لدى المخازي وبش الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم ، لأحباك ربي ، وأبواب السفاهة والفضلال

قيل : « كان الخطيئة يرعى غنماً له ، وفي يده عصا . فرّ به رجل^٥ فقال : يا راعي الغنم ما عندك ؟ قال : عجرا من سلم . يعني عصاه . قال : لاني ضيف . فقال الخطيئة للضيفان أعددتها »^٦ .

١ الاصابة (٣٧٧/١ وما بعدها) ، (رقم ١٩٩١) ، العمدة (٨١/١ وما بعدها) ، البيان (١٣/٢ وما بعدها) ، الخزائن (٤٠٨/١) ، الاغانى (٤١/٢ وما بعدها) ، (٣٨/١٦) ، الطبقات ، لابن سلام (٩٢ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (القاهرة ١٩٥٨ م) ، (نعمان أمين طه) ، الخزائن (٤٠٦/٢) ، (هارون) ، (٤٠٩/١) ، (بولاق) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٧/١ وما بعدها) .

٣ كارنو نالينو ، تاريخ الادب العربية (١٠٩ وما بعدها) .

٤ البيان والتبيين (١٤٧/٢) ، (٨٠/٣) .

وهجا أمه بشعر موجه منه قوله :

تنحي فاقعلي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاء مني ولكن لا أخالك تعقليننا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
جزاك الله سرّاً من عجوز ولقائك العفوق من البنينا
حياتك ما علمت حياةٌ سوء وموتك قد يسر الصالحينا

ثم هجا أخاه وزوجته ، فلما لم يبق أمامه أحد سلم من هجائه إلا نفسه ، اذ
اطلع في حوض فرأى وجهه فقال :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمي بسوء فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقيح من وجه وقبح حامله^١

وقد جعل (المعري) هذا الشعر ، سبياً دخل به الجنة ، لقوله بالصدق^٢ .
وله قصيدة (سينية) مشهورة ، هجا فيها (الزبرقان بن بدر) ، فسجنه
(عمر) عليها ، منها قوله :

ملوا قراه ، وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

وفيها :

من يفعل الخير لا يعلم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس^٣
وقد قال (أبو عمرو بن العلاء) عن هذا البيت : « لم تقل العرب قط
بيتاً ، أصدق منه^٤ »

١ الشعر والشعراء (٢٤٠/١) ، (والحطيئة الرجل الدميم أو القصير ، ومنه لقب
جروال الشاعر العبسي لدمايته . قاله الجوهري . وقيل : كان يلعب مع الصبيان
فسمع منه صوت ، فضحكوا . فقال : ما لكم إنما كانت حطيئة ، فلزمته نبزاً ،
وقيل غير ذلك) ، تاج العروس (٥٧/١) ، (خطأ) ، الخزائنة (٤٠٩/٢) ،
(هارون) .

٢ رسالة الغفران (٣٠٧) .

٣ رسالة الغفران (٣٠٧) .

٤ الاغانى (١٨٤/٢) وما بعدها) ، السيوطي شرح شواهد (٩١٦/٢) وما بعدها) .

وقد حملت دمامة خلقة الحطيثة ورثة هيئته وسوء ملبسه الناس على ازدراء شأنه وعدم الاهتمام به عند حضوره مجلساً لا يعرفه فيه أحد ، وإلى وقوعه في مشاكل معهم . وقد يكون من الصعب عليهم رتق الخرق بعد وقوعه وإصلاح حاله . غير أن منهم من كان يجد سيلاً إلى ذلك ، باسترضائه بتقديم المال له ، وهو ما يطلبه ، فينسيه ما أصابه من ازدراء وإهمال^١ . وزعم أنه كما مغفور النسب ، وأنه كان من أولاد الزنا الذين شرفوا^٢ .

وقد غلب الهجاء على طبعه ، حتى عدّ من أنبغ الشعراء المتقدمين فيه . وقد ذهب (بروكلمن) إلى أن للهجاء الفضل في بقاء شعر الحطيثة^٣ . فالهجاء باب له منفذ واسع إلى العواطف حفظه الأعداء والحساد للنيل ممن قيل بحقهم من أعدائهم وحسادهم ، فحفظه الناس جيلاً عن جيل .

ويقال إن (عمر) لما لقي الحطيثة قال له : « كأي بك عند بعض الملوك تغنيه بأعراض الناس . أي تغني بدمهم وذم أسلافهم في شرك وتلبهم »^٤ . ولما هجا (الحطيثة) (الزبرقان بن بدر) استعدي عليه (عمر) ، فدعا (حسان بن ثابت) فقال : أتراه هجاه ؟ قال : نعم وسلح عليه فحبسه ، فقال وهو في حبسه شعراً يستعطف به (عمر) حتى رق عليه ، وشفع له (عمرو بن العاص) ، فأطلقه على ألا يهجو أحداً^٥ . ويقال أنه كتب إلى عمر شعراً يتوسل فيه العفو عنه ، وأن يرحم حال أولاده الصغار بلذي مرخ ، فيه :

ماذا تقول لأفراخ بلذي مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

١ راجع قصته مع « عتيبة بن النحاس العجلي » ، ثم قصة حضوره مجلس « سعيد بن العاص » « سعيد بن العاصي » ، وقصصاً أخرى ، وهي تتحدث عن ازدراء شأن الحطيثة لهيئته ولجهلهم به ، ثم عن استرضائهم له بعد وقوفهم على أمره ، الشعر والشعراء (٢٤٠/١) وما بعدها .

٢ الخزائن (٤٠٧/٢) ، (هارون) ، (٤٠٩/١) ، (بولاق) .

٣ بروكلمن ، تاريخ الأدب العربي (١٦٨/١) .

٤ اللسان (١٧١/٧) ، (عرض) .

٥ الإصاغة (٣٧٨/١) ، (رقم ١٩٩١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩١٦/٢) وما بعدها ، الشعر والشعراء (٢٤٤/١) وما بعدها ، البيان والتبيين (٢٤٠/١) .

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى اليك مقاليدَ النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الخير^١

وإذا صح ما روي من أن الخطيئة لما قدم المدينة ، يريد الرسول ، أرصدت له قریش العطاء ، خوفاً من شره^٢ ، فيجب أن يكون قدومه قبل عام الفتح ، وغلبة المسلمين على المشركين . ولكننا نجد بعض الرواة يشكون في دخوله في الإسلام حياة الرسول . يقول (ابن قتيبة) : « ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب ، إلا اني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدت العرب :

أطعنا رسولَ الله إذ كان حاضراً فيا لهفني ما بال دين أبي بكر
أبورثها بكراً إذا مات بعده فتلك ، وبيت الله ، قاصمة الظهر

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله : أطعنا رسول الله ، قومه أو العرب. وكيف ما كان فإنه كان رقيقَ الإسلام ، لثيم الطعم^٣ .

وقد مدح شعر الخطيئة ، فذكر عنه (أبو الفرج الأصبهاني) انه « كان من فحول الشعراء ومقدميهم وفصائحهم . وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسيب ، ويجيد في جميع ذلك » . وقال (الأصمعي) : « وما تشاء أن تقول في شعر شاعر ما من عيب إلا وجدته فيه ، إلا الخطيئة ، فقلما نجد ذلك في شعره » . وروي عن (اسحاق الموصلي) قوله : « ما أزعج ان أحداً من الشعراء بعد زهير أشعر من الخطيئة »^٤ . قال (الجاحظ) : وكان الأصمعي يقول : « الخطيئة عبدٌ لشعره . عاب شعره حين وجده كله متخيراً متخبأً مستويًا ، لمكان الصنعة والتكلف ، والقيام عليه »^٥ ، ونسب للأصمعي قوله :

-
- ١ ديوانه (رقم ٣٤) ، الشعر والشعراء (١/٢٤٥) ، البيان والتبيين (٢/٣١٨) .
 - ٢ الاصابة (١/٣٧٨) ، (رقم ١٩٩١) .
 - ٣ الشعر والشعراء (١/٢٣٨ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، الخزائن (٢/٤٠٨) .
 - ٤ الاصابة (١/٣٧٧ وما بعدها) ، (رقم ١٩٩١) ، الاغانى (٢/٤٣) .
 - ٥ البيان والتبيين (١/٢٠٦) .

« زهير بن أبي سلمى ، والخطيئة وأشباهها عيب الشعر »^١ .

وكان (الخطيئة) راوية كعب بن زهير ، بل يقال انه كان راوية زهير ابن أبي سلمى^٢ . وله ديوان برواية (السكري) عن (محمد بن حبيب) ، طبع مراراً^٣ . وذكر انه « قال لكعب بن زهير : قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً ، فإن الناس لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فن للقواني شأنها من يحوكها اذا ما ثوى كعب وفوز جروله^٤

وروي « أن أعرابياً وقف على حسان وهو ينشد ، فقال له كيف تسمع ؟ قال ما أسمع بأساً ، فغضب حسان . فقال له : من أنت ؟ قال : أبو مليكة . قال : ما كنت قط أهون عليّ منك حتى اكنيت بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الخطيئة ، فأطرق حسان ، ثم قال : لأمض بسلام »^٥ .

وذكر بعض الرواة أن (الخطيئة) لما حضرته الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة ، أوصر . فقال : ويل الشعر من راوية السوء . قالوا أوصر ، يرحمك الله . قال : من الذي يقول :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلي أوجعتها الجنائز

قالوا : الشماخ . قال أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب . وتستمر الرواية على هذا النوع من طلب قومه منه أن يوصي ، ومن إجابته أجوبة لا صلة لها بالوصية . حتى انتهت بأنهم حلوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون وهو عليها حتى مات ، وهو يقول :

-
- ١ البيان والتبيين (١٣/٢) .
 - ٢ كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١٠) .
 - ٣ طبع سنة (١٨٩٣ م) بمدينة (لايبزك) ، وطبع ببيروت ، والقاهرة مع شروح ، بروكلن ، تاريخ الادب العربي (١٦٨/١) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٧٠/١) .
 - ٤ ابن سلام ، طبقات (٢١) .
 - ٥ الاصابة (٣٧٨/١) .

لا أحد ألام من حطيئة هجا بنيه وهجا المُرثة من لؤمه مات على القرية^١

وروى (ابن قتيبة) القصة على هذا النحو : « قيل له حين حضرته الوفاة :
أوص يا أبا مليكة . فقال : مالي للذكور دون الأنثى ، فقالوا : ان الله لم يأمر
بهذا ، فقال : لكني أمر به ! ثم قال : ويل للشعر من الرواة السوء ، وقيل
له : أوص للمساكين بشيء ، فقال : أوصيهم بالمسألة ما هاشوا ، فإنها تجارة
لن تبور ! وقيل له : اعطى عبدك يساراً ، فقال : اشهدوا انه عبد ما بقي
عبي ! وقيل له : فلان اليتيم ما توصي له ؟ فقال : أوصي بأن تأكلوا ماله
وتنكحوا أمه ! قالوا : فليس إلا هذا ! قال : املوني على حمار فلانة لم يمت
عليه كريم ، لعلي أنجو ! ثم تمثل :

لكل جديد لذة غير أنني رأيت جديد الموت غير لليد
له خبطة في الخلق ليست بسكر ولا طعم راح يشتهي ونيد

ومات مكانه ،^٢ .

وهي قصة لا تخلو من أثر الوضع والصنعة ، قيلت على لسانه ، لما عرف عنه
من اللؤم والبخل والتعرض بالناس . وقد رويت بصور مختلفة^٣ .

وقد ذكر (الحطيئة) (سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية) ،
القرشي الأموي في شعره ، وكان سعيد ممن نذبه عثمان لكتابة القرآن . وكان
جواداً ، ولم يتزع قبضه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له : (عكة
العسل) ، قال الحطيئة فيه :

سعيد فلا يفررك قلة لحمه تخدد عنه اللحم فهو صليب^٤

-
- ١ الاغاني (١٩٥/٢ وما بعدها) ، (الدار) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٧٥/١ وما
بعدها) ، الخزائن (١٤١/١) ، (يولاق) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٣٩/١) .
 - ٣ الخزائن (٤١٢/٢ وما بعدها) ، (هارون) .
 - ٤ البيان والتبيين (٣١٤/١ وما بعدها) ، (١١٦/٣) .

ومن شعر (الخطيئة) المشهور قوله :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يُساوي بأنف الناقة الذنبا

وكان الرجل من (بني أنف الناقة) اذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بني قريع ، فلما مدحهم (الخطيئة) بهذا الشعر صار الرجل منهم اذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بني أنف الناقة افتخاراً ، في قصة سبق أن تحدثت عنها^١.

ومن جيد شعره قوله :

متى تأنه تعشو الى ضوء ناره تجد خيراً ناري عندها خير موقد^٢

والشاعر (كعب بن زهير) هو ابن الشاعر الجاهلي (زهير بن أبي سلمى) . فهو شاعر ابن شاعر ، وأبو شعراء : فقد كان ولداً (كعب) وهما : (عقبة) ، و (العوام) شاعرين . وقد ذكر أن (بجيراً) أخو (كعب) ، فارق أخاه عندما بلغا (أبرق) العراق ، وذهب الى الرسول لما سمع من خبره ، فأسلم . فلما بلغ (كعباً) خبر إسلامه ، ذم أخاه لمفارقتة سنة آبائه وأجداده ، وخروجه على ما ألف عليه أباه وأمه . بشعر قال فيه :

ألا ابُلغا عني بجيراً رسالة على أي شيء أنت منزل ذلكا
على خلق لم تلف أمماً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لك^٣

أو :

ألا ابُلغا عني بجيراً رسالة على أي شيء ريب غيرك ذلكا
على خلق لم تلف أمماً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لك^٤
سقاك أبو بكر بكأس روية فأهلك المأمور منها وعلكا^٥

١ البيان والتبيين (٣٨/٤) .

٢ ديوان الخطيئة (٢٥) ، الاغانى (٥٩/٢) ، البيان والتبيين (٢٩/٢) .

٣ الاستيعاب (٢٨١/٣) ، (حاشية على الاصابة) .

٤ الاصابة (٢٧٩/٣) ، (رقم ٧٤١٣) . وجاءت الابيات على هذا النحو :

ففارقت اسباب الهوى واتبعته على أي شيء ريب غيرك ذلكا

على مذهب لم تلف أمماً ولا أباً عليه ولم تعرف عليه أخاً لك

كارلو فالينو ، تاريخ الادب العربية (١١٤) . (الطبعة الثانية ١٩٧٠ م) .

ورويت الأبيات على هذه الصورة أيضاً :

ألا ابْلِغا عني بجزراً رسالةً فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
سُقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها وعلكا
فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أي شيء ويَبْ غيرك دلْكا¹

ووردت بصورة أخرى² ، مما يدل على اختلاف الرواية ، ووقوع خطأ في الاستنساخ . وقد لام فيها قومه للدخول أكثرهم في الإسلام ، وهجاءهم هجاء مرآ³ .

فبلغت أبياته رسول الله فأهدر دمه . وكتب بجزير بذلك إليه ، ويقول له النجاء ، ثم كتب إليه انه لا يأتيه أحد مسلماً إلا قبل منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، ولما انتهى الى (كعب) قتل (ابن خطل) ، قدم المدينة فسأل عن أرق أصحاب النبي ، فدل على (أبي بكر) ، فأخبره خبره ، فغشي (أبو بكر) وكعب على أثره وقد التئم حتى صار بين يدي النبي فقال : رجل يبايعك . فدّ النبي يده ، فد كعب يده فبايعه وأسفر عن وجهه فأنشده قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول مُتَيِّمٌ لآثرها لم يجزَ مكبول

وهي قصيدته الشهيرة التي طبعت مراراً وشرحت شروحاً كثيرة ، وتعدّ من (المشوبات) . فكساه النبي بردة له ، فاشتراها (معاوية) من ولده بعشرين ألف درهم ، وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد⁴ .

وهي قصيدة نظمها على نفس شعراء البادية وطريقتهم في مدح الملوك وسادات القبائل ، ولولا الأبيات :

-
- ¹ الشعر والشعراء (٨٠/١) ، ابن هشام (٨٨٩) ، (طبعة أوربية) ، الاغاني (١٤٧/١٥ وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٣٤٣) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١) ، الخزائن (٨/٤) .
 - ² المصون (٢٠٠ وما بعدها) ، كارلو فالينو (١١٤) .
 - ³ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١) .
 - ⁴ الشعر والشعراء (٨٩/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، طبقات ابن سلام (٨٣) ، المرزباني ، معجم (٣٤٣) ، الاغاني (١٤٧/١٥) ، الاصابة (٢٧٩/٣) ، (رقم ٧٤١٣) .

نبئت ان رسول الله أوعدني والعمو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيه مواعظ وتفصيل

والبيت :

إن الرسول لنورٌ يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلول

لقلنا : انه انما أراد ملكاً أو سيد قبيلة لا نبياً ، جاء يعلن دخوله في دينه ،
واقتناعه بنبوته^١ .

ويذكر علماء الشعر أن (الخطيئة) قال لكعب : قد علمت روايتي لكم أهل
البيت وانقطاعي إليكم ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ثم تذكرني بعلمك ، فإن
الناس أروى لأشعاركم ، فقال :

فن للقواني شأنها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جرول
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تنخل منها كل ما يتنخل
يثقفها حتى تلين كعوبها فيقصر عنها من يسيء ويعمل^٢

وقد ذكر (ابن قتيبة) هذه الأبيات في أثناء ترجمته (زهيراً) على هذه
الصورة :

ومن للقواني شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب وفوز جرول
يقولُ فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائلها من يسيء ويعمل
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتنخل
كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً تنخل منها مثل ما أتتنخل^٣

وقيل لخلف الأحمر : زهير أشعر أم ابنه كعب ، قال : لولا أبيات لزهير
أكبرها الناس لقلت ان كعباً أشعر منه^٤ .

١ كارلو نالينو (١٠٤ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (٩١/١) ، الاصابة (٢٨٠/٣) ، (رقم ٧٤١٣) .

٣ الشعر والشعراء (٨٨/١) .

٤ الشعر والشعراء (٧٧/١ وما بعدها) ، الاصابة (٢٨٠/٣) .

وكان لكعب ابن يقال له : (عقبة بن كعب) ، شاعرٌ ، وولد لعقبة العوام ، وهو شاعر كذلك^١ . فنحن اذن أمام بيت توارث نظم الشعر .

وقد جمع علماء الشعر شعر (كعب) في ديوان ، كما شرحوا وفسروا قصيدة (بانت سعاد) التي نالت عندهم مكانة كبيرة ، لأنها قيلت في مدح الرسول ، ولتقدير الرسول لها واعطائه البردة ، تقديراً لقيمتها ، حتى عرفت بقصيدة البردة، فصارت من أشهر أشعار العرب ، التي يتغنى بها في المناسبات ، حتى تغن المغنون في غنائها ، وخذلت اسم الشاعر حتى اليوم. وقد ترجمت الى عدة لغات أعجمية، وشطرت وخست ، لما صار لها من مكانة في أعين الشعراء^٢ .

ومن الشعراء المخضرمين : (العباس بن مرداس) من (بني سليم) ، وأمه (الخنساء) . أسلم قبل فتح مكة بيسير . ولما فرغ الرسول من ردّ سبايا (جنين) الى أهلها ، أعطى المؤلفه قلبهم ، وكانوا أشرافاً يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة، والحارث ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزّى ، وصفوان بن أمية، وكل هؤلاء من أشراف قريش ، والأقرع بن حابس بن عنان بن محمد بن سفيان المجاشعي التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، ومالك بن عوف النصري، أعطى كل واحد من هؤلاء مائة بعر ، وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، أو أباعر ، فسخطها ، وقام بين يدي الرسول يعاتبه ، فقال :

أجعل نهي ونهي العبيد بين عينه والأقرع .

وأبياتاً أخرى . فلما أنشد هذه الأبيات بين يديه ، قال : اقطعوا عني لسانه، فأعطي حتى رضي . وقيل أعطي مائة^٣ .

١ الشعر والشعراء (٨٠/١) وما بعدها) .

٢ للوقوف على التفاصيل المتعلقة بقصيدة البردة خاصة ، وبشعر كعب ، راجع بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٥٦/١) وما بعدها) ، وزيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٨٣/١) وما بعدها) ، ودائرة المعارف الاسلامية .

٣ الخزائن (٧٣/١) وما بعدها) ، المرزباني ، معجم (٢٦٢) ، الشعر والشعراء (٢١٨/١) ، (٦٣٢/٢) وما بعدها) ، الطبري (١٣٧/٣) ، اللآلي (٣٢) .

ورويت الآيات على هذه الصورة :

كانت نهاباً تلافيتها وكرتى على القوم بالأجرع
وحثي الجنود لكي يبلجوا اذا هجع القوم لم أمجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عينه والأقرع
إلا أفاقل أعطيتها عديد قوائمه الأربع
وما كان بدر ولا حابس^١ يفوقان مرداس في المجمع
وقد كنت في الحرب ذاتدراً فلم أعط شيئاً ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منها^٢ ومن تضع اليوم لا ترفع^٣

ولما بلغ زوجة العباس بن مرداس نبأ إسلامه ، قالت :

لعمرى لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع
لبدلت تلك النفس ذلاً بعزة غداة اختلاف المهرقات القواطع^٤

ومن شعره قصيدته :

لأسماء رسم أصبح اليوم دارساً وأقفر إلا رحرحان وراكسا
وقعد^٥ من (المنصفات)^٦ .

وروي أن (حرب بن أمية) جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو
وإخوته مر بالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له (مرداس)
والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فإله ؟ قال : نعم المزدرع
هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ، ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟
قال : نعم . فأضرم النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة
أنيناً وضجيجاً ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير وخرجت منها . ولم يلبث
حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/٤) ، (صادر) ، وقد رويت بشيء من التغير في كتاب
الشعر والشعراء (٦٣٤/٢) .
٢ الاغانى (٦٦/١٣) .
٣ الخزائن (٥١٨/٣) ، الحماسة (١٦٨/١) ، البيان والتبيين (٦١/٣) .

(كليب بن أبي عهمة) الظفري ، فقال في ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالماً والظلم أنكد وجهه ملعون
عجباً لقومك يحسبونك سيداً وإخال إنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك فادّهن إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ما أراد بوائيل يوم الغدير سميت المطعون^١

وكان للعباس ولد اسمه (جاهمة) أسلم وصحب النبي^٢ .

وكان زيد الخيل بن مهلهل بن زيد (الطائي من وفد على رسول الله سنة تسع ، فسماه النبي : (زيد الخير) . وكان شاعراً خطيباً شجاعاً يكنى (أباً مكثف) . وأمه من (كليب) . وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم الملعودين ، وكان جسيماً طويلاً . مات (زيد الخيل) منصرفه من عند النبي ، وقيل في خلافة عمر^٣ .

ذكر أنه مر بفلام ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا بجير بن زهير ، فحملة على ناقة ، ثم أرسل به إلى أبيه . فأراد (زهير بن أبي سلمى) والد الغلام إثابته ، فأرسل إليه فرس ابنه (كعب) وكانت من جياذ خيل العرب ، فاستاء (كعب) من ذلك ، وقال شعراً ليوقع بين قوم (زهير) وبين قوم (زيد الخيل) ، وهجا زيدا^٤ .

وكان لزيد الخيل ابنان ، يقال لهما مكثف وحريث ، أسلما وصحبا النبي وشهدا قتال (الردة) مع (خالد بن الوليد) . وحماة الراوية مولى (مكثف) . ولحريث شعر في رثاء (أوس بن خالد) ، وكان قد قتل في حرب^٥ .

وكان (مكثف) أكبر ولد أبيه ، وبه كان يكنى . وأسلم وحسن إسلامه ، وشهد قتال أهل الردة مع (خالد بن الوليد) . وكان أسلم هو وأخوه (حريث

١ الحيوان (١٤٣/٢) ، الاغانى (٨٩/٤) ، معاهد التنصيص (١٣/١) ، الحيوان (٢٠٨/٦) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/٤) ، الاصابة (٢٢٠/١) وما بعدها ، (رقم ١٠٥٢) .

٣ الاصابة (٥٥٥/١) ، (رقم ٢٩٤١) ، الاغانى (٦/١٦) ، الخزائن (٤٤٦/٢) ، عيون الانر (٢٣٦/٢) ، الشعر والشعراء (٢٠٥/١) ، (الثقافة) ، الحيوان (٢٠٤/٢) وما بعدها .

٤ السيوطي ، شرح شواهد (٤٨٤/١) وما بعدها .

٥ الشعر والشعراء (٢٠٥/١) وما بعدها .

ابن زيد الخيل) ويقال له أيضاً (الحارث) ، وصحبنا النبي . وشهدا قتال أهل الردة مع (خالد) واشترك (مكنف) في قتال (بني أسد) لما ارتدوا مع (طليحة) الأسدي . ونسبت له هذه الأبيات في قتال طليحة :

ضلوا وغرهم طليحة بالمني كذباً وداعي ربنا لا يكذب
لما رأونا بالفضاء كئاباً يدعو إلى رب الرسول ويرغب
ولتوا فراراً والرماح تؤزهم وبكل وجه وجهوا نرقباً

و (حميد بن ثور بن حزن) الهلالي ، من الشعراء المخضرمين الفصحاء ، وكان كل من هاجاه غلبه . وقد وفد على النبي ، فأنشده شعراً فيه :

أصبح قلبي من سليمي مقصداً إن خطأ منها وإن تعمداً
حتى أتيت المصطفى محمداً يتلو من الله كتاباً مرشداً

وذكر أنه كان في عداد الصحابة الذين روى عن الرسول ، وضعفه بعضهم . قيل إنه عاش إلى خلافة عثمان . وذكر بعض العلماء أنه عاش إلى ما بعد ذلك ، وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

أتاك بي الله الذي فوق من ترى وبرك معروف عليك دليل^١

وقد عدّه (ابن قتيبة) في الإسلاميين^٢ .

و (الأسود بن سريع بن حمر بن عبادة) التميمي السعدي ، ممن رأى الرسول وغزا معه وروى عنه . وكان شاعراً توفى في أيام (معاوية) ، وذكر أنه توفى سنة (٤٢ هـ) . وقيل فقد يوم الجمل ، وقيل ركب سفينة وحمل معه أهله وعياله ، لما قتل (عثمان) ، فما رؤي بعد . وكان قاصاً ، قيل إنه كان أول من قص في مسجد البصرة^٣ .

١ الإصابة (٤٣٦/٣) ، (رقم ٨١٩٩) .

٢ الإصابة (٣٥٥/١) ، (١٨٣٤) ، تهذيب ابن عساكر (٤٦٠/٤) ، ياقوت ، إرشاد (١٥٣/٤) ، العيني (١٧٧/١) ، الأغاني (٩٧/٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (٧٣) ، ديوانه ، (دار الكتب المصرية ١٩٥١ م) الفائق (٣٥٤/٢) .

٣ الشعر والشعراء (٣٠٦/١) وما بعدها .

٤ الإصابة (٥٩/١) وما بعدها ، (رقم ١٦١) ، الاستيعاب (٧٢/٢) ، (حاشية على الإصابة) .

وكان (ضرار بن الأزور بن مرداس) الأسدي ، فارساً شجاعاً وشاعراً مطبوعاً ، استشهد يوم اليامة ، وقيل بعد ذلك . وقد أتى النبي فأنشده :

خلعت القداح وعزف القيا ن والخمر أشربها واليالا
وكرى المجبر في غمرة وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة بددتنا وطرحت أهلك شتى شمالا
يا رب لا أغبن صفقة فقد بعث أهلي ومالي بدالا^١

ولضرار قصيدة قالها في يوم الردة ، لما بلغه ارتداد قومه من (بني أسد) منها :

بني أسد قد ساءني ما صنعتم وليس لقوم حاربوا الله محرم
وأعلم حقاً انكم قد غويتم بني أسد فاستأخروا أو تقدموا
نهيكم أن تنهوا صدقاتكم وقلت لكم : يا آل ثعلبة اعلموا
عصيت ذوي أحلامكم وأطعم ضجيعاً وأمر ابن اللقيطة أشام
وقد بعثوا وفداً الى أهل دومة فقبح من وفد ومن يتميم
ولو سئلت عنا جنوب لجبرت عشة سالت عقرباء بها الدم

وضجيع هو (طلحة بن خويلد) ، وكانت أمه حميرية أخيدة ، وابن اللقيطة : (عيينة بن حصن) ، وقوله : يا آل ثعلبة ، أراد ثعلبة الحلاف بن دودان بن أسد . وعقرباء بأرض اليامة^٢ . وكان (عيينة) قد انضم الى (طلحة) الذي تسميه الموارد (طليحة) استصغاراً لشأنه ، كما دعت (مسلمة) (مسيلمة) ، وقال : « والله لأن نتبع نبياً من الخلفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبقي (طليحة) ، وقاتل معه حتى هرب . وكان يدبر المعركة وهو متلفف في كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ لهم ، والناس يقتتلون ، حتى جاءه الوحي بقوله : « ان لك رحا كرحاه ، وحديثاً لا تنساه » ، ثم لم يصمد ، فهرب^٣ .

وضرار هو الذي قتل (مالك بن نويرة) بأمر (خالد بن الوليد)^٤ .

- ١ الاصابة (٢٠٠/٢) ، (رقم ٤١٧٢) ، الاستيعاب (٢٠٣/٢) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٢ الخزائن (٥/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٣ الطبري (٢٥٦/٣) .
- ٤ الخزائن (٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

وكان (هوزة بن علي) الحنفي شاعراً وخطيباً ، ذكر أنه كتب الى الرسول كتاباً يقول فيه : « ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك » . وقد مات عام الفتح^١ . وهو شاعر يجب إدخاله في الجاهليين ، لأنه لم يعتنق الإسلام ، وقد تحدثت عنه هنا ، لأنه من المتأخرين ، وله خبر مع الرسول .

و (فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة) المرادي ، شاعر ، وهو صحابي مخضرم . وكان من أشرف قومه ، قدم على رسول الله ، مفارقاً للملوك كندة ، فبايعه ، ونزل على (سعد بن عبادة) ، فكان يحضر مجلس رسول الله ، ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام . ثم استعمله الرسول على مراد وزبيد ومدحج كلها ، وكتب معه كتاباً الى الأبناء باليمن يدعوهم الى الإسلام ، فأقام فيهم حتى توفي رسول الله . وذكر أن النبي ، أجاز (فروة) باثني عشر أوقية ، وحمله على بعير نجيب وأعطاه حلة من نسج عمان . واستعمله (عمر) - كما جاء في رواية - على صدقات مدحج^٢ .

وقد جمع شعر (فروة) في ديوان ، رجع (السيوطي) اليه ، ونقل منه^٣ . و (عمرو بن معديكرب) الزبيدي من أشرف اليمن وساداتهم ، وقد اشتهر وعرف بالشجاعة ، قال عنه « أبو عمرو بن العلاء : لا يفضل عليه فارس في العرب » . وكان فحلاً في الشجاعة والشعر . وأكثر شعره في الحماسة . وقد اشتهر بسيفه (الصمصامة) ، والأرجح انه شهد (القادسية) ، وكان له أثر فيها . واختلف في صحبته للنبي ، فن العلماء من ذكر انه لم يلق الرسول ، وانما قدم المدينة بعد وفاته ، ومنهم من ذكر انه قدم المدينة في وفد (زبيد) ، فأسلم سنة تسع أو عشر ، وصحب الرسول . ولا تخلو أقوال الرواة فيه من أثر العصبية لليمن أو عليها ، وقد اختلف في عمره ، وأكثرهم انه مات بعد أن تجاوز المائة : ومنهم من جعل عمره فوق المائة والخمسين^٤ . وهو ابن خالة (الزبرقان بن بدر)

-
- ١ ابن سعد ، الطبقات (١/٢٦٢) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٢) وما بعدها .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٨٢) .
 - ٤ الإصابة (٣/١٨) وما بعدها ، (رقم ٥٩٧٢) ، الاغانى (١٤/٢٤) ، المؤلفات (١٥٦) ، الرزباني ، معجم (٢٠٨) ، الخزائن (١/٤٢٢) ، (٣/٤٦٠) ، الشعر والشعراء (١/٢٨٦) وما بعدها .

التميمي ، وأخته (ربحانة بنت معدي كرب) والدته (دريد بن الصمة) ، و (عبدالله ابن الصمة) . وكانت تحت (الصمة بن الحارث)^١ .

وورد في بعض الروايات ، أنه قدم على رسول الله المدينة فأسلم ، ثم ارتد بعد وفاته فمِن ارتد باليمن ، ثم عاد الى المدينة فشهد اليرموك ثم هاجر الى العراق فأسلم ، وشهد القادسية ، وله بها أثره وبلاؤه ، وشهد مع النعمان بن مقرن الزني فتح نهاوند ، فقتل هنالك ، مع النعمان وطليحة بن خويلد ، فقبورهم بموضع يقال له : (الاسفيذهان)^٢ .

ومن شعره الذي يتمثل به ، قوله :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقوله :

أريد حباه ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد

وتمثل به علي بن أبي طالب ، لما رأى عبد الرحمان بن ملجم المرادي^٣ .

ولعمرو بن معديكرب ، ديوان برواية (أبي عمرو الشيباني) رآه (ابن حجر) وقال عنه « ورأيت في ديوانه رواية أبي عمرو الشيباني من نسخة فيها خط أبي الفتح بن جني قصيدة يقول فيها :

والقادسية حين زاحم رستم كنّا الكفاة نهز كالاسطان
ومضى ربيع بالجنود مشرقاً ينوي الجهاد وطاعة الرحمن^٤

وأورد (ابن حجر) له أشعاراً أخرى .

ونجد لعمرو بن معدي كرب شعراً في وصف الحرب ، ذكر أن (عمر) سأله :

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٨٩/١) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٨٩/١ وما بعدها) ، الخزائنة (٤٢٥/١ وما بعدها) ، (بولاق) .
 - ٣ المرزباني ، معجم (١٦) ، (مراج) .
 - ٤ الاصابة (٢٠/٣) ، (رقم ٥٩٧٢) ، الاغاني (٢٤/١٤) ، الخزائنة (٤٢٥/١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤١٩/١) .

« أخبرني عن الحرب » ، فقال : هي كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتية تسمى بزيتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جَزّت رأسها وتنكرت مكروهة للضم والتقييل

وهي في بعض الروايات من شعره ^١ .

ومن شعر (عمرو بن معدى كرب) قوله :

سوى أن أصواباً باعقق لم يزل بها آنس من أهلها غير بارح
وجدنا به العَمْرَيْن عمرُ بن عُدْية وعمرو بن عمرو في حلال سُلَاطِح
وجدنا بني عمرو ثمانين فارساً لكل صباحٍ كاشر النَّاب كالح
وكان الغدانيون تحت رماحهم رماح بني عمرو غداة المصابيح
مصافين أصهاراً ورحماً وجيرة وما كان فيهم فارس غير جامع^٢

وقوله :

وجدك مخفي^٣ على الوجه ناعس^٤ تشير به الركبان ما قام أفرع^٥

وله أشعار قالها في حروبه في العراق مع جيش الفتح .

و (ساعدة بن جؤبة) (ساعدة بن جؤين) (جؤبة) ، هو من الشعراء
المخضرمين . أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم . وليست له صحيفة . قيل عن
شعره أنه محشو بالغريب والمعاني الغامضة^٦ . وهو شاعر من شعراء مضر ، محسن ،
قيل عن شعره أنه ليس فيه من الملح ما يصلح للمذاكرة^٧ .

- ١ شرح ديوان الحماسة (٢٥٢/١ ، ٣٦٨ ، ٤٠٨) ، الجمان في تشبيهات القرآن (٣٣٩) .
- ٢ الصفة (١١٥) .
- ٣ الصفة (١٢٦) .
- ٤ السيوطي ، شرح شواهد (١٩/١ ، ١٥٦) ، ديوان الهذليين (١٦٧/١) ،
الخزانة (٢٦٧/١) وما بعدها) ، (ساعدة بن جوين ويقال ابن حرية ٠٠٠ قال
أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي : ساعدة بن حوية) ، الإصابة (١٠٦/٢) ،
(رقم ٣٦٥٠) .
- ٥ الخزانة (٤٧٦/١) ، (بولاق) .

و (أبو ذؤيب) (خويلد بن خالد بن محرت) ، شاعر مخضرم ، مجيد . وهو من (هذيل) . رحل الى المدينة ، فوصلها والرسول مسجى ، فكان ممن صلى عليه وشهد دفنه . « سئل حسان من أشعر الناس ؟ فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً ، قال : هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وتقدم أبو ذؤيب على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي أولها :

أمن المنون وريبها تتوجع ^١ ، التي يرثي بها بنيه .

وقد قال عنه بعض المؤرخين انه شاعر مجيد مخضرم كان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر أحياء العرب ^٢ . وقال المرزباني عنه : كان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر ، وعاش في الجاهلية دهرأ وأدرك الاسلام ، وأسلم . وعامة ما قال من الشعر في إسلامه ^٣ . هلك في زمان عثمان وقيل في زمن (عمر) ^٤ .

وكان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي ^٥ .

وتعد قصيدته المذكورة التي قالها في رثاء بنه الخمسة أو الثمانية الذين قتلوا أو هلكوا بالطاعون في عام واحد ، من أجود شعره . وهي قصيدة تفيض بالأسى والحنان على بنيه الذين ترك فراقهم أمى وحسرة في قلبه . وأولها :

أمن المنون وريبها تتوجع والدمر ليس بمعتب من يجزع

ومن أبياتها الجيدة :

واذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كل نيمة لا تنفع ^٦

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٩/١) ، الشعر والشعراء (٥٤٧/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٥٦/٦ وما بعدها) ، الخزائن (٢٠١/١) ، المؤلفات (١١٩) ، ابن سلام ، طبقات (١١٠) ، معاهد التنصيص (١٦٥/٢) .
- ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٣٠/١) ، ديوان الهذليين (١٥٨/١) ، (دار الكتب المصرية) .
- ٣ الاصابة (٦٦/٤) ، (رقم ٢٨٨) ، حسن المحاضرة (١١٣/١) ، أسد الغابّة (١٨٨/٥) ، ياقوت ، ارشاد (١٨٥/٤ وما بعدها) .
- ٤ السيوطي ، شرح (٣٠/١ وما بعدها) ، الاصابة (٦٦/٤) ، (رقم ٢٨٨) ، رسالة الففران (١٥١ ، ١٦٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) .
- ٥ الشعر والشعراء (٥٤٧/٢ وما بعدها) .
- ٦ جمهرة أشعار العرب (١٢٨ وما بعدها) ، (بولاق) ، السيوطي ، شرح شواهد (٩٢ وما بعدها) ، كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١١ وما بعدها) .

وقد وصف فيها حاله ، وكيف أن جسمه صار شاحباً من الوجد على ما حل بينه ، وكيف أنه صار لا يعرف طعم الراحة ولا النوم ، حتى صار يعيش ناصب ، يخال نفسه إنه لاحق بهم مستبغ ، ولقد حرص بأن يدافع عنهم ، ولكن المنيّة منى أقبلت فلا دافع لها :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنيّة أقبلت لا تدفع
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها الفيت كل تميّة لا تنفع

ولأبي ذؤيب شعر في رثاء الرسول وردت أبيات منها في (الاستيعاب) . وقد اختلف في المكان الذي توفي به هذا الشاعر ، كما اختلف في سنة وفاته^١ . وقد طبع ديوانه^٢ . وكان أبو ذؤيب ، شاعراً فحلاً ، لا غمزة فيه ولا وهن^٣ . ومن شعره في رثاء الرسول قوله :

لما رأيت الناس في عسلانهم من بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرتُ إلى المموم ومن بيت جار المموم بيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وترعزت أطام بطن الأبطح
وترعزت أجال يثرب كلها ونخيلها لخلول خطب مفدح
ولقد زجرتُ الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سجد الأذبح^٤

وكان لأبي ذؤيب ابن يقال له (مازن بن خويلد) ، ويكنى أبا شهاب ، وهو أحد شعراء هذيل^٥ .

و (أبو خيراش) ، (خويلد بن مرة الهذلي) من شعراء هذيل ، وهو شاعر مشهور ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً ووفد على (عمر) وفي أيامه كانت وفاته . وكان أحد الفصحاء . يقال إنه كان سريع الجري . دخل مكة

- ١ الاستيعاب (٦٧/٤) ، (حاشية على الاصابة) ، الخزاعة (٢٠٣/١) ، (بولاق) .
- ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٦٩/١ وما بعدها) .
- ٣ ابن سلام ، طبقات (٢٩) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٢١٧/١) ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٤٩٢ ، (٦١٦) .
- ٤ الروض الانف (٣٧٩/٢) .
- ٥ الشعر والشعراء (٥٥٠/٢) .

في الجاهلية ، وللوليد بن المغيرة فرسان ، فقال : ما نجعل لي إن سبقتها عدواً؟
قال : إن فعلت فهذا لك ، فسبقها . يقال إن ضيوفاً من اليمن نزلوا عليه ، فذهب
يستقي لها الماء فنهشته حية ، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ، ولم يعلمهم ما
أصابه . فباتوا يأكلون ، فلما أصبحوا وجدوه في الموت ، فأقاموا حتى دفنوه .
فبلغ عمر خبره ، فكتب الى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش
فيغرمهم دينته^١ .

ومن شعره :

لا هم هذا رابع إن نمتا أتمه الله وقد أتتا
إن تغفر اللهم تغفر جمّاً وأي عبد لك لا ألّا

قاله وهو يسمى بين الصفا والمروة ، وثم شجر يومئذ^٢ .

ولأبي خراش أخ يقال له : (عروة بن مرة) ، من شعراء هذيل المعدودين ،
وأخ آخر اسمه (أبو جندب بن مرة) ، أحد شعراء هذيل المعدودين
أيضاً^٣ .

و (صخر) الغني ، هو (صخر بن عبد الله) الحيثمي الهللي ، من شعراء
الحلاعة ، وقد عرف بشدة بأسه وكثرة شره ، وله صاحبة اسمها (دهماء) .
وقد ذكرها في قصيدته :

لاني بدهماء عزّ ما أجدُ يعتادني من حبابها زؤد
عاودني حبها وقد شحطت صرف نواياها فأنني كمد^٤

١ الاصابة (٤٥٧/١) ، (رقم ٢٣٤٥) ، الخزانة (٢٣٢/٣) ، السيوطي ، شرح
شواهد (٤٢٣/١) ، الاغانى (٥٤/٢١) ، طبع ديوانه في مجموعة الشعراء
الهذليين ، الخزانة (٢١٢/١) وما بعدها ، (بولاق) ،
J. Hell, Neue Hudhailiten Diwane, 2 Leipzig, 1933.

كارلو نالينو ، تاريخ الاداب العربية (١١١) .

٢ السيوطي ، شرح شواهد (٦٢٥/٢) ، الخزانة (٢١١/١) .

٣ الشعر والشعراء (٥٥٤/٢) وما بعدها .

٤ رسالة الغفران (٣٤٥) ، الشعر والشعراء (٥٥٩/٢) ، الاغانى (١٩/٢٠) ،

ديوان الهذليين (٥٧/٢) ، الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٢٧) .

وهو على رأي (المرزباني) من المخضرمين^١ .

و (النمر بن تولب بن زهير بن أقيش) ، شاعر مخضرم ، يكنى (أباربيعة) ويسمى (الكيس) ، أدرك الإسلام وهو كبير ، وهو من (الصحابة) . وهو من (بني عكل) . وصف بأنه كان جواداً واسع القرى ، كثير الأضياف ، وهاباً لماله . وانه كان أفق الشعراء ، شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق^٢ . قال عنه (المرزباني) : « كان شاعراً فصيحاً ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً ، ونزل البصرة بعد ذلك . وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله . وكان جواداً وعمر طويلاً حتى أنكر عقله ، فيقال انه عمر مائتي سنة . وهو القائل :

يحبّ الفنى طول السلامة جاهداً فكيف يرى طول السلامة يفعل

وله شعر يخاطب به النبي منه :

إنّا أتيناك وقد طال السفر أقود خيلاً وجعا فيها ضرر^٣

وفرق (ابن حزم) بين (النمر بن تولب بن أقيش) العكلي ، وبين (النمر بن تولب) وبين (النمر بن قاسط) . وقال إنه الذي عاش حتى خرف . ويقال إن للنمر بن تولب العكلي ابناً يقال له (ربيعة) هاجر الى الكوفة^٤ .

وكان (النمر) شاعر الرباب في الجاهلية ، ولم يمدح أحداً ولا هجأ ، واستحسن من شعره قوله :

- ١ الاصابة (١٩٢/٢) ، (رقم ٤١٢٧) .
- ٢ السيوطي ، شرح شواهد (١٨١/١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٢٨/٢٢) ، طبقات الشعراء (١٣٤) ، الشعر والشعراء (٢٦٨) ، العمدة (١١٨/٢) ، الشعر والشعراء (٢٢٧/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة) ، الاغاني (١٥٧/١٩) ، (ساسي) ، (٢٢٧/١ وما بعدها) ، الخزنة (١٥٢/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٣٣) ، (٢٧) ، (ليدن) ، البيان والتبيين (٣/١ ، ١٢ ، ٥٥ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٨٤ ، ٤٠٨) ، (١٣٤/٢) ، (٤٤/٣) ، البخلاء (١٦٣ ، ٢٢٩ ، ٣٨٤) ، رسالة الغفران (١٥٣) .
- ٣ تختلف روايات هذا الشعر ، الاصابة (٥٤٢/٣) ، (رقم ٨٨٠٤) ، الاستيعاب (٥٤٩/٣ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
- ٤ الاصابة (٥٤٣/٣) ، (رقم ٨٨٠٤) .

تدارك ما قبل الشباب وبعده حوادث أيام تمر وأغفل
يود الفتى طول السلامة والغنى فكيف يرى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء اذا رام القيام ويحمل^١

ومن الشعر المنسوب اليه قوله :

خاطر بنفسك كي تنال رغبة^٢ إن القعود مع العيال قبيح
إن المخاطر مالك^٣ أو هالك والجد^٤ يجلي مرة فيريح

وقوله :

ومتى تصبك خصاصة^٥ فارج^٦ الغنى وإلى الذي يهب الرغائب فارغب
لا تغضب^٧ على امرئ في ماله وعلى كرائم أصل مالك فاغضب^٨

وقد تعرض (النمر بن تولب) في شعره الى قصة (زرقاء) اليمامة وجديس ،
والى قصة غزو (تبع) لجديس واستباحته اليمامة^٩ . وقد ورد ذكر (عاديات)
في شعره بقوله :

هلا سألت^{١٠} بعاديات وبيت^{١١}ه والخيل والخمر التي لم تمنع^{١٢}

وفي شعره قصص عن (لقمان) وعن (لقيم بن لقمان) من أخته^{١٣} ، ويظهر
أنه كان من الأشخاص الذين كانوا يهتمون بالقصص والحكايات المروية عن
الجاهليين ، فأدبج شيئاً منه في شعره .

و (الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عَصِيَّة بن خفاف
ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم) السلمية ، واسمها (تماضر) ، ممن أدركن
الاسلام . وقد أسلمت فعدت صحابية . و (الخنساء) لقبها ، قدمت على
رسول الله مع قومها فأسلمت . وذكر ان الرسول كان يستنشدُها ويعبجها شعرها .

- ١ الاستيعاب (٥٥١/٣) ، الخزانة (١٥٦/١) ، (بولاق) .
- ٢ بلوغ الأرب (١٣٤/٣) وما بعدها .
- ٣ الخزانة (١٥٥/١) وما بعدها ، (بولاق) .
- ٤ البخل (١٦٤) .
- ٥ البيان والتبيين (١٨٤/١) .

« وأجمع أهل العلم بالشعر على انه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكانت أول أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ثم أخوها صخر ، فأكثر من الشعر وأجادت »^١ . وهي أم الشاعر (العباس بن مرداس) ، وأم اخوته الثلاثة وكلهم شاعر . ولم تلد إلا شاعراً ، وذكر (الكلبي) ان أم ولد (مرداس) جميعاً الخنساء ، إلا العباس ، فإنها ليست أمه ، ولم يذكر من أمه . غير ان (أبافرج الأصبهاني) ذكر انها أمه . وكان النبي يعجبه شعرها ويستنشد ما ويقول هيه يا خناس ويومئ بيده^٢ .

روي انها كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني ، وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، وكانت (الخنساء) ممن أنشدته شعرها ، ويقال انه لما سمع شعرها ، قال : « والله ما رأيت ذات مائة أشعر منك ، فقالت له الخنساء : والله ولا ذا خصيين »^٣ . ومن جيد شعرها ، قولها في (صخر) أخيها :

لا بد من ميتة في صرفها غير والدهر من شأنه حول وإضرار
وان صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار^٤

وذكر أنها كانت سوتت هودجها براية في الموسم ، وعاظمت العرب بمصبيتها بابنها (عمرو) وبأخوها صخر ومعاوية ، وجعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وأن هنداً ابنة عتبة لما قتل بيدر أبوها وعمها شيبة وأخوها الوليد فعلت كذلك وقالت : اقرنوا جملي بحمل الخنساء ، فصارتا تبكيان وتناشدان^٥ .

وروي أن رسول الله كان يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها :

لا بد من ميتة في صرفها غير والدهر من شأنه حول وإضرار^٦

- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٣/١ وما بعدها) ، الخزائن (٢٠٩/١) ، (بولاق) ، الاغانى (١٩/١٣) ، الخزائن (٤٠٣/٣) ، بروكلمن (١٦٤/١ وما بعدها) .
- ٢ الخزائن (٢٠٨/١ وما بعدها) ، (بولاق) .
- ٣ الشعر والشعراء (٢٦٠/١ وما بعدها) .
- ٤ المحاسن والاضداد (٩٣) ، (أشم أبلج تاتم الهداة به) ، الشعر والشعراء (٢٦٣/١) .
- ٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٥) .

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وذكر أنها زارت (عائشة) وتحدثت معها^١ :

وروي أنها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فحثهم على القتال والاستماتة فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وكان (عمر) أمر أن تعطى النساء أرزاق أولادها الأربعة حتى توفي^٢ ، وله قصة معها ، وذكر أنه لما طلب منها أن تكف عن البكاء ، قال لها : « ما الذي أفرح ما في عينيك ؟ قالت : البكاء على سادات مضر ، قال : إنهم هلكوا في الجاهلية ، وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . قالت : فذاك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً » . ثم طلب منها أن تنشده من شعرها ، فأنشدته :

سقى جدناً أعراق غمرة دونه وبيشة ديمت الربيع ووابله^٣

و (خفاف بن ندبة) ، هو (خفاف بن عُمر بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية) ويكنى أبا خراشة ، وهو ابن عم النساء و (ندبة) أمه . وهو شاعر مشهور من المخضرمين ، وله شعر يمدح به (أبا بكر) ، وبقي الى زمن (عمر) ، وكان أسود حالكاً^٤ . شهد الفتح وكان معه لواء (بني سليم) ، وذكر (الأصمعي) ، انه وحيد أشعر الفرسان . وله يقول :
العباس بن مرداس :

أبا خراشة أما أنت ذا نقر فإن قومي لم تأكلهم الضبع^٥

ويعدّ من فرسان قيس وشعرائها المذكورين .

وضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، وسويد بن كراع العكلي، والحويطرة الذبياني ، واسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول ، وسُحيم عبد بني الحسحاس الأسديين ، من طبقة واحدة ، تكون الطبقة التاسعة في (طبقات الشعراء) ،

-
- ١ المحاسن والاضداد (٩٣) .
 - ٢ السيوطي ، شرح شواهد (٢٥٤ / ١) .
 - ٣ المحاسن والاضداد (٩٤) .
 - ٤ السيوطي ، شرح شواهد (٣٢٥ / ١) .
 - ٥ الاصابة (٤٤٨ / ١) ، (رقم ٢٢٧٣) .

لابن سلام^١ . وكان (ضابىء) ، رجلاً بدياً كثير الشر ، وكان بالمدينة ، صاحب صيد وصاحب خيل ، وقد حبسه عثمان ، وبقي في سجنه حتى مات^٢ .

و (سحيم) عبد بني الحسحاس ، شاعر مشهور مخضرم ، أدرك النبي ، وتمثل النبي بشيء من شعره . وكان عبداً أسود شديد السواد أعجمياً . وذكر ان اسم (عبد بني الحسحاس) (حميمة) ، وقيل (سحيم) ، وانه شبيب بنساء قومه ، ثم بينت سيده فقتله سيده . وقيل ان قتله كان في خلافة عثمان^٣ . وله ديوان مطبوع^٤ . وورد ان (عمر) أمر بقتله لأبيات فاحشة . وذكر انه حفر له أخدود وضع فيه وألقى عليه الحطب ثم أحرق^٥ . وورد ان (عمر) استنشه شعره ، وانه أنشده قصيدته :

ودع سليمى إن تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا^٦

وكان سحيم حبشياً معلطاً قبيحاً ، وهو القائل في نفسه :

أتيت نساء الحارثيين غدوةً بوجه براه الله غير جميل
فشبهني كلباً ولستُ بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل

اشتراه (عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي) ، وكتب الى (عثمان) : « لاني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً ، فكتب اليه عثمان : لا حاجة بنا اليه ، فاردده ، فلانما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم » . ويقال سمعه عمر بن الخطاب ينشد :

ولقد تحدر من كريمة بعضهم عرقٌ على جنب الفراش وطيب

١ (ص ٣٩ وما بعدها) .

٢ ابن سلام ، طبقات (٤٠) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (٣٢٧/١) ، الخزائن (٢٧٣/١) ، الاغانى (٩/٢٠) ، الخزائن (٢٧١/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٥٦) ، أسماء المفتالين (٢٧٢) ، ديوان المعاني ، للعسكري (١٦٦/٢) ، الخزائن (١٢٨/١ وما بعدها) ، (بولاق) .

٤ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (تحقيق عبد العزيز الميمنى) ، (دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م) .

٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧١/١) .

٦ الاصابة (١٠٨/٢) ، (رقم ٣٦٦٤) .

فقال له : إنك مقتول ، فسقوه الخمر ثم عرضوا عليه نسوة ، فلما مرت به التي كان يتهم بها أهوى إليها ، فقتلوه ، الى غير ذلك من قصص^١ .

و (سحيم بن وثيل بن أعيقر بن أبي عمرو بن إهاب بن حيري) الرياحي ، شاعر مخضرم ، تفاخر هو وغالب بن صعصعة والد الفرزدق ، فتناحرا الإبل . وقد وصف بأنه شاعر خنذيد شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام . وله قصيدة مطلعها :

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
وماذا يلرك الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الأربعين^٢

و (ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد) الضبي ، أحد الشعراء المخضرمين . وكان أحد شعراء مضر . ذكر أنه وفد على كسرى في الجاهلية ، ثم عاش الى أن أسلم^٣ . « وذكره دعيّل في طبقات الشعراء ، وقال مخضرم حبسه كسرى بالمشقر ثم أدرك القادسية »^٤ . وكانت عبد القيس أسرته ، ثم منت عليه بعد دهر^٥ .

والشاعر (أبو زيد ، حرملة بن المنذر بن معديكرب بن حنظلة) الطائي من شعراء طيء ، وكان نصرانياً ومات على دينه بعد خلافة عثمان^٦ . وكان نديم

-
- ١ الشعر والشعراء (٣٢٠/١ وما بعدها) ، الخزّانة (١٠٢/٢ وما بعدها) ، (عبد السلام محمد هارون) ، المحاسن والاضداد (١٤٣ وما بعدها) .
 - ٢ الخزّانة (١٢٣/١) ، البيان والتبيين (٢٤٦/٢) ، الأمالي (٢٤٦/١) ، الاشتقاق (٢٢٤) ، الشعر والشعراء (٦٢٦) ، الاصمعيّات (رقم ١) ، السيوطي ، شرح شواهد (٤٥٩/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٥٣٨/٢) ، (دار الثقافة) ، ابن سلام ، طبقات (٤٨٩) ، ذيل الأمالي (٥٢/٣) ، الاغانى (٥/١٩) ، الاصابة (١٠٩/٢) ، (رقم ٣٦٦٥) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٤٦٧/١) ، (٨٦٠/٢) ، شرح المفضليات (٣٥٥) ، الخزّانة (٥٦٩/٣) ، الاغانى (٩٠/١٩) ، السمط (٣٧) .
 - ٤ الاصابة (٥١١/١) ، (رقم ٢٧٣٦) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٣٦/١ وما بعدها) .
 - ٦ السيوطي ، شرح شواهد (٦٤٠/٢ وما بعدها) ، الاغانى (٢٣/١١) ، ابن سلام ، طبقات (١٣٢ وما بعدها) ، الخزّانة (١٥٥/٢) ، الأمالي ، للقالبي (١٨٣/٣) ، جهرة اشعار العرب (١٣٨) .

(الوليد بن عقبة) ، يشرب الخمر معه ، ولما صار (الوليد بن عقبة) الى (الرقة) ، سار (أبو زيد) اليه ، فكان ينادمه ، وكان يحمل في كل يوم أحد الى البيعة ، فيحضر مع النصارى ، ويشرب ، ولما مات دفن على (البليخ) ، وهناك أيضاً قبر (الوليد بن عقبة)^١ . وقد اشتهر بوصف الأسد ، وكان مغرى بوصفه في شعره^٢ . وورد في رواية انه أسلم بتأثير (الوليد بن عقبة) عليه . لكن الأغلب انه بقي على نصرانيته ، وقد استعمله (عمر) على صدقات قومه ، ولم يستعمل نصرانياً غيره . قيل انه رثى (علي بن أبي طالب) . وكان له أخ (من خلصة ملوك العجم) . وذكر انه بقي الى أيام معاوية^٣ .

و (الشماخ بن ضرار) الديباني من الشعراء كذلك ، أدرك الجاهلية والإسلام . و (الشماخ) لقب ، واسمه (معقل) ، وقيل (الهيثم) . قال ابن الكلبي : كان الشماخ أوصف الناس للخمر وللقوس ، وأرجز الناس على بديهة ، وهو كثير الهجاء ، له مهاجاة مع (الخليج بن سعيد) التغلبي . وله شعر في مدح (عرابة) الأوسي ، وكان قدم المدينة ، فأوقر له عرابة راحلته تمسراً وبراً وكساه وأكرمه^٤ . وكان له أخوان : مزرداً وجزءاً ، رويت مقطعات صغيرة من شعرهما . وللشماخ ديوان شعر مطبوع^٥ . قال عنه (ابن سلام) : « فأما الشماخ : فكان شديد متون الشعر ، أشد أسر الكلام من لييد ، وفيه كزازة . ولييد أسهل منه منطقاً ، وكان للشماخ اخوة ، وهو أفحلهم ، ومزرد هو أشبههم به^٦ . ذكر ان (الوليد بن عبد الملك) أنشد شيئاً من شعره في وصف الحمير ، فقال : ما أوصفه لها ، اني لأحسب ان أحد أبويه كان حماراً . قيل : كان يهجو قومه

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٢١/١) .
 - ٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١) .
 - ٣ الاصابة (٨٠/٤) ،
 - ٤ الاصابة (١٥١/٢ وما بعدها) ، (رقم ٣٩١٨) ، الشعر والشعراء (٢٣٤/١) وما بعدها ، السيوطي ، شرح شواهد (٨٩٦/٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (٢٣٢/١ وما بعدها) ، الاغاني (٩٧/٨) ، الخزائن (٥٢٦/١) ، الموشح (٦٧) ، ابن سلام ، طبقات (١١٠) ، المؤلف (١٣٨) ، ديوانه ، (طبعة أحمد بن الأمين الشنقيطي) ، (القاهرة ١٣٢٧ هـ) ، بروكلمن (١٧٠/١) ، كارلو نالينو ، تاريخ آداب العرب (١١٠ وما بعدها) .
 - ٦ ابن سلام ، طبقات (٢٩) .

وضيفه ويمنّ عليهم بقراه ، وهو أرجز الناس على البدبة . وجعله (الجمحي) في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام ، وقرنه بالنابغة الجعدي ، ولييد ، وأبي ذؤيب الهذلي . وقال : انه كان شديد متون الشعر ، أشد كلاماً من لييد^١ . وكان معاصراً للحطيئة . ويروى ان (الحطيئة) كان يعدّه أشعر بني غطفان^٢ .

وأخوه (مزرد) ، واسمه (جزء بن ضرار) . وقيل يزيد وجزء أخوهما . وهو (مزرد بن ضرار بن سنان بن عمر بن جحاش بن بجالة الغطفاني) الثعلبي . يقال مزرد لقب له ، لقب به لقوله :

قللت تزردها عبيد فإني لزرد الشيوخ في الشباب مزرد

وكان يكنى (أبا ضرار) ، وقيل : (أبا الحسن) ، وهو أسن من الشماخ ، وكان هجاء حلف أن لا يتزل به ضيف إلا هجاء ، ولا سكب سنه ولا بيت يته إلا هجاء ، ثم أدرك الاسلام فأسلم . قدم على رسول الله فأنشده أبياتاً منها :

تعلم رسول الله لم أر مثلهم أحسن على الأدنى وأقرب للفضل
تعلم رسول الله أنا كأننا أفانا بأعمار ثعالب ذي غسل

وأعمار رهطه ، وكان يهجوهم .

ورود عن (عائشة) أنها قالت : من صاحب هذه الأبيات : تعني التي في عمر لما مات :

جزى الله خيراً من أمير وباركت
يد الله في ذلك الأديم الممزق

قالوا : مزرد ، فسألت من مزرد ؟ فحلف بالله انه لم يشهد الموسم تلك السنة ، ومنهم من نسب هذه الأبيات التي قبلها للشماخ^٣ .

١ الخزائن (١/٥٢٦) ، (بولاق) .

٢ بروكلمن ، (١/١٧٠) .

٣ الاصابة (٣/٣٨٥) ، (٧٩٢١) .

ومعن بن أوس بن نصر بن زياد المزني ، شاعر مجيد فحل من المخضرمين .
عمر الى أيام ابن الزبير^١ ، وهو من شعراء مضر . ذكر (المرزباني) ، أنه كان
رضيع (عبدالله بن الزبير) ، وكان مصاحباً له ، وكفّ في آخر عمره^٢ .

و (سويد بن أبي كاهل) أو (سويد بن غطيف) وقيل اسمه : (غطيف
ابن حارثة) اليشكري ، ويقال (الوائلي) ، ويقال (الغطفاني) ، ويكنى
(أبا سعيد) ، هو شاعر مخضرم . وهو صاحب قصيدة مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وهي قصيدة من أغلى الشعر وأنفسه في نظر علماء الشعر ، ذكر أن العرب
كانت تفضلها وتقدّمها ، وتعدّها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها (التيمة)
لما اشتملت عليه من الأمثال . وللشاعر شعر كثير ، ولكن برزت هذه على
شعره^٣ .

ذكر أنه كان إذا غضب على قومه ، ادعى الى غطفان ، فقال رجل من
(بني شيان) :

من يشري مسجد ذيان إذا ظعنوا
الى فزارة أو من يشري السدارا

فأجابه سويد :

إن المساجد لا تباع وإنما باعت كحيلة بظرها البيطارا^٤

-
- ١ السيوطي ، شرح شواهد (٨٠٨/٢) ، جعل « زيدان » وفاته سنة « ٢٩ هـ » ، تاريخ
آداب اللغة العربية (١٨٤/١) ،
 - ٢ الاغانى (١٦٤/١٠) ، الخزائن (٢٥٨/٢) ، المرزباني ، معجم الشعراء (ص
٣٢٢) ، راجع معاهد التنصيص (٦٩٤) ، عيون الاخبار (١٨/٣) ، شرح الحماسة ،
للمرزوقي (١١٢٦) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٢/١ وما بعدها) ، معن
ابن أوس ، لمصطفى كمال ، القاهرة (١٩٢٧ م) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٧٤٠/٢) ، حاشية (٢) ، الشعر والشعراء (١٢١٨ ،
١٨٤) ، (٣٣٤/١) « دار الثقافة » ، الخزائن (٥٤٦/٢) ، الاغانى (١٧١/١١) ،
شعراء النصرانية (٤٢٥) ، طبقات ابن سلام (٣٥ ، ١٢٨) ، المزهري (٤٨٧/٢) ،
الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢٠) .
 - ٤ الاشتقاق (٢٠٥) .

وعدّ من المعمرين ، ذكر أنه عمّر في الإسلام ستين سنة بعد الهجرة^١ .
وقد وضعه (ابن سلام) مع الحارث بن حلزة ، وعنترة ، وعمرو بن كلثوم
في الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية^٢ .

و (الزبرقان بن بدر) شاعر تميم من الشعراء المخضرمين . وكان اسمه
(الحصين) . ولما قدم وفد (تميم) الى المدينة في أشرفهم ، كان الزبرقان
أحدهم ، ولما تفاخروا بأنفسهم وتباهوا بفعالهم ، قالوا للرسول : يا محمد ائذن
لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزبرقان بن بدر ، فقال قصيدته التي مطلعها :
نحن الكرام فلا حي^٣ يعادلنا منّا الملوك وفينا تنصب البيع^٤

وذكر أن الرسول ولّاه صدقات قومه فأداهما في الردّة الى أبي بكر فأقره ،
ثم الى عمر^٥ .

وقد هجا (الخطيئة) الزبرقان بن بدر ، وكان سبب ذلك أن الخطيئة لقي
الزبرقان بـ (قرقرى) ومعه ابناه أوس وسودة وبناته وامراته فعرّفه الزبرقان
وسأله أين تريد ؟ قال : العراق لأصادف من يكفيني عيالي وأصفيه مدحي ،
فقال له : لقيته ، قال : من ؟ قال : أنا ، قال : من أنت ؟ قال الزبرقان
ابن بدر . وكتب له كتاباً الى امرأته ، لتعطيه وتنفق عليه ، فبلغ ذلك : (بغيض
ابن عامر) واخوته وبنو عمه ، وكانوا ينازعون (الزبرقان) الرياسة ، فلدسو
الى (أم بدره) امرأة الزبرقان أن الزبرقان يريد أن يتزوج بنت الخطيئة ، ولذلك أمره
أن تكرمه ، فجفته أم بدره ، فأرسل بغيض وأهله الى (الخطيئة) ان اتنا فنحن
أحسن لك جواراً من الزبرقان ، وأطعموه ووعدوه ، فتحول اليهم ، فلما جاء
(الزبرقان) بلغه الخبر فركب اليهم ، فقال لهم : ردوا عليّ جاري ، فأبوا
حتى كاد أن يكون بينهم حرب ، فحضرهم أهل الحي فاصطلحوا على أن يخبروه

١ الخزنة (٥٤٦/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

٢ الطبقات (٣٥) ، رسالة الغفران (١٣٧) .

٣ الطبري (١١٦/٣) ، (دار المعارف) ، (قدوم وفد بني تميم ونزول سورة
الحجرات) .

٤ الإصابة (٥٢٤/١ وما بعدها) ، (رقم ٢٧٨٢) .

فاختار بغيضاً ورهطه ، فجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يتعرض بالزبرقان ، فلم يزل كذلك حتى أرسل الزبرقان الى شاعر من (النمر بن قاسط) يقال له : (دثار بن شيان) فهجا بغيضاً وآل بيته ، فلما سمع الحطيئة شعر دثار ، حى لجيرانه ، فقال شعره في الزبرقان معرضاً به ، فاستعدى الزبرقان (عمر) عليه ، فحبس الحطيئة أياًماً ، فقال وهو محبوس :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
وشفع له (عمرو بن العاص) فأطلقه^١ .

وقيس بن عاصم بن سنان المنقري ، من الصحابة ومن الشعراء الفرسان الشجعان . ومن العلماء . قدم في وفد تميم على النبي ، فقال رسول الله : « هذا سيد أهل الوبر »^٢ . وقد عاش بعد الرسول^٣ .

و (عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر) المنقري ، من (بني منقر) ، فهو من شعراء تميم . ويعرف بـ (عمرو بن الأهم) ، سمي أبوه سنان الأهم ، لأن (قيس بن عاصم) المنقري ضربه بقوس فهتم فـه . وكانت أم سنان سيّئة من الحيرة ، يقال إنها سيّيت وهي حامل . قال قيس ابن عاصم :

نحن سبينا أمكم مُقرباً يوم صبحنا الحيرتين المنون
جاءت بكم غفرة من أرضها حريسةً ليست كما ترعمون
لولا دفاعي كنتم أعبداء مترها الحيرة والسيلحون
و (غفرة) هي أم سنان .

-
- ١ الاصابة (١٧٧/١) ، (رقم ٧٨١ في ترجمة بغيض بن عامر بن شماس) ، (رقم ١٩٩١) ، (في ترجمة الحطيئة) .
 - ٢ الاصابة (٢٤٢/٣) وما بعدها ، (رقم ٧١٩٦) .
 - ٣ السيوطي ، شرح شواهد (٥٨٧/٢) .

وأخو (عمرو بن الأهتم) ، عبدالله بن الأهتم ، جدُ خالد بن صفوان بن
عبدالله بن الأهتم الخطيب . وآل الأهتم خطباء^١ ، وكلهم من البلغاء المشهورين^٢ .

وعمر بن الأهتم ، ممن وفد على رسول الله ، وكان في الجاهلية يدعى
(المُكْحَل) لجماله ، وكان له ابن يقال له (نعيم بن عمرو) من أجمل الناس ،
وفيه تأنيث ، وله يقول عبد الرحمن بن حسان :

قل للذي كادَ لولا خط لحيته
يكون أنثى عليها الدرّ والمسك
هل أنتَ إلا فتاة الحى إن أمِنُوا
يوماً ، وأنت إذا ما حاربوا دُعِكْ^٣

ومن شعره قوله في حق الزبرقان بن بدر ، وكان يتنافسه :

ظلت مفترشَ العلياء تشتمني
عند النبي قلم تصدق ولم تصب
إن تبغضونا فإن الروم أصلكم
والروم لا تملك البغضاء للعرب
فإن سوددنا عود وسوددكم
مؤخر عند أصل العجب والذنب^٤

و (نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك) التميمي ثم الأسدي ، شاعر مخضرم
يكنى (أبا نجيد) . وقد شهد فتوح العراق ، وأنشد له (سيف) في الفتح

-
- ١ الشعر والشعراء (٥٢٨/٢) ، المرزباني ، معجم (٢١) .
 - ٢ الاصابة (٥١٧/٢) ، (رقم ٥٧٧٢) .
 - ٣ الاغاني (١٥٥/٤) ، (٨٣/١٤) ، المفضليات (رقم ٢٣) ، الميداني (٥/١) ،
الامثال ، للمسكري (٥/١) .
 - ٤ الاصابة (مفترش الهلباء) ، (٥١٨/٢) ، الاستيعاب (٥٣٠/٢) ، حاشية على
الاصابة .

أشعاراً كثيرة ، يفتخر فيها بقومه ، ويذكر فيها مشاهدته في فتوح الشام والعراق^١ .

ومن شعراء تميم المخضرمين : (متمم بن نويرة) اليربوعي ، صاحب المراثي المشهورة في أخيه (مالك بن نويرة) الذي قتله (خالد بن الوليد) لما سار لقتال أهل الردة ، وتزوج امرأته ، مما أدى الى غضب بعض الصحابة ومنهم (عمر) على (خالد) ، لأمور أخذوها في قتله عليه . ومن شعره المشهور في رثاء (مالك) قوله :

أبى الصبر آياتُ أراها وإني أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وإني متى ما ادعُ باسمك لا تجب وكنتَ جديراً أن تجيب وقسمعا
وكنّا كندمانيّ جديمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنّي ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معا
فإن تكن الأيامُ فرقن بيننا فقد بان محموداً أخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه وغيث يُسحّ الماءَ حتى تريعا
سقى الله أرضاً حلّها قبر مالك دهب الغواصي المدجّات فأمرعا
وأثر سبل الواديين بديمة ترشح وسمياً من النبت خروعا^٢

وهي قصيدة مؤثرة تعد من المراثي الجيدة القوية ، تعبر عن قلب منقطر من شدة ما حلّ به من ألم . قيل ان (عمر) قال لمتمم لما دخل عليه أنشدني بعض ما قلتَ في أخيك فأنشده شعره المتقدم ، قال له (عمر) : « يا متمم ، لو كنت أقول الشعر لسرتني أن أقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلتَ في أخيك ، قال متمم : يا أمير المؤمنين ، لو قتل أخي قتلة أخيك ما قلتُ فيه شعراً أبداً ، فقال عمر : يا متمم ما عزّاني أحدٌ في أخي بأحسن مما عزيتني به »^٣ . وقد ضربت الشعراء الأمثال به وبأخيه مالك في أشعارهم .

١ الاصابة (٥٥٠/٣) ، (٨٨٥٠) .

٢ المفضليات (٣٢/٢) .

٣ الشعر والشعراء (٢٥٥/١) ، ابن سلام ، طبقات (١٦٩ وما بعدها) ، الخزائن

(٢٣٤/١) ، المرزباني ، معجم (٤٦١) .

وبما سبق اليه مالك ، وأخذله الناس منه قوله :

جزينا بني شيان أمس بقرضهم
وعُدنا بمثل البلد ، والعود أحمد

فقال الناس : العود أحمد^١ .

« يروى ان عمر قال للحطيثة : هل رأيت أو سمعت بأبكي من هذا ؟ قال : لا والله ما بكى بكاء عربي قط ولا يبكيه^٢ . وكان عمر يستمع الى قوله في رثاء أخيه .

ومن شعره المشهور قوله :

وكل فتى في الناس بعد ابن أمه كساقطة احلى يديه من الخيل^٣

وكان (مالك بن نويرة) من الشعراء كذلك . وقد عرف به (فارس ذي الخمار) . وذو الخمار فرسه^٤ . ولقب به (الجفول) . وهو من شعراء وفرسان (بني يربوع) الملعودين . وكان من أشرفهم ومن أرداف الملوك . استعمله النبي على صدقات قومه ، وبقي عليها الى وفاة الرسول ، فيقال انه لما بلغه خبر وفاته أمسك الصدقة وفرقها في قومه وقال في ذلك :

قللت : خذوا أموالكم غير خائف

ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالدين المحقوق قائم

أطعنا وقلنا الدين دين محمد

وقد قتل خالد بن الوليد ، مالكا ، في قصة ترد في كتب الردة والفتوح

-
- ١ الشعر والشعراء (٢٥٦/١) .
 - ٢ الاصابة (٣٤٠/٣) ، (رقم ٧٧١٩) .
 - ٣ الاصابة (٣٤٠/٣) ، (رقم ٧٧١٩) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٢٥٤/١ وما بعدها) ، ابن حزم ، جمهرة (٢٢٤) ، ابن سلام ، طبقات (٤٨) ، الاغانى (٢٣٩/١٥) ، فوات الوفيات (٢٩٥/٢) .

والتاريخ ، وتزوج امرأته ، وكانت فافقة في الجمال ، مما حل بعض الصحابة على مؤاخذته على هذا العمل ، ومنهم (عمر)^١ .

ومن المخضرمين (النجاشي) (قيس بن عمرو) الحارثي^٢ ، وكان ممن لازم علياً وشهد معه (صفين) ، ومدحه . وقد بلغ (علياً) وهو بالكوفة انه كان سكراناً في شهر (رمضان) مع (أبي سماك) الأسدي ، فهرب (أبو سماك) ، وقبض على (النجاشي) فحدّه (علي) ثمانين سوطاً ، ثم زاده عشرين ، فقال له : ما هذه العلالة ؟ فقال : لجرأتك على الله في شهر رمضان ، ثم وقفه للناس لبروه ، فهرب الى (معاوية) وهجا (علياً) على ما يقال ، وهجا أهل الكوفة . وكان هجاء ، هجا (بني العجلان) ، فاستعدوا عليه (عمر) . فهدّد (عمر) النجاشي ، وقال له : إن عدت قطعت لسانك . وهجا قريشاً هجاء مرأ . وهجا (عبد الرحمن بن حسان بن ثابت) ، ولما مات (الحسن بن علي) رثاه النجاشي ، وتوفي بعد ذلك بقليل .

وروي أنه هاجى (تميم بن مقبل) من (بني العجلان) ، وهو من شعراء الجاهلية ، الذين أدركوا الاسلام ، وعمر طويلاً . وكان يتهاجى مع (النجاشي) ، فاستعدى (تميم) (عمر) على النجاشي ، فسمع (عمر) ما قال فيه وفي بني قومه ، فلما وصل الى بيته :

أولئك أولاد المهجين وأسرّة اللثيم ورهط العاجز المتذلل
وما سمي العجلان إلا لقوله خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر : أما هذا فلا أعلمك عليه فحبسه وضربه^٣ . وكان (عمر) قد

١ الاصابة (٣٣٦/٣) ، (رقم ٧٦٩٧) ، ابن الاثير ، الكامل (٢٣٧/٢ وما بعدها) ، المعبر (١٢٦) ، المرزباني ، معجم (٢٦٠) .

٢ الشعر والشعراء (٢٤٦/١ وما بعدها) ، الاصابة (٥٥١/٣ وما بعدها) ، (رقم ٨٨٥٥) ، الخزائن (٣٦٨/٤) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٧٣/١ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٢٣٩/١) .

٣ الاصابة (١٨٩/١ وما بعدها) ، (رقم ٨٦٢) ، ابن سلام ، طبقات (٣٤) ، ديوان تميم بن مقبل (١١ مقدمة) .

حكم (حساناً) في هجاء (النجاشي) لتميم ، فلما حكم (حسان) بإقذاعه في هجائه له حبس (النجاشي) عليه . وقد جمع (أبو سعيد) السكري شعر (تميم بن مقبل)^١ ، وجمعه غيره من العلماء . وهو (تميم بن أبي بن مقبل) . وقد اشتهر بوصف القداح ، حتى جعل من أوصاف العرب للقدح ، ولذلك يقال : (قدح ابن مقبل)^٢ .

ويعدّ (تميم بن مقبل) من عوران قيس ، وعددهم خمسة شعراء ، وهم : تميم بن مقبل ، وعمرو بن أحرر الباهلي ، والشماخ معقل بن ضرار ، وراعي الإبل عبّيد بن حصين التميري ، وحيد بن ثور الهلالي^٣ . وهو من الجاهليين الذين أدركوا الاسلام ، فأسلم ، فهو من المخضرمين . وقد أدرك زمن معاوية ، وكان هواه مثل هواي قبيلته مع (معاوية) على (علي) . وكان عثمانياً له قصيدة في رثاء أهل الجاهلية ، وكان يتذكر الجاهلية ويترحم على أيامها ، ويحن إليها ، ويرى ان الزمان قد تغير ، وان الأرض قد تغيرت ، وتبدلت أخلاق الناس ، فصار يرى نفسه غريباً في مجتمع غريب عنه ، له مثل تختلف عن مثل أهل الجاهلية ، فصار يحن الى أيام ما قبل الاسلام .

قبل لتمي بن مقبل : تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم : فقال :

ومالي لا أبكي الديار وأهلها

وقد زارها زوار عكّ وجبرا

وجاء قطا الأجباب من كل جانب

فوقع في أعطافنا ثم طيرا

وفي هذه القصيدة المؤلفة من خمسين بيتاً ، والمنشورة في ديوانه ، والتي وردت بروايات مختلفة ، حنن ظاهر إلى أيام الجاهلية ، وتوجع بين للتغير الذي حدث فاجتث ذكريات الأيام القديمة ، إذ باد أهلها ، وتنكر الناس لها ، وبرز من

١ ابن النديم ، الفهرست (١٢٣) .

٢ الشعر والشعراء (٣٦٦/١ وما بعدها) ، الاصابة (١٩٥/١) ، الخزائن (١١٣/١)

طبقات ابن سلام (١٢٥) .

٣ رسالة الغفران (٢٣٧) ، الجماهر (٣٩٠/٢) ، المعارف (٢٥٣) .

لم يكن معروفاً إذ ذاك من الناس . فهو يرى أن الجاهلية بأيامها وبمثلها وبرجالها وبقباثلها ، وبمروعتها ، أحسن حالاً من الأيام الجديدة التي أخذت مكانها، والتي أحلت الموالى ونكرات الناس محل السادة الأشراف^١ .

وكان قد تزوج (الدماء) زوجة أبيه في الجاهلية ، على عادتهم في تزوج نساء الآباء ، وأحبها حباً شديداً ، فلما جاء الاسلام وحرم هذا الزواج ، اضطر إلى تطليقها ، وهو مكروه ، فكان يقول :

هل عاشق نال من دماء حاجته
في الجاهلية قبل الدين مرحوم^٢

ولعل هذا الطلاق ، كان في جملة العوامل التي جعلته يحن الى الجاهلية ويذكرها بخير .

وما ينسب اليه قوله :

فاخلف وأتلف انما المال عارة
وكله مع الدهر الذي هو آكله
وأيسر مفقود وأهون هالك
على الحي من لا يبلغ الحي نائله

وقوله :

خليلي لا تستعجلا وانظرا غداً
عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشداً^٣

١ أولها :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق
وفيها يقول : يمان ، مرته ريح نجد ففترا

أجدي أرى هذا الزمان تغيرا
وبطن الركاء من موالى أقفرا
وكائن ترى من منهل باد أهله
وعيد على معروفه ، فتنكرا

ديوان تميم بن مقبل (ص ١٢٩ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتور عزة حسن) .

٢ ديوان ابن مقبل (المقدمة) ، (تحقيق الدكتور عزة حسن) ، (دمشق ١٩٦٢) .

٣ بلوغ الارب (١٤٣/٣) .

وكان (عبد الرحمن بن حسل) الجمحي من الشعراء المجائين . كان أبوه من أهل اليمن ، فسقط الى مكة ، فولد له بها : (كلدة) و (عبد الرحمن) ، وكانا ملازمين لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، فنسبا الى (بني جمح) . وذكر أنهما كانا أنحوي (صفوان) لأمه . وذكر أنه كان بعسكر (يزيد بن أبي سفيان) ، وأنه كان من مسلمة الفتح . وقد هجا (عثمان) لما أعطى مروان خمسمائة ألف من خمس (إفريقية) فقال :

وأحلف بالله جهد اليمين ما ترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة لكي نبتلي بك أو تبتي
دعوت الطريد فأذنته خلافاً لما سنه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة آثرته وحيت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري من الفياء أعطيته من دنا
فإن الأمين قد بيّنا منار الطريق عليه الهدى
فأأخذاً درهماً غيلة ولا قسمًا درهماً في هوى^١

فأمر (عثمان) به فحبس بنخير . وقيل ان (علياً) كلم (عثمان) فيه فأطلقه وشهد الجمل مع علي ، ثم صفين فقتل بها . وذكر انه قال وهو في السجن :

الى الله أشكو لا الى الناس ما عدا
أبا حسن غلا شديداً أكابده
بنخير في قعر الغموص كأنها
جوانب قبر أعمق اللحد لاحده
أن قلت حقاً أو نشدت أمانة
قتلت فن للحق إن مات ناشده^٢

١ تختلف هذه الابيات بعض الاختلاف عنها في كتاب الاصابة ، الاصابة (٣٨٧/٢) وما بعدها ، (رقم ٥١٠٨) ، الاستيعاب (٤٠٦/٢) وما بعدها ، وقد دعاه صاحب الاستيعاب « عبد الرحمن بن حنبل » .
٢ الاصابة (٣٨٧/٢) وما بعدها ، (رقم ٥١٠٨) .

و (ألس بن أبي أناس بن زنيم) الكنانى ، هو من الشعراء الذين كانوا قد هجوا الرسول فأهدر النبي دمه ، فبلغه ذلك ، فقدم عليه معتزلاً ، وأنشده شعراً مدحه به . وكلمه فيه (نوفل بن معاوية) الديلي ، فعفا عنه ، قائلاً للرسول : « أنت أولى بالعفو ، ومن منا لم يؤذك ولم يعادك ، وكنا في الجاهلية لا ندرى ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة ؟ فقال : قد عفوت عنه . فقال : فذاك أبي وأمي . وأول القصيدة يقول فيها :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أبرّ وأوفى ذمة من محمد

ويقول فيها :

ونبي رسول الله اني هجوته
فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي
فلاني لا عرضاً خرقت ولا دماً
هرقت فذكر عالم الحق واقصد^١

وقد ذكر (ابن قتيبة) ، ان (أبا أناس) ، والد (أنس) ، هو القائل في رسول الله :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أعف وأوفى ذمة من محمد^٢

وقد قال (دعلج بن علي) في طبقات الشعراء ، هذا أصدق بيت قالته العرب . وفي جملة ما جاء في هذه القصيدة التي تنسب الى أنس بن زنيم قوله :

ونبي رسول الله أني هجوته
فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي
فلاني لا عرضاً خرقت ولا دماً
هرقت فذكر عالم الحق واقصد^٣

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الاصابة (٨١/١) وما بعدها ، (رقم ٢٦٧) . |
| ٢ | الشعر والشعراء (٦٢٣/٢) . |
| ٣ | الاصابة (٨٢/١) ، (رقم ٢٦٧) . |

وذكر أن (عبيد الله بن زياد) كان يحرق بين الشعراء ، فأمر (حارثة) أن
يهجو (أنس بن زعيم) ، فقال فيه أبياتاً ، منها قوله :

وخبرت عن أنس أنه قليل الأمانة خواتها

فأجابه أنس بأبيات أولها :

أتني رسالة مستنكر فكان جوابي غفرانها^١

وأنس هو القائل لعبد الله بن الزبير ، حين تزوج مصعب عاتشة بنت طلحة
على ألف ألف درهم :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي وأقص شأن حديثكم لارتاعا^٢

وكان (أسيد بن أبي إياس بن زعيم) الكنانى ابن اخي (سارية) الكنانى ،
من هجوا الرسول أيضاً ، فأهدر النبي دمه ، فخرج الى (الطائف) وأقام بها ،
مثل غيره ممن هجوا الرسول فخافوا على أنفسهم ، فلجأوا الى ثقيف . فلما كان
عام الفتح ، خرج مع (سارية بن زعيم) ، وقدم على الرسول فأسلم . ومد
بشعر . وذكر انه كان قد رثى قتلى بدر ، فأهدر النبي دمه . وروي انه قال
في علي بن أبي طالب وفي مخاطبة قريش :

في كل مجمع غاية أخزاكم صدع يفوق على المذاكي القرح
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحاً وقتلاً بعضه لم يرتح
لله دركم الما تذكروا قد يذكر الحر الكريم ويستحي^٣

وورد في رواية انه كان قد أسلم وأدرك (أحداً) . وتشابه قصته في هدر

١ الاصابة (٨٢/١) ، (رقم ٢٦٧) .

٢ الشعر والشعراء (٦٢٣/٢) وما بعدها .

٣ الاصابة (٦٢/١) ، (رقم ١٧٥) .

النبي دمه وفي هجائه للرسول قصة (أنس بن زعيم) الكنانى ، المتقدم ، وهو ابن أخى (أسيد) على رواية (الإصابة)^١ .

وروي أن (سارية بن زعيم) الكنانى ، كان ممن هجا الرسول كذلك ، فبلغ ذلك الرسول ، فتوعده . فجاء اليه معتذراً فأنشد :

تعلم رسول الله أنك قادر على كل حيٍّ من تهم ومنجد
تعلم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم بأن الركب إلا عويمراً هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبي رسول الله أني هجوته فلا رفعت سوطي إليّ إذا يدي^٢

وتليها أبيات أخرى ، نسبت كلها الى (أنس بن زعيم) . ويظهر أن التباساً قد وقع عند الرواة ، فخلطوا بين الثلاثة من (آل زعيم) .

وقد ذكر أن (سارية) هذا كان خليعاً في الجاهلية ، لصاً كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجله ، ثم أسلم . وأرسله (عمر) فيمن أرسله من المسلمين لفتح فارس^٣ .

وكان (بشير بن أبيرق) (بشر بن أبيرق) الشاعر يقول الشعر ويهجو به أصحاب النبي ، وينحله بعض العرب^٤ .

وجعل (ابن سلام) : (أمية بن حرثان بن الأشكر) (أمية بن الأسكر) و (حريث بن مُحَقَّص) ، و (الكميت بن معرور بن الكميت) الأسدي ، و (عمرو بن شأس) الأسدي ، طبقة واحدة ، هي الطبقة العاشرة من طبقاته . وكلهم ممن عاش في الجاهلية والإسلام^٥ ، وكان (أمية بن الأسكر) الكنانى من سادات قومه وفرسانهم ، وله أيام ، وابنه (كلاب بن أمية) ، أدرك النبي

١ الإصابة (٦٢/١) ، (٨١) .

٢ الإصابة (٨١/١) ، (٢/٢) ، (رقم ٣٠٣٤) .

٣ الإصابة (٣/٢) .

٤ الاشتقاق (٢٦٤) ، تاج العروس (١٢٩/٨) ، (فحل) .

٥ (ص ٤٤ وما بعدها) .

فأسلم مع أبيه . وقد سكن (كلاب) البصرة^١ . وروى لأمية شعراً في حروب
الفجار^٢ .

و (حريث بن محفص) (حريث بن محفص) ، المازني من بني تميم ،
من (خزاعي بن مازن) . وهو مخضرم له في الجاهلية أشعار ، وتمثل الحجاج
بأبيات من شعره ، مثلاً لأهل الشام في طاعتهم وبأسهم ، وهي قوله :

ألم ترَ قومي إن دعوا للملّة
أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
بني الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صديق فأنجبوا
فإن يك طعن بالرُدني يطعنوا
وإن يك ضرب بالمتاصل يضربوا^٣

و (عمرو بن شأس) الأسدي ، المكنى بـ (أبي عرار) ، شاعر كثير
الشعر مقدم ، شهد القادسية^٤ ، ومنهم المستوغر ، واسمه (عمرو بن ربيعة) ،
ويكنى (أبا بهنس) ، وهو من تميم ، زعم أنه عاش ثلاثين وثلاثمائة سنة ،
وأدرك أيام معاوية^٥ . وذكر أن (عمرو بن شأس) عاش حتى أدرك أيام عبد
الملك بن مروان^٦ .

ومن الشعراء المخضرمين (المنذر بن رومانس) الكلبي ، وهو أخو النعمان بن
المنذر لأمه ، وأمها (رومانس) . وله شعر قاله بعد فتح الحيرة ، يتذكر فيه
أيام الحيرة الأولى ، وكيف كانوا يحكمون العراق ونجداً^٧ :

- ١ الخزانة (٥٠٦/٢) وما بعدها ، (بولاق) .
- ٢ الإصابة (٧٨/١) ، (رقم ٢٥٣) .
- ٣ الشعر والشعراء (٥٦١/٢) ، الإصابة (٣٧٥/١) ، (رقم ١٩٧٢) .
- ٤ المرزباني ، معجم (٢٢) وما بعدها ، ابن سلام ، طبقات (١٦٤) ، الأغاني
(٦٠/١٠) .
- ٥ المرزباني ، معجم (٢٣) .
- ٦ الشعر والشعراء (٣٣٨/١) وما بعدها .
- ٧ المرزباني ، معجم (٢٦٩) .

ومن المخضرمين (أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً ، وفي بيته أسلم (عمر) ، لأنه كان زوج أخته فاطمة ، توفي سنة (٥٠) ، وقد أورد الجاحظ له شعراً ، وهو شعر نسب أيضاً لوالده ، وتروى كذلك لنييه بن الحجاج^١ .

و (سالم بن دارة من الشعراء المخضرمين) وهو (سالم بن مسافع «مسافح» ابن عقبة بن يربوع بن كعب بن عدي) من (غطفان) . وكان رجلاً هجاء وبسيه قتل . قتله (زميل بن أبير) (زميل بن عبد مناف) ، (زميل بن أبرد) ، (زميل بن وبير) من بني فزارة وكان (سالم) قد أمعن في هجاء فزارة ، وألح عليها في الهجاء ، فقال في جملة ما قاله :

حَدَّ بَدْبَا بَدَّ بَدْبَا مِنْكَ الْآنَ اسْتَمِعُوا أَنْشَدَكُمْ يَا وَلَسْدَانِ
إِنَّ بَنِي فَزَارَةَ بِنَ ذِييَانٍ قَدْ طَرَقَتْ نَاقَتُهُمْ بِإِنْسَانِ
مُشْتَلٍّ أَعْجِبْ بِخَلْقِ الرَّحْمَنِ غَلِبَتْ النَّاسَ بِأَكْلِ الْجُرْدَانِ
كُلَّ مَتَلٍّ كَالْعُمُودِ جَوْفَانِ وَسَرَقَ الْجَارُ وَنِكَ الْبَعْرَانِ

الى غير ذلك من شعر مقدع ، فلما أمعن في الهجاء ، تعقبه (زميل بن أبير) (زميل بن أم دينسار) الفزاري ، فلاحق به وضربه بالسيف ضربة جرحته ، وكان قد خرج من المدينة ، فعاد اليها ، يتداوى ، فدفعه (عثمان) الى طبيب نصراني ، ويقال إن (أم البنين) (بسرة بنت عيينة بن حصن) الفزاري ، وكانت عند (عثمان) ، جعلت للطبيب جملاً حتى سمته فات^٢ .

ومن شعره في هجاء فزارة قوله :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلُوتَ بِهِ
عَلَى قُلُوصِكَ وَآكَبَهَا بِأَسْيَارِ

وله شعر يخاطب به (عيينة بن حصن) الفزاري ، وكان قد ارتد في خلافة

١ البيان والتبيين (٢٣٥/١) ، الخزائن (٩٩/٣) ، عيون الاخبار (٢٤٢/١) .
٢ الخزائن (١٤٤/٢) وما بعدها ، (عبد السلام محمد هارون) ، نوادر المخطوطات (١٠١/٢ ، ١٥٦ وما بعدها) ، الحيوان (٢٦٧/١) .

(أبي بكر) ثم عاد الى الاسلام ، وقال لأبي بكر : قصني وقصة الأشعث
ابن قيس الكندي واحدة ، فإياكم أكرمتموه وزوجتموه ، ولم تفعلوا ذلك بي ،
فأجاب سالم عن ذلك بقوله :

يا عينة بن حصن آل عدي أنت من قومك الصميم صميم
لست كالأشعث المعصب بالناس ج غلاماً قد ساد وهو فطيم
جده آكل المرار وقيس خطبه في الملوك خطب عظيم
إن تكونا أتيها خطب العذر سواكما فقد الأديم
فله هيئة الملوك وللأشعث إن حان حادث قديم
إن للأشعث بن قيس بن معدي كرب عزة وأنت بهم

وأني (سالم بن دارة) عدي بن حاتم ، فدحه ، فشاطره (عدي) ماله .
والأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد
ابن عجل بن بلجم بن الضعب بن علي بن بكر بن وائل ، من الشعراء المخضرمين ،
ويعد من أرجز الرُّجَّاز ، وأرضنهم كلاماً وأصحهم معاني . وهو أول من
أطال الرجز ، وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فآخر أو شاتم . وذكر
أنه استشهد بنهاوند^٢ . وله ديوان^٣ . وقيل إن الخليفة (عمر) كتب الى (المغيرة
ابن شعبه) وهو على الكوفة ، أن استشد من قبلك من الشعراء عما قالوه في
الاسلام ، فكتب الى لييد ، فكتب لييد اليه سورة البقرة في صحيفة ، وقال :
قد أبدلني الله بهذه في الاسلام مكان الشعر ، وجاء (الأغلب) الى المغيرة ،
فقال له :

أرجزاً تريد أم قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

فكتب بذلك الى (عمر) ، فكتب اليه أن انقص من عطاء الأغلب خمسمائة

-
- ١ الإصابة (١٠٧/٢) ، (٢٦٥٧) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣١٥/٢ وما بعدها) .
 - ٣ « الأغلب بن جشم بن عمرو بن عبيدة » ، الإصابة (٧١/١) ، (رقم ٢٢٥) ،
الخزانة (٢٣٩/٢) ، المؤلف (٢٢) ، الأغاني (١٦٤/١٨) .
 - ٤ الخزانة (٢٥٨/٢) ، (يولاق) .

فزدها في عطاء لبيد ، وله قوله :

المرة تَوَاق الى ما لم ينل والموت يتلوه ويلهيه الأمل

وأنشد له (أبو الفرج) أرجوزة يهجو فيها سجاح التي ادعت النبوة وتزوجت بمسيلمة الكذاب^١ .

وكان (هريم بن جواس) التميمي ، يهاجي (الأغلب) ، وهو من المخضرمين ، وافقه بسوق عكاظ ، فقال له :

قبحت من سالفة ومن قفا عبد إذا ما رسب القوم طفا
فما صفا عدوكم ولا صفا كما شرار البقل أطراف السفا

فقال له : من أنت وملك ؟ قال :

أنا غلام من بني مقاعس الضارين فلك الفوارس^٢

ومن الشعراء المخضرمين : (عقيبة بن هُبيرة) الأسدي . وكان جريشاً ، وفد على معاوية بن أبي سفيان ، فدفع اليه رقعة فيها :

فهبنا أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد
أنطمع في الخلود إذا هلكتنا وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا نخون الخلافة ، واستقيموا وتأمر الأراذل والعبيد
وأعطونا السوية لا تزركم جنود مردفات بالجنود

فقال له معاوية : ما جرأك عليّ ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبتوك ! فقال : ما أظنك إلا صادقاً ! ففضى حوائجه^٣ .

ومنهم (حضرمي بن عامر بن مجمع بن مائلة « مَوَلَة ») من بني أسد ،

١ الاصابة (٧١/١) ، (رقم ٢٢٥) .

٢ الاصابة (٥٨٤/٣) ، رقم (٩٠٤٩) .

٣ الخزائن (٢/٢٦٠ وما بعدها) ، (هارون) ، (١/٣٤٣ وما بعدها) ، (بولاق) .

وهو شاعر فارس سيد ، له في كتاب (بني أسد) أشعار وأخبار . وقدم مع وفد (بني أسد) ، وفيهم ضرار بن الأزور ، وسلمة بن حبيش ، وقتادة بن القائف ، وأبو مكعب ، وكتب لهم الرسول كتاباً . فتعلم (حضرمي) سورة (عبس وتولى) ، فزاد فيها : « وهو الذي أنعم على الجلي ، فأخرج منها نسمة تسمى » ، فقال له النبي : « لا تزيد فيها » . وورد ان السورة هي سورة : سبح اسم ربك الأعلى . وكان يكنى : (أبا كدام) ، وله شعر في حرب الأعاجم ، أنشد بعضه (عمر بن الخطاب) ، وقد نقل عنه (سيف بن عمر) في الفتوح بعض أخبار مسيلمة والردة ^١ .

ومن المخضرمين (حنيف بن عير) البشكري ، قاتل (محكم بن الطفيل) يوم اليمامة . وله شعر في قتله ^٢ .

ومن المخضرمين : (ربيعة بن مقروم بن قيس) ، وكان ممن أصفق عليه (كسرى) ، ثم عاش في الإسلام زماناً . شهد القادسية وجولاء ، وهو من شعراء (مضر) الملعودين ^٣ .

ومن الشعراء المخضرمين : (أبو بكر بن الأسود بن شعوب) الليثي ، وهو (شداد بن الأسود) ^٤ . وقيل اسمه : (عمرو بن سمي بن كعب بن عبد شمس) الكناني ، وأمه (شعوب) من بني خزاعة ، وله شعر كثير قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد . رمن شعره ، قصيدة في رثاء قتلى المشركين بيدر ، يقول فيها :

فإذا بالقلب قلب بيدر من القينات والشرب الكرام

الى أن يقول :

نحبرنا الرسول لسوف نجيا وكيف حياة أصداء وهام^٥

١ الاصابة (١/٣٤٠) ، (رقم ١٧٥٩) ، الخزانة (٥٦/٢) ، (بولاق) .

٢ الاصابة (١/٣٨١) ، (رقم ٢٠١٦) ، الخزانة (٥٤٤/٢) وما بعدها .

٣ الخزانة (٥٦٥/٣) وما بعدها ، (بولاق) .

٤ ابن هشام (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) .

٥ هناك اختلاف في رواية أبيات هذه القصيدة وفي الفاظها ، ابن هشام ، سيرة (١١٣/٢) ، (حاشية على الروض الانف) ، نواذر المخطوطات ، كتاب من نسب الى أمه من الشعراء (المجموعة الاولى) (ص ٨٣ وما بعدها) .

ومن المخضرمين : (قطبة بن الزبيرى) ، وهي أمه . وهو (قطبة بن زيد ابن سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة) من بني القين بن جسر . وكان سيد قضاة في الجاهلية وأول الاسلام . وله مفتخرأ :

حيثُ القوم قد علمت معدٌ ومن للقوم من مولى وجار
حبوت بها قضاة إن مثلي حقيق أن يذب عن الذمار
ولست كمن يُغمز جانباه كغمز التين تجنيه الجوارى^١

ومن المخضرمين (عبدة بن الطبيب)^٢ ، (عبدة بن الطبيب)^٣ ، وهو من (بني عبشمس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم) . ومن جيد شعره في رثاء قيس بن عاصم ، قوله :

عليك سلام الله قيسَ بن عاصمٍ
ورحمته ما شاء أن يترحمها
نحية من ألبسته منك نعمة
إذا زار عن شحط بلادك سلا
فلم بك قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما^٤

وقوله :

والمرءُ ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شح واشفاق وتأميل^٥

وقد أعجب (عمر) بهذه القصيدة الطويلة التي على اللام^٦ .

-
- ١ من نسب الى أمه (٨٦) ، نوادر المخطوطات ، (المجموعة الاولى) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٦١٣/٢) ، البيان والتبيين (١٢٢/١) .
 - ٣ بلوغ العرب (١٤٣/٣) .
 - ٤ الشعر والشعراء (٦١٤/٢) ، وتختلف هذه الابيات عما ورد في الاصابة (١٠٠/٣) ، (رقم ٦٣٩٢) .
 - ٥ بلوغ العرب (١٤٣/٣) .
 - ٦ البيان والتبيين (٢٤٠/١) .

« واسم الطبيب : يزيد بن عمرو بن علي بن أنس بن عبدالله بن عبد تميم بن
جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم) . وهو من مشاهير الشعراء ،
وقد ساهم في فتوح العراق ، وهو القائل في قتال الفرس :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

ثم يقول :

يقارعون رؤوس الفرس ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
وكان (أبو عمرو بن العلاء) يقول : قول عبدة :
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهلما
أرثي بيت قبل :
ومن شعره قوله :

ولقد علمت بأن قصري حفرة غبراء يحملن اليها شرجع
فبكت بناتي شجون وزوجتي والأقربون إلى ثم تصدعوا
وتركت في غبراء يكره وردعا تسفى عليّ الريح حين أودع^١

وقوله :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل^٢
ورداً واشقر لم يهته طابخه ما غير الغلي منه فهو مأكول
تمت قنا الى جرّد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل^٢

ومن المخضرمين (عدي بن عمرو بن سويد بن زبان) الطائي ، المعروف
بالأعرج . وهو القائل :

١ الاصابة (٣/ ١٠٠ وما بعدها) ، (رقم ٦٣٩٢) .

٢ نمار القلوب (٢١٩) .

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي^١

ومن الشعراء المعمرين : (أبو الطمحان) القيني ، واسمه حنظلة بن الشرقي
من بني كنانة بن القين . زعم أنه عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَتَنِي حَانِيَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلُ أَدْنُو لَصِيدِ
قَصِيرِ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مِن رَأْيِي - وَلَسْتُ مَقِيداً - أَنِّي بِقَيْدِ
تَقَارِبِ خَطْوِ رَجْلِكَ يَا سَوِيدِ وَقَيْدِكَ الزَّمَانِ بَشَرِ قَيْدِ^٢

ونسب إليه قوله :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ فِيهِ تَقْطَعُ أَلْفَ وَأَقْرَانِ
أَمَسَتْ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقاً مَوْزَعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيِّ لَقْمَانِ^٣

وقد اختلف فيه ، فزعم بعض أنه جاهلي لم يسدرك الإسلام ، وزعم بعض
آخر أنه أدركه . وأنه قال شعراً يتبرأ فيه من اللذنب كالزنا وشرب الخمر ،
وأكل لحم الخنزير ، والسرقة ، وكان نديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ،
ونسب له قوله :

وَلَا نِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتَ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَائِبُهُ^٤

١ الاصابة (٣/١٠٤ وما بعدها) ، (رقم ٦٤١٧) ، المزرباني ، معجم (٢٥١) ، البيان
والتبيين (١/٢٤٦) .

٢ أمالي المرتضى (١/٢٥٧) .

٣ البيان والتبيين (١/١٨٧) ، (٣/٢٣٥) .

٤ أمالي المرتضى (١/٢٥٧) ، الاصابة (١/٣٨١) ، (رقم ٢٠١١) ، الخزائنة
(٣/٤٢٦) ، المعرون (٥٧) ، المؤلف (١٤٩) .

ومن^١ المعمرين الشعراء : (الربيع بن ضبع) الفزاري ، زعم انه أدرك أيام (عبد الملك بن مروان) وانه دخل عليه فقال له : « يا ربيع ، أخبرني عما أدركت من العمر والمسدى ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هأنذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل :
إذا عاش القتي مائتين عاماً فقد ذهب اللذذة والفناء

قال : قد رويت هذا من شعرك ، وأنا غلام ، وأبيك يا ربيع ، لقد طلبك جد غير عائر ، ففصل لي عمرك ، قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام . وأخذ عبد الملك يسأله ، وهو يجيب . وقد علق (المرتضى) على هذا الخبر بقوله : « ان كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام معاوية ، لا في أيام ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر : عشت في الاسلام ستين سنة . وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة ، فإن كان صحيحاً فلا بد مما ذكرنا ، فقد روي ان الربيع أدرك أيام معاوية^٢ .

وزعم انه قال شعراً لما بلغ مائتي سنة ، وشعراً آخر لما بلغ مائتين وأربعين^٣ . وهو مثل شعر المعمرين في العمر وفي ذهاب الشباب ، وتقدم السن ، وفي عدم تحمّل السنين والشيوخة ، وغير ذلك من الأعراض التي تلازم الشيخوخة .

ومن شعراء بني تميم : (حارثة بن بسر بن حصين بن قطن بن غدانة) الغداني من (بني يربوع) ، كان من فرسان (بني تميم) ووجوها وسادتها ، وكان يعارض الشعراء نظراءه في الشعر ، ولم يكن معدوداً في فحول الشعراء^٤ :

- ١ أمالي المرتضى (٢٥٣/١ وما بعدها) ، الخزائن (٣٠٦/٣) .
- ٢ أمالي المرتضى (٢٥٤/١ وما بعدها) ، المعمرين (٦ وما بعدها) ، ذيل الامالي (٢١٤) ، الخزائن (٣٠٦/٣) ، شرح أدب الكاتب ، للجواليقي (٢٦٦) .
- ٣ أمالي المرتضى (٣٨٠/١ وما بعدها) ، الاغانى (١٣/٢١ وما بعدها) ، الاصابة (٣٧٠/١) ، (رقم ١٩٣٧) .

وقد نسبوا له قوله :

لعمرك ما أبقي لي الدهر من آخرٍ حفيّ ولا ذي خُلّةٍ لي أوصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل فشرّ الأخلاء الكثير غوائله
وقل لفؤادٍ إنّ نزا بك نزوة من الروح أفرخ، أكثر الروح باطله

وروى الشريف (المرتضى) أشعاراً أخرى ، أكثرها في المنايا ، وفي الصديق
والاخلاص ، والنصح ، وتجنب أمكنة السوء ، وفي تجاوز الأقرباء على حقوق
القريب وفي الوقوع في الفقر حيث يقول :

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً ترجو الفاضل عند غير المفضل
واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تكون خصاصة فتجمل^١

وقد كان في أيام (زياد بن أبيه) ، وكان مستهتراً بالشراب^٢ . وله شعر
عائب به (عبيد الله بن زياد) لما تغير عليه بعد اختصاصه بأبيه^٣ .

ومما استحسّن من شعره قوله :

يا كعبُ ما راح من قوم ولا ابتكروا إلا وللموت في آثارهم حادي
يا كعبُ ما طلعت شمس ولا غربت إلا تقربُ آجالاً لميعاد^٤

وكانت لخفاف بن فضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي ، وفادة على النبي ، وفد
عليه فقال :

لاني أتاني في المنام مخبر من جنّ وجرة في الأمور موات
يدعو اليك ليالياً وليالياً ثم احزأل وقال لست بات
فركبت ناجية أضرب بمنيتها جمر تحت به على الأكيات
حتى وردت الى المدينة جاهاً كما أراك فتفرج الكربات

-
- ١ أمالي المرتضى (٢٨٣/١) .
 - ٢ أمالي المرتضى (٣٨٤/١) .
 - ٣ أمالي المرتضى (٢٨٦/١) .
 - ٤ أمالي المرتضى (٢٢٨/٢) .

ويروى ان النبي استحسناها ، وقال : ان من البيان لسحراً وان من الشعر
كالحكم^١ .

و (بشر بن قطبة بن سنان) الفقعسي ، من الشعراء الفرسان ، شهد اليمامة
مع (خالد بن الوليد) ، وقال في ذلك :

أروح وأغدو في كتيبة خالد على شطبة قد ضمها الغزو خيفق

ومنها :

إذا قال سيف الله كروا عليهم كررنا ولم نجعل وصاة الموق
أقول لنفسي بعدما رقى بالها رويدك لما تشققي حين تشققي
وكوني مع الراعي وصاة محمد وإن كذبت نفس المنافق فاصدق^٢

ومن شعراء (بني أشجع) : (بقيلة) الأشجعي ، وكان سيداً كبيراً شاعراً.
ومن شعره :

لبس قريبيك إن أطماره خلقت ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا
فلن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وانما الشعر لبّ المزمع يعرضه على المجالس إن كيساً وان حقاً^٣

وكان (امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن
معاوية الأكرمين) الكندي، من الشعراء ، وكان ممن حضر حصار حصن (النجيع) ،
فلما أخرج المرتدون ليقتلوا ، وثب على عمه ليقتله ، فقال له عمه : ويحك أتقتلني
وأنا عمك ؟ قال : أنت عمي والله ربي ، فقتله . وكان ممن ثبت على الاسلام ،
وأنكر على الأشعث ارتداده . وقد كتب الى (أبي بكر) في الردة :

ألا ابليخ أبا بكر رسولاً وبلغها جميع المسلمينا
فليس مجاوراً بيئي بيوتاً بما قال النبي مكدييننا^٤

-
- ١ الاصابة (٤٤٨/١) ، (رقم ٢٢٧٤) .
 - ٢ الاصابة (١٧٦/١) ، (رقم ٧٧٥) .
 - ٣ الاصابة (١٦٦/١) ، (رقم ٧٢١) .
 - ٤ الاصابة (٧٧/١) وما بعدها ، (رقم ٢٥٠) ، أسد الغابة (١١٥/١) ، الاستيعاب
(٩٤/١) وما بعدها) . (حاشية على الاصابة) .

ومن شعره :

قف بالديار وقوف حابس وتأن^١ إنك غير آيس
ماذا عليك من الوقوف ف بهامد الطللين دارس
لعبت بهن العاصفا ت الراحات من الروامس

وقد أخله الكميت كله غير القافية فقال :

قف بالديار وقوف زائر وتأي^٢ إنك غير صاغر^٣

ومن الشعر المنسوب إليه ، المعروف بخفة رويه ، قوله :

يا تملك^٤ يا تملي صليبي وذري علي
ذريني وسلاحني ثم شدي الكف بالغزل
ونبلي وفقساها كعراقيب قطا طحل
ومني نظرة^٥ بعدي ومني نظرة^٦ قبلي
وثوباي جديسدان وأرخى شرك النعل
ولما مت^٧ يا تملي فكوني حرة مثلي

وتروى هذه الأبيات للزند الزماني^٨ .

وشداد بن عارض الجشمي من الشعراء المشهورين ، ذكره (ابن اسحاق)
في المغازي ، ولما سار رسول الله الى الطائف ، قال في ذلك :

لا تنصروا اللات^٩ إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
إن الرسول مئى يتزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر^{١٠}

و (هوذة بن الحرث بن عجرة بن عبدالله بن يقظة) السلمي المعروف
بـ (ابن الحامة) ، وهي أمه ، من الشعراء المخضرمين ، قال لعمر بن الخطاب
لما قدم أناساً عليه في العطاء :

-
- ١ الشعر والشعراء (٤٨٦/٢) ، تهذيب ابن عساكر (١١٣/٣) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٢٩/١) ، السمعاني (٥٠٤) .
 - ٣ الإصابة (١٣٩/٢) ، (رقم ٣٨٥٢) .

لقد دار هذا الأمر في غير أهله فأبصر أمين الله كيف تريد
أيدعي خثيم والشريد أماننا ويدعي ربناح قبلنا وطرود
فلن كان هذا في الكتاب فهم اذاً ملوك بني حرّ ونحن عبيد

ولمالك بن عامر بن هانيء بن خفاف الأشعري ، قصيدة طويلة يشرح فيها
أحواله ، مذ كان في الجاهلية الى دخوله في الاسلام ، وغيثه النبي ، ثم اشتراكه
في الفتح كالفادسية ، ثم مساهمته في حرب صفين مع (علي) . وقد ختمها بقوله :

كأن الفتى لم يعيش ليلة اذا صار رمساً على صور
وطول بقاء الفتى فتنة فأطول لعمرك أو أقصر

وقيل انه أول من عبر دجلة يوم المدائن ، وله في ذلك قصيدة رجزاً .

ولقصيدة (مالك) الطويلة أهمية خاصة بالنسبة لدارسي الأدب العربي ، لأنها
تتناول ترجمة حياة الشاعر ، وتسجل سيرته بشعر ، وهو نموذج لم يتطرق اليه
شعراء العربية بكثرة .

و (مالك بن عيمر) السلمي من الشعراء المعروفين ، ذكر انه جاء الى النبي
فقال : « يا رسول الله انني امرؤ شاعر ، فافتني في الشعر ؟ فقال : لأن تمتلي ،
ما بين لبك الى عاقتك قبحاً خيراً لك من أن تمتليء شعراً » . ويذكر الخبر أنا
قال للرسول : « فامسح غني الخطيئة » ، فسح الرسول يده على رأسه ثم أمره
على كبده ثم على بطنه ، وترك بعد ذلك الشعر^١ .

ومن المخضرمين (شيبيل بن ورقاء) (شيبيل بن وفاء) من زيد بن كليب
ابن يربوع ، وكان شاعراً مذكوراً جاهلياً ، فأدرك الإسلام وأسلم لإسلام سوء .
وكان لا يصوم رمضان ، فقالت له بنته : ألا تصوم ؟ فقال :

تأمرني بالصوم لا دَرَّ حرها وفي القبر صوم ، يا تبال طويل

-
- ١ الاصابة (٥٨٥/٣) ، (رقم ٩٠٥٩) .
 - ٢ الاصابة (٣٢٦/٣) ، (رقم ٧٦٤٢) .
 - ٣ الاصابة (٣٣١/٣) ، (رقم ٧٦٧٢) .
 - ٤ « لا أباك » ، الشعر والشعراء (٦٣٣/١) ، الاشتقاق (١٤٢) .

و (أنس بن مدرك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف) الخثعمي ثم الأكلبي ، والمعروف بـ (أبي سفيان) هو من الشعراء الجاهليين الذين أدرکوا الاسلام . وكان شاعراً وقد رأس ؛ إذ كان سيد خثعم في الجاهلية ، كما كان فارسها . وذكر أنه قتل (السليك بن سلكة) الشاعر المعروف ، وكان قد اعتدى على امرأة من خثعم ، فلحقه وقتله ، فطالب (عبد ملك بن مويك) الخثعمي بدية (السليك) ، وكان (السليك) يعطيه إتاوة من غنيمته على الحيرة ، فأبى (أنس) أن يديه لفجوره ، كما كانت له أخبار مع (دريد بن الصمة) في الجاهلية . وقد عاش طويلاً فزعموا أنه عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة^١ .

وكان (سواد بن قارب) الدوسي من الشعراء ، وكان يتكهن في الجاهلية ثم أسلم . ورووا له أبياتاً فيها إشارة الى (الرقي) والجن^٢ .

١ الاصابة (٨٥/١) ، (رقم ٢٨٠) .

٢ الاستيعاب (١٢٢/٢) وما بعدها ، (حاشية على الاصابة) .